المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مركز إحياء التراث الإسلامي
مكة المكرمة

من التراث الإسلامي

غاية المرام

بأخبار سلطنة البلد الحرام

تأليف
عز الدين عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي القرشي
(٨٥٠ - ٩٢٢ هـ)

تحقيق
فهيم محمد شلتوت

الجزء الثاني

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمــــد لله رب العـــــالمين ، والصلاة والسلام على أشرف ١
المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

وبعد :

فهذا هو الجزء الثاني من كتاب « غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام » لعز الدين عبد العزيز بن عمر بن فهد الهاشمى المكي ، وهو يترجم لمن ولى إمرة مكة المكرمة أو نيابة السلطنة بالحجاز ، ابتداء من أبي نُمَيّ محمد بن حسن بن علي بن قتادة الحسنى ، الذى بدأت ولايته لإمرة مكة فى شوال سنة ٦٥٢ هـ ، ودامت قرابة نصف قرن . وحتى نهاية ترجمة محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمى محمد الحسنى المتوفى فى حادى عشرى المحرم سنة ٩٠٣ هـ .

وبذلك يكون هذا الجزء قد عالج التاريخ لمكة والحجاز ــ من خلال الترجمة للولاة ــ فى الحقبة التى تقع بين أواخر سنة ٦٥٢ هـ ، وبين أوائل سنة ٩٠٣ هـ : أى أنه أرخ لقرنين ونصف القرن من تاريخ مكة والحجاز .

وقد اعتمد العز بن فهد فى تأليفه لهذا الجزء على كتاب « العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين » لعمدة المؤرخين تقى الدين

الفاسي ، وعلى مسودة والده النجم عمر بن فهد المسماة بـ « بغية المرام بأخبار ولاة البلد الحرام » وكتاب « إتحاف الورى بأخبار أم القرى » له أيضاً ؛ وذلك فى الحقبة المنتهية بمنتصف ذى الحجة من سنة ٨٢٧ هـ حيث وقف الفاسي بالتاريخ عند أخريات ترجمته للشريف حسن بن عجلان بن رميثة ، نائب السلطنة بالحجاز(١) .

ثم أخذ يعتمد فى تأليفه على كتابى والده « إتحاف الورى بأخبار أم القرى » و « الدر الكمين بالذيل على العقد الثمين » كما أشار هو إلى ذلك فى مقدمته للكتاب بقوله : وأما تراجم المتأخرين بعد السيد حسن بن عجلان فجمعتها مما اطلعت عليه — بعد الفحص والإتقان — وغالبها من تاريخى والدى المسميين بإتحاف الورى بأخبار أم القرى ، والدر الكمين بذيل العقد الثمين(٢) .

وقد ذكر المؤلف كتباً أخرى لوالده ، نقل عنها فى مؤلفه هذا مثل « الإشعار بما أُنْشِدتّ من الأشعار »(٣) و « نزهة العيون فيما تفرق من الفنون »(٤) كما ذكر بعض ما شاهده بخط والده ، وبعض ما نقله والده عن الشريف أحمد بن على بن الحسين بن مهنا بن

---

(١) ص/٣٤٤ من هذا الجزء (أواخر الترجمة رقم ٩٩٥ من كتاب العقد الثمين جـ ٤/١٥٠ .

(٢) مقدمة المؤلف لغاية المرام جـ ١ : ٣ ، ٤ .

(٣) ص ٣٥٤ من هذا الجزء .

(٤) ص ٤٣ من هذا الجزء .

عقبة الحسني ، من كتابه « عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب »[١] ما لم نره فى كتبه : بغية المرام ، وإتحاف الورى ، والدر الكمين . ولعل النجم كان دوّن ذلك في مسودات توطئة لإضافتها إلى أحد كتبه هذه ، أو إلى كتب أخرى لم تصل إلينا .

وفى أخبار شهر رجب سنة ٨٨٥ هـ[٢] من ترجمة محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسنى ، نائب السلطنة بالحجاز توقف النجم عمر بن فهد عن التأريخ فى كتابيه الدر الكمين ، وإتحاف الورى ، وذلك لمرضه الذى انتهى بوفاته فى سابع رمضان سنة ٨٨٥ هـ .

بعد ذلك أخذ العز بن فهد يستقل بالتأريخ لحقبة عاصرها ، وعايش أحداثها ، وأنهى بها كتابه « غاية المرام » واستغرق بها كتابه « بلوغ القرى » وكأنه خَلَف والده فى انفراده بالتأريخ للحقبة التى تلت وفاة والده ، حتى ثامن جمادى الأولى من سنة ٩٢٢ هـ حيث انتقل مؤرخنا العز بن فهد إلى جوار ربه .

ويجعله قطب الدين محمد بن أحمد النهروالى فى تاريخه آخر سلسلة الذين أرخوا لمكة المكرمة ؛ فيبدأ بأبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي ، مارًّا بمحمد بن إسحاق الفاكهى ، ثم بالتقي محمد بن أحمد الحسني الفاسي ، ثم بالنجم عمر بن فهد الهاشمي ،

---

(١) ص ٣٩ ، ٧٦ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١٩٤ من هذا الجزء .

(٢) ص ٣٥٤ من هذا الجزء .

وينتهى بابنه الشيخ عز الدين عبد العزيز بن فهد الشافعى العلوى المكي . ثم يقول : وهذا الأخير أدركناه ، ولنا عنه رواية[١] .

ومما يلفت النظر أن قطب الدين النهروالى لم يشر فى تاريخه من قريب أو بعيد إلى جار الله محمد بن عبد العزيز بن فهد . وهو إمام علامة مسند مؤرخ ، برع فى العلوم العقلية والشرعية ، وقد توفى فى سنة ٩٥٤ هـ[٢] . يعنى فى عنفوان القطب النهروالى الذى ولد سنة ٩١٧ هـ ، وتوفى سنة ٩٨٨ هـ[٣] . وقبل أن ينتهى القطب النهروالى من تأليف تاريخه الإعلام بأعلام بيت الله الحرام . الذى أتمه فى سنة ٩٧٩ هـ . وكان أولى به أن يذكر جار الله بن فهد فى كتابه هذا ، فضلاً عن أن يتتلمذ عليه ويأخذ عنه ، لكنه رحمه الله لم يفعل ذلك .

هذا والله تعالى من وراء القصد ، وهو يهدى السبيل .

المحقق

مكة المكرمة فى يوم الثلاثاء
٢٧ من شعبان سنة ١٤٠٦ هـ
٦ مايو سنة ١٩٨٦ م

فهيم محمد شلتوت

---

(١) الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٨ ، ٩ ، وانظر روايته عن العز في ص ٩٥ .

(٢) شذرات الذهب ٨ : ٣٠١ ، والأعلام للزركلى ٧ : ٧٩ ، ومعجم المؤلفين ١٠ : ١٧٥ ، وكشف الظنون ١ : ٢٥٣ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

(٣) شذرات الذهب ٨ : ٤٢٠ ، والبدر الطالع ٢ : ٥٧ ، والأعلام للزركلى ٦ : ٢٣٤ ، ومعجم المؤلفين ٩ : ١٧ .

غاية المرام

بأخبار سلطنة البلد الحرام

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

١٧٤ ــ محمد بن حسن بن على بن قَتَادَة بن إدريس بن مُطَاعِن الحسنى .

قال الفاسى[١] : الشريف أبو نُمَىّ ــ ويقال أبو مَهْدِى ــ ابن أبى سعد . صاحب مكة وابن صاحبها . يُلقَّب نجم الدين .

ولي إمرة مكة نحو خمسين سنة إلا أوقاتاً يسيرة زالت ولايته عنها فيها ــ يأتى ذكرها .

وذكر صاحب « بَهْجَة الزّمَن » فى مدة ولايته لمكة ما ذكرناه فى مدة ولايته لها بزيادة فى ذلك ؛ لأنه قال : واستمرت إمرته على مكة ونواحيها ما ينيف على خمسين سنة . انتهى .

وما ذكره من أن ولاية أبى نُمَىّ على مكة ونواحيها ينيف على خمسين سنة فيه نظر ؛ لأنه لم يَلِ إلا بعد أبيه ، وبين وفاتيهما تسعٌ وأربعون سنة وأشهر . وغايتها خمسون على الخلاف فى تاريخ شهر موت والده أبى سعد ، إلا أن يكون أبو نمى ولى إمرة مكة / نيابة عن أبيه ، ويضاف ذلك إلى ولايته بعده فلا إشكال . والله أعلم .

واستقل أبو نُمَىّ بإمرة مكة فى أكثر المُدّة المشار إليها ، وشارك عمّه إدريس بن قَتَادَة فى بعضها .

---

(١) العقد الثمين ١/٤٥٦ برقم ١٤٤ .

وولايته المشتركة سبع عشرة سنة ، أو نحوها ، وولايته المستقلة نحو إحدى وثلاثون سنة أو نحوها .

وقال الذهبى فى ذيل سير النبلاء له — فى ترجمة أبى نُمَىّ هذا — : وكانت ولايته نحواً من أربعين سنة بعد عَمِّه الذى قتله . انتهى .

وفيما ذكره الذهبى نظر ؛ لأن عَمّه المشار إليه هو إدْرِيسُ بن قَتَادة ، وكانت وفاته فى سنة تسع وستين وستمائة — على ما وجدت بخط الميورقى — وذكر ذلك غير واحد من المؤرخين .

ومقتضى ما ذكرناه من [تاريخ][1] وفاة إدريس بن قتادة أن تكون ولاية أبى نُمَىّ بعده إحدى وثلاثين سنة وأشهراً . إلا أن أبا نمي لم يَعِشْ بعد عمِّه إدريس إلا المدة التى أشرنا إليها كما سيأتى فى تاريخ وفاة أبى نمىّ .

وقد وجدت ما يوهم الاختلاف فى ابتداء ولايته ؛لأن ابن محفوظ ذكر — فيما وجدت بخطه — أن فى شوال سنة اثنتين وخمسين جاء الشريفان أبو نُمَىّ وإدْرِيسُ ، وأخذا مكة من غانم بن راجح بن قَتَادة بالقتال ، ولم يُقْتَل بينهم إلا ثلاثة أنفس . منهم : عالي شيخ المُبَارَك . وأقاما بها إلى الخامس والعشرين من ذي القعدة ، فجاء ابنُ بِرْطَاس المبارز بن على من اليمن ، فأخذها منهم ، وتقاتلوا بالسرحة من قُوزِ المَكَّاسَةِ . وكان معهما جَمّازُ بن شِيحَة صاحبُ المدينة .

---

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ١/٤٥٧ .

وحجّ بالناس تلك السنة ابـن بِرْطَـاس ، ولم يزل مقيمـاً بمكـة إلى آخر السَّنَة . انتهى .

ووجـدت بخط الميـورقى : وَوَلِـىَ أبـو نُمَـىّ بعـد قتـل أبيـــه أبى سعد فى المحرم سنة ثلاث وخمسين وستمائة . انتهى .

وهذا وإن أوهم الخلافَ فى [تاريخ][1] ابتداء ولاية أبى نُمَـىّ لمكـة فلـيس خلافـاً فى[2] الحقيقـة ؛ لإمكـان الجمـع بين ما ذكـره ابن محفوظ فى ابتداء ولايته ، وبين ما ذكره الميورقى فى ابتدائها .

وذلك أن يُحْمَلَ كلامُ الميورقى على أنه أراد ولاية أبى نمى لمكـة بعد خروج ابن بِرْطَاس منها ، ويُحْمَل ما ذكره ابن محفوظ على ولايـة (أبى نمىّ التى بعد)[3] غانم بن راجح .

ويؤكـد ذلك أن الميورقى وابن محفوظ ذكـر كل منها ما يقـتضى أن أبـا نُمَـىّ ولى مكـة بعـد ابـن بِرْطَـاس فى سنـــة ثلاث وخمسين وستمائة ؛ لأن الميورقي قال : ثم استحكم أبو نُمـيّ وعمُّـه إدريس على مكة ؛ فأخرج الشرفاءُ الغزَّ بسفك دماء خَيْل ابن بِرْطَـاس الـوالى بها من جهة اليمن ، فامتلأ الناسُ رُعْباً ، وسُفِكَت الدماءُ بالحجـر ، يوم السبت لأربـع ليـالٍ بَقَيْـنَ من المحرم سنـة ثلاث وخمسين وستمائـــة . انتهى .

---

(١) إضافة على الأصل عن العقد الثمين ٤٥٨/١ .

(٢) فى الأصل « علي » ، والمثبت عن المرجع السابق .

(٣) فى الأصل « أن أبا نمي » ، ولا مفهوم لذلك في السياق ، والمثبت عن المرجع السابق .

وذكر فى موضع آخر نحو ذلك باختصار ، بالمعنى . انتهى .

وقال ابن محفوظ — فيما وجدت بخطه — : سنة ثلاث وخمسين وستمائة جاء أبو نُمَىّ وإدريس ، ومعهما جَمَّازُ بن شِيحَة صاحب المدينة ؛ فدخلوا مكة وأخذوها من ابن بِرْطَاس بعد القتال . انتهى .

وذكر بعض العصريين حَرْبَيْنِ بين ابن بِرْطَاس وأبى نُمَىّ وإدريس ، الحرب الأول ، والحرب الثانى ، وذكر أنه أُسِرَ فى الثانى ثم خَلُصَ لافتدائه نفسه . وسَنُوَضّح ذلك / أكثر من هذا فى ترجمته .

وجرى بين أبى نُمَىّ وعمه إدريس — بسبب مكة — أمور .

منها : أن أبا نُمَىّ فى سنة أربع وخمسين وستمائة أخذ مكة من عمه إدريس — [وكان شريكه فيها — لما راح إدريس إلى أخيه راجح بن قتادة ، ثم جاء إدريس][(١)] مع راجح بن قتادة ، وأصلح راجِحٌ بين إدريس وأبى نُمَىّ .

ومنها : أن أبا نمىّ — فى سنة سبع وستين — أخرج عمه إدريس من مكة ، وانفرد بالإمرة ، وخَطَب لصاحب مصر الملك الظاهر بِيبَرْس الصالحى البُنْدُقْدَارِىّ[(٢)] . وكَتبَ إليه أبو نُمَىّ يذكر

---

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ١/٤٥٩ .

(٢) هو الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس بن عبد الله البندقداري الصالحي التركى ، سلطان الديار المصرية والبلاد الشامية وغيرهما ، وهو الرابع من ملوك الترك . وكلمة بيبرس تعنى أمير فهد ، وكلمة البندرقداري تعنى نسبته إلى الأمير =

له : أنه لما شاهد من عمه إدريس مَيْلاً إلى صاحب اليمن ، وتَحَامُلاً على دولته أخرجه من مكة ، وانفرد بالإمرة ، وخطب له ، وسأل مَرْسُومَه إلى أمراء المدينة ، ألا يُنْجِدُوا عمه عليه . فاشترط عليه صاحبُ مصر : تَسْبِيلَ بيت الله للعاكف والباد ، وألَّا يُؤْخَذَ عَنْهُ حَقٌّ ، ولا يُمْنَع زائرٌ فى ليلٍ أو نهار ، وألا يُتَعَرَّض إلى تاجرٍ وَلَا حاج بِظُلْم ، وأن تكون الخطبة والسِّكَّة له ، ولأبى نُمَيّ عَلَى ذلك عشرون أَلْفَ دِرْهَمٍ فى كل سنة .

فلما وَرَدَ جوابُ أبى نُمَىّ إلى صاحب مصر بالتزام ذلك كتبَ له تَقْلِيداً بالإمرة بمفرده .

ومنها : أن إدريس بن قتادة ـــ بعد إخراج أبى نُمَىّ له من مكة ـــ حشد وجمع ، وتوجّه إلى مكة المشرفة ؛ ثم اصطلح مع أبى نمى ، واتفقا على طاعة صاحب مصر ، وكتب إليه إدريس يعرفه ذلك ؛ فَسُلِّمَت الأوقافُ لنُوَّابهما .

ذكر هاتين الحادثتين[1] ابن عبد الظاهر[2] كاتب الملك

= علاء الدين أيدكين البندرقدارى ، الذي اشتراه من أوّل مشترٍ له ، وكانت وظيفته حمل أكياس البندق الذى يرمى به ، والسير به خلف السلطان أو الأمير ، ويسمى بالبندق دار ، ثم انتقلت ملكيته إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب ؛ فأعتقه وقدمه على طائفة الجمدارية . وكان فى جيش المظفر قطز حين هَزَم التتار بموقعة عين جالوت ، وفى عودتهم منتصرين تآمر مع بعض الأمراء على قتل المظفر قطز فقتلوه ، وأعلنوا سلطنة الظاهر بيبرس فى سادس عشر القعدة سنة ٦٥٨ هـ . (النجوم الزاهرة ٧/٩٤ ـــ ٢٠٠) .

(١) فى الأصل « الحالتين » ، والمثبت عن العقد الثمين ١/٤٦٠ .

(٢) هو محيى الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين أبى محمد عبد الظاهر=

الظاهر بِيبَرْس صاحب مصر ، فى السيرة التى جمعها للملك الظاهر .

ومنها : أنه فى سنة تسع وستين وستمائة وقع بين أبى نُمَىّ وعمه خلفٌ ، فاستظهر إدريس على أبى نُمَىّ ، وخرج أبو نمىّ هارباً من بين يدى عمه ، ووصل ينبع واستنجد بصاحبها ، وجمع وحشد وقصد مكة ، فالتقى هو وعمه إدريس وتحاربا ؛ فطعن أبو نُمَىّ إدريس ألقاه عن جواده ، ونزل إليه وجَزَّ رأسه واستبد بالإمرة .

ذكر هذه الحادثة بمعنى ما ذكرناه القطب اليُونِينِى فى ذيل المرآة ، وذكر : أن فى آخر جمادى الأولى من السنة المذكورة وصل النَّجَّابُون إلى مصر من عند أبى نُمَىّ وأخبروا بذلك .

ووجدت بخط الميورقى ما يشهد لبعض هذه القضية بزيادة فائدة ، لأنه ذكر : أن فى ربيع الأول سنة تسع وستين قُتِلَ وَلَدٌ لأبى نُمَىّ ، وطُرِدَ أبوه ، وبعد قتله بأربعين يوماً قَتَل أبوه عَمَّه إدريس ، وجَرَى بين أبى نُمَىّ وجَمَّاز بن شِيحَة صاحب المدينة أمور تتعلق بولاية مكة .

منها — على ما وجدت بخط الميورقى — : أن عيسى ابن

= ابن نشوان الجذامي المصرى ، المتوفى سنة ٦٩٢ هـ ، كان صاحب ديوان الإنشاء فى عهد بيبرس . له مؤلفات منها : سيرة الملك الظاهر بيبرس ، وضعها نظماً ، واعتمد عليها كثير من المتأخرين فى تأريخهم للظاهر بيبرس . (تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور قلاوون لمحيى الدين بن عبد الظاهر — مقدمة المحقق د. مراد كامل) .

الشيخ جرير قال : أخرج الأمير جمَّازُ بن شِيحَة الحسينى أبَا نُمَىّ مِن مكة ــ شرّفها الله تعالى ــ فى آخر صفر سنة سبعين وستمائة[١] ، وجاءت مواليه سنة سبعين وستمائة وأبو نُمَىّ مطرود ، وأكمل لقتل ولده سنة . ثم رجع أبو نُمَىّ إلى مكة فى ربيع ، وهزم جمازَ بن شِيحَة الحسينى . ثم جاء الحسينى لإخراج أبى نُمَىّ فى شعبان سنة ثلاث وسبعين فأعطاه أبو نُمَىّ ...[٢] ورجع ، وخلى بينه وبين قتلة ابنه أبى سعيد[٣] . انتهى .

ووجدت بخط ابن محفوظ ما يَشْهَدُ للقضيّة التى كانت بين
أبى نُمَيّ وجَمَّاز / بن شيحة فى سنة سبعين بزيادة فائدة ؛ لأنه ١٠١و
ذكر : أن فى سنة سبعين وستمائة وصل جَمَّاز ــ يعنى صاحب المدينة ــ وغانِم بن إدريس وأخذا مكة ، وبعد أربعين يوماً أخذها منهم أبو نُمَيّ . انتهى .

وفى هذا فائدة [لا تفهم من كلام الميورقى . وهي أن مُدّة إخراج أبى نُمَيّ من مكة أربعون يوماً .

وفيه فائدة][٤] أخرى ، وهي : أن غانم بن إدريس كان مع

(١) وانظر إتحاف الورى ١٠١/٣ .

(٢) بياض فى الأصل بمقدار كلمتين ، كتب فوقه كلمة « كذا » والخبر فى إتحاف الورى ١٠٤/٣ وقد أشرنا إلى ما فيه من بياض ، وإلى أنه ورد فى العقد الثمين ٤٦٠/١ متصلاً وليس فيه هذا البياض .

(٣) فى الأصل « أبى سعد » ، والمثبت عن إتحاف الورى ١٠٤/٣ .

(٤) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٤٦١/١ .

جَمَّاز فى هذه القضيّة . وغانم بن إدريس هو غانم بن حسن بن قتادة ؛ ويدُلّ لذلك ما وقع فى الخَبَرِ الذي ذكره الميورقى من : أن جَمَّاز بن شيحة خلّى بين أبى نُمَىّ وقتلة ابنه . انتهى . وقتلة ابنه هم : أولاد حسن بن قتادة ، ومنهم إدريس بن حسن والد غانم بن إدريس المحارب لأبى نُمَىّ .

ومنها ــ على ما وجدت بخط المؤرخ شمس الدين محمد بن إبراهيم الجزرى الدمشقى[١] ــ : أن فى التاسع عشر من شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين كانت وقعة بين أبى نُمَىّ صاحب مكة ، وبين جَمَّاز بن شِيحَة صاحب المدينة ، وبين صاحب ينبع إدريس ابن حسن بن قتادة ؛ فظهر عليهما أبو نُمَىّ وأسر إدريس وهرب جَمَّاز . وكانت الوقعة فى مَرّ الظهران ، وكان عِدَّة من مع أبى نُمَىّ مائتي فارس ومائة وثمانين راجلاً ، و [عدة من][٢] مع إدريس وجمّاز مائتين وخمسة عشر فارساً وستمائة راجل . انتهى .

---

(١) هو مؤرخ توفى سنة ٧٣٩ هـ ، له كتاب « حوادث الزمان وأنبائه ، ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه » يوجد منه الجزء الثانى بدار الكتب المصرية ، ويبدأ من سنة ٧٢٦ هـ ، وينتهي بسنة وفاته ، ويوجد الجزء الأول منه بخزانة الرباط ، ويبدأ بأخبار سنة ٦٠٨ هـ ، وينتهي بأخبار سنة ٦٥٨ هـ . وفي فهرس دار الكتب المصرية ٨/٥ . له كتاب كبير اسمه « جواهر السلوك فى الخلفاء والملوك » يوجد منه ثلاث مجلدات تبدأ بأخبار سنة ٧٢٦ هـ ، وتنتهي بتاريخ وفاته . (البداية والنهاية ١٨٦/١٤ ، والسلوك للمقريزى ٢/٢ : ٤٧١ ، والأعلام للزركلي ٢٩٨/٥ ، ومعجم المؤلفين لكحالة ١٩٤/٨ .

(٢) إضافة على الأصل .

ومنها ـــ على ما وجدت بخط ابن محفوظ ـــ : أن فى سنة سبع وثمانين جاء جماز بن شيحة وأخذ مكة ، وأقام بها إلى آخر السنة ، وأخذها منه نُوّابُ أبى نُمَىّ . وقد اختصر ابن محفوظ هذه الوقعة . وقد وجدتها أبسط من هذا فى وُرَيْقَةٍ وقعت لى ـــ لا أعرف كاتبها ـــ فيها : أن جَمّاز بن شِيحَة أمير المدينة تَزَوَّجَ خُزَيْمَة بنت أبى نُمَىّ وبَنَى بِهَا في ليلة السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين وستمائة ، ثم حَارَبَهُ جَمَّاز المذكور بعد ذلك ، وطلب مِنَ السلطان الملك المنصور[1] عَسْكَراً ؛ فسير عسكراً يقدمهم أمير يقال له الجكاجكى ، فتوجهوا إلى مكة ؛ فأخذوها وأخرجوا أبا نُمَىّ منها ، وخُطِبَ لجَمَّاز ، وضُربت السِّكَّة باسمه . وذلك فى سنة سبع وثمانين . وبقيت فى يده مُدَّة يسيرة .

ثم إن امرأة يقال لها أم هجرس ، من صبايا خزيمة ، سقت الأمير جماز سماً فاضطرب له جسمه وحصل من الجكاجكى مراسلة إلى أبى نُمَىّ فى الباطن ؛ فعرف جَمَّاز أنه مغلوب فرحَلَ عن مكة ، ووصل إلى المدينة ، وهو عليل من السُّمِّ . فلم يزالوا يعالجونه حتى برئ . وأرسل الأمير جَمَّاز بالجكاجكي مقيداً إلى السلطان ؛

(١) هو الملك المنصور سيف الدين قلاوون بن عبد الله الألفي التركى الصالحى النجمى ، سابع ملوك الترك بالديار المصرية ، تولى الملك فى رجب سنة ٦٧٨ هـ ، وكان على يديه فتح معظم حصون الصليبيين فى البلاد الشامية ، وطبقت انتصاراته عليهم الآفاق . ومرض عند خروجه للغزو من القاهرة ، ومات فى مخيمه عند مسجد التبن ، فى ذى القعدة سنة ٦٨٩ هـ . (النجوم الزاهرة ٧/٢٩٢ ـــ ٣٤٤) .

فحبسه . ولم تزل مكة فى يد أبى نُمَىّ إلى أن توفى[١] .

قلت : الملك المنصور المشار إليه هو قلاوون الصالحى ، ولعل سبب إنجاده لجماز على أبى نُمَىّ عَدَم وفاء أبى نُمَىّ باليمين [التى حلفها للمنصور قلاوون ، ويبعد جداً أن يعين أحداً على أبى نُمَىّ مع وفاء أبى نُمَىّ باليمين][٢] المذكورة ؛ لأن الملوك تقنع من نوابهم بالطاعة ، وإظهار الحرمة ، سيما نواب الحِجَاز .

وهذه نسختها على ما وجدت فى تاريخ شيخنا ناصر الدين ابن الفرات ، العدل الحنفى ، وهى :

أخلصتُ يَقينِى ، وأصفيت طويتى ، وساويت بين باطنى وظاهرى ، فى طاعة مولانا السلطان الملك المنصور ، وولده [السلطان][٣] الملك الصالح ، وطاعة أولادهما وَارِثِى ملكهما / ١٠١ظ لا أضمر لهم سوءا ولا غدرا فى نفس ولا مال ولا سلطنة . وإنى عدوٌّ لمن عاداهم ، صديق لمن صادقهم ، حرب لمن حاربهم ، سلم لمن سالمهم .

وإننى لا يخرجنى عن طاعتهم طاعةُ أحد غيرهما ، ولا ألتفت فى ذلك إلى جهة غير جهتهما ، ولا أفعل أمرا مخالفا لما استَقَرَّ من هذا الأمر ، ولا أشرك فى تحكيمهما علىّ ، ولا على مكة المشرفة

(١) وانظر إتحاف الورى ٣/١١٨ ، ١١٩ .
(٢) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ١/٤٦٢ .
(٣) إضافة على الأصل عن المرجع السابق .

ـــ وحرمها ، وموقف حلها ـــ زيدا ولا عمرا .

وإننى ألتزم ما اشترطته لمولانا السلطان وولده فى أمر الكسوة الشريفة المنصورية الواصلة من مصر المحروسة ، وتعليقها على الكعبة المشرفة فى كل موسم ، وألا يتقدم عَلَمَه علمُ غيره .

وإننى أسَبِّلُ زيارة البيت الحرام أيام موسم الحج وغيرها للزائرين والطائفين ، والبادين والعاكفين ، اللائذين بحرمه ، والحاجين ، والواقفين .

وإننى أجتهد فى حراستهم من كل عاد بفعله وقوله ﴿ وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾(١) .

وإننى أؤمنهم فى سِرْبِهِم ، وأُعْذِبُ لهم مناهلَ شربهم .

وإننى ـــ والله ـــ أستمر بتفرد الخطبة والسِّكَّة بالاسم الشريف المنصورى ، وأفعل فى الخدمة فعل المخلص الولى .

وإننى ـــ والله ـــ أمتثل مراسيمه امتثال النائب للمستنيب ، وأكون لداعى أمره أول سامع مجيب .

وإننى ألتزم بشروط هذه اليمين من أولها إلى آخرها ، لا أنقضها . [انتهى](٢) .

وكان حلف أبى نُمَىّ لهذه اليمين فى سنة إحدى وثمانين

(١) سورة العنكبوت : آية ٦٧ .

(٢) إضافة عن العقد الثمين ١/٤٦٣ .

وستمائة ، على ما ذكر شيخنا العَدْلُ ناصر الدين بن الفُرَات .

وقد رأيت مايَدُلُّ على أن أبا نُمَىّ [لم](١) يفِ ببعض هذه اليمين ؛ لأنى وجدت بخط ابن محفوظ : أن فى آخر يوم من ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وستمائة خطب للملك المظفر صاحب اليمن وقطعت خطبة خليل بن المنصور بعد أن خُطِبَ له فى أولها . وهذا إنما يصدر عن أبى نُمَىّ .

ولعل أبا نُمَىّ تأوَّل أن الأشرف خليل بن المنصور قلاوون لم يدخل فى يمينه للمنصور وابنه الصالح(٢) لكون الأشرف لم يُسَمّ فيها . فإن كان تأوّل ذلك فهو تأويل غير مستقيم ؛ لدخوله فى قوله فى اليمين : وطاعة أولادهما .

وأظن أن الحامل لأبى نُمَىّ على تقديم صاحب اليمن على صاحب مصر كَوْن صلته أعظم من صلة صاحب مصر ؛ لأن العاقل لا يفعل أمرا يلحقه فيه ضرر إلا لنفع أكبر . وكانت صلة صاحب اليمن لأبى نُمَىّ عظيمة على ما وجدتُ فى مِقْدَارها ، لأن بعض الناس ذكرها ، وذكر شيئا من حال صاحب اليمن بمكة ، وحال أبى نُمَىّ معه . وذلك مما يَحْسُنُ ذِكْرُهُ هنا . ونَصُّ ذلك :

---

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن المرجع السابق .

(٢) هو الأمير الصالح علاء الدين بن المنصور قلاوون ، نصبه أبوه ولياً للعهد فى سنة ٦٧٩ هـ فدام على ولاية العهد إلى أن مرض ، ومات فى شعبان سنة ٦٨٧ هـ فولى المنصور ولده الأشرف خليلاً ولياً للعهد مكانه . (النجوم الزاهرة ٣٢٠/٧ ، ٣٧٧) .

وقد كان الملك المؤيد لما تسلطن جَهَّزَ تلك السنة عَلَمَه المنصورَ ، ومحملَ الحاج السعيد صحبة القائد ابن زاكى . فتَلَقَّاه الشريف أبو نُمَىّ صاحب مكة بالإجلال والإكرام ، وخَفَقَت ذوائب العَلَمِ المنصور على جَبَلِ التعريف بعرفة ، وأعلن مؤذنه على قبة زمزم بمناقب السلطان على رءوس الأشهاد ، وسَمِعَ تلك الأوصاف من ضَمَّه ذلك المقام الشريف ، وحَلَفَ للسلطان الملك المؤيد الأيمان الغليظة ، ولبب[1] عَلَى قَمِيصِهِ على مقتضى ما جرت به العادة .

ووصل إلى الشريف المذكور ما اقتضته المواهبُ السلطانية مما كان قَرَّرَه / الخليفةُ من العين والغلة والكَسَاوِى والطِّيب من المِسْكِ ١٠٢ظ
والعود والصَّنْدَل والعَنْبَر والثياب الملونة ، والخلع النفيسة .

وكان مبلغ العين ثمانين ألف درهم ، ومبلغ الغلة أربعمائة مُدّ . انتهى من كتاب « العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية »[2] لبعض مؤرخى اليمن فى عصرنا . .

والذى يصل لصاحب مكة من صاحب مصر[3] نحو ربع ذلك أو أقل ، ومبلغ الطعام المذكور بكيل مكة ألف غرَارَةٍ ومائتا غِرَارة مكية وذلك فى عصرنا .

---

(١) فى الأصل « كتب » ، والمثبت عن العقود اللؤلؤية ١/٣٣٥ .

(٢) ومؤلفه هو الشيخ علي بن الحسن الخزرجى ، المتوفى سنة ٨١٢ هـ . (الضوء اللامع ٥/٢١٠ برقم ٧٠٦) والخبر فى العقود اللؤلؤية ١/٣٣٥ .

(٣) فى الأصل ، والعقد الثمين ١/٤٦٤ « اليمن » . والتصويب عن هامش لوحة الأصل ١٠٢ و .

والخليفة المشار إليه هو الملك المظفر والد الملك المؤيد .

ووجدت بخط ابن محفوظ أيضاً : أن أمير الركب فى سنة اثنتين وتسعين وستمائة استحلَفَ أبا نُمَىّ على الرواح إلى مصر ، وأعطاه ألف دينار ؛ فعزم فى سنة ثلاث وتسعين ، ثم رَجَع من يَنْبُع لما بلغه موتُ الأشْرَفِ . انتهى .

ووقع من أبى نُمَىّ فى حَقّ الملك الظاهر بِيبَرْس صاحب مصر ما أوجب انحرافه منه غير مَرَّة .

منها : أن أبا نُمَىّ وعَمّه إدريس أخرجا نائبا كان للملك الظاهر ، يُقَال له مَرْوَان نائب أمير جندار(١) ، فى سنة ثمان وستين وستمائة ، وكتب إليه الملك الظاهر غَيْرَ مَرَّة بـ [عدم](٢) الرضا عَمَّا ارتكبه أبو نُمَىّ مِمَّا لَا يَنْبَغِى فِعْلُه .

منها : فى سنة خمس وسبعين وستمائة ؛ لأنى وجدت بخط الميورقى : أهان الله تعالى وُلَاةَ مَكَّة بكتابٍ من وَالِى مِصْر يَزْجُرُهم فيه عن الجَوْرِ ، فى آخر سنة خمس وسبعين وستمائة .

قلت : وَوَالِى مِصْرَ فى هذا التاريخ هو الظاهر بِيبَرْس ، ووالى مكة فى هذا التاريخ [هو](٣) أبو نُمَىّ .

---

(١) أمير جاندار : هو من يتسلم باب السلطان ، ويتكلم عن البرد دارية والركابية والجندارية ، ويشارك فى عرض البريد ، ويدور بالزفة حول السلطان ، وعلى يده يكون تقرير الأمراء على وظائفهم وأرزاقهم ، وإيقاع العقوبات بهم . (خطط المقريزى ٢/٢٢١) .

(٢) فى الأصل ، والعقد الثمين ١/٤٦٥ « بالرضا » والإضافة يقتضيها السياق .

(٣) إضافة عن العقد الثمين ١/٤٦٥ .

ووجدت في تاريخ شيخنا ابن خلدون : أنه كان بين أبي نُمَيّ ، وبَيْنَ الملك الظاهر بِيبَرْس صاحب مصر منافرة ؛ فكتب إليه الظاهر كتاباً فيه :

مِن بِيبَرْس سلطان مصر إلى الشريف الحسيب النسيب محمد ابن أبي سعد .

أما بعد : فإن الحسنة فى نفسها حسنة ، وهي من بيت النبوة أحسن . والسيئة فى نفسها سيئة وهى من بين النبوة أَوْحَش . وقد بلغنا عنك أيها السيد أنك آوَيْت المجرِمَ ، واستحللت دَمَ المُحْرِمِ ﴿ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ﴾(١) فإن لم تَقِفْ عند حدِّك أغمدنا(٢) فيك سيف جَدِّك . والسلام .

فكتب إليه أبو نُمَيّ :

من محمد بن أبي سعد إلى بِيبَرْس سلطان مصر .

أما بعد : فإن المملوكَ مُعْتَرِفٌ بذنبه ، تائب إلى ربِّه . فإن تأخذ فيدك الأقوى . وإن تَعْفُ فهو أقرب للتقوى . والسلام . انتهى .

وبعض الناسِ يَذْكُر فى كتاب بِيبَرْس إلى أبي نُمَيّ غير ما سبق ، وذلك(٣) أنه كتب إليه يقول له :

---

(١) سورة الحج :آية ١٨ .

(٢) فى الأصل ، والعقد الثمين ٤٦٥/١ « وإلا أغمدنا » وانظر إتحاف الورى ١٠٦/٣ .

(٣) كذا فى الأصل . وفى العقد الثمين ٤٦٥/١ « وذكر » .

ويقال : إن الكتاب الذى كتبه ــ صاحب مصر لم يكن من الملك الظاهر بِيبَرْس إلى الشريف أبى نُمَىّ ، وإنما هو من الملك الناصر محمد بن قلاوون(١) إلى السيّد رُمَيْثَة بن أبى نُمَىّ ؛ بسبب عدة كتب ورَدَتْ من مكة المشرفة ، من التجار يشكون من الشريف رُمَيْثَة ، ومن جَوْرِهِ للتجار والمجاورين ، ومن ظلمه فى ولايته .

فلما أن وصلت الكتبُ إلى الملك الناصر أمر بعضَ كتابِ الإنشاء ــ وهو أحمد بن نصير ــ أن يكتب الكتاب بما يقتضى الترهيب مع تعظيم منزلة الشريف . وكان الكاتب أصغر الكتاب والموقعين ؛ فاعتذر عن الكتابة ، فطُلِبَ فى الوقت كاتِبُ السِّرِّ ، فتعذَّر حضوره ؛ فأمر السلطان الموقِّع المذكور أن يكتب الجواب ، وأجبره . فكتب الكتاب المذكور ، فلما رآه السلطان وَلَّاه كتابة السِّرِّ لأجل هذه الكتابة . ولعمرى إنه لحقيق بها ﴿ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا

---

(١) هو السلطان الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون ، ولد بالقاهرة سنة أربع وثمانين وستمائة ، وتولى السلطنة ثلاث مرات : الأولى فى المحرم سنة ٦٩٣ هـ ، بعد قتل أخيه الأشرف خليل ، ثم خلع فى المحرم سنة ٦٩٤ هـ ، وعمره نحو العشر سنين . والثانية فى جمادى الأولى سنة ٦٩٨ هـ ، ثم عزل نفسه ، واستقر بقلعة الكرك فى شوال سنة ٧٠٨هـ ، وهزم إبان توليته هذه جحافل التتار هزيمة منكرة على تل شقحب بالشام . والثالثة فى رمضان سنة ٧٠٩ هـ حين خلع المظفرُ بيبرسُ الجاشنكير نفسه من الملك ، فقدم الناصر محمد بن قلاوون من دمشق إلى مصر فى شوال سنة ٧٠٩ هـ ، واسترد ملكه . وظل ملكاً حتى ذى الحجة سنة ٧٤١ هـ حيث توفى بعد أن أوصى بالملك لولده المنصور أبى بكر . (النجوم الزاهرة ٤١/٨ حتى نهاية الجزء ، ثم الجزء التاسع كله) .

بلغنا عنك أيها السيد أنك أبدلت حرمَ الله بعد الأمن بالخيفة ، وفعلت ما يُحَمِّرُ الوجه ويُسَوِّدُ الصحيفة . انتهى .

ولعل ذلك كُتِبَ مع الألفاظ السابق ذكرها ، فحفظ بعضهم الأوّل فقط ، وحفظ بعضهم الثانى فقط ، وظن ظان أنهما كتابان وهما واحد . والله أعلم .

قال الوالد[1] : وبعض الناس أيضاً يذكر فى الكتاب المذكور غير ذلك ؛ وذلك أنه كتب إليه بعد البسملة والألقاب :

الحسنة حسنةٌ ، وهى من البيت النبوى أحسن ، والسيئة / شَيْنٌ ، ولكن من البيت النبوى أَشْيَن . ولقد بلغنا عنك أيها السيد الشريف أنك بَدَّلت حرم الله بعد الأمن بالخيفة ، وفعلت ما تحمرّ به الوجوه وتسْوَدّ به الصحيفة . ومن القبيح كيف تفعلون القبيح وجدُّكم الحسن ، وتقاتلون حتى لا تكون فتنة ، وتقاتلون حتى تكون الفتن . فإن لم ترجع إلى جِدّك وإلا أغمدنا فيك غِرَارَ[2] جَدِّك . هذا وأنت من أهل الكرم ، وسكان الحرم ، فكيف آويتَ المجرِمَ ، واستبحت مال المحرم ؟! ﴿ وَمَنْ يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ﴾[3] . والسلام .

---

(١) أي فى بغية المرام بأخبار ولاة البلد الحرام ، لوحة ٨٣ وهامشها .

(٢) الغرار : حد السيف ونحوه (المعجم الوسيط) .

(٣) سورة الحج : آية ١٨ .

وَأَهْلَهَا ﴾[١] لأنها تدل على فصاحته وغزارة فهمه وبراعته لهذه الوظيفة . انتهى كلام الوالد .

وقال الفاسى[٢] : ووقع فى زمن أبى نُمَىّ فِتَنٌ ، بعضها بينه وبين أمير الحاج ، وبعضها بين الحجاج وأهل مكة ، ذكرناها فى تأليفنا « شفاء الغرام ـــ ومختصراته » ونشير هنا لشيء منها باختصار .

فمنها : أن أبا نُمَىّ صَدَّ الحاج عند دخول مكة لوحشة بينه وبين أمير الحاج ، فنقب الحجاجُ السورَ ، وأحرقوا باب المعلاة ، ودخلوا مكة هَجْماً بعد فرار أبى نُمَىّ منها ، وذلك فى موسم سنة ثلاث وثمانين وستمائة [٣] .

ومنها : أن فى سنة تسع وثمانين حصل بين أهل مكة والحجاج فِتْنَةٌ فى المسجد الحرام ، قتل فيها من الفريقين فوق أربعين نفراً ـــ فيما قيل ـــ ونهبت الأموال ، ولو أراد أبو نُمَىّ نهبَ الجميع لفعل . إلا أنه تثبت [٤] .

وقد أثنى على أبى نُمَىّ غير واحد من العلماء ، مع ذكرهم لشيء من أخباره ، منهم : الحافظ الذَّهَبِىّ ، لأنه قال فى « ذيل سير النبلاء » فى ترجمة أبى نُمَىّ : شيخ ضخم ، أسمر عاقل سايس ،

(١) سورة الفتح : آية ٢٦ .

(٢) العقد الثمين ١/٤٦٦ .

(٣) شفاء الغرام ٢/٢٤٠ ، ٢٤١ .

(٤) شفاء الغرام ٢/٢٤١ .

فارس شجاع محتشم ، تَمَلَّك مدة طويلة ، وله عدة أولاد ، وفيه مكارم وسؤدد .

وذكره لى أبو عبد الله الدبالى فأثنى عليه وقال : لولا المَذْهَب لصَلُحَ للخلافة ؛ كان زَيْدِيًّا كأهل بيته . انتهى .

وقال القاضى تاج الدين عبد الباقى اليمانى[1] فى تاريخه « بهجة الزمن فى تاريخ اليمن » بعد أن ذكر وفاة أبى نُمَىّ : وكان أميراً كبيراً زعيماً ، ذا بخت وحظ فى الإمرة ، يرغب إلى الأدب وسماعه ، وله الإجازات الثنية للشعراء الوافدين عليه ؛ بإطلاق الخيل الأصائل ، فى مقابلة القصائد / . انتهى . ١٠٣و

وللأديب موفق الدين علي بن محمد الحندودى[2] فى أبى نُمَىّ هذا . من قصيدة يمدحه بها أولها :

أَقَاتِلَتِى بغيرِ دمٍ ظلامَهْ أمَا قَوَدٌ لدَيْكَ وَلَا غَرَامَهْ
بخلتِ عَلَىَّ منكِ بدُرٍّ ثَغْرٍ تُقَبِّلُهُ الأراكةُ والبَشَامَهْ[3]

---

(١) هو عبد الباقى بن عبد المجيد بن عبد الله بن أبى المعالى متى بن أحمد المخزومى ، تاج الدين أبو المحاسن اليمانى ، أديب مؤرخ ، توفى سنة ٧٤٣ هـ ، وكتابه « بهجة الزمن فى تاريخ اليمن » . (العقد الثمين ٣٢١/٥ برقم ١٦٩٥) . وانظر العقود اللؤلؤية ٣٣٥/١ .

(٢) هو علي بن محمد الحنديدي ، ويقال : الحندودى شاعر مشهور ، يمني سكن مكة ، وتوفى بها سنة ٧٠٧ هـ . (العقد الثمين ٢٦١/٦ برقم ٣٠٢٣) .

(٣) البشامة : شجرة طيبة الريح والطعم ، يستاك بها . (المعجم الوسيط) .

ومنها :

ولـو أنّ الفَرِيـقَ أطـاعَ أمْـرِي　　لما اختارَ الرحيلَ على الإقامهْ
وكم بالظَّعْنِ يومَ مضاحكـات　　عَدِمْنَا مِـنْ قُلُوبٍ مُسْتَهَامَـهْ
وبين أَكِلَّـةِ الحَادِيـنَ شَمسٌ　　قَرَعْتُ لبَيْنِهـا سِنِّـي نَدَامَـهْ

ومنها :

لقد جَرَّبتُ هذا الدهر حتى　　عرفت به السَّمَاح مِنَ المَلَامَهْ
يريـدُ إقامَتِـي فيهم قَوِيـمٌ　　ومـا لي بين أظهرهـم إقامَـهْ
خداع ثُمَامَة بن أُثَال(١) فيهم　　معاينة وكِذْبُ أبى ثُمَامَـة (٢)

ومنها في المدح :

وفي الحرم الشريف خِضَمٌّ جودٍ　　كأن البحـر أنْحَلَـه التِطَامَهْ
أما والحِجْرِ والحُجُرَات مِنِّي　　وبـيت الله ثالثـة قَسَامَـهْ
لئن أُنْزِل بسُوحٍ(٣) أبي نُمَيٍّ　　لقد أُنْزِل عَلَى كَعْب بن مَامَهْ (٤)
بأبلـج أيـن منـه البـدرُ نُوراً　　وحُسْناً فى الجَمَالِ وَفِي الوَسَامَهْ

---

(١) هو ثمامة بن أثال الحنفى ، سيد أهل اليمامة ، أسلم ، وله صحبة ، وله ترجمة فى الاستيعاب ١/٢١٣ برقم ٢٧٨ ولعل خداعة كان قبل إسلامه .

(٢) أبو ثمامة : هو مسيلمة بن حبيب الكذاب الذي ادَّعى النبوَّة . (الاشتقاق).

(٣) السوح : جمع ساحة للمكان الواسع ، والفضاء يكون بين الدور . (المعجم الوسيط) .

(٤) هو كعب بن مامة بن عمرو بن ثعلبة بن سلول بن كنانة بن شبابة بن سعد ابن الديل ، من أجود العرب فى الجاهلية ، وهو من إياد . (المحبر لابن حبيب ١٤٤ ، ١٤٥) .

وذو كرمٍ وزَنْتُ النــاسَ طُرًّا بخِنْصَرِهِ فما وَزَنُوا قُلاَمَهْ

ومنها :

أبا المهديِّ كم لك مِنْ أَيَـادٍ كَشَفْتَ بها عن الصَّادِى أُوَامَهْ
وكم لك من وَقَائِعَ ذَكَّرَتْنَـا بوقعة خالـدٍ يومَ اليَمَامَـهْ
عَمَرْتَ تِهامةً بالعدل حتـى تمنت نجدُ لو كانت تِهَامَـهْ
حقيق أن يَسَالَ بِكَ المُصَلِّى ويدعو فى الأذان وفى الإِقَامَهْ
وأنْ تُعْطَى القضيبَ وأى حَقٍّ لغيرك فى القَضِيبِ وفِى الإِمَامَهْ

وقد مدحه الأديب(١) عبد الواحد القيروانى بأشعار حسنة أجاد فيها غاية(٢) ، ونظم فيه كثيراً ، على ما نقله الصلاح الصفدى ، عن أبى حَيَّان . ووقفت له فى بعض المجاميع على قصيدة جيدة يمدحه بها ، أولها :

خليلَىَّ هيَّا فانظرا ذلك البرقـا
تَبَدَّى لنا يَهْفُو على طَرَفِ البَرْقَا

قلت(٣) : وترك الفاسى الغزل ، وهو تلو الأول فى ترجمة عبد الواحد من كتاب العقد الثمين للمصنف ، وهو :

(١) فى الأصل « الأمير » ، والمثبت عن العقد الثمين ٤٦٨/١ . وانظر ترجمته فى العقد الثمين ٥٢٨/٥ برقم ١٩٠٦ .

(٢) فى الأصل ، والعقد الثمين ٤٦٨/١ « عنه » ، والمثبت عن العقد الثمين ٥٢٨/٥ .

(٣) أى مؤلفنا عز الدين بن فهد .

تعـرَّض فى الظلمـاء مثـل سَلَاسِلٍ
مِنَ التِّبْرِ فى راحات مُرْتَعِشٍ تُلْقَـى
ولم أدْرِ والأشيــاءُ فيها تَشَابُـــهٌ
فُؤَادِي وإلا قُرْطُ سُعْدَى حَكَى خَفقَا /
١٠٣ظ أرى سين سعـدى زايـلتها وعَيْنَهـا
وأَضْحَى يُنَادِي الحبّ منها الذى يَبْقَى
عَدَتْنِي النَّـوَى عنها فَذُقْت فراقهـا
فلـم أَرَ فيمـا بَيْنَنَـا والـرَّدَى فَرْقَــا
وفى مُنْحَنَى الـوادى التِّهَامِيّ جيرةٌ
أضاعوا وما ضيَّعْتُ يومـاً لهم حَقَّـا
ولما ٱلْتَقَيْنَــا للعتـــابِ ولَيْلُنَــــا
عَلَى سَفَرٍ للغَرْبِ قَدْ وَدَّعَ الشَّرْقَا
خَرستُ كَأَنى قلتها وهي أفصحت
كأنّ وشاحِيها لَهَـا عَلَّـمَ النُّطْقَــا
وَمَـا نَوَّلَت عُرْفـاً سِوَى أنّ مِرْطَهـا
تَضَوَّعَ عَرْفٌ منـه أَفْنَيْتـه نَشْقَــا

انتهى .

وقال المصنف[١] : منها :

فمَـنْ مُبْلِـغٌ عَنِّـي بلادِى وأَهْلَهـــا
ولَمْ تَأْلُ لِي عَنْهُمْ غَوَادِى النَّوَى سحقَا

---

(١) يعنى التقى الفاسى فى العقد الثمين ١/٤٦٨ .

بأنّيَ لم أُنْفَكّ للخُــرقِ قاطِعــاً
إلى أن وصلتُ السيِّدَ الملكَ الخِرقَا
وأنَّ صروفَ الدَّهْرِ عَنّي تَمَاسَكَتْ
لأنِّي قَدْ آسْتَمْسَكْتُ بالعُرْوَةِ الوُثْقَا
نَدًى لأبى المهــدى هُدِيتُ لِنَيْلِــهِ
وأَحْرَزْتُ ما قد جَلَّ منه وما دَقَّا
وَطَلَّـقتُ أمْرَ آلْهَـمِّ حِيـنَ لَقِيتُــه
وقابلتُ فى ساحَاتِـهِ وَجْهَـهُ الطَّلْقَـا
هو ابـن أبى سعـد الزكــيّ وِلَادُه
ولَمْ يَزْكُ فَرْعاً غَيْرَ مَنْ قَدْ زَكَا عِرْقَا
مِنَ القومِ يُسْتَشْفَى بِمَسْحِ أكفِّهِم
لداءٍ ومنها أَوْبِها آلْغَيْثُ يُسْتَسْقَـى
لهم كرمٌ سَهْــلُ المَنَــالِ وإنَّمــا
لَهُمْ شَرَفٌ وَعْرُ الـمَسَالِكِ والمَرْقَـا

ومدحـه قاضى مكـة نجم الديـن الـطبرى[1] بقصيــدتين . إحداهما نونية بليغـة ـــ على ما بلغنـى ـــ ولم أقـف عليها . والأخـرى عينية سيأتى ذكرها فى ترجمة القاضى نجم الدين الطَّبـرى ، وأولها :

(١) هو محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمـد بن أبى بكـر بن محمـد بن إبراهيم ، نجم الدين أبو حامد بن القاضى جمال الديـن بن الشيـخ محب الديـن الـطبرى ، المتوفى سنة ٧٣٠ هـ . (العقد الثمين ٢٧١/٢ برقم ٣٨٥) .

أمفرقـــا جمعَ الخزائِـــــن إذْ غَدَا
كَرَماً لمُفْتَرَقِ المَحَامِدِ يَجْمَـعُ

قال الوالد(١) : وباقيها :

أنـا من وَلَاهُ لِبَيْتِكُـمْ طَبْـعٌ ومـــا
ذو الطبـعِ فى حالٍ كَمَـنْ يَتَطَبَّـعُ
أعـددت حُبَّكُـمُ وَسِيلَتِـىَ التـــى
مَا رَاح يَفْـــزَعُ مَنْ إليها يَفْـــزَعُ
وحَـلَتْ حُلَاكَ لمَنْطِقِـى فَنَظَمْتُهَـا
دُرَراً بها تاج الفَخَـــــــارِ مُرَصَّعُ
فإذا دُفِعْتُ إلى الخطـوبِ رَجَوْتُهَـا
باللهِ ثم بَحَـــدِّ عَزْمِكَ تُدْفَـــعُ
وإذا رأيتُ غَمَـامَ خَطْبٍ مُطْبِقـــاً
بِى مِنْ سِوَاكَ رجوتُـــهُ بك يُقْشَعُ
فإذا أتانى الضيـمُ مِنْكَ وأصْبَـحَتْ
مِنْ فَيْضِ جودِكَ غُلَّتِـى لا تَنْقَـــعُ
فبمـن ألـوذُ وأيـن مثـــلُكَ آخـــرٌ
فى القومِ يُسْتَسْقَى حَيَاهُ فَيَهْمَـعُ /
١٠٤و أنـا مَنْ أطـالَ لَك المديـحَ ومَالَـــهُ
فى كَسْبِ شىءٍ غيـرَ وُدِّكَ مَطْمَـعُ

(١) أى فى بغية المرام لوحة ٨٥ و .

وَفَّرْتُ مالَكَ وَهْوَ غَيْـرُ مُوَفَّـرٍ
ووقفتُ عنهُ وفيهِ كُلٌّ يَكْـرَعُ
وَحَميْتُ نفسِي وِرْدَهُ مَعَ أَنَّنِـى
ظامٍ إليـهِ وهـو طَامٍ مُتْـرَعُ
كيـلا يُقَـالَ مَوَدَّةٌ مَوْصُولَـةٌ
بِحَقِيرِ دُنْيَا حيثُ يُقْطَعُ تُقْطَعُ
فَأَقَلُّ مَالِى لَا عَدِمْتُكَ أَنَّنِـى
أَحْمِى المضرَّةَ حيثُ لا أَنَا أَنْفَـعُ
أَأَكُونُ مِمَّـنْ لَا يَزَالُ بِجُهْـدِهِ
يَرْعَـاكَ وَهْـوَ بما تَشَاءُ يُرَوَّعُ
حَاشَا لِمِثْلِكَ أن يُضَيِّعَ حَافِظاً
ما زَالَ (فيـهِ ثَنَاؤُكُـمْ)[1] يَتَضَوَّعُ
ولِئِنْ فَعَلْتَ وَلَا أَرَاكَ وَحُـقَّ مَا
لا كَانَ مِنْكَ بحالَـةٍ يُتَوَقَّـعُ
فَلَتُخْبَـرَنَّ بما يقـالُ إذا غَدَتْ
مِدَحِى تُشَنِّفُ مَن حَوَاهُ المَجْمَعُ
ولتسمَعَـنَّ وُقِيـتَ كُلَّ رَذِيلَـةٍ
مَا قَدْ يَسُرُّكَ أَنَّـهُ لَا يُسْمَـعُ

---

(١) كذا فى الأصل ، والمرجع السابق . وفى العقد الثمين ٢/٢٧٦ « فيك ثناؤه يتضوع » .

ممن إذَا أَنْشَدْتُ مَدْحَكَ قَالَ لي
أيـنَ الصنِيـعُ ومثـلُ ذَا بِكَ يُصْنَـعُ
مَا بَعْـدَ مَدْحِكَ واعتقـادِكَ فِيهِـمُ
فَإذَا خُفِضْتَ فَمَـنْ لَدَيْهِـمْ يُرْفَـعُ
أَمَّا فَمِى فَوَحَـــقٍّ جَدِّكَ لا يُرَى
أَبَـداً لِغَيْـــرِ مَدِيحِكُــمْ يَتَطَلَّـــعُ
يَا مَاجِـداً لا مَنْـعَ يوجَـدُ عِنْـــدَهُ
أبَـداً ولـــيسَ لَدَيْـــهِ جُودٌ يُمْنَـــعُ
أَيَلِيـقُ أَنْ تَثْنِـي العِنَـــانَ مُخَيِّبـــاً
فى الـقَصْدِ مَنْ قَدْ أَمَّ بَابَكَ يَقْـرَعُ

انتهى كلام الوالد[١] .

قال الفـاسي : وبلغنـى أنـه لما مات أبـو نُمَـيّ امتنـع الشيـخُ عفيفُ الدين الدِّلَاصِي[٢] مِنَ الصلاة عليه ، فرأى فى المنـام السيـدة فاطمة بنت النبـيّ ﷺ [رضى الله عنها] [٣] وهـى بالمسجـد الحرام والناسُ يسلمون عليها ، فجـاء ليسلـم عليها ؛ فأعـرضت عنـه ثلاث مرات . ثم إنه تحامل عليها وسألها عن سبب إعراضها عنـه . فقـالت

(١) وقد وردت هذه القصيدة بتمامها فى المرجع السابق .

(٣) هو عبـد الله بن عبـد الحق بن عبـد الله بن عبـد الأحـــد بن على المخزومـــى المصرى ، أبو محمد عفيف الديـن الـدلاصى ، مقـرئ مكـة . توفى سنـة ٧٢١ هـ بها . (العقد الثمين ٥/١٩٦ برقم ١٥٦٢) .

(١) إضافة عن العقد الثمين ١/٤٦٩ .

له : يموت ولدى ولا تصلى عليه !! فقال لها ما معناه : إنه ظالم . انتهى بالمعنى .

وذكر اليافعى فى تاريخه[١] نقلاً عن حميضة بن أبى نُمَىّ أنه قال : إن لأبيه خمس خصال : العز[٢] والحلم والكرم والشجاعة والشعر . انتهى .

ومن شعر أبى نُمَىّ ، على ما ذكر بِيبَرْس الدوادار فى تاريخه ، وذكر أنه كتب به إلى الملك المنصور لَاجِين المنصورى[٣] لما تسلطن بعد الملك العادل كَتْبُغَا المنصورى فى سنة ست وتسعين وستمائة :

أَمَا وَتَعَادِى المُقْرِبَاتِ[٤] الشَّوَازِبِ[٥]
بفرسانها فى ضِيق ضَنْكِ المَقَانِبِ[٦]
وبالجحفل الجَرَّار أَفْرَطَ جَمْعُه
كأسراب كُدْرِى[٧] فى سِوَارِ قَوَارِبِ /

---

(١) مرآة الجنان ٤/٢٦٠ .

(٢) كذا فى الأصل . وفى المرجع السابق « السعادة » .

(٣) هو الملك المنصور حسام الدين لاجين بن عبد الله المنصورى ، تسلطن بعد خلع الملك العادل كتبغا المنصورى سنة ٦٩٦ هـ ، وقتل في ربيع الآخر سنة ٦٩٨ هـ . (النجوم الزاهرة ٨/٨٥ ـــ ١٠٩) .

(٤) المقربات : جمع مقربة ، وهي الفرس المعدة للركوب ، والفرس تكرم فيقرب مربطها ومعلفها . (المعجم الوسيط) .

(٥) الشوازب : جمع شازبة ، وهى الفرس المضمرة . (المعجم الوسيط) .

(٦) المقانب : جمع مقنب ، وهو جماعة الفرسان والخيل دون المائة ، تجتمع للغارة . (المعجم الوسيط) .

(٧) الكدرى : ضرب من القطا ، غبر الألوان ، رقش الظهور ، صفر الحلوق . (المعجم الوسيط) .

وكان لأبى نُمَىّ هذا من الأولاد الذكور أحد وعشرون ذكراً ، واثنتا عشرة أنثى ــ على ما ذكر أحمد بن عبد الوهاب النويرى فى تاريخه ــ وذكر أنه مات عن هذا العدد ، وعن أربع زوجات . لم يسم أحداً من الأولاد .

والذى عرفت اسمه من أولاد أبى نُمَىّ : حسّان ، وحمزة ، وحُمَيْضة ، وراجح ، ورُمَيْثَة ، وزَيْد ، وزَيْد آخر ، وسَيْف ، وشُمَيْلَة الشاعر ، وعبد الله ــ له ذرية بالعراق ــ وعبد الكريم ، وعَاطِف ، وعَطَّاف ، وعُطَيْفَة ، ومُقْبِل ، ولُبَيْدَة ، ومنصور ، ومَهْدِىّ ، ونُمَىّ ، وأبو دعيج ، وأبو سَعد ، وأبو سُوَيد ، وأبو الغَيْث . وآخرهم وفاة سَيْف ؛ وهى تدل على أنهم ثلاثة وعشرون ذكراً . وأظن أن نُمَىّ ليس ولداً لأبى نُمَىّ ، وإنما كنى به لمعنى آخر ؛ فظنّ ظان أنه كُنِّىَ بذلك لأن له ولداً يسمى نُمَيًّا . والله أعلم .

وما ذكرنا فى عددهم يوهم خلاف ما ذكره النويرى فى عددهم ، ويمكن التوفيق [بأن يكون][1] الزائد على ما ذكره النويري مات قبل أبى نُمَىّ . والله أعلم .

أخبرنى بمجموع ما ذكرته من أسماء أولاد أبى نُمَىّ غيرُ واحد من أشياخنا وغيرهم ، وليس كل منهم أخبرنى بهذه الأسماء ، وإنما كل منهم ذكر لى بعضَها ، فتحصل لى [من][1] مجموع ما قالوه

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ١/٤٧٠ .

١٠٤ظ وبالـزَّرَدِ الموصوف ضُمَّت عُصُوبُـه
علىٰ كُلِّ ماضِى العَزْمِ خيف المُحَارِبِ
وبالبَـيْض والبِيضِ الرِّقَــاقِ أَلِيَّـــة
لبتـــر عداتى حِلْفَـــة غير كاذبِ
لقـد نُصِرَ الإسلامُ بالملك الـــذى
رَقَــــا فى سماء المجد أعلى المراتبِ
مليكٌ جهـاتُ الأرض تعنـو لعزِّهِ
فمرهوبُهـــا من سيفـــه أى راهبِ
تفـــرَّدَ بالملك العـــظيم فلـــم يزل
له خُضَّعًاصيـدُ الملوكِ الأغـــالبِ
مضى كَتْبُغَا خوف الحمام وقد أتت
إليـه أسود الخيـلِ من كلّ جانب
وأحييتَـه بالعفـــو منك وزدتـــه
لبـاسَ أمـانٍ من عِقَـاب العـواقب
وأحرزت ملك الأرض بالسيف عنوة
وعبَّـدْتَ مَنْ فِي شرقهـا والمغَـارِبِ
تولَّيت هذا الأمـر فى خير طالـــع
لأسعـد نَجْـمٍ للسعـــادة[1] ثاقب

(١) كذا فى الأصل ، وسمط النجوم العوالى ٤/٢٢٦ . وفى العقد الثمين ١/٤٧٠
« فى السعادة » .

هذه الأسماء .

وذكر النويرى : أنه توفى فى رابع صفر سنة إحدى وسبعمائة(١) . وذكر وفاته فى هذا التاريخ نجمُ الدين الطبري ، بزيادة فوائد تتعلق بأبى نُمَىّ هذا ، ولنذكر كلامه بنصِّه لذلك .

قال فى كتابٍ كتبه إلى بعض أهل اليمن بخطِّهِ ، يخبر فيه بوفاة أبى نُمَىّ وغير ذلك : إن أبا نُمَىّ حُمّ فى ليلة الأحد العشرين من المحرم ، وكان معه خُرَّاج فى مقاعده ، وفى مواضع من بدنه ، فلم يزل مريضاً حتى مات فى يوم الأحد رابع صفر ، وغُسِّل بالجَدِيد ، وحُمِلَ فى محمل ، ودخل به إلى مكة من درب الثنِيّة ، وطيف به حول البيت ، وخرج به من درب المعلاة ، ودفن خارجاً عن قُبّة أبيه وجَدِّه / الأعلى ، وهو قتادة . انتهى . ١٠٥و

قلت(٢) :وبُنِيَتْ عليه هو أيضاً قبة لطيفة ، وهى قريبة من الشارع . ثم تَخَرَّبَت وهُدِمَت فى سنة ست وتسعين وثمانمائة ، وبنى على أصولها حوش . انتهى .

وقال الفاسي : وكان أميراً عظيماً ، وحصَلَ بالوادى وبمكة من الحُزْن والبكاء والضجيج ما لم ير مثله . فسبحان العلىّ الذى لا

(١) وكذا فى السلوك للمقريزي ٣/١ : ٩٢٧ ، والنجوم الزاهرة ٢٠٠/٨ ، وإتحاف الورى ١٣٠/٣ ، وسمط النجوم العوالى ٢٢٦/٤ . وفى الدرر الكامنة ٤٣/٤ « مات بمكة فى ١٤ ربيع الأول سنة ٧٠١ هـ » .

(٢) أي المؤلف عز الدين بن فهد .

يموت . لا إله إلا الله الحيّ القيوم . انتهى .

ورأيت(١) فى ذيل سير النبلاء للذهبى . فى ترجمة أبى نُمَىّ : أنه توفى فى ذى الحجة سنة إحدى وسبعمائة . انتهى .

وهذا وَهْمٌ من الذهبى إن لم يكن من الناسخ ؛ لأن القاضى نجم الدين قاضى مكة ، قال : إنه توفى فى يوم الأحد رابع صفر سنة إحدى وسبعمائة ، وهو أقعد الناس بمعرفة ذلك فيعتمد قَوْلُه فيه . كيف وما ذكره النويرى فى تاريخ وفاة أبى نُمَىّ يعضد قولَ نجم الدين الطبرى !!

وذكر الذهبى : أنه كان من أبناء السبعين انتهى . انتهى كلام الفاسى .

قال الوالد(٢) : وقال الشريف أحمد بن على بن الحسين بن علي بن مُهَنَّا بن عُقْبَة الحسنى فى كتابه « عمدة الطالب فى نسب آل أبي طالب » : ووَلَد أبو سعد الحسن بن على بن قتادة بن إدريس أبا نُمَىّ محمداً ــ يلقب نجم الدين ــ [وكان](٣) شجاعاً مشهوراً ، شارك أباه فى إمارة مكة صَبِيًّا ، وذلك أن راجح بن قتادة استنجد أخواله بنى حُسَين ــ وكانت أمه منهم ــ يريد أن يُخْرِجَ

---

(١) أي الفاسى في العقد الثمين ٤٧١/١ .

(٢) مقالة النجم عمر بن فهد المنسوبة للشريف أحمد بن علي بن الحسين فى مؤلفه « عمدة الطالب فى نسب آل أبى طالب » لم ترد فى بغية المرام ، ولا فى إتحاف الورى .

(٣) إضافة على الأصل .

ابن أخيه أبا سعد من مكة ، ويملكها عليه ؛ فسار معه من المدينة سبعمائة فارس من بنى الحسين ، وعليهم الأمير عيسى الملقب بالحرون ، فارس بني حُسَين فى زمانه . وكان أبو نُمَيّ حينئذ بينبع ؛ فخرج من ينبع قاصداً إلى مكة فى أربعين فارساً ، فصادف القومَ سائرين إلى مكة ، ليس لهم منه خبر . وكان قد بلغه خبرهم ، وإنما جاء لمدد أبيه أبى سعد ، فلما صادفهم حمل عليهم فهزمهم ؛ ورجعوا إلى المدينة مفلولين . ولما هرب عيسى انتشرت عمامته وذهب يجرها على الأرض خلفه ، وقال السيد تاج الدين جعفر بن معبد الحسنى ــ رحمه الله ، وهو إذ ذاك لسان بنى حسن فى العراق ــ قصيدةً يذكر فيها الوقعة ويمدح أبا نُمَيّ . منها :

أَلَمْ يَبْلُغْكَ شأن بنِي حُسَيْن ... وردهم(١) وما فعل الحرون
فيا لله بأس(٢) أبى نُمَيّ ... وبعضُ البأس يشبِهُهُ الجنون
يصول بأربعين على مئات ... وكم من كثرة ظلّت تهون

وكان أبو نُمَيّ حينئذ لم يبلغ العشرين(٣) . فلما هَزَمَ عَمَّ أبيه راجحاً وبنى حسين معه ، وقدم على أبيه ؛ أشركه فى الإمرة ،فلم يزل حاكماً بمكة مع أبيه وبعده إلى أن مات ، وقد أناف على السبعين .

وقد كان أُخْرِجَ من مكة مراراً ، ثم عاد إليها .

منها : مرة قدم ملكُ مصر بنفسه مع جيش كثيف ؛ فهرب

(١) كذا فى الأصل . وفي سمط النجوم العوالى ٤/٢٢٥ « وفرهم » .

(٢) وفى المرجع السابق « فعل » .

(٣) وفى سمط النجوم العوالى ٤/٢٢٦ « وكان إذ ذاك عمره سبع عشرة سنة » .

الشريـف من بين يديـه ، ولما انـقضى الحج ورجـع الملك ترك بمكـة ثلاثة آلاف فارس من الترك مع ثلاثة أمـراء ؛ كل ألـف عليها أمير ، وأحـد الأمـراء أُمِّـرَ على الجميـع . وكانـوا فى صبـاح كل يوم يخرجـون للتنزه ، كل ألف من طرف ، وكان الأمير الأكبر يخرج / إلى منـى ، ١٠٥ظ ثم يرجعـون ؛ فكمـن لهم ذات يوم السيـد أبـو نُمَــىّ فى مسجــد الخيف ، وهو فى ثلاثين فارساً وسبـعين راجـلاً . فلمـا وصل الألـف إلى منى مع أميرهـم ، وانحدروا عن العقبـة ؛ خرج عليهم ، ولم يكـن له هِمَّـة إلا أميرهـم فطعنـه فقتلـه ، وقتـل كُلُّ فارس من أصحابــه فارساً مذكـوراً من الألـف ، وركـب الرجالـة خيـولَ القَتْلَـى ؛ فصاروا فرسانـاً . وهـرَبَ القـومُ على وجوههـم ؛ فلمـا عرف الأميران الآخران بذلك لم يرجعا إلى مكة ، وذهبوا إلى مصر .

ودخـل أبـو نُمَـىّ مكـة . فلمـا وصل الخبـرُ إلى ملك مصر اشتد عليه ذلك ، وجهز جيشاً كثيفاً ، وعـزم على المسير بنـفسه إلى مكة ؛ فأتاه بعض المشايخ الأجـلاء بمصر فقـال له : إلى أيـن يَتَوَجَّـه السلطان ؟ فقال : إلى مكة ، لقتل أبي نُمَـىّ وأهلـه . فقـال : إنك حَسَّنْتَ العبـارة ، ولكـن النـاس يقولـون : إنك تذهـب إلى حرم الله لقتـل أولاد رسول الله ﷺ . فوقـع ذلك من الملك موقعـاً ، ورجـع عن عزمه وراسل أبا نُمَيّ حتى زالت الوحشة من بينهما ، وأقـره على ملك الحجاز .

ثم إنه بعـد ذلك استـوحش من السيـد أبى نُمَـىّ فأرسل إليـه بعض أمرائـه الكبـار فى عشرة آلاف فارس ، فلمـا قاربـوا مكـة وسمع

يا من درى الفضل و [من][1] لم يزل
ميسراً بالمرتجى يُسْرُه
ومن إذا ما ليلُ خَطْبٍ دَجَى
بؤساً فمعروفُهُمُ فجرُهْ / ١٠٦و
عمّ نَدَى أيديكم فاستوى
قانِعه فيه ومُعْتَرُّه

إلى أن قال :

أنا المحبُّ ابن المحبِّ الذى
إن عُدَّ فخرٌ ، منكم فَخْرُه
أنلتَ ما لستُ بأهلٍ له
قَدَّرْتُه يوماً ولا قَدْرُه
فلست أدري والمدى قاصر
أَدَرُّهُ أشكرُ أم دُرُّه

قلت : ومن شعر السيد أبى نُمَيّ ، على ما وجدتُ بخط الوالد فى مذكرته المسماة « نزهة العيون فيما تفرق من الفنون » :

وكَمْ كُرْبَةٍ فَرَّجْتَهَا وكشفْتَها
وقد لم يَكُنْ منها سواكَ مُفَرِّجُ
ومن مَنْشبٍ أَفْلَتَّنِي مِنه رَحْمَةً
وقَدْ لَمْ يَكُنْ لَوْلَاك لِى منه مَخْرَجُ

(١) إضافة يستقيم بها الوزن .

السيد أبو نُمَىّ بخبرهم خرج فى أولاده وبنى عمه ، وكمن للقوم حتى قاربهم ، ثم حمل عليهم فى وجه الصباح وقت رحيلهم ؛ فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وهرب الباقون .

ووقائعه كثيرة مع أهل مصر وقبائل العرب ، وشجاعته مشهورة .

وولد الشريف أبو نُمَيّ ثلاثين ذكراً ، منهم : زيد الأكبر ، قتله بعضُ العرب ـــ ولا أدرى الآن مَنْ هم ـــ فأوقع بهم أبو نُمَىّ وقائع ، وزيد الأصغر ، وأبو الغيث ، وشُمَيْلَة ، وعُطَيْفَة ، ولُبَيْدَة ، ومُقْبِل ، وسَيْف ، وحُمَيْضَة ، وعبد الله ، ورُمَيْثَة . انتهى كلام ابن عقبة .

ومن شعر السيد أبى نُمَيّ ، على ما وجدت بخط الحافظ أبى عبد الله الذهبى ما مثاله : أنشدنا أبو إسحاق إبراهيم بن يونس البعلى قال : أنشدنا قاضى مكة نجم الدين محمد بن محمد الطبري الإمام لِنَجْمِ الدين أبى نُمَيّ صاحب مكة يمدحه بها :

يا نجم ديـن الله بل بدرُهْ ... ومَن عَلَا فوقَ السُّهَا قَدْرُه
من شرع الله تعالى لنا ... متبعاً بعد أمره ـــ أمرُه
على الصراط المستقيم الذى ... شُدّ على الحق به أزرُه
قد أجمع الناس على أنه ... أَوْرَع مَن قدَّمَه دهرُه
وسيد فى وقته قد حوى ... علماً وحلماً مُعْجِزٌ حَصْرُه

فأجابه القاضى نجم الدين :

ومِن ظُلْمَةٍ فى الصدرِ مما يُجِنُّهُ
أُتِيحَ لها نورٌ بفَضْلِكَ أَبْلَجُ
فعُدْ لِى بعادَاتِ الجميلِ فإننى
ضعيف وما لى غير بَابِكَ مَوْلِجُ
ولا تأخذ العبدَ الضعيفَ بذنبِهِ
فليس له إلا عليك مُعَرَّجُ
فإنى بهم ما عشتُ ــ والله ــ واثقٌ
بك الله إلا مَنْ هَمَتْهُ أزاعِجُ[(١)]
عليك اتكالى فى الحياة وبعدها
عليك رجائى حين للقَبْرِ أُدْرَجُ

* * *

١٧٥ ــ علي بن الحسين بن بِرْطَاس .

قال الفاسى[(٢)] : الأمير مُبَارِزُ الدين ، أمير مكة .

وليها للملك المظفّر صاحب اليمن[(٣)] ، وقد ذكر خبرَ ولايته لها

---

(١) فى الأصل «أز عج» مع وجود بياض بين الزاى والعين بمقدار حرف ، ولعل الصواب ما أثبته فإنه يستقيم به الوزن ويبقى معنى البيت غير واضح .

(٢) العقد الثمين ٦/١٥٢ برقم ٢٠٥١ .

(٣) هو الملك المظفر يوسف ابن السلطان نور الدين عمر بن على بن رسول ، تولى سلطنة اليمن بعد قتل والده فى ذى القعدة سنة ٦٤٧ هـ . وتوفى فى رمضان سنة ٦٩٤ هـ . (غاية الأمانى ١/٢٣ ــ ٤٧٥ ، والعقود اللؤلؤية ١/٨٨ ــ ٢٧٥ ، والعقد الثمين ٧/٤٨٨) .

وما كان من أمْرِهِ بها صاحبُ « بهجة الزمن فى تاريخ اليمن » لأنه قال : إن المظفر فى شوال سنة اثنتين وخمسين وستمائة جهّز ابن بِرْطَاس إلى مكة ؛ فجرت الوقعة المشهورة بينه وبين الشريفين : أبى نُمَىّ ، وإدريس بن قتادة . وكان أوّل اليوم له ، وآخره عليه ، وكُسِرَ وقُتِلَ بعضُ عسكره ، وأُخِذَ ما كان معهم . انتهى .

ووجدت بخط بعض مؤرخى اليمن فى عصرنا هذه الحادثة أبسط من هذا ، فنذكر ذلك لما فيه من الفائدة ، ونص ما ذكره فى أخبار سنة اثنتين وخمسين وستمائة : وفى شوال جهز السلطان مبارز الدين علي بن الحسين بن برطاس إلى مكة المشرفة فى مائتى فارس ، فلقيه الأشراف على باب مكة فكسرهم وقتل منهم جماعة ، ودخل مكة ، وحج بالناس(١) .

ثم قال : وفى سنة ثلاث وخمسين جمع أشراف مكة ، جمعاً عظيماً وقصدوا الأمير مُبَارِز الدين على بن الحسين بن بِرْطَاس وحاصروه فى مكة حصاراً شديداً ، ودخلوا عليه مكة من رءوس الجبال ، وقاتلهم فى وسط مكة ؛ فكسروه وقتلوا جماعة من أصحابه ولزموه ، فاشترى نفسه منهم ، وعاد إلى اليمن هو والجند الذين [كانوا](٢) معه . انتهى .

وأفاد الشيخ أبو العباس الميورقى من خبر هذه الواقعة ما لم أره لغيره لأنه قال : ثم استحكم أبو نُمَىّ وعمُّه إدريس على مكة ،

---

(١) العقود اللؤلؤية ١/١١٥ .

(٢) إضافة عن العقود اللؤلؤية ١/١٢٠ ، والعقد الثمين ٦/١٥٣ .

وأخرج الشرفاء الغُرَّ ، فَسُفِكَ دماءُ خَيْلِ ابن بِرْطَاس الوالى بها من جهة اليمن ، وامتلأ الناسُ رُعْباً ، وسُفِكَتْ الدماء [يوم السبت][1] / بالحجر لأربع ليال بقين من المحرم سنة ثلاث وخمسين ١٠٦ظ وستمائة ، ولم يُصَلِّ بالحرم والمقام إمامٌ بمَنْ حَضَر إلا الشيخ أبو مروان ، معلم قَرْن : ميقات نجد . انتهى .

والوقعة الأولى كانت فى يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من ذى القعدة سنة اثنتين وخمسين وستمائة . انتهى كلام الفاسىّ .

* * *

١٧٦ ــ مَرْوَان الظاهرى .

قال الفاسى[2] : أمير مكة .

يُلَقَّب شمس الدين ، كان نائباً للأمير عز الدين أمير جَنْدَار[3] الظاهرى ، وحج مروان مع السلطان الملك الظاهر [بِيبَرْس الصالحي صاحب الديار المصرية والشامية فى سنة سبع وستين وستمائة ، ولما سأل أميرا مكة إدريس بن قتادة ، وابن أخيه أبو نُمَيّ السلطانَ الملكَ الظاهر][4] هذا أن يولى مِنْ جهته نائباً

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن المرجع السابق .

(٢) العقد الثمين ١٧٢/٧ برقم ٢٤٢٠ .

(٣) فى الأصل « خازندار » والمثبت عن المرجع السابق ، والسلوك للمقريزى ٢/١ : ٥٨٢ ، وإتحاف الورى ٩٨/٣ ، ودرر الفوائد ٦٧٤ .

(٤) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ١٧٢/٧ .

بمكة تَقْوَى به نَفْسُهما رَتَّب السلطانُ بيبَرْس مَرْوَانَ هذا نائباً بمكة يرجع أمْرُ أميرِها إليه ، وقد ذكرنا فى المقدمة فى بعض فصول الباب الرابع والعشرين[(١)] منها شيئاً من خبر حج الملك الظاهر فى هذه السنة . مما ذكره كاتبه ابنُ عبد الظاهر فى السيرة التى جمعها له ، ومنه لخَّصْتُ ما ذكرناه هنا .

وكان من خبر مروان : أن أشراف مكة أخرجوه منها فى سنة ثمان وستين وستمائة . على ما وجدت بخط أبى العباس الميورقى . انتهى كلام الفاسى[(٢)] .

* * *

١٧٧ ــ غانم بن إدريس بن حسن بن قتادة بن إدريس بن مُطَاعِن بن عبد الكريم الحسنى .

قال الفاسى[(٣)] : ذكر ابن محفوظ : أنه وجَمَّاز بن شيحة صاحب المدينة وصلا فى سنة سبعين وستمائة وأخذا مكة ، وبعد أربعين يوماً أخرجهما أبو نُمَىّ .

ووجدت بخط المؤرخ شمس الدين محمد بن إبراهيم الجزرى الدمشقى : أن فى التاسع عشر من ربيع الآخر سنة خمس وسبعين

(١) وانظر العقد الثمين ١/١٧٧ ، وشفاء الغرام ٢/٢٠٣ .

(٢) وانظر إتحاف الورى ٣/٩٤ ــ ٩٩ .

(٣) العقد الثمين ٧/٣ برقم ٢٢٩٧ .

ــ يعنى وستمائة ــ كانت وقعة بين أبى نُمَىّ صاحب مكة ، وبين جَمّاز بن شيحة صاحب المدينة ، وبين صاحب ينبع إدريس بن حسن بن قتادة ، فظهر عليهما أبو نُمَىّ ، وأسر إدريس وهرب جَمَّاز بن شيحة . وكانت الوقعة فى مَرّ الظهران ، وكان عدة من مع أبى نُمَىّ مائتى فارس ، ومائة وثمانين راجلاً ، ومع إدريس وجَمَّاز مائتين وخمسة عشر فارساً وستمائة راجل . انتهى .

وهذا الخبر يقتضى أن الذى حارب أبا نُمَىّ فى هذا التاريخ مع جماز إدريس بن حَسَن صاحب يَنْبُع . والظاهر أنه غانم بن إدريس بن حسن المذكور ؛ بدليل ما سبق فى كلام ابن محفوظ ، ولعلّ غانماً سقط فى خط ابن الجزرى سهواً . والله أعلم . انتهى كلام الفاسي .

* * *

١٧٨ ــ جَمَّاز بن شِيحَة بن هاشم بن قاسم بن مُهَنَّا بن حسين بن مُهَنَّا بن داود بن قاسم بن عبد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن الحسين الأصغر بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب الحسينى ، عز الدين أبو [سند][1] أمير المدينة المنورة .

---

(١) بياض فى الأصل بمقدار كلمة فوقه كلمة « كذا » ، والمثبت عن التحفة اللطيفة ١/٤٢٣ .

قال الفاسي(١) : هكذا وجدته منسوباً فى نسخة سقيمة من كتاب « نصيحة المشاور » لقاضي المدينة الشريفة بدر الدين عبد الله بن محمد بن فَرْحون اليَعْمُرِيّ المدني المكي . وقال : كان [شجاعاً](٢) مَهِيباً [سايساً](٢) حازماً ذا رَأْى وهمة عالية ، رقت همته إلى أن قصد صاحب مكة ، وهو الأمير نجم الدين أبو نُمَيّ محمد بن صاحب مكة أبي سعد حسن بن علي بن قتادة الحسني ، وحاصره وانتزع / منه مكة ، واستولى عليها وحكم فيها ؛ ١٠٧و وأقام فيها مدة يسيرة . ثم عادت إلى أبي نُمَيّ ، وذلك فى سنة سبع وثمانين وستمائة . انتهى .

وقد ذكرنا فى ترجمة أبي نُمَيّ شيئاً من حاله مع جماز بن شيحة هذا ، فأغنى عن إعادته . وقد وَلِيَ الأميرُ جَمَّاز أمر المدينة بعد وفاة أخيه منيف بن شيحة فى سنة سبع وخمسين وستمائة ، وكان فى حياته مؤازراً له ومساعداً ، ثم انتزعها منه ابن أخيه مالك بن منيف بن شيحة فى سنة ست وستين وستمائة ؛ فاستنجد عليه عَمُّه بأمير مكة وغيره من العُرْبَان ، فلم يقدروا على نزعها . فلما رحلوا عنها ـــ عَجْزاً ـــ سلَّمها له ابن أخيه مالك بن منيف .

قلت(٣) : وأرسل إليه مالك المذكورُ يقول له ما معناه : أراك حريصاً على إمرة المدينة ، وأنت عَمِّي وصِنْوُ أبي . وقد كنت له

---

(١) العقد الثمين ٣/٤٣٦ برقم ٩٠٩ .

(٢) إضافة عن التحفة اللطيفة ١/٤٢٤ .

(٣) أي المؤلف عز الدين بن فهد .

معاضداً ومسانداً ؛ ويجب علينـا أن نحترمك ونَرْعَى لك حقوقَك ، وقد استخرتُ الله تعالى ، ونـزلتُ لك عن الإمرة طوعاً لا كرهاً ؛ فَسُرَّ بذلك ، وحمد الله على حَقْنِ الدماء ، وبلوغ مقصده . انتهى .

قال الفاسي : فاستقلّ بها جَمَّاز بن شِيحَة من غير منازع حتى سلَّمها هو لابنه الأمير منصور بن جَمَّاز فى سنة سبعمائة ؛ لأنه أُضِرَّ وشاخ وضعف ، ثم مات سنة أربع وسبعمائة . انتهى كلام الفاسي .

وذكر أيضاً بعد ذلك من ولى بعده إلى زمانه ، تركناه لأنه ليس من قصدنا .

قلت : وقال ابن فرحون فى كتابه « نصيحة المشاور » : وكان ذا رأي مُصيبٍ ، وكرم عظيم ، على إخوته وبنيهم ؛ يؤلفهم بالعطاء الجزيل حتى استمال قلوبهم ، وقوي أمره بينهم ، وعضَّدَه أولاده ، وأولادُه أحد عشر ، و [كان](1) إخوته ثمانية ، انتهى .

وذكره القاضي مجد الدين الفيروزأبادى فى تاريخه للمدينة فقال : كان بطلاً باسلاً ، وعَمَيْثَلاً (2) منازلاً ، ومَهِيباً سَائِساً ،

---

(1) إضافة عن التحفة اللطيفة ١/٤٢٤ .

(2) العميثل : الجلد النشيط ، وقيل الضخم الشديد العريض ، وهو من صفات الأسد ، والجمل ، والفرس ، والرجل . (لسان العرب ـــ ع م ث ل) .

وقليباً[١] حُمَارِساً[٢] وفتاكاً صرمرماً[٣] ، وسفاكاً غشمشماً[٤] ، وقَرْماً هُمَاماً ، وعبقرياً فَهَّاماً . رَقَت به همَّتُه إلى أن قصد مكة فى حبكة غُمَى[٦] . وأراد انتزاعها من يد الأمير نجم الدين أبى نُمَىّ ؛ فهجم على مكة هجوم الطَّيْف ، وافتض عذرتها بحد السيف ؛ وذلك أنه بات على بابها مُخَيِّماً ، وعلى إخراجه منها جَازِماً مُصَمِّماً ، فحاصرهم وقاتلهم ، ودافعهم ونازلهم ، إلى أن دَبّ إليها واستولى عليها ؛ وخرج الأمير أبو نُمَىّ منها ، وصدق عزم جَمَّاز مكة ، ولم يُمِتْها ، واستقر بها مدة حاكماً ، وصار الخُمُولُ متكامناً ، والسعد متراكماً .

ثم رد الله تعالى مكة إلى أبى نُمَىّ ، وجمع الزمان بين غيلان وَمَىّ . وعاد جماز إلى محل ولايته ، باسطاً على المدينة ظِلَّ رايته ؛ وكانت ولايته وراثة عن والده ، ومنه كان تهيأ له تناول مقالده . ولكن

---

(١) كذا فى الأصل ، والتحفة اللطيفة ١/٤٢٥ ، ولعل الكلمة تصغير « قُلْب » بضم القاف وسكون اللام . يقال عربى قلب : أي محض خالص (لسان العرب ، والمعجم الوسيط) .

(٢) الحمارس : الأسد ، والشديد ، والجرئ المقدام . (المعجم الوسيط) .

(٣) الصرمرم : من الصرم الذي هو القطع . (لسان العرب) .

(٤) الغشمشم : الكثير الظلم ، والجرئ الماضى الذى لا يثنيه شيء عما يريد . (المعجم الوسيط ــ غ ش م) .

(٥) الغمى ــ بفتح الغين أو ضمها ــ : وهى شدةٌ تغم القوم فى الحرب ، والظلمة ، والشديدة من شدائد الدهر ، والحيرة فى الأمر . (المعجم الوسيط ــ غ م م) .

لم تصف له إلا بعد هَزَاهِز(١) ، ومنازعات بينه وبين مالك وعيسى ، وغيرهما من ذوى قراباتهم الجمامـز ، كما ذكرنـا فى ترجمة شيحـة مطولاً ، وبيناه مجملاً ومفصلاً .

وكان جَمَّاز ذا رأي سديد ، وقلب مجيد ، وجأش جليد ، وسماح على ذوى قرابته عظيم ، وعطاء إلى بنى عمه عميم ، ولم يزل يبرهم بالإنعام / الجزيل ، ويغمرهم بالنوال الحفيل ، إلى أن استمال ١٠٧ظ قلوبهم ، وملك بجوده غالبهم ومغلوبهم .

وكان أولاده أحد عشر ولداً ، كأنهم أسود ، منهم : منصور ، وسند ، ومقبل ، وودي ، وقاسم ، وجوشن ، وراجح ، ومبارك ، وثابت ، ومسعود . وكان له من الإخوة ثمانية يخطمون بيأسهم المخاطم(٢) الأسود ، منهم : منيف ، وعيسى ، وأبو رُدَيْنِيّ ـــ جد الردنة ـــ ومحمد ـــ جد الفواطم ـــ .

ولم يزل جَمَّاز مستقلاً فى ولايته إلى رأس السبعمائة . فلما وجد شمسَ الشباب قد غربت في عين حَمِئَةٍ ، وتَرَفَّعَ السنُّ ، وتقعقع الشَّنّ ، وخان البصر ، ومات القُوَى والقُدر ، نزل عن المنصب لأبرّ أولاده منصور ، وفوض إليه أمر الإمارة بمحضر الجمهور ، وحالف الناس على معاملته بالطاعة والنصرة والوفاء ، وأمر أن يخطب له

(١) الهزاهز : جمع هزهزة ، وهي الفتنة يهتز فيها الناس ويبتلون . (المعجم الوسيط) .

(٢) كذا فى الأصل ، والتحفة اللطيفة ١/٤٢٥ . والمخاطم : جمع مخطمة ، وهى موضع الخطم ، أو مقدم الأنف . (المعجم الوسيط) .

بحضرته على منبر هذا النبى المصطفى[١] . انتهى .

* * *

١٧٩ ــ حُمَيْضَة بن أبي نُمَيّ محمد بن أبي سعد حسن ابن علي بن قتادة بن إدريس بن مُطَاعِن الحسنى المكى ، الملقب عز الدين ، واسمه نجاد .

قال الفاسي[٢] : أمير مكة :

ولي إمرة مكة إحدى عشرة سنة ونصف سنة ، أو أزيد ، فى أربع مَرَّات ، منها مرتان شريكاً لأخيه رُمَيْثَة ، ومَرَّتان مستقلاً بها . والمرتان اللتان شارك فيهما أخاه رُمَيْثَة نحو عشر سنين . إحداهما عشرة أشهر متوالية . بعد موت أبيه فى سنة موته ، وهي سنة إحدى وسبعمائة ، والمرَّة الثانية نحو تسع سنين بعد الأولى بسنتين أو ثلاث . والمرتان اللتان استقل بالإمرة فيهما إحداهما نحو سنة ونصف ، أولها بعد مُضِيّ شهرين من سنة أربع عشرة وسبعمائة . والمرَّة الأخرى التي استقل بها أياماً يسيرة فى آخر سنة سبع عشرة وسبعمائة بعد الحج منها ، أو فى أوائل سنة ثمانى عشرة . وسنوضح شيئاً من خبره فى ذلك وغيره .

وجدت بخط القاضى نجم الدين الطبرى قاضى مكة : أن حُمَيْضَة وأخاه رُمَيْثَة قاما بالإمرة بعد أبيهما ، وكان دُعِىَ لهما على

---

(١) وانظر ما قاله الفيروزأبادى فى التحفة اللطيفة للسخاوى ١/٤٢٤ ــ ٤٢٦ .

(٢) العقد الثمين ٤/٢٣٢ برقم ١٠٨٣ .

احتالا فخرجا وركبا إلى بعض الأشراف والقواد ؛ فَمُنِعُوا منهما . ولما وصل الحاجُّ المصريّ تَلَقَّاهم أبو الغَيْث فمالوا إليه . ولما انفصل الموسمُ لَزِمَ الأمير ركن الدين بِيبَرْس الجَاشْنَكِير حُمَيْضَة ورُمَيْثَة ، وسار بهما إلى مصر مُقَيَّدين ، وأَمَّرَ بمكة أبا الغيث ، ومحمد بن إدريس ، وحلَّفهما لصاحب مصر . انتهى .

وكان من خبر حُمَيْضَة : أنه وأخاه رُمَيْثَة وَلِيَا إِمْرَة مكة فى سنة أربع وسبعمائة ، وقيل فى سنة ثلاث وسبعمائة . وهذه ولايته الثانية التى شارك فيها أخاه رُمَيْثَة ، ودامت ولايتهما لمكة إلى زَمَنِ المَوْسِمِ من سنة ثلاث عشرة وسبعمائة .

وما ذكرناه من ولايته لإِمْرَة مَكَّة مع أخيه رُمَيْثَة فى هذا التاريخ ذَكَرَهُ صاحب « بهجة الزمن » وأفاد فى ذلك ما لم يفده غيره ، مع شيء من خبرهما ، ولذلك رأيت أن أذكره .

قال فى أخبار سنة أربع وسبعمائة : وحجّ من مصر خَلْقٌ كثير ، فى جملتهم الأمير رُكْن الدين بِيبَرْس الجَاشْنَكِير فى أمراء كثيرين . ووصل معهما الشريفان رُمَيْثَة وحُمَيْضَة ، ولدا أبى نُمَيّ ، المقدّمَا الذّكْرِ فى القبض عليهما . فلما انقضى الحجّ أحضر الأمير ركن الدين أبا الغَيْث وعُطَيْفَة ، وأعلمهما أن ملك مصر قد أعاد أخويهما إلى ولايتهما . فلم يُقَابِلَا بالسَّمْع والطاعة ، وحصلت منهم المنافرة[1] .

---

(١) وكذلك ورد هذا الخبر بالمعنى فى العقود اللؤلؤية ١/٣٦٢ .

قبة زمزم قبل موته يوم الجمعة ، ومات يوم الأحد رابع صفر — يعني من سنة إحدى وسبعمائة — واستمر الدعاء لهما ، وكان قبل ذلك قد وقعت فتنة بين أولاد أبي نُمَيّ ، وكان حُمَيْضَة الغالب . انتهى .

ولم يزل حُمَيْضَة ورُمَيْثَة في الإمرة حتى عُزِلَا فى موسم هذه السنة بأخويهما أبي الغَيْث وعُطَيْفَة . وقُبِضَ عليهما وجُهِّزَا إلى مصر ، باتفاق الأمراء القادمين إلى مكة ، وكان كبيرهم بِيبَرْس الجَاشْنَكِير الذى صار سُلْطَاناً بعد الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ثمان وسبعمائة . وكان بِيبَرْس إذ ذاك أستاذ الملك الناصر ؛ تأديباً لهما على ما صدر منهما فى حقِّ أخويهما عُطَيْفَة وأبي الغَيْث من الإساءة لهما ؛ لأنهما كانا اعتقلا أبا الغَيْث وعُطَيْفَة ؛ فهربا من الاعتقال إلى ينبع . فلما حضر الحاج إلى مكة حضرا إلى الأمراء المذكورين .

١٠٨و هكذا ذكر ما ذكرناه من سبب القبض على رُمَيْثَة / وحُمَيْضَة وتولية أبي الغيث وعُطَيْفَة صاحبُ نهاية الأرب النويرى . وإلا فالأمير بِيبَرْس الدوادار فى تاريخه ، وهو الغالب على ظَنِّى . وذكر ذلك صاحب « بهجة الزمن فى تاريخ اليمن »(١) إلا أنه خالف فى بعض ذلك ؛ لأنه قال فى ترجمة أبي نُمَيّ فيه :

فاختلف الأشراف والقوّاد بعده على أولاده ، فطائفة مالت إلى رُمَيْثَة وحُمَيْضَة على أخويهما فلزماهما ، وأقاما فى حبسهما مدة ، ثم

(١) وكذلك ذكره الخزرجي فى العقود اللؤلؤية ١/٣٣٥ ، ٣٣٦ .

ثم قال : واستمر رُمَيْثَة وحُمَيْضَة فى الإمرة يُظْهِرَان حسنَ السيرة وجميلَ السياسة ، وأبطلا شيئاً من المكوس فى السنة المذكورة والتي بعدها .

وذكر فِي أخبار سنة ثمان وسبعمائة : أنه ظَهَرَ منهما من التعَسُّف ما لا يمكن شرحه(١) .

وذكر : أن فى سنة عشر وسبعمائة حجّ من الديار المصرية عسكر قوى ، فيه أمراء طَبْلَخَانَات يريدون لَزْمَ الشريفين حُمَيْضَة ورُمَيْثَة . فلما علما بذلك هَرَبَا من مكة . فلما تَوجّه العسكرُ إلى الديار المصرية عادا إلى مكة(٢) .

وذكر : أنهما فى سنة اثنتى عشرة وسبعمائة عَدَلَا عن مكة تخوُّفاً من الملك الناصر صاحب مصر ؛ لأنه كان حَجّ هذه السنة فى ألف فارس ، وستة آلاف مملوك فتخوفا منه . وذكر أنهما فعلا فيها ما لا يَنْبَغِي من النَّهْب ، وأنهما عادا إلى مكة بعد ذهاب الملك الناصر منها(٣) .

وذكر : أنهما هَرَبَا من مكة فى سنة ثلاث عشرة إلى صوب حَلْى ابن يعقوب ؛ لما علما بوصول أبى الغيث بن أبى نُمَيّ من الديار المصرية إلى مكة ، ومعه عسكر جَرَّار ، فيهم من المماليك الأتراك ثلاثمائة وعشرون فارساً ، وخمسمائة فارس من أشراف

---

(١) العقود اللؤلؤية ١/٣٨٤ .

(٢) العقود اللؤلؤية ١/٣٩٤ .

(٣) العقود اللؤلؤية ١/٤٠٢ .

المدينـة ، خارجـاً عمـا يتبـع هؤلاء من / المتخطفـة والحرامِيّـة ، وكان ١٠٨ظ
المقدم الأمير سيف الدين طَقْصُبَا[٢] .

وذكـر : أن فى المحرم من سنـة أربـع عشرة وسبعمائـة سار أبو الغيث وطَقْصُبَا إلى صوب حَلْى ابـن يعقـوب ؛ بسبب حُمَيْضَة ورُمَيْثَـة ، وأنهمـا لم يجدا خبراً عنهما ؛ لأنهمـا لحقـا ببـلاد السَّرَاة . ووصلا ـــ أعنى أبا الغيث وطَقْصُبَا ـــ إلى حَلْـى ابـن يعقـوب ، ولم يدخلها طَقْصُبَا ، وقال : هذه أوائل بلاد السلطان الملك المؤيّـد ، ولا ندخلهـا إلا بمرسوم السلطـان الملك النـاصر . فعـاد على عَقِبِه[٢] . وفى كلام صاحب البهجة ما يفهـم أن أبـا الغيـث وطَقْصُبَـا لم يبلغـا حَلْى . والله أعلم .

وقد ذكـر صاحب « نهايـة الأرب في فنـون الأدب » شيئـاً من خبر حُمَيْضَة بعد عَزْلِه من مكة بأخيه أبى الغيـث ، وشيئـاً من خبر العسكـر الـذى جُهِّـزَ معـه ؛ لأنـه قال فى أخبـار سنـة ثلاث عشرة وسبعمائـة : وفى هذه السنـة جَرَّدَ السلطـان جماعـة من الأمـراء إلى مكة ـــ شرفها الله تعالى ـــ وهـم : سيـف الدين طَقْصُبَا النـاصرى ، وهـو المقـدم على الجيش ، وسيـف الديـن بَكْتَمُـر ، وصارم الديـن

(١) فى الأصل « تقصبـا » بالتـاء في أولـه ، والمثبت هو الـرسم المشهـور لهذا الاسم . وانظـر السلوك للمقريـزي ٢/١ : ١٢٨ ، والنجـوم الزاهـرة ١٥٢/٨ ، وإتحاف الـورى ١٥٠/٣ . وهـو الأمير طقصبـا النـاصرى والى قوص ، المتوفى سنـة ٧٤٥ هـ . (الـدرر الكامنـة ٣٢٦/٢ برقـم ١٠٤٣) وقـد ورد هذا الخبر بمعنـاه فى العقـود اللؤلؤيـة ٤٠٧/١ .

(١) وكذلك ورد هذا الخبر فى العقود اللؤلؤية ٤١٠/١ .

صاروجا[١] الحسامي ، وعلاء الدين أَيْدُغْدِى الخوارزمى . وتوجهوا فى شوال فى جملة الركب . وجرّد من دمشق الأمير سيف الدين بَلَبان تَتَرِى[٢] . وسبب ذلك ما اتصل السلطان من شكوى المجاورين والحجاج من أميرى مكة حُمَيْضَة ورُمَيْثَة ولدي الشريف أبي نُمَيّ ؛ فندبَ السلطانُ هذا الجيش ، وجَهَّز أخاهما الأمير أبا الغَيْثَ بن أبي نُمَيّ . فلما وصل العسكر إلى مكة فارقها حُمَيْضَة . وأقام الجيش بمكة بعد عود الحاج نحو شهرين ، فقَصَّر أبو الغيث فى حَقِّهِم ، وضاقَ منهم ، ثم كتب خَطَّه باستغنائه عنهم ؛ فعادوا ، وكان وصولهم إلى الأبواب السلطانية فى آخر شهر ربيع الأوّل سنة أربع عشرة وسبعمائة .

ولما علم حُمَيْضَة بمفارقة الجيش لمكة عاد إليها بجمع ، وقاتل أخاه أبا الغيث ، ففارق أبو الغيث مكة ، والتحق بأخواله من هُذَيْل بوادى نخلة . وأرسل حُمَيْضَة إلى السلطان رسولاً وخيلاً للتقدمة ؛ فاعتقل السلطان رسوله . انتهى .

---

(١) فى الأصل « صارو » ، والمثبت عن السلوك للمقريزي ٢/٢ : ٣٧٧ ، والدرر الكامنة ٢٩٦/٢ برقم ١٩٥٣ ، والدليل الشافى ٣٤٩/١ برقم ١١٩٧ .

(٢) كذا فى الأصل . وفى الدرر الكامنة ٢٦/٢ « بلبان التسترى ، كان من الأمراء المنصورية ، وولى إمرة الركب سنة ٧١٣ هـ . مات فى ذى القعدة سنة ٧٢٥ هـ » . وفى النجوم الزاهرة ٢٦٦/٩ « سيف الدين بلبان بن عبد الله التتارى المنصوري » .

وذكر صاحب « المقتفى »(١) : أن حُمَيْضَة لما علم بسفر هذا العسكر من مكة حضر إلى مكة بعد جمعة وقاتل أخاه ــ يعنى أبا الغيث ــ وقتل نحو خمسة عشر نفراً ، ومن الخيل أكثر من عشرين فرساً ، وملك مكة ، ولجأ أبو الغيث إلى أخواله من هُذَيْل بوادى نخلة مكسوراً . ثم إن حُمَيْضَة أرسل خيلاً للسلطان ، فحبس رَسولَه ، ولم يَرْضَ عنه . وأرسل بعده أبو الغيث هدية ؛ فوَعَدَ السلطانُ بنصره ، وإرسال عسكر إليه . انتهى .

وهذه ولايته الثالثة التى استقل بها فى المدة المتقدم ذكرها ، أو فى أكثرها . واستقلاله بإمرة مكة فى بعضها متحقق(٢) .

وقد ذكر صاحب « المقتفى » من خبره بعد ذلك ؛ لأنه قال : وفى يوم الثلاثاء رابع ذى الحجة ــ يعني من سنة أربع عشرة وسبعمائة ــ وقعت حَرْبٌ بين الأخوين حُمَيْضَة وأبي الغَيْثِ ولدي أبي نُمَيّ بالقرب من مكة ، وانتصر حُمَيْضَة ، وجُرِحَ أبو الغيث ، ثم ذُبِحَ بأمر أخيه . وكان جماعة أبي الغيث أكثر عدداً ، ولكن رُزِقَ حُمَيْضَة / النصر ، واستقر بمكة . انتهى . ١٠٩و

---

(١) هو الحافظ علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن يوسف البرزالى ، المتوفى سنة ٧٣٩ هـ ، وكتابه « المقتفى » ذيل على كتاب الروضتين لأبى شامة حتى سنة ٧٣٨ هـ . (فوات الوفيات ٣/١٩٦ برقم ٣٩٦ ، والنجوم الزاهرة ٩/٣١٩ ، والأعلام للزركلى ٦/١٧ ، ومعجم المؤلفين ٨/١٢٤) ويذكر فؤاد سيد فى هامش العقد الثمين ٤/٢٣٧ أن كتابه هذا من الكتب النادرة-ومنه مصورة بمركز إحياء التراث « المحقق » .

(٢) فى الأصل ، والعقد الثمين ٤/٢٣٧ « متحققة » .

وقال فى أخبار سنة خمس عشرة وسبعمائة : ولما بلغ حُمَيْضَة ابن أبى نُمَىّ وصولُ العسكرِ مع أخيه ، وأنهم قاربوا مكة ؛ نَزَحَ قبلَ وصولهم بستة أيام ، وأخذ المال : النقد والبَزّ ، وهو مائة حِمْل ، وأحرق الباقى فى الحصن الذى فى الجَدِيد ، وبينه وبين مكة ...(١) وقطع ألفى نخلة . وكان مَرِضَ قبل ذلك فى شعبان ، وتغير سمعه ، وحضر إلى بيت الله الحرام وتاب ، وذكر : أنه ما يتعرض لإيذاء المجاورين ولا التجار ولا غيرهم .

وكان وصول العسكر إلى مكة يوم السبت منتصف رمضان ، وأقاموا بها ثلاثة عشر يوماً ، ثم توجَّهُوا إلى الخُلَيْف ـــ وهو حصن بينه وبين مكة ستة أيام ـــ والتجأ حُمَيْضَة إلى صاحبه ، وصاهره لَعَلَّه يحتمى به ، فواقع العسكرُ حُمَيْضَة وصاحبَ الحصن المذكور ، وأخذ جميع أموال حُمَيْضَة وخزانته ، ونُهِبَ الحصنُ وأُحْرِقَ ، وأسِرَ ولد حميضة ابن اثنتي عشرة سنة ، وسُلِّمَ إلى عمه رُمَيْثَة ، ثم رجع الجيشُ إلى مكة ؛ فوصلوها في الخامس والعشرين من ذى القعدة ، واستقروا إلى أن حضروا الموقف ، ورجعوا مع المصريين .

واستقر الأمير رُمَيْثَة بمكة ، ونجا أخوه حُمَيْضَة بنفسه ، ولحق

---

(١) بياض فى الأصل بمقدار كلمتين ، كتب فوقه كلمة « كذا » ، وكذا هذا البياض موجود فى العقد الثمين ٢٣٨/٤ . وعبارة إتحاف الورى ١٥٤/٣ « وأحرق الباقى فى الحصن الجديد الذى بوادى مَرّ ، وقطع ألفى نخلة » . دون بياض يتخلله ، وانظر سمط النجوم العوالى ٢٢٨/٤ .

بالعراق . كتب إلينا بذلك أمين الدين الوانىّ(١) . انتهى .

وسيأتى إن شاء الله تعالى شيء من خبر هذا العسكر فى ترجمة رُمَيْثَة بن أبى نُمَىّ .

وقد ذكر صاحب « المقتفى » شيئاً من خبر حُمَيْضَة بعد لحاقه بالعراق ؛ لأنه قال فى أخبار سنة ست عشرة : وفى التاريخ المذكور ـ [يعنى](٢) عقيب عيد الأضحى ـ وصل الخبرُ بأن الشريف حُمَيْضَة بن أبى نُمَىّ الحسنى المكى كان قد لحق بخَرْبَنْدَا(٣) فأقام فى بلاده أشهراً ، وطلب منه جَيْشاً يَغْزُو به مكة ، وساعَده جماعةٌ من الرافضة على ذلك ، وجَهَّزُوا له جمعاً من خُرَاسَان ، وكانوا مهتمين بذلك ؛ فقَدَّرَ الله تعالى موت خَرْبَنْدَا ، وبطل ذلك بحمد الله تعالى .

---

(١) هو محمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد الواني الخلاطي الهمدانى الدمشقى . المتوفى سنة ٧٣٥ هـ . (الوافي بالوفيات ٢/٢١ ، والدرر الكامنة ٣/٣٧٨ ، والدليل الشافي ٢/٥٧٦ برقم ١٩٧٩ ، ومعجم المؤلفين ٨/٢١٤) .

(٢) إضافة عن العقد الثمين ٤/٢٣٩ .

(٣) هو ملك التتار خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن تولو بن جنكيزخان ، يقال إن أباه كان كلما ولد له ولد يموت صغيراً ، فقال له بعض الأتراك : إذا جاءك ولد فسمه اسماً قبيحاً ليعيش . فلما ولد له هذا سماه خربندا ، ومعناه : عبد الحمار . فلما كبر وملك البلاد كره هذه الاسم واستقبحه ، فجعله خُدَابَنْدَا ومعناه : عبد الله . ولما أسلم تسمّى بمحمد ، واقتدى بالكِتَابِ والسُّنَّة ، ثم اجتمع به الرافضى تاج الدين الآوى ، وصيَّره رافضياً . توفى سنة ٧١٦ هـ . (البداية والنهاية ١٤/٧٧ ، ٧٨ ، والنجوم الزاهرة ٩/٢٣٨ ، ٢٣٩) .

ثم قال : إن محمد بن عيسى أخا مُهَنَّا ، هو وجمع من العرب وقعوا على حُمَيْضَة وعلى الدَّلقندى ــ وكان معهما جمعٌ وأموال ــ فقهرَهُم وغنِمَ ما مَعَهم ، ومرّ حُمَيْضَة . وكان الدلقندى ــ وهو رجل رافضى من أعيان دولة التَّتار ــ قد قام بنصره ، وجمع له المالَ والرجالَ على أن يأخذ له مكة ويقيمه بها . انتهى .

وقال صاحب نهاية الأرب فى أخبار سنة سبع عشرة وسبعمائة : وفى هذه السنة وصل كتاب الأمير أسد الدين رُمَيْثَة أمير مكة إلى الأبواب السلطانية يتضمّن أن عز الدين حُمَيْضَة قدم من بلاد العراق ــ وكان قد تَسَحَّبَ إليها والتحق بخَرْبَنْدَا كما تقدم ــ وأنه وصل الآن عَلَى فَرَسٍ واحِدٍ ، ومعه اثنان من أعيان التتار ، وهما دارقندى ــ وقيل فيه دقلندى ــ وملكشاه ، ومعهم ثلاثة وعشرون راحلة ، وأنه كتب إلى أخيه رُمَيْثَة يستأذنه فى دخول مكة . فمنعه إلا بعد إذن السلطان . فكتب السلطان إلى حُمَيْضَة : أنه إن حضر إلى الديار المصرية ــ على عَزْم الإقامة بها ــ قابله بالأمان ، وسامَحه بذنوبه السالفة . وأما الحجاز فلا يقيم به . وكتب إلى دَرْقَنْدِي ومَلِكْشَاه بالأمان / وأن يحضرا . ١٠٩ظ

وأخبر مَنْ وصل : أنهم لاقوا فى طريقهم شِدَّة من العراق إلى الحجاز ، وأن العُرْبَان نهبوهم ، فَنُهِبَ لدَرْقَنْدِى أموال جمة ، وأنه وصل على فرس واحد مسافة عشرين ليلة .

وقد حكى عن الأمير محمد بن عيسى أخى مهنا : أن الملك خَرْبَنْدا كان قد جَهَّز دقلندى المذكور فى جمع كثير مع عز الدين

حُمَيْضَة ــ قبل وفاته(١) ــ إلى الحجاز ؛ لنقل الشيخين أبى بكر وعمر ــ رضى الله عنهما ــ من جوار النبي ﷺ ، وأن الأمير محمداً المذكور جمع من العُرْبَان نحو أربعة آلاف فارس ، وقصد المقدم ذكره ، وقاتله ونهبه ، وكَسَبَ العسكرُ منهم أموالاً جمة عظيمة من الذهب والدراهم ، حتى إن فيهم جماعة حصل للواحد منهم نحو ألف دينار ، غير الدواب والسلاح وغير ذلك [وأخذوا الفئوس والمجارف التى كانوا قد هيَّئوها لِنَبْشِ الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما . وكان ذلك](٢) فى ذى الحجة سنة ست عشرة وسبعمائة .

ثم قال : ولما وردَ كتابُ الأمير أسد الدين رُمَيْثَة بما تقدم نَدَبَ السلطانُ إلى مكة ــ شرفها الله تعالى ــ الأميرَيْنِ سيفَ الدين أَيْتَمُش المحمدى وسيفَ الدين بَهَادُر السعدى(٣) أميرَ علم ، وأمرهما أن يستصحب كلُّ واحد منهما عشرة من عدّته ، وجرّدَ معهما من كل أمير [مائة](٤) جنديين ، ومن كل أمير

---

(١) أي قبل وفاة خربندا .

(٢) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٢٤٠/٤ .

(٣) فى الأصل ، والعقد الثمين ٢٤١/٤ « السعيدي » . والمثبت عن إتحاف الورى ١٥٧/٣ . وأمير علم : هو الذى يتولى شئون أعلام السلطان من رايات وسناجق وعصابات وغيرها . (صبح الأعشى ٨/٤ ، ٤٥٦/٥ ، ٤٥٨) .

(٤) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٢٤١/٤ . وأمير المائة هو الذى يملك مائة مملوك أو أكثر . وقد يكون مقدم ألف أى تحت قيادته ألف جندي أو أكثر . (صبح الأعشى ١٤/٤ ، وخطط المقريزى ٣٥٠/٣) .

طبلخانة[٥] جندياً واحداً ، وتوجّها إلى مكة لإحضار حُمَيْضَة ومن حضر من التتار ؛ فتوجَّهَا في يوم السبت سادس عشر ربيع الأول بمن معهما ، فوصلا إلى مكة ، وأرسلا إلى حُمَيْضَة فى معاودة الطاعة ، وأن يتوجّه معهما إلى الأبواب السلطانية ؛ فاعتذر أنه ليس معه من المال ما ينفقه على نفسه ومن معه فى سفره ، وطلب منهما ما يستعين به على ذلك . فأعطياه . فلما قبض المال تغيّب ، وعادا إلى القاهرة فوصلا في يوم الأحد السادس والعشرين من جمادى الآخرة من السنة ــ يعنى سنة سبع عشرة وسبعمائة ــ .

ثم قال فى أخبار سنة ثمانى عشرة وسبعمائة : وفى صفر من هذه السنة وَرَدت الأخبارُ من مكة ــ شرفها الله تعالى ــ أن الأمير عز الدين حُمَيْضَة بن أبى نُمَىّ ــ بعد عود الحاج من مكة ــ وَثَبَ على أخيه الأمير أسد الدين رُمَيْثَة بموافقة العبيد ، وأخرجه من مكة ؛ فتوجّه رُمَيْثَة إلى نَخْلَة ــ وهى التى كان بها حُمَيْضَة ــ واستولى حُمَيْضَة على مكة ــ شرفها الله تعالى ــ وقيل : إنه قطع الخطبة السلطانية ، وخطب لملك العراقين وهو أبو سعيد بن خَرْبَنْدَا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو . فلما اتصل ذلك بالسلطان أمر بتجريد جماعة من أقوياء العسكر ؛ فجرد الأمير صارم الدين الجَرْمَكِى ،

(٥) أمير طبلخانة : هو الأمير الذى يكون من حقه دق الطبلخانات أمام داره فى أوقات معينة ، أو أمامه فى المواكب الرسمية ، ويملك أربعين مملوكاً وقد يزيدون إلى ثمانين مملوكاً ، وهو فى المرتبة التالية لأمراء المئين مقدمى الألوف . (صبح الأعشى ٤/١٥) .

والأمير سيف الدين بَهَادُر الإبراهيمى ، وجماعة من الحلقة[١] وأجناد الأمراء ، من كل أمير مائةٍ فَارِسَيْن ، ومن كل أمير طَبْلَخَانَة جُنْدِيًّا . وأَمَرَ بالمسير إلى مكة ، وألَّا يعودوا إلى الديار المصرية حتى يَظْفَرُوا بحُمَيْضَة . فتوجهوا في العشر الأواخر من شهر ربيع الأول من هذه السنة . انتهى بلفظه .

وذكر : أنّ الإبراهيمي لما توجّه لمحاربة حُمَيْضَة والقبضِ عليه ركِبَ إليه وتقاربا من بعضهما بعض ، وباتا على ذلك ، ولم يقدر الإبراهيمى على مواجهة حُمَيْضَة [فاقتضى ذلك القبضَ على الإبراهيمى وعلى رُمَيْثَة ؛ لأنه نُسِبَ إلى مواطئة أخيه حُمَيْضَة][٢] / وأن الذى يفعله من التشعيث باتفاق رُمَيْثَة . وجُهِّزَ ١١٠و
إلى الديار المصرية . انتهى بالمعنى .

وهذه ولاية حُمَيْضَة الرابعة التى أشرنا إليها . ولم يزل حُمَيْضَة مُهَجَّجاً والطلب عليه ، وأهل مكة خائفون من شَرِّه .

وذكر اليافعى[٣] : أنه قصدَ مكة بجيش يريد أخذها ، وقتل

---

(١) أى من أجناد الحلقة : وهم عدد كبير من العسكر من غير المماليك ، وربما دخل فيهم من ليس من الجند كالمتعممين . ولكل أربعين منهم مقدم يحكم عليهم وقت خروج العسكر فقط ، وإقطاع مقدم الحلقة يبلغ ألفاً وخمسمائة دينار ، وإقطاع الجندي من الحلقة يبلغ مائتين وخمسين ديناراً . (صبح الأعشى ١٦/٤ ، ٢٢ ، وهوامش النجوم الزاهرة ٣٢٨/١٢ ، ٩/١٤ ، ٦٨ ، ودولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر — النظم السياسية ١٤٩ ، ١٥٠) .

(٢) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٢٤٢/٤ .

(٣) مرآة الجنان ٢٦٠/٤ .

جماعة من أهل مكة والمجاورين بها ؛ فخرج إليه أخوه عُطَيْفَة ــ وكان قد آستقرّ فى إمرة مكة بعد القبض على أخيه رُمَيْثَة ؛ لاتهامه بممالأة حُمَيْضَة ــ ومع عُطَيْفَة أخوه عَطَّاف وآخرُ من إخوته ، وعسكر ضعيف ؛ فنصرهم الله عليه وكَسَرُوه . ثم قُتِلَ بعد كسرته بأيّام . انتهى .

وقد ذكر [خبر](١) مقتل حُمَيْضَة صاحب نهاية الأرب ، وأفاد فى ذلك ما لم يفده غيره . وقد رأيت أن أذكر كلامه لذلك .

قال فى أخبار سنة عشرين وسبعمائة : كان السلطان لما كان بمكة ــ شرفها الله تعالى ــ سأله المجاورون بمكة ، ومن بها من التجار أن يُخَلِّفَ عسكراً يمنع عز الدين حُمَيْضَة بن أبى نُمَىّ إنْ هو قصد أهل مكة بسوء . فجرَّدَ ممن كان معه الأمير شمس الدين [آقْ](٢) سُنْقُر معه مائة فارس ، فأقام بمكة . فلما عاد السلطان إلى قلعة الجبل جرَّدَ الأمير بِيبَرْس الحاجب ــ وكان هو من الأمراء مقدمى الألوف ــ ببعض عدته ، وجرّد معه جماعةً من المماليك السلطانية ، وكان عدة من توجّه مائة فارس . وخرج من القاهرة فى يوم الأربعاء السادس من شهر ربيع الأول هذه السنة ، ووصل إلى مكة ــ شرفها الله تعالى ــ وأقام بها ، ومنع أهلها من حمل السلاح : السكين فما فوقها ، وبعث إلى الأمير عز الدين حُمَيْضَة

---

(١) إضافة عن العقد الثمين ٢٤٣/٤ .

(٢) إضافة عن السلوك للمقريزي ٢/١ : ٢٠٣ ، وإتحاف الورى ١٦٦/٣ .

ـــ وكان بقُرْب نخلة ـــ يستميله إلى الطاعة ، والتوجّه إلى الأبواب السلطانية . فسأل رَهِينَةً عنده من الأمير رُكْنِ الدين تكون عند أهله ويحضر ؛ فأجاب الأمير ركنُ الدين إلى ذلك ، وجَهَّزَ أحد أولاده وهو الأمير عَلِيّ ، وجهز معه هدية لحُمَيْضَة . ولم يبق إلا أن يتوجّه ، فأتاه فى ذلك اليوم رجلٌ من الأعراب ، وأخبره بقتل حُمَيْضَة . فأنكر وقوعَ ذلك ، وظنَّ ذلك مكيدةً لأمرٍ ما ، لكنه تَوَقَّفَ عن إرسال ولده حتى يتبيَّن له الحال . فلما كان فى مساء ذلك اليوم طُرِقَ بابُ المعلاة بمكة ففتح ، فإذا مملوك اسمه أَسَنْدَمُر ، وهو أحد المماليك الثلاثة الذين كانوا قد التحقوا بحُمَيْضَة من مماليك الأمراء كما تقدّم ـــ وهو راكب حِجْرَة(١) حُمَيْضَة التى تسمى جُمْعَة ، وكان السلطان قد طلبها من حُمَيْضَة فشحَّ بإرسالها ـــ وأخبر أنه قتل حُمَيْضَة : آغتاله وهو نائم ، وجرّد سيفه وإذا به أثَرُ الدم . وذلك فى جمادى الآخرة ـــ [يعنى](٢) من سنة عشرين وسبعمائة ـــ وأرسل الأميرُ رُكْن الدين ولديه ناصر الدين محمداً ، وشهاب الدين أحمد إلى الأبواب السلطانية بهذا الخبر . فوصلا إلى السلطان ؛ فأنعم عليهما . وجهَّزَ الأميرُ ركنُ الدين مَن توجّه لإحضار سَلَبِ حُمَيْضَة والمملوكين اللذين بقيا معه ، فأحضر السلبَ وأحد المملوكين / وقيل إن الثالث مات ، وهو مملوك الأمير ١١٠ظ

(١) الحجرة : أنثى الخيل . (المعجم الوسيط) .

(٢) إضافة عن العقد الثمين ٤/٢٤٤ .

سيف الدين بَكْتَمُر الساقى ، فألزم صاحب نخلة بإحضاره وتوعَّدَه إن تأخر ، فأحضره . واستقر الأمير رَكنُ الدين بمكة إلى أن عاد الجواب السلطانى يطلبه ؛ فتوجه من مكة ـ شرفها الله تعالى ـ فى مستهل شعبان ، وصحبته المماليك الثلاثة الذين كانوا قد هربوا . وكان وصوله إلى الأبواب السلطانية فى العشر الأول من شهر رمضان . فلما وصل شَمِلَهُ الإنعامُ والتشريفُ ، فأمر السلطان بقتل أسَنْدَمُر قاتِل حُمَيْضَة ؛ قَوَداً بِهِ ، فى شوّال من السنة . انتهى .

وقال صاحب « المقتفى » فى أخبار سنة عشرين وسبعمائة :
وفى هذه السنة قُتِلَ الأميرُ عز الدين حُمَيْضَة ابن الأمير الشريف أبى نُمَىّ صاحب مكة ، وكان قد خرج عن طاعة السلطان ، وولى السلطان بمكة أخاهُ سيف الدين عُطَيْفَة ، وبقى هو فى البرِّية ـ والطلب عليه ، وأهل مكة خائفون من شَرِّه ـ وكان شجاعاً قامعاً لأهل الفساد ، وكان فى السنة الماضية ـ سنة حج السلطان هَرَبَ من مماليكه ثلاثة ولجأوا إلى حُمَيْضَة ، ثم إنهم خافوا من دخوله فى الطاعة ، وأنه يرسلهم إلى حضرة السلطان ؛ فقتلوه ، وتوجهوا فى وادى بنى شُعْبَة[1] ، وحضروا إلى مكة ؛ فَقُيِّدَ الذى تولى القتل منهم ، وأرسل إلى الديار المصرية ، فاعتقل ثم قُتِلَ فى

---

(١) فى الأصل « شيبة » ، والمثبت عن العقد الثمين ٢٤٥/٤ . ولبني شعبة أودية كثيرة منها : وادي إدام ، ووادى السعدية ـ أسفل يلملم ـ ، ووادي الخضراء ، وديارهم تقع جنوب مكة على خمسين كيلاً ثم تمتد إلى الليث . (معجم قبائل الحجاز) .

شوال . انتهى .

وذكره الذهبي في ذيل سِيَر النبلاء ، فقال : كان فيه ظلم وعنف . ثم قال : وقُتِلَ كهلاً .

وذكر اليافعي فى تاريخه(١) : أنه رأى فى المنام ـــ قبيل قتل حُمَيْضَة ـــ كأن القمر في السماء قد احترق بالنار ، قال : وأظنه سقط إلى الأرض . انتهى . وهذه فرية .

وذكر اليافعى(٢) أنّ حُمَيْضَة كان يقول : لأبى خمس فضائل : الشجاعة ، والكرم ، والحلم ، والشعر ، والسعادة . فالشجاعة لعطيفة ، والكرم لأبي الغيث ، والحلم لرميثة ، والشعر لشميلة ، والسعادة لى ؛ حتى لو قصدت جبلاً لدهكته . انتهى .

وللأديب موفق الدين على بن محمد الحنديدى من قصيدة يمدح بها الشريف حُمَيْضَة بن أبي نُمَيّ . هذا أولها :

قَدَحَ الوجدُ فى فؤادِي زِنَادا
منع الجفنَ أنْ يَذُوقَ الرُّقَادَا
وفؤادُ الشَّجِيّ يوم ألال(٣)
ساقه سائق الظُّعُون وَقَادَا

(١) مرآة الجنان ٤/٢٥٩ .
(٢) مرآة الجنان ٤/٢٦٠ .
(٣) ألال : جبل رملي بعرفات ، يقوم عليه الإمام ، وقيل جبل عن يمين الإمام ، وقيل هو جبل عرفات نفسه . (معجم البلدان لياقوت) .

أَبْدَلَتْنِي[١] بالوصلِ هَجْراً وبالـزَّوْ
رَةِ صَدًّا وبالتدانِـــــي بِعَـــــادَا
وتَمَـــادَى بها الجفـــاءُ ومَـــا
كان لها فى الجَفَـا أَنْ تَمَـــادَى
يا معيدَ الحديث عُدْ فِيهِ عَنْهُـــم
ما أَلَـــذَّ الحديث عنهم مُعَـــادَا
هاتِ باللهِ يا مُحَـــــدِّثُ حَدِّث
بِجِيَـــادٍ جَادَ الغمـــامُ جِيَـــادَا
بلـــداً بالشريـــف شرفـــه اللـــ
ـهُ بقَاعـــاً شَيْحَانَـــةً وَوِهَـــادَا
مَلِكٌ مِنْ قَتَـــادَة مَلَكَ[٢] الأَرْ
ضَ نِصَالاً مشحوذةً[٣] وَصِعَـادَا /
١١١و إِنْ أَكُنْ فِي حُمَيْضَة زِدْت فى المد
ح فَقَـــدْ زَادَ فِي نَوَالِـــي وَزَادَا
رجلٌ سَالَـمَ المُسَالِـمَ فى اللـــ
ـه ولله فى المُعَادِيـــــنَ عَادَى

(١) كذا فى الأصل . وفى العقد الثمين ٤/٢٤٦ « بدلنى » . وفى سمط النجوم العوالى ٤/٢٣٢ « بدليني » .

(٢) كذا فى الأصل ، والعقد الثمين ٤/٢٤٦ ، ولعلها « ملأ » .

(٣) فى المتن « محشودة » . والمثبت عن تصويب ورد فى هامش اللوحة .

عَادَ أَبْـدَا أَوْلَى فَوَالَـــى تَعَالَـــى
عَزّ أَعْطى سَطَـــا أَفَـــادَ أَبَـــادَا
جَادَ أَغْنَـى عَلَا سَمَـا جَلَّ جَلَّـى
ظُلَـمَ الظُّلْـــمِ عَدْلـــهُ شَادَ سَادَا
حَسَنُ الصَّمْتِ لَيْسَ يَحْسُنُ أَنْ تَسْـ
ـمَـــعَ إلَّا فِي مِثْلِـــهِ الإِنْشَادَا
ابـن بنتِ النبيِّ لم يَجْعَـــلِ اللـــ
ـه سِوَاكُـــــمْ لأرضِهِ أَوْتَـــادَا

ومنها :

يا رِكاب الآمالِ وَيْـحَكِ بالنُّجْـــــ
ـحِ بحِصْـنِ الجَدِيـدِ أُمِّي نِجَـادَا
يَا جَوَاداً مَا زُرْتُ مَغْنَـــــاهُ إلَّا
أُبْتُ مِنْ عِنْــدِهِ أَقُـــودُ جَوَادَا
[كُلُّ شِعْـرٍ أَتَاكُـمُ غَيْـرَ شِعْـرِي
يَا أَبَا زَيْد لَيْسَ يَسْوِى المِدَادَا][(١)]

وله فيه أيضاً :

إنّ الفَرِيـــقَ النَّازِلِيـــنَ فِي مِنَـــى
غَايَـةُ سُولِ القَـلْبِ مِنِّي وَٱلْمُنَـــا

(١) سقط في الأصل ، والمثبت عن سمط النجوم العوالى ٢٣٢/٤ ، والعقد الثمين ٢٤٧/٤ .

هُمْ أَوْقَفُوا جَفْنِى عَلَى سَبَلِ البُكَا
فَصِرْتُ بِالْأَرْبُعِ أَبْكِى الدِّمَنَا

ومنها :

وَمُخَشَّفٍ طاف فَطُفْنَا حَوْلَهُ
نَدْعُو إِذَا يَدْعُو ونَعْنو إِذْ عَنَا
جَنَى عَلَيْنَا طَرْفُهُ لَكِنَّنَا
لَا نَسْتَطِيعُ أَخْذَه إِذَا جَنَى(١)
رَضِيتُهُ فَلْيَقْضِ مَا شَاءَ وَلَوْ
لَمْ يَقْضِ بالعَدْلِ عَلَيْنَا وَلَنَا
وَسَائِلٍ بالخَيْفِ مَنْ طُلَّ لَهُ
مِنَ المُحِبِّينَ دَمٌ قُلْتُ أَنَا
يَا حَسَنَ النَّاظِرِ إِنَّ نَاظِرِى
لَمْ يَرَ مِنْ بَعْدِك شَيْئًا حَسَنَا

ومنها :

إِنّ الحجازَ لستُ أَرْضَى غَيْرَهُ
أَرْضاً وَلَا أَبْغِى سِوَاهُ مَسْكَنَا
وَمِنْ بَنِى النَّجْمِ نُمَىٌّ أَنْجُمٌ
طَبَّقَتِ الأرضَ سَنَاءً وَسَنَا
وَسَادَةٌ يُفْنُونَ أَمْوَالَ العِدَا
بَعْدَ النُّفُوسِ بِالْمَواضِى وَالْقَنَا

(١) كذا فى الأصل ، وفى المرجع السابق « بماجنا » .

أَهْلُ المَسَاعِـي والصَّفَاء وَزَمْزَمٍ
والمَشْعَرَيْنِ وَٱلْمُصَلَّــى وَمِنَــى
إنَّ العطايـــا مِنْ يَدَىْ حُمَـــيْضَةَ
أَعْطَيْنَ بَعْدَ الفَقْرِ مِنْ كَفِّي ٱلْغِنَى
خَلِيفَـــةٌ لَا يُخْلِـفُ الوَعْــدَ وَلَا
يَضِنُّ عَنْ سَائِلِـــهِ بِمَـــا ٱقْتَنَـــى
إِمَـــامُ حَقٍّ جَدَّ فِي اللهِ فَمَـــــا
فِي اللهِ مُذْ جَدَّ وَهَـــى وَلَا وَنَـــى
عَارٍ مِنَ العَـــارِ عَلَيْـــهِ حُلَّـــــةٌ
مَرْقُومَـــةٌ أَثْنَاؤُهَـــا مِنَ الثَّنَـــــا
أَخَـافَ فِي اللهِ تَعَالَـى مَنْ بَغَـــى
وَأَمَّـنَ الخائِـــفَ حَتَّـــى أَمِنَـــا /
أَحْسَنُ أَبْنَـــا حَسَنٍ سَجِيَّـــــةً
أَيْقَظُهُـــمْ عَيْنـــاً وَأَوْعَـــى أُذُنَـــا ١١١ظ
هُوَ ابـنُ مَنْ أَسْرَى بِهِ اللهُ وَمَـــنْ
مِنْ قَابَ قَوْسَيْـنِ تَدَلَّـــى وَدَنَـــا
وابـنُ الـــذى ٱلْـــلَّاتُ بِهِ آلَتْ إلى
شَرِّ مآلٍ ولِعُـــزَّى أَوْهَنَــــا
يا ابـنَ أَبِـــي العِـــزِّ إذَا تَبَسَّمَتْ
بِيضُكَ أَبْكَيْـنَ العِـــدَا والبُدْنَـــا
إذَا سَأَلْتُ المَكْرُمَـــاتِ مِنْكُـــمُ
سَالَتْ عَلَيْنَا مِنْ هُنَـا وَمِنْ هُنَـــا

يَا عَارِضَ الجودِ الذِى شِمْتُ سَنَـا
بَارِقِـــهِ اسْقِ رُبُوعِـــي مُزنَـــا
لا زِلْتَ فِى كُلِّ أَوَانٍ مُمْطِـــــراً
عَلَـى جَمِيـعِ الخَلْـقِ غَيْثاً هَيِّنَـا

ولـلأديب عفيـف الديـن عبـد الله بن على بن جعفـر(١) فيـه ـــ مدحاً ـــ قصيدةٌ أولها :

أَبْقَى لِيَ الشوقُ دَمْعاً مِنْ تَذَكُّرِكُـمْ
مِثْـلَ الصَّبِيـرِ وقَلْبـا غَيْـرَ صَبَّـــارِ
فيـا أَخِـلَّاىَ هَلْ تَجْـزُون ذَاوَلَـــهٍ
وَجْـداً بوَجْـدٍ وتِذْكَـــاراً بِتِذْكَـــارِ
وَقَـدْ يَهِيـجُ صُبَابَـاتِ الفُـؤَادِ لَكُـمْ
سَجَعُ الحمامِ وَوَمْضُ البارِقِ السَّارِى
مَا زَال دَمْعِيَ يُبْـدِى مَا أُكَتِّمُـــــه
حتـى تَشَابَـهَ إعْلَانِـــــى وإسْرَارِى
لَا تَحْسَبُونِـىَ أُنْسِيتُ المَوَاثِـقَ بَلْ
حَفِظْتُهَا حِفْـظَ عِزِّ الديـنِ لِلْجَـارِ
حُمَيْضَـةَ الحَسَنِىُّ النَّدْبُ خَيْرُ فَتىً
كَاسٍ مِنَ الحَمْدِ بَلْ عَارٍ مِنَ العَارِ

(١) وهـو شاعـر يمانى ، مدح ملـوك اليمن وغيرهـم . وتـوفى سنـة ٧١٣ هـ وانظـر ترجمته فى العقود اللؤلؤية ٤٠٩/١ ، والأعلام للزركلى ٢٤٣/٤ .

سُلَالَــةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ أَنْجَبَــهُ
زَاكٍ وَمُخْتَـارُ أصلٍ وابـن مُخْتَـارِ
مِنْ آدَمٍ بِنَبِــــيِّ اللهِ متَّصِلاً
أَصْلاً بِأَصْلٍ وأَثْمَـاراً بأَثْمَـارِ
مَا مَنْ تَسَمَّـى عَلِيًّـا كالـوَصِيِّ وَلَا
مَا كُلُّ جَعْفَـرَ فِي الدُّنْيَـا بِطَيَّـارِ
فَلَا خَلَا الدَّهْـرُ مِنْ مَلكٍ مِنَاقِبُـهُ
وشَخْصُهُ مِلْءُ أُسْمَـاعٍ وأبْصَارِ(١)
فَمَـا رَأَى وَجْهَـهُ الميمـونَ ذُو أَمَـلٍ
إلَّا تَبَــــدَّل إيسَاراً بإِعْسَارِ
قَلَّدتَنِي وَأَخُـوكَ النَّـدْبُ قَلَّدَنِـي
مَا لَيْسَ مَعْرُوفُهُ يُلْقَـى بإِنْكَـارِ
يَا كَعْبَتَـانِ أَمَـام الكَعْبَـةِ آعْتَمَـرَا
لَقَـدْ تَمَسَّكْتُ مِنْ كُلٍّ بأَسْتَـارِ
لَا زَالَ سَوْحُكُمَا العَارِي كَسَاحَتِهَا
نِعْـمَ المآبُ لِحُجَّـاجٍ وَزُوَّارِ

انتهى كلام الفاسي .

قال الوالد(٢) : قال الشريـف أحمد بن علي بن الحسين بن

(١) فى الأصل « وشخصه مثـل ذى سمع وإبصار » ، والمثبت عن العقـد الثمين ٢٤٩/٤ .

(٢) لم ترد مقولة نجم الدين بن فهد المنسوبة للشريف أحمد بن على بن الحسين في مؤلفه « عمـدة الطـالب في نسب آل أبى طالب » فى كتـاب بغيـة المرام ، اللوحـات من ٨٧ ـــ ٩٢ ولا كذلك فى إتحاف الورى ١٥٥/٣ ـــ ١٧٠ .

عقبـة الحسينـي فى كتابـه « عمـدة الطـالب فى نسب آل أبي طالب » : وأما حُمَيْضَة بن أبى نُمَيّ ، ويكنى أبا شقراء ، فكان شجاعاً شديد / الأيد ، قاسِيَ القلب ، قتَلَ أخـاه أبـا الغـيث عَلَى ١١٢و الإمْـرَة . ولما هَربَ من مصر وَرَدَ العـراق ، وأخـوه عَضُدُ الديـن إذ ذاك بها .

قال لى والدى رحمه الله : كنتُ أهـابُ صورتـه وأنـا صَبِيّ ، وأهرب منـه إذا رأيتـه ، وكان رُبَّمـا مَازَحَنِـي بأن يستدعينـي إليـه أو يأمر من يدنينى منـه ؛ فيدخـل علـيَّ من ذلك خوفٌ عظيم ؛ لأنـه كان أسود شديد السواد ، ضخماً من الرجال ، أحول الـعين ، وربما خَاصَمَها تكبراً .

ثم إن حُمَيْضَة توجّه إلى السلطان أُولْجَايْتُو[١] فأكرمه إكرامـاً عظيماً ، وسَوَّغَهُ ملكاً جليلاً ، واستدعى حُمَيْضَةُ من السلطـان أنْ يُرْسِلَ معـه عسكـراً ، ويعهـد له بأخـذ بلاد الشام ومِصْرَ ، وأراد السلطـانُ اختبـاره لما كان يستعظـم من أخبـاره ؛ فأمـر ذات يوم أن يُحمى طَبَـقٌ من الـذهب غايـة ما يُمْكِـن ، ثم يُجْعَـل فيـه شيءٌ من اللحم حارٌ ، ويقدّم على السمـاط[٢] ، ففعـل ذلك ، فلمـا قُدِّمَ بين يدي السلطـان رفعـه بكفَيْـهِ وأومـأ به إلى السيـد حُمَـيْضَة ، فبسط

---

(١) أولجايتو : هو محمد « خربندا أو خدابندا » أو لجايتـو بن أرغـون بن أبغـا بن هولاكو بن تولى بن جنكيزخان . درر الفوائد ٤٦٧ .

(٢) فى الأصل « السمط » ، والسماط : ما يمد ليجعل عليه الطعام . (المعجم الوسيط) .

السيد كَفَّيْه ، فوضع السلطان(١) ذلك الطبق على كَفَّيْهِ ، فلم يتغير السيد عن حاله وتَرَك الطبق على يده إلى أن برد ــ والسلطانُ ومن حضر ينظرون إليه ويتعجبون منه ــ فلما برد الطبق أومأ به إلى زيد أخيه ــ وكان جالساً إلى جنبه ــ فأخذه عن يده وقد تقشرت جلدة كَفِّه .

فأرسل السلطانُ معه عسكراً عليهم الأمير طالب الدلقندي الحسيني ، فسار بهم حتى إذا بلغ ظاهر القَطِيف وصلَ الخبرُ بموت السلطان أُوْلَجَايْتُو .

وأرسل الوزير رَشِيدُ الدولة (٢) إلى وجوه ذلك العسكر ، وأمرهم بالشغب على الأمير طالب ؛ لعداوة كانت بينهما .

وأرسل الملك الناصر محمد بن قلاوون حاكم مصر أعراب طيّيء وغيرهم ووعدهم ومَنَّاهم ، فساروا فى جمع عظيم وشغَّبُوا الأعراب الذين ضمهم السيد حُمَيْضَة إليه عليه ؛ فآل الأمر إلى أن هرب عسكر السلطان عنه ، ولم يثبت معه غير الأمير طالب فى نفرٍ من خواصه ، وصال الأعراب الذين كانوا له عليه ؛ فقاتل السيد حُمَيْضَة قتالاً شديداً لم يسمع بمثله ، واستخلص شيئاً كثيراً من الأموال التى حملت معهم ، وكان كلما أخرج شيئاً من المعركة

---

(١) فى الأصل « السيد » ، والمثبت يقتضيه السياق .

(٢) هو رشيد الدين ، أو رشيد الدولة فضل الله بن أبي الخير بن أبي غالى الهمذانى ، المتوفى سنة ٧١٨ هـ . (البداية والنهاية ٧٨/١٤ ، والدرر الكامنة ٣١٤/٣ ، ومعجم المؤلفين ٧٤/٨) .

أَوْصَلَهُ إلى المأمن ،وسلَّمهُ إلى بعض ثقاته ليذهب به ، ثم يرجع فيقاتل على شيء آخر حتى يستخلصه . ثم ذهب سالماً وفاز بالأموال .

حَكى لى عن الأمير طالب جماعةٌ من الثقات : أنهم سمعوه غير مرة يقول : ما زلتُ أسمع بجملات أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه حتى شاهدتها من السيّد حُمَيْضَة عَيَاناً .

ولما تفرقت العساكر عن السيد حُمَيْضَة ذهبَ حتى أقام بأطرافِ نَجْد ، والْتَفَّتْ إليه جماعة من غلمانه وخواصه ، وأخذ يُغيرُ على أطراف الحجاز ، ويتعرض لقوافل مصر والشام . فتلطَّفَ له الملك الناصر بإرسال رجلين من الملاحدة الفُتَّاك . فلما أتياه قالا له : إنا من جُمْلَة غلمان الملك الناصر ، غَضِبَ علينا فى أمْرٍ ،
وأرادَ قَتْلَنا ؛ فهربنا إليك / وقد وجب ذمامنا عليك ، وأقاما عنده ١١٢ظ
ستة أشهر لم يَجِدَا مَجَالاً ، ثم إنهما فتكا به وهو قائل وقت الهجير ، وهَرَبَا إلى مصر .

وكان لحُمَيْضَة بنت خَرَجَت إلى حازم بن شميلة بن أبى نُمَىّ ، فولدت له محمد بن حازم . انتهى كلام ابن عقبة .

* * *

١٨٠ ــ رُمَيْثَة بن أبى نُمَىّ محمد بن أبى سعد حسن بن على بن قتادة بن إدريس مُطَاعِن الحسنى المكى .

قال الفاسي[١] : أمير مكة . يكنى أبا عرادة ، ويلقب أسد الدين .

ولي إمرة مكة ــ فيما علمت ــ ثلاثين سنة ، وأزيد فى غالب الظن كما سيأتي ، فى سبع مَرَّات ، مستقلاً بذلك أربع عشرة سنة ونصفاً وأزيد ، وشريكاً لأخيه حُمَيْضَة فى مَرَّتَيْن منها ، مجموعها نحو عشر سنين ، كما سبق فى ترجمة حُمَيْضَة ، وشريكاً لأخيه عُطَيْفَة خمس سنين وأزيد ، فى غالب الظن .

وسنوضح ذلك كله مع شيء من خبره : وذلك أني وجدت بخط قاضي مكة نجم الدين الطبرى : أن أباه أبا نُمَيّ لزمه بمشورة بعض أولاده فى يوم الجمعة رابع عشر المحرم من سنة إحدى وسبعمائة ، [وأنه وأخاه حُمَيْضَة قاما بالأمر بعده ، وكان دُعِيَ لهما على قبة زمزم يوم الجمعة ثانى صفر سنة إحدى وسبعمائة][٢] قبل موت أبيهما بيومين . انتهى .

وكان من أمر رُمَيْثَة أنه استمر فى الإمرة شريكاً لأخيه حُمَيْضَة حتى قبض عليهما فى موسم هذه السنة ، وهذه ولايته الأولى ؛ وسبب القَبْضِ عليهما : أن أخويهما عطيفة وأبا الغيث حضرا إلى الأمراء الذين حَجُّوا فى هذه السنة ــ وكان كبيرهم بِيبَرْس الجَاشْنَكِير ، الذى صار سلطاناً بعد الملك الناصر محمد بن

---

(١) العقد الثمين ٤/٤٠٣ برقم ١١٩٦ .

(٢) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٤/٤٠٤ .

قلاوون ، لما تَوَجَّه إلى الكَرَكِ فى سنة ثمان وسبعمائة — وشكيا إلى الأمراء من أخويهما حُمَيْضَة ورُمَيْثَة ؛ لأنهما كانا اعتقلا أبا الغيث وعُطَيْفَة ، ثم هربا من اعتقالهما وحضرا عند الأمراء كما ذكرنا — فاقتضى رأىُ الأمراء القبضَ على حُمَيْضَة ورُمَيْثَة تأديباً لهما ، وحملا إلى القاهرة ، واستقر عوضهما فى الإمرة بمكة أبو الغيث وعُطَيْفَة .

هكذا ذكر ما ذكرناه من سبب القبض على حُمَيْضَة ورُمَيْثَة وتولية أبى الغيث وعُطَيْفَة فى هذا التاريخ صاحبُ نهاية الأرب[١] ، وإلا فالأمير بِيبَرْس الدوادار فى تاريخه ، وهو الغالب على ظنى .

وذكر ذلك صاحب « بهجة الزمن فى تاريخ اليمن »[٢] إلا أنه خالف فى بعض ذلك ؛ لأنه قال فى ترجمة أبى نُمَىّ : واختلف القُوَّاد والأشراف بعد موته على أولاده ، فطائفة مالت إلى رُمَيْثَة وحُمَيْضَة على أخويهما ، فلزماهما وأقاما فى حبسهما مدة ، ثم احتالا فخرجا وركبا إلى بعض الأشراف والقُوَّاد ؛ فمنعوا منهما . ولما وَصَلَ الحاجُّ المصرى تلقاهم أبو الغيث ؛ فمالوا إليه . ولما انفصل الموسمُ لَزِمَ الأميرُ ركنُ الدين بِيبَرْس الجَاشْنَكِير حُمَيْضَة ورُمَيْثَة ، وسار بهما إلى مصر مُقَيَّدَيْن ، وأَمَّر بمكة أبا الغيث ، ومحمد بن إدريس ، وحَلَّفَهُمَا لصاحب مصر . انتهى .

وكان من خبر رُمَيْثَة : أنه وأخاه حُمَيْضَة وَلِيَا إمْرَةَ مكة فى

(١) أشار فؤاد سيد فى تحقيقه للعقد الثمين ٤/٤٠٤ إلى أن ما ذكره المؤلف موجود في نهاية الأرب جـ٣٠ لوحة ٢ .

(٢) وكذا ذكره صاحب العقود اللؤلؤية ١/٣٣٦ .

سنة أربع وسبعمائة . وهذه ولايته الثانية التي شارك فيها أخاه حُمَيْضَة ، ودامت / ولايتهما لمكة إلى زمن الموسم من سنة ثلاث ١١٣و عشرة وسبعمائة . وما ذكرناه من ولايته لإمرة مكة مع أخيه حُمَيْضَة فى هذا التاريخ ذكره صاحب « بَهْجَة الزمن » (١) وأفاد فى ذلك ما لم يفده غيرُه ، مع شيء من خبرهما ؛ ولذلك رأيت أن أذكره .

قال فى أخبار سنة أربع وسبعمائة : وحج من مِصْرَ خَلْقٌ كثير ، وفى جملتهم الأمير رُكْن الدين بِيبَرْس الجَاشْنكِير فى أمراء كثيرين ، ووصلَ معهم الشريفان رُمَيْثَة وحُمَيْضَة ولدا أبى نُمَىّ المقدما الذكر فى القبض عليهما . فلما انقضى الحجُّ أحضر الأميرُ ركنُ الدين أبا الغيث وعُطَيْفَة ، وأعلمهما أن ملك مصر قد أعاد أَخَوَيْهما إلى ولايتهما ، فلم يقابلا بالسمع والطاعة ، وحصلت منهم المنافرة . ثم قال : واستمر حُمَيْضَة ورُمَيْثَة فى الإمرة يظهران حُسْنَ السيرة وجميلَ السياسة ، وأبطلا شيئاً من المكوس فى السنة المذكورة والتى بعدها (٢) . انتهى .

ووجدت فى بعض التواريخ : ما يقتضى أن رُمَيْثَة وحُمَيْضَة وَلِيَا مكة فى سنة ثلاث وسبعمائة ، وهذا يخالف ما ذكره صاحب « بهجة الزمن » وما سبق قبله . والله أعلم .

---

(٢) وكذا ذكره صاحب العقود اللؤلؤية ١/٣٦٢ .

(١) كذا فى الأصل . وفى العقد الثمين ٤/٤٠٦ « والتي قبلها » .

وذكر صاحب « بهجة الزمن »[١] فى أخبار سنة ثمان وسبعمائة : أنه ظهر منهما من العسف ما لا يمكن شرحه .

وذكر : أن فى سنة عشر وسبعمائة حج من الديار المصرية عسكر قوى ـــ فيه من الأمراء الطبلخانات ـــ يريدون لَزْمَ الشريفين حُمَيْضَة ورُمَيْثَة . فلما علما بذلك نفرا من مكة ، ولم يحصل العسكر على قبضهما . فلما توجّه العسكرُ إلى الديار المصرية عادا إلى مكة ـــ شرفها الله تعالى ـــ[٢] .

وقال فى أخبار سنة اثنتى عشرة وسبعمائة : وفعل فيها حُمَيْضَة ورُمَيْثَة ما لا ينبغى من نهب التجار ؛ لأنهما خافا أن يَقْبِضَ عليهما الملكُ الناصر فعدلا عن مكة ، وعادا إليها بعد ذهاب الملك الناصر . وذلك أنه حج فى هذه السنة فى مائة[٣] فارس ، وستة آلاف مملوك على الهجن .

وقال فى أخبار سنة ثلاث عشرة وسبعمائة : وفى السنة المذكورة وصل الشريفُ أبو الغيث بن أبى نُمَىّ من الديار المصرية

---

(١) فى الأصل « البهجة » ، والمثبت عن المرجع السابق . وانظر العقود اللؤلؤية ٣٨٤/١ .

(٢) وانظر العقود اللؤلؤية ٣٩٤/١ .

(٣) كذا فى الأصل . والعقد الثمين ٤٠٦/٤ ، والعقود اللؤلؤية ٤٠٢/١ ، وإتحاف الورى ١٤٩/٣ . وسبق فى أخبار حميضة ص ٥٦ من هذا الجزء أنه حج فى ألف فارس . وفى السلوك للمقريزى ١/٢ : ١١٩ « توجه إلى الحجاز فى أربعين أميراً » . وفى درر الفرائد ٦٧٥ « فى نحو أربعين أميراً ، وستة آلاف مملوك ، ومائة فارس » .

إلى مكة المشرفة ، ومعه عسكرٌ جَرَّار ، فيهم من المماليك الأتراك ثلاثمائة وعشرون فارساً ، وخمسمائة فارس من أشراف المدينة ، خارجاً عما يتبع هؤلاء من المتخطفة والحرامية . ولما علم حُمَيْضَة ورُمَيْثة بأمرهم هربوا إلى صوب حَلْي(١) ابن يعقوب ، واستولى أبو الغيث على مكة(٢) .

وقال فى أخبار سنة أربع عشرة وسبعمائة : ففى المحرم سار أبو الغيث وطَقْصُبَا إلى صَوْب حَلْي ابن يعقوب لطلب حُمَيْضَة ورُمَيْثَة وسَارَا قَدْرَ مَرْحَلَتَيْن ، ولم يجدا خبراً عن الشريفين المذكورين ؛ لأنهما لحقا ببلاد السَّرَّاة ، ووصلا إلى حلي ابن يعقوب ، ولم يدخلها طَقْصُبَا ، وقال : هذه أوائل بلاد السلطان الملك المؤيد ، ولا ندخلها إلا بمرسوم السلطان الملك الناصر . فعاد على عقبه(٣) . انتهى .

وولي رُمَيْثَة مكة فى سنة خمس عشرة وسبعمائة . وهذه ولايته الثالثة ، ودامت ولايته عليها إلى انقضاء الحج من سنة سَبْع عشرة وسبعمائة ، أو إلى أوائل سنة ثمان عشرة واستقل بإمرة مكة فيها .

قال صاحب نهاية الأرب ، فى أخبار سنة خمس عشرة : وفى هذه السنة / فى ثالث جمادى الآخرة وصل السيد الشريف ١١٣ظ

(١) حلي ابن يعقوب : مدينة ساحلية بينها وبين مكة ثمانية أيام . (ياقوت . معجم البلدان) .

(٢) وانظر العقود اللؤلؤية ١/٤٠٧ .

(٣) المرجع السابق ١/٤١٠ .

أسد الدين أبو عَرَادَة رُمَيْثَة بن أبي نُمَيّ من الحجاز إلى الأبواب السلطانية ، وأظهر التوبة والتنصُّل والاعتذار بسالف ذنوبه ، وأنهى أنه استأنف الطاعة ، وسأل العفوَ عنه ، وإنجاده على أخيه عز الدين حُمَيْضَة ؛ فقبل السلطان عُذْرَه وعفا عن ذنبه ، وجرد طائفة من العسكر مقدمهم الأمير نجم[(١)] الدين دَمُرْخَان بن قَرَمَان ، والأمير سيف الدين طَيْدَمُر الجَمَدَار ، فتوجها هما والأمير أسد الدين إلى الحجاز الشريف في ثاني شعبان ، ورحلوا من بركة الحاج في رابعه . فلما وصلوا إلى مكة ــ شرفها الله تعالى ــ كان بها حُمَيْضَة ، فقصدوه وكَبَسُوا أصحابه وهم على غِرَّةٍ فقتلوا وسبوا ونهبوا ، وفَرّ هو في نفر يسير من أصحابه إلى العراق ، والتحق بخَرْبَنْدَا ملك التتار ، واستنصر به ، فمات خَرْبَنْدَا قبل إعانته . انتهى .

وفي هذا ما يوهم أن رميثة والعسكر الذي كان معه واقعوا حُمَيْضَة بمكة . وليس كذلك ؛ لأنهم لم يواقعوه إلا بالخلف والخليف ؛ لهروبه منهم إليه مستجيراً بصاحبه ، كما ذكر البرزالي في تاريخه ، وقد تقدم ذلك في ترجمة حُمَيْضَة .

وذكر صاحب نهاية الأرب : ما يقتضي أن ولاية رُمَيْثَة بمكة زالت بعد انقضاء الحج من سنة سبع عشرة ، أو في أوّل سنة ثمان عشرة ؛ لأنه قال في أخبار سنة ثمان عشرة وسبعمائة : وفي صفر من

---

(١) في الأصل « أسد الدين » . وفي العقد الثمين ٤/٤٠٨ « سيف الدين » . والمثبت عن السلوك للمقريزي ٢/١ : ١٤٥ ، والدرر الكامنة ٢/١٩٢ برقم ١٦٩٨ .

هذه السنة وردت الأخبارُ من مكة ــ شرفها الله تعالى ــ أن الأمير عز الدين حُمَيْضَة بن أبى نُمَىّ ، بعد عود الحاج من مكة ، وثب على أخيه الأمير أسد الدين رُمَيْثَة ــ بموافقة العبيد ــ وأخرجه من مكة ؛ فتوجّه رُمَيْثَة إلى نخلة ــ وهى التى كان حُمَيْضَة [بها][1] ــ واستولى حُمَيْضَة على مَكة ــ شرفها الله تعالى ــ وقيل إنه قطع الخطبة السلطانية ، وخطب لملك العراقين ، وهو أبو سعيدٍ بن خَرْبَنْدَا بن أرغون بن أبغا بن هُولَاكُو .

وذكر تجريدَ صاحب مصر فى سنة ثمان عشرة للعسكر الذى تقدّم ذكره فى ترجمة حُمَيْضَة ، لإحضاره ، وذكر أيضاً ما يقتضى أن رُمَيْثَة كان أميراً [على][1] مكة فى سنة ثمان عشرة . وهذه ولايته الرابعة التى استقل فيها ؛ لأنه قال فى أخبار سنة تسع عشرة : وفى يوم الخميس السابع من المحرم وصلَ الأمير شمس الدين آق سُنْقُر الناصرى ، أحد الأمراء ، من الحجاز الشريف إلى قلعة الجبل ، ووردت الأخبارُ معه أنه قبضَ على الأمير أسد الدين رُمَيْثَة أمير الحجاز الشريف ، وعلى الأمير سيف الدين بَهَادُر الإبراهيمى أحد الأمراء ، وهو الذى كان قد جُرِّدَ بسبب الأمير عز الدين حُمَيْضَة .

والذى ظهر لنا فى سبب القبض عليهما أن رُمَيْثَة نُسِبَ إلى مباطنة أخيه حُمَيْضَة ، وأن الذى يفعله من التشعيث بمباطنة رُمَيْثَة ، وأن الأمير لما توجّه لمحاربة حُمَيْضَة ، والقبضِ عليه ركب إليه

---

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٤/٤٠٩ .

وتقاربا من بعضهما بعضاً ، وباتا على ذلك ، ولم يقدم الإبراهيمى على مهاجمته والقبض عليه ؛ فاقتضى ذلك سجنه . واتصل بالسلطان أيضاً أن الإبراهيمى ارتكب فواحش عظيمة بمكة — شرفها الله تعالى — / فرسم بالقبض عليهما ، ووصل الأمير ١١٤و أسد الدين رُمَيْثَة ، ورسم عليه بالأبواب السلطانية أيَّاماً ، ثم حصلت الشفاعة فيه ؛ فرفع عنه الترسيم ، وأقام يتردد إلى الخدمة السلطانية مع الأمراء إلى أثناء ربيع الآخر من السنة . فحضر إلى الخدمة فى يوم الاثنين رابع عشره ، ثم ركب فى عشية النهار على هجْنٍ أُعِدَّت له، وهرَب نحو الحجاز ؛ فعلم السلطانُ بذلك [فى](١) يوم الثلاثاء ، فجرَّدَ خلفه جماعةً من عُرْبَان العايد ، فتوجهوا خلفه ، وتَوَجَّهَ الأميران المبدأ بذكرهما(٢) ، ومن معهما من العربان ، فوصلوا إلى منزلة حَقِل — وهى بقرب أيلة مما يلى الحجاز — فأدركوه فى المنزلة فقبضوا عليه ، وأعادوه إلى الباب السلطاني . وكان وصولهم فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من الشهر ، فرسم السلطان باعتقاله فى الجُبّ . فاعتقل ، واستمر فى الاعتقال إلى يوم الخميس الثانى من صفر سنة عشرين وسبعمائة ،

---

(١) إضافة على الأصل .

(٢) كذا فى الأصل ، والعقد الثمين ٤/٤١٠ . والذى فى السلوك للمقريزى ١/٢ : ١٩٣ ، ١٩٤ « أن السلطان بعث فى طلبه الأمير قطلو بك المغربى ، والأمير آقبغا آص الجاشنكير على الهجن السلطانية ، فى ليلة الخميس سابع عشره ؛ فقبضا عليه بمنزلة حقل ، فى يوم الاثنين حادى عشريه ، وقدم به فى خامس عشريه ، فسجن فى الجب من القلعة » .

فرسم بالإفراج عنه . انتهى .

وذكر البرزالى ما يوافق ما ذكره النويرى فى « نهاية الأرب » فى القبض على رُمَيْثَة بمكة ، وذكر أن ذلك فى يوم الثلاثاء رابع عشر ذي الحجة بعد انقضاء أيام التشريق ، وحُمِلَ إلى مصر تحت الاحتفاظ . فلما وصل أكرمه السلطانُ ، وأجرى عليه فى كل شهر ألف درهم ؛ فبقي يجرى ذلك عليه نحو(١) أربعة أشهر ، وهرب من القاهرة إلى الحجاز ، وعلم السلطانُ بهروبه(٢) فى اليوم الثالث(٣) ؛ فكتب إلى شيخ آل حرب يقول : هذا هرَب على بِلَادِك ، معتمداً عليك ، ولا أعرفه إلّا منك . فركب شيخُ آل حرب بالهجن السَّبَق ، وسار خلفه مُجِدًّا ؛فأدركه نائماً تحت عقبة أيلة ، فجلس عند رأسه وقال : اجلس يا أسود الوجه . فانتبه رُمَيْثَة وقال : صدَقْتَ ، والله لو لم أكن أسود الوجه لما نمت هذه النَّوْمَة المشئومة حتى أدركتنى ، فقبض عليه وحمله إلى قبضة السلطان ، فألقاه فى السجن وضيِّق عليه .فقيل له :إنه وَجِعٌ يَرْمِي الدّم . وكان قبض عليه شيخ آل حرب فى شهر جمادى الأولى سنة تسع عشرة وسبعمائة . انتهى .

وإنما ذكرنا ما ذكره البرزالى ؛ لأنه يُخَالِف ما ذكره النُّوَيْرِىّ فى أمرين :

---

(١) فى الأصل « حول » ، والمثبت عن العقد الثمين ٤/٤١٠ .

(٢) فى الأصل ، والمرجع السابق « بهزيمته » ، والمثبت يقتضيه السياق .

(٣) كذا فى الأصل . وفي المرجع السابق « اليوم الثانى » .

أحدهما : فى تاريخ القبض على رُمَيْثَة ؛ لأنه على ما ذكره البرزالي كان فى جمادى الأولى ، وعلى ما ذكره النويرى كان فى ربيع الآخر .

والآخر : أن ما ذكره النويرى يقتضى أن رُمَيْثَة لما وصل إلى مصر أُهِينَ ، وما ذكره البرزالى أنه أُكْرِمَ عند وصوله إلى مصر .

وفيما ذكره البرزالى فائدة ليست تُفْهَم من كلام النويرى ، وهى تاريخ القبض على رُمَيْثَة وغير ذلك .

وكان من أمر رُمَيْثَة أنه أطلق(١) فى سنة عشرين وسبعمائة ، وتوجّه إلى مكة ، ولكن أمر مكة إلى أخيه عُطَيْفَة ، على ما ذكر البرزالى ؛ لأنه قال فى تاريخه : وفى الثالث والعشرين من ذى القعدة وصل نائبُ السلطنة الأمير سيف الدين أَرْغُون ، هو وبيته وأولاده ومماليكه ، ومعه الأمير رُمَيْثَة بن أبى نُمَىّ ، وتألم لذلك أهلُ مكة ، لكن(٢) أمر مكة لأخيه عُطَيْفَة .

١١٤ظ وذكر أيضاً ما يقتضى : أن أمر مكة فى بعض سنى / عشر
الثلاثين وسبعمائة كان إلى أخيه عُطَيْفَة ، وسيأتى ذلك فى ترجمته .

---

(١) فى الأصل « انطلق » ، والمثبت عن العقد الثمين ٤/٤١١ .

(٢) وفى العقد الثمين ٦/٩٧ « لأن الناس يحبون عطيفة لعدله . قال : لكن أمر مكة إلى عطيفة وهو مشكور السيرة » . وفى إتحاف الورى ٣/١٧٠ « لأن الناس مجتمعون على حب عطيفة ، لكن أمر مكة إلى أخيه عطيفة » . ويفهم من السياقين أن تألم الناس كان لظنهم أن الأمير أرغون أحضر معه رميثة ليوليه الإمرة ، ولم يكن الأمر كذلك ؛ لأن الإمرة بقيت مع عطيفة .

وذكر أيضاً ما يقتضي : أنه كان أمير مكة فى سنة إحدى وعشرين وسبعمائة ؛ لأنه قال فى أخبار هذه السنة : ورد كتابُ موفق الدين عبد الله الحنبلى(١) ، إمام المدرسة الصالحية ـــ من القاهرة ـــ وهو مؤرخ بمستهل جمادى الآخرة ، يذكر فيه : أنه جاء فى هذا القُرْب كتاب من جهة عُطَيْفَة أمير مكة ، يذكر فيه : أن رُمَيْثَة قد حَلَفَ له بنو حَسَن ، وقد أظهر مذهبَ الزَّيْدِيَّة . وجاء معه كتاب آخر من جهة مملوك هنالك لنائب السلطنة ، فيه مثل ما فى كتاب عُطَيْفَة ؛ وقد انجرح السلطانُ من هذا الأمر ، واشتد غضبهُ على رُمَيْثَة .

وذكر أنه فى سنة ست وعشرين وسبعمائة : قدم إلى الديار المصرية . انتهى .

وذكر ابن الجزرى فى تاريخه : ما يقتضى أن رُمَيْثَة كان أميراً على مكة فى بعض سنى عشر الثلاثين وسبعمائة ؛ لأنه ذكر أنه سأل المُحَدِّث شهابَ الدين أبا عبد الله محمد بن على بن أبى بكر الرقي ، المعروف والده بابن العديسة (٢) بعد قدومه إلى دمشق من

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن عبد الباقي الربعى المقدسى الحنبلى ، موفق الدين . ولى قضاء الحنابلة بالديار المصرية في جمادى الآخرة سنة ٧٣٨ هـ وظل قاضياً إلى أن مات فى الحرم سنة ٧٦٩ هـ . (الدرر الكامنة ٤٠٤٣/٢ برقم ٢٢٢٣) .

(٢) ترجم له الصفدي فى الوافى بالوفيات ٢٢١/٤ برقم ١٧٤٨ ، والحافظ ابن حجر فى الدرر الكامنة ١٧٨/٤ برقم ٤٠٣١ وفيهما : تولى مشيخة الخانقاه المجاهدية ، واشتغل بالحديث ، ومات فى ذى القعدة سنة ٧٣٦ هـ .

الحج في سنة خمس وعشرين وسبعمائـة ، عن أمـور تتعلـق بالحجاز وغيره ، وأنـه قال له : والحكـام يومئـذ على مكـة الأميران أسد الديـن رُمَيْثَة ، وسيف الدين عُطَيْفَـة ، ولـدا الشريـف نجم الديـن أبى نُمَـىّ الحسني المقدم ذكره . انتهى .

وقال ابـن الجزرى فى أخبـار سنـة ثلاثين وسبعمائـة : وحضر عُطَيْفَة على العادة ، ولبس خلعة السلطان ، ولم يحضر أخـوه رُمَيْثَـة ، ولا اجتمع بالأمراء ، ولكنه حضر الموقف مع أخيه . انتهى .

ورأيتُ فى بعض التواريخ : أنه لما قدم مكة فى سنـة عشريـن وسبعمائـة كان أميراً على مكـــة . وولايتـــه فى هذا التـــاريخ ـــ إن صحت ـــ هى[1] ولايته الخامسة وإلا فهى ما ذكره ابن الجزرى من ولايته فى عشر الثلاثين كما سبق تعيينـه . وولايتـه السادسة هى أطـول ولاياته ؛ لأنها دامت اثنتي عشرة سنة أو أزيد .

وفى تاريخ ابن الجزرى شيء من خبر ابتدائها ؛ لأنه ذكـر أنـه لما وصل العسكرُ المجردُ إلى مكة فى سنة إحدى وثـلاثين وسبعمائـة ، بسبب قتل أَلْدُمُر ، وجدوا الأشراف والعبيد جميعهم قد هربوا ، وجاء المشايخ والصلحاء إليهم ، وتشفعوا إليهم ، واستحلفوا الأمراء للشريـف رُمَيْثَـة على أنـه إذا جاء إلى مكـة لا يؤذونـه ، فحضر عنـد ذلك إلى مكة واجتمع بالأمـراء ، وبـذل الطاعـةَ ، وحلفـوا له ، وكسوه الخلعـة السلطانية ، وولَّـوْه إمـرة مكـة ، وقـرئ تقليـدُه وأمـانُ السلطـانِ عَزّ

---

(١) فى الأصل ، والعقد الثمين ٤١٣/٤ « هذه » ، والمثبت يستقيم به السياق .

نصره . وانفصل الحاج ، وأخبر أن أخاه وأولاده والعبيد هربوا إلى اليمن .

وأقام العسكر بمكة واحداً[1] وثلاثين يوماً ، ثم توجهوا منها إلى المدينة الشريفة ، بعد أن تأخر منهم خمسون نفساً ، بسبب الحج ، ويعودون مع الركب ، وحصل خيرٌ كثير ، فالحمد لله لم يُرَقْ بسببهم مِحْجَمَة دم ، ولا آذوا أحداً من الخلق .

وذكر أن المقدم على هذا العسكر الأمير سيف الدين أَيْدَغْمُش[2] ــ أمير مائة مقدم ألف ــ وكان فيهم أربعة أمراء ، ولم يروا فى طريقهم أحداً من العرب ولا غيرهم ، ووجدوا الأشراف والعبيدَ جميعهم قد هربوا . وذكر أن وصولهم إلى مكة كان في العشر الأول من ربيع الآخر سنة / إحدى وثلاثين وسبعمائة ، وأنه وصل ١١٥و
إلى السلطان رسول من أمير مكة رُمَيْثَة ، وتوجّه من القاهرة فى سادس عشر جمادى الآخرة من السنة .

وذكر ابن محفوظ شيئاً من خبر ولاية رُمَيْثَة السادسة ، وبعض حاله فيها مع أخيه عُطَيْفَة ، وغير ذلك ؛ لأنه ذكر ما معناه : أن

(١) فى الأصل ، والعقد الثمين ٤/٤١٣ « إحدى » .

(٢) هو الأمير أيدغمش بن عبد الله الناصرى الطباخى ، صار أمير آخور فى عهد الناصر محمد بن قلاوون ، ثم تولى نيابة حلب ، ثم نيابة دمشق ، وتوفى بها فجأة سنة ٧٤٣ هـ . (الدرر الكامنة ١/٤٥٥ برقم ١١٢٠ ، والدليل الشافى ١/١٦٧ برقم ٥٩٧ : وسماه المقريزى فى السلوك ٢/٢ : ٣٢٩ « أيتمش ») .

الشريفين عُطَيْفَة ورُمَيْثَة لما سمعا بوصول العسكرِ إلى مكة الذى مُقَدَّمُه أَيْتَمُش(١) وَلَّيا منهزمين إلى جهة اليمن ، وهربَ الناسُ من مكة إلى نخلة وغيرها ، ودخل العسكر مكة ؛ فأقام بها مدة شهر ، ثم بعد ذلك سيروا للشريف رُمَيْثَة أماناً ، وهو خاتم ومنديل ؛ لأنه لم يكن متهماً فى قتل الأمير ــ يعنى أَلْدَمُر(٢) ــ وقالوا ما قتله إلَّا مُبَارَك بن عُطَيْفَة . فلما أن جاءه الأمان تقدم إليهم فخلعوا عليه ، وأعطوه البلاد وحده دون أخيه عُطَيْفَة ، وأعطوه خيراً كثيراً من الدقيق والكعك والشعير والسكر ، وأعطوه أربعين ألف درهم ، وارتحلوا عنه إلى مصر .

وذكر أيضاً ما معناه : أن فى سنة أربع وثلاثين جاء الشريف عُطَيْفَة من مصر ، ونزل أم الدمن(٣) ، ثم جاء إلى مكة ، وأخذ نصف البلاد من أخيه الشريف رُمَيْثَة . فلما كان ليلة النزول من منى أخرجه رُمَيْثَة بلا قتال ؛ فتوجّه إلى مصر صحبة الحاج ، وأقام بها إلى أن جاء مع الحاج المصرى فى سنة خمس وثلاثين مُتَوَلِّياً لنصف البلاد ، وأخذ ذلك بلا قتال .

---

(١) كذا ورد فى الأصل ، والعقد الثمين ٤/٤١٤ ، ويتفق مع ما ورد فى السلوك ، فى حين أن المؤلف سماه أيدغمش نقلاً عن ابن الجزري ، وانظر التعليق السابق .

(٢) هو الأمير ألدمر بن عبد الله الناصري ، قتل فى فتنة جرت فى مكة فى رابع عشر ذي الحجة سنة ٧٣٠ هـ هو وولده خليل . وانظر العقد الثمين ٣/٣٢٧ برقم ٨٠٣ ، وإتحاف الورى ٣/١٨٩ ، ١٩٠ .

(٣) أم الدمن : وهي بطرف خليص كما سيرد فى كتابنا هذا ، ص ٤٢٤

وذكر أيضاً ما معناه : أن رُمَيْثَة وعُطَيْفَة كانا متوليين البلاد فى سنة ست وثلاثين ، وأن بعد مُدَّة جَرَت بينهما وحشةٌ ومُبَاعَدَة ، فأقام الشريف عُطَيْفَة بمكة ومعه المماليك ، ورُمَيْثَة [بالجديد إلى شهر رمضان . فلما كان فى اليوم الثامن والعشرين منه ركب الشريف رُمَيْثَة](١) فى جميع عسكره ، ودخل مكة على الشريف عُطَيْفَة بين الظهر والعصر . وكان الشريف عُطَيْفَة برباط أم الخليفة (٢) ، والخيل والدروع والتجافيف فى العلقمية (٣)[فلم يزالوا قاصدين إلى باب العلقمية ، ولم يكن معهم رجاجيل فوقف على باب العلقمية](٤) من حماها إلى أن أغلقت ، والموضع ضيّق لا مجال للخيل فيه ، وحمت ذلك الغز والعبيدُ ؛ فلم يحصل فى ذلك اليوم للشريف رُمَيْثَة ظفر . وقُتِلَ فى ذلك اليوم من أصحاب رُمَيْثَة وزيرُهُ واصلُ بن عيسى الزَّبَّاع ـــ بزاى معجمة وباء موحدة وألف وعين مهملة ـــ وخُشَيْعَة ابن عم الزَّبَّاع ، ويحيى بن مُلَاعِب ؛ وولوا راجعين إلى الجديد . ولم يُقْتَل من أصحاب عُطَيْفَة غير عبد واحد أو اثنين ـــ والله أعلم .

---

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٤/٤١٥ .

(٢) رباط أم الخليفة : هو رباط أم الخليفة الناصر العباسي ، ويعرف بالعطيفية ؛ لأن الشريف عطيفة صاحب مكة كان يسكنه ، وتاريخ وقفه سنة ٥٩٧ هـ . (شفاء الغرام ١/٣٣١) .

(٣) العلقمية : دار كانت لبني عجلان الأشراف النمويين قرب المروة من مكة ، كانوا بنوها سجناً يسجنون فيه خصومهم ، وقد أزيلت فى توسيعات المسجد الحرام . (معجم معالم الحجاز ١٠/١٠٠) .

(٤) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٤/٤١٥ .

وذكر : أن فى هذه السنة لم يحُجّ الشريفان رُمَيْثَة وعُطَيْفَة ؛ لأن رُمَيْثَة أقام بالجديد ، وعُطَيْفَة أقام بمكة .

وذكر ما معناه أن رُمَيْثَة وعُطَيْفَة اصطلحا فى سنة سبع وثلاثين ، وأقاما مُدَّةً ، ثم توجّهَا إلى ناحية اليمن بالواديين . وترك عُطَيْفَة ولَده مباركاً بمكة ، وترك رُمَيْثَة ولدَه مُغَامِساً بالجديد ، وحصل بين مُبَارَك ومُغَامِس وحشةٌ وقتال ، ظفر فيه مُبَارَك .

وذكر : أن فى هذه السنة استدعى صاحبُ مصر الشريفين عُطَيْفَة ورُمَيْثَة ، فذهبا إلى مصر ؛ فلزم عُطَيْفَة ، وأعطى رُمَيْثَة البلاد ، وجاء إلى مكة .

وذكر فى أخبار سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة : أن الشريف رُمَيْثَة كان متولياً مكة وحده إلى أن مات .

وذكر : أن فى سنة أربع وأربعين وسبعمائة اشترى عجلانُ وَثَقَبَةُ البلادَ من والدهما الشريف / رُمَيْثَة بستِّينَ ألف درهم ؛ لأنه ١١٥ظ كان ضعف وكبر ، وعجز عن البلاد ، وعن أولاده ، وبقي كل منهم له حكم . وبعد ذلك توجّه الشريف ثَقَبَة إلى مصر باستدعاء من صاحبها الصالح إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون(١) ،

---

(١) هو الملك الصالح إسماعيل بن الملك الناصر محمدابن الملك المنصور قلاوون ، تسلطن بعد خلع أخيه الملك الناصر أحمد فى المحرم سنة ٧٤٣ هـ واستمر إلى أن مات فى ربيع الأوّل سنة ٧٤٦ هـ ، وكان مشكور السيرة . (الوافى بالوفيات ٢١٩/٩ برقم ٤١٢٣ ، والدرر الكامنة ٤٠٦/١ برقم ٩٦٠ ، والدليل الشافى ١٢٩/١ برقم ٤٥١ ، والنجوم الزاهرة ٧٨/١٠ — ١٤٢) .

وبقى عجلان وحده فى البلاد إلى آخر ذى القعدة ، ثم وصل مرسوم من سلطان مصر بردٍّ البلاد على الشريف رُمَيْثَة ، ولُزِمَ الشريف ثقبة فى مصر . فلما علم الشريفُ عَجْلَان بذلك خرج إلى ناحية اليمن .

ثم قال : وبعد رواح الحاج وصلَ الشريفُ عَجْلَان من جهة اليمن ، ونزل الزاهرَ ، وأقام به أياماً ، ثم بعد ذلك اصطلح هو وأبوه ، وأخذ من التجار مالاً جزيلاً . وما ذكره من وصول مرسوم سلطان مصر بِرَدٍّ البلاد على الشريف رُمَيْثَة هى ولايته السابعة .

ثم قال : فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة : كان المتولى لمكة الشريف رُمَيْثَة .

ثم قال : فى سنة ست وأربعين وسبعمائة : توجه الشريف عجلان إلى ديار مصر ؛ فأعطاه السلطانُ الملك الصالحُ البلادَ دون أبيه رُمَيْثَة . انتهى .

ووجدت بخط غيره : أن فى ليلة الثامن عشر من جمادى الآخرة من سنة ست وأربعين وسبعمائة ــ بعد المغرب منها ــ دُعِىَ للشريف عجلان على زمزم ، وقُطِعَ دعاءُ والده رُمَيْثَة . ومات يوم الجمعة الثامن من ذى القعدة سنة ست وأربعين وسبعمائة بمكة ، وطيف به وقت صلاة الجمعة ، والخطيب على المنبر ، قبل أن يفتتح الخطبة ، وسكت الخطيب حتى فرغوا من الطواف به . وكان ابنه عجلان يطوف معه ، وجعله فى مقام إبراهيم ، وتقدّم أبو القاسم بن

الشقيف الزيدي(١) للصلاة عليه ، فمنعه من ذلك قاضى مكة شهاب الدين الطبرى(٢) ، وصلى عليه بحضرة عجلان ولم يقل شيئاً ، ودُفِن بالمعلاة عند القبر الذى يقال [إنه](٣) قبر خديجة بنت خُوَيْلد رضى الله عنها ، زوج النبي ﷺ . ولما مرض لم يكن بمكة ، وأُتى به إليها . وقد دخل فى النزع فى نصف ليلة الخميس السابع من ذى القعدة ـــ انتهى بالمعنى ـــ انتهى كلام الفاسى .

قال الوالد(٤) : ويقال إن الذى تقدم للصلاة عليه شخص يسمى عمران من الزيدية .

أنشدنا العلامة قاضى القضاة جمال الدين أبو حامد محمد بن عبد الله بن ظهيرة القرشي رحمة الله عليه ـــ إجازة ـــ قال : أنشدنى

---

(١) هو أبو القاسم بن محمد بن حسين بن محمد ، المعروف بابن الشقيف ، كان كبير الزيدية بمكة ، ثم عقد له مجلس بحضرة القاضى عز الدين بن جماعة بمكة ، واستتيب فيه ، وأشهد على نفسه ، وكتب بخطه : أنه تبرأ إلى الله تعالى من اعتقاد أهل البدع والزيدية والإمامية وغيرهم ، وأنه يواظب على الجمعة والجماعة .. توفى فى سنة ٧٦٠ هـ بمكة . (العقد الثمين ٨٩/٨ برقم ٢٩٧٥) .

(٢) هو أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطبري ، قاضى مكة شهاب الدين أبو الفضل ابن قاضى مكة نجم الدين ابن قاضى مكة جمال الدين ابن الشيخ محب الدين الطبرى ، المكى الشافعي . ولى قضاء مكة بعد أبيه ، واستمر حتى مات فى شعبان سنة ٧٦٠ هـ . (العقد الثمين ١٦١/٣ برقم ٦٤٧) .

(٣) إضافة على الأصل .

(٤) أى فى بغية المرام لوحة ٩٧ .

عبد الواحد بن الكاتب(١) لنفسه يمدح قاضى القضاة بمكة المشرفة شهاب الدين أحمد ابن العلامة قاضى القضاة نجم الدين محمد بن محمد الطبري لكونه تقدم فى الصلاة على السيد الشريف رُمَيْثَة بن أبي نُمَيّ الحسنى أمير مكة ، ودفع عمران فقيه الزيدية حيث(٢) أراد [أن](٣) يصلى عليه بعد الجمعة ، وصلّى عليه ، وذلك فى ذى القعدة سنة ست وأربعين وسبعمائة :

يا فعلةً فى جبين الدهر رَوْنَقُها
مصورٌ فائقٌ كُلَّ التصاويرِ
أصبتَ وُفِّقْتَ لا زالت موفقة
أفعالُك الغُرُّ فى سُودِ الأعاصيرِ
نَكَّسْتَ أعلامَ فِسْقٍ وانفردتَ بما
أَقَرَّ عَيْنَ التُّقَى(٤) بَيْنَ الجماهيرِ /
لَيْسَتْ تُقَاوِمُهَا الدنيا بأَجْمَعِهَا ١١٦و
تَعْساً وسُحْقاً لِكُفَّار المقاديرِ

قال شيخنا جمال الدين بن ظهيرة : وزاد على ذلك والدى فقال :

(١) هو عبد الواحد التونسى المالكي المعروف بابن الكاتب ، توفى فى مصر فى عشر الستين وسبعمائة . (العقد الثمين ٥/٥٢٩ برقم ١٩٠٧) .
(٢) كذا في الأصل . وفي المرجع السابق ٥/٥٣٠ « حين أراد الصلاة عليه » .
(٣) إضافة على الأصل .
(٤) كذا فى الأصل . وفى العقد الثمين ٥/٥٣٠ « الورى » .

لا زالَ سعدُك فى الآفاقِ مُشْتَهِراً
بين الأنامِ وفِى كُلِّ الأَقَاطِيرِ

وقد رأيت هذه الأبيات خلا الأخير ذكرها[١] المؤلف رحمه الله[٢] فى ترجمة عبد الواحد التونسى المالكي المعروف بابن الكاتب الأديب .

وبُنِيَتْ عليه قبةٌ هى باقية إلى الآن لكنها رَثَّة . انتهى كلام الوالد .

وقال الفاسى[٣] : وللأديب موفق الدين على بن محمد الحنديدى من قصيدة يمدح بها الشريف رُمَيْثَة بن أبى نُمَىّ ، أولها :

بالله هاتِ عَنِ اللِّوَى وطُلُولِهِ
وعَنِ الغَضَا وحِلَالِهِ وحُلُولِهِ
أَطِلِ الحديثَ فإنّ تقصيرَ الذى
يَلْقَى مِنَ التَّبْرِيحِ فِى تَطْوِيلِهِ
عَلِّلْ بِذِكْرِ العَامِرِيَّةِ قَلْبَهُ
فَشِفَاءُ غُلَّةِ ذَاكَ فِى تَعْلِيلِهِ
وإذَا عَلِيلُ الرِّيحِ أَهْدَى نَحْوَه
نَشْراً فَنَشْرُ عَلِيلِهِ بِعَلِيلِهِ

(١) فى الأصل « ذكرهم » .
(٢) أى التقى الفاسي فى العقد الثمين ٥/٥٢٩ ، ٥٣٠ .
(٣) العقد الثمين ٤/٤١٨ .

رَشَأٌ دَنَا فَرَمَى فُؤَادَ مُحِبِّهِ
عَنْ قَوْسِ حَاجِبِهِ بِسَهْمِ كَحِيلِهِ
وَحَوَى القلوبَ بأَسْرِهَا فى أَسْرِهِ
وَسَبَا النُّهَى بِرَسِيلِهِ وأَسِيلِهِ
وَبَيَاضِهِ وَسَوَادِهِ وَقَوِيِّهِ
وَضَعِيفِهِ وَخَفِيفِهِ وَثَقِيلِهِ

ومنها :

وَتَفَيَّأَ الظِّلَّ الذى ضَمِنْتَ لَهْ الْـ
ـأَيَّامُ بَيْنَ مَبِيتِهِ وَمَقِيلِهِ
حَطَّ الرِّحَالَ بِمَكَّةٍ وَأَقَامَ فِى
حَرَمِ الخِلَافَةِ بَعْدَ طُولِ رَحِيلِهِ
جَلَبَ المديحَ بِمُنْجِدِ بن مُحَمَّدِ بْـ
ـنِ نَبِيِّهِ بْنِ وَصِيِّهِ بنِ بَتُولِهِ
وأَغَرَّ أَنْجَبَهُ البَطِينُ وَمَجَّهُ آبْـ
ـرَاهِيمُهُ فِى صُلْبِ إِسْمَاعِيلِهِ

ومنها :

مَا بَيْنَ شَبَّرِهِ وبَيْنَ شَبِيرِهِ(١)
شرفٌ يطُولُ لِهَاشِمٍ وَعَقِيلِهِ

(١) الشبير والشبر . من أسماء أولاد النبي هارون عليه السلام ، وبأسمائهما سمى النبي ﷺ أولاده الحسن والحسين . (تاج العروس — ش ب ر) .

نَسَبٌ كَمُشْتَقِّ الشُّمُـوسِ وَمَفْخَـرٌ
بَاعُ الكَـوَاكِبِ قَاصِرٌ عَنْ طُولِــهِ
أَمّـا الفُـرُوعُ فَلَـيْسَ مِثْـلَ فُرُوعِــهِ
وَكَذَا الأَصُولُ فَلَيْسَ مِثْـلَ أُصُولِـهِ
يا بـنَ المُظَلَّلِ بالغَمَامَـةِ والَّـذِى
قَد أُنْــزِلَ القُــرآنُ فِى تَفْضِيلِــهِ
مَاذَا عَسَى مَدْحِـى وَقَـدْ نَزَلَ الثَّنَـا
فِيكُـمْ مِنَ الرَّحْمٰــنِ فِى تَنْزِيلِــهِ
فِي «هَلْ أَتَاكَ» و«هَلْ أَتَى» وَحَدِيدِهِ
حَقًّــا وَغَافِــرِهِ وفِـــي تَنْزِيلِـــهِ
قَالُـوا مَدَحْتَ رُمَيْثَــةَ فَأَجَبْتُهُـــمْ
لَيْسَ المَدِيـحُ يَنَـالُ غَيْــرَ مُنِيلِـــهِ
ولَكَيْفَ لَا أُثْنِـى عَلَـى مَنْ عَمَّنِـى
دُونَ الـوَرَى مِنْ خَيْـرِهِ بِجَزِيلِـهِ /
١١٦ظ بِنُضَارِهِ ولُجَيْنِـــهِ وَثَوَابِـــــهِ
وَثِيَابِـــهِ وَرِكَابِـــهِ وَخُيُولِــــهِ

وللأديب أبي عامر منصور بن عيسى بن سحبان الزيدى(١) فى الشريف رُمَيْثَة مدائح كثيرة ، منها قصيدة أولها :

---

(١) والمتوفى سنة ٧٢٥ هـ . (العقود اللؤلؤيـة ٣٨/٢ ، والأعـلام للـزركلى ٢٤١/٨) .

ما أَوْمَضَتْ سَحَــراً بروقُ الأَبْرَقِ
إِلّا شَرِقْتُ بدَمْعِــيَ المترقــرِقِ

ومنها :

ظَبْيٌ(١) شُغِفْتُ بِهِ وغُصْنُ شَبَابِهِ
غَضٌّ وبرْدُ شَبِيبَتِــي لَمْ يَخْلَــقِ
شَقَّتْ عُرَى كَبِدِى شَقَائِقُ خَدِّهِ
وَبِكَأْسِ فِتْنَتِهِ سُقِيتُ وَمَا سُقِى

ومنها :

مَا فَاتَ مِنْ عُمْرِى فَلِلْغِيدِ الدُّمَى
لا أَرْشَ فِيهِ ولِلصَّبَابَةِ مَا بَقِــى

ومن مديحها :

رجلٌ إذا اشْتَبَهَ الرِّجَالُ عَرَفْتَــهُ
بجلالِ صُورَتِهِ وحُسْنِ المَنْطِــقِ
ومُظَفَّرُ الحَمَلاَتِ يَرْقُصُ مِنْهُ قَلْـ
ـبُ المَغْرِبِ الأَقْصَى وقَلْبُ المَشْرِقِ
عَلَمٌ يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ صِفَاتِــهِ
كَرَمُ الفُرُوعِ لَهُ وَطِيبُ المُعْرِقِ

(١) كذا فى الأصل . وفى العقد الثمين ٤١٩/٤ ، وسمط النجوم العوالى ٢٣٧/٤ « صنم » .

يَلْقَى بِوَجْهِ ٱلْبِشْرِ طَارِقَ بَابِهِ
كَرَماً وَيُرْزَقُ مِنْهُ مَنْ لَمْ يُرْزَقِ
عَزَّتْ بَنُو حَسَنٍ بِدَوْلَتِهِ التى
عِزُّ الذليلِ بها وأَمْنُ المُفْرِقِ
هُوَ صُبْحُ لَيْلَتِهَا وَبَدْرُ ظَلَامِهَا
وَلِسَانُ حِكْمَتِهَا وَصَدْرُ ٱلْفَيْلَقِ
لَا يَتَّقِي مِنْ كُلِّ حَادِثَةٍ بِهَا
وَبِهِ بِمَكْرُوهِ الحَوَادِثِ نَتَّقِى

وله فيه من قصيدة أولها :

حفظ العهدَ بَعْدَنَا أَمْ أَضَاعَا
وَعَصَى لِائْتِمَامِهِ[1] أَمْ أَطَاعَا
وَرَعَى حُرْمَةَ الجِوَارِ وَرَاعَى
أَمْ دَهَى بالفِرَاقِ قَلْبِى وَرَاعَا
مَنْ يَكُنْ يَحْمَدُ الوَدَاعَ فَإِنِّى
بَعْدَ يَوْمِ النَّوَى أَذُمُّ الوَدَاعَا
جِيرَتِى مَالَنَاحَفِظْنَا هَوَاكُمْ
وَغَدَا حُبُّنَا لَدَيْكُم مُضَاعَا

(١) فى الأصل « لا تهامه » . وفى العقد الثمين ٤/٤٢٠ « لإتمامه » . والمثبت عن سمط النجوم العوالى ٤/٢٣٨ .

إنَّ مَنْ قَدَّرَ الفِــــرَاقَ عَلَيْنَـــــا
قَادِرٌ أَنْ يُقَــــدِّرَ الإجْتِمَاعَــــا
قُلْ لِذَاتِ القِنَـاعِ هَلْ جِئْتُ ذَنْباً
فِيكِ حَتَّى أَسْبَلْتِ دُونِـى القِنَاعَـا
إنَّ مَنْ أَشْبَــعَ السِّوَارَ بِزِنْدَيْـــــ
ـكِ لِمَجْرَى الـوِشَاحِ مِنْكَ أَجَاعَـا

ومنها :

خَالِطِ النَّـاسَ بالخِـدَاعِ فَمَـا أَكْــ
ـثَرَ أَهْـلَ الزَّمَـــانِ هَذَا خِدَاعَـــا
قُلْ لِأَهْلِ الزَّمَـانِ لَسْتُ وإنْ رِيــ
ـعَ سِوَايَ بِكَيْدِكُـــــمْ مُرْتَاعَــــا
نحنُ فِي دَوْلَــةٍ إذَا مَا مَدَّتِ النَّــا
سُ إلَيْنَـا شِبْــراً مَدَدْنَـــا ذِرَاعَـــا
إنْ يَكُـنْ قَبْلَهَـــا نِزَاعٌ فَقَـــدْ أَصْـ
ـبَحَ حَتَّى الصَّغِيـرُ مِنْهَـا يُرَاعَـى /

ومنها : ١١٧و

طَلَــبَتْ بِى أَبَــــا عَرَادَةَ عِيسٌ
لَا تَمَـــلُّ الإِرْقَـــالَ وَالْإِيضَاعَـــا
عَرَّسَتْ مِنْ رُمَيْثَــةٍ بِعِــــرَاضٍ
لَمْ يَزَلْ نَبْتُ رَوْضِهَـــا مِمْرَاعَـــا

نَزَلَتْ سُوحَــهُ عِطَــاشاً جِيَاعــاً
فَأَقَــامَتْ بِهِ رِوَاءً شِبَاعَــــا
رَجُـــلٌ لَا تَرَاهُ بالمالِ مِفْـــرَا
حاً وَلَا مِنْ مُلِمَّـــةٍ مِجْزَاعَــــا
وَعَلَيْهِ بِكْـرُ الخِلَافَـةِ أَلْـــقَتْ
إذْ رَأَتْــهُ رِدَاءَهَـــا وَالْقِنَاعَـــا
لَيْسَ بِالنَّـــازِلِ الوِهَـــادِ مِنَ الْأَرْ
ضِ وَلَكِنَّــهُ يَحــلُ اليَفَاعَـــا(١)
مُوقِــداً نَارَهُ عَلَـــى نَشَزِ الأَرْ
ضِ إذَا النَّاسُ لَبَّسُوهَـا القِفَاعَـــا
نَمْ هَنِيئــاً يَا جَارَهُ مِلْءَ عَيْنَيْـــ
ـكَ وَلَا تَخْشَ ثَانِيــاً أَنْ تُرَاعَـــا

وله فيه من أخرى أولها :

جَنَانُكَ أَمْضَى مِنْ عِطَاشِ القَنَا عَزْمَا
وأَرْجَحُ مِنْ رَضْوَى وَمُنْ يَذْبُل حِلْمَا
وَكُـلٌّ لَهُ ضِدٌّ يُسَامِيـهِ فِي العُـــلَا
وَلَسْتَ تُسَامَى لَا وَمَنْ عَلَّم الأَسْمَا

---

(١) كذا فى الأصل ، وسمط النجوم العوالى ٤/٢٣٨ . وفى العقد الثمين ٤/٤٢١ (٤) (والبقاعا) .

فمـا لِلمَعَالِـــى يَا رُمَيْثَــةُ غَايَــةٌ
تَفُوتُ الوَرَى إِلَّا أَحَطْتَ بِهَا عِلْمَا
تَعُـــدُّ رَسُولَ اللهِ جَدًّا وَحَيْـــــدَراً
أَباً والبَتُـولَ الطُّهْـرَ يَا ذَا العُلَى أَمَّـا
وَتَنْـدُبُ إبراهيـــمَ خَالاً وَتَعْتَــزِى
إِلَى جَعْفِـرِ الطَّيَـارِ مُنْتَسِباً عَمَّـــا

وله فيه من أخرى :

ومَجْدُولَـةٍ جَدْلَ القَنَـا وَتَبَاعَـــدَتْ
مَزَاراً وَمَـا أَشْهَـــى إِلَـــىَّ مَزَارَهَـــا
تَقُـولُ حَمَتْنِى أَنْ أُمِيـطَ لِثَامَهَـــا
وَكَـــانَ بِوِدِّى أَنْ أُحُـــلَّ إِزَارَهَـــا[١]
مَهَـــاةٌ إِذَا مَا أَفْرَشَتْنِـــى يَمِينَهَـــا
وَهَـوَّمَ طَرْفِـى أَفْرَشَتْنِـى يَسَارَهَـــا
يُسَاوِرُ قَلْبِى بَاعِثُ الوَجْدِ والشَجَـا
إِذَا رَكَّـبَتْ فِى سَاعِدَيْهَـا سِوَارَهَـا

ومنها فى المدح :

مَلِيكٌ أَقَـامَ الحَـقَّ بَعْـدَ آعْوِجَاجِـهِ
وَشَيَّـدَ مِنْ سَمْكِ المَعَالِـى مَنَارَهَـا
مَتَـى بَطِـــرَتْ قَوْمٌ أَذَلَّ عَزِيزَهَـــا
وإِنْ عَثَـرَتْ جَهْـلاً أَقَـالَ عِثَارَهَـــا

(١) هذا من المجون الذي ينبغي التنزه عنه في كتاب عن أخبار سلطنة البلد الحرام . «المراجع»

إِذَا جَادَ يَوْمــــاً لَمْ يُشَقّ غُبَـــارُهُ
وإِنْ شَهِـدَ الهَيْجَـاءَ شَقَّ غُبَارَهَـــا

أَشَمٌّ قِيَـــــــــادِيُّ الأُبُوَّةِ بُرْدُهُ
حَوَى حِلْمَ آل المُصْطَفَى وَوَقَارَهَا
وَأَبْلَـجُ مَحْضُورُ الخِـوَانِ يَمِينُـــهُ
تُزِيـلُ عَنِ المُسْتَرْفِدِيـنَ ٱفْتِقَارَهَـــا
جَمَالٌ يَحَـارُ الطَّـرْفُ فِيـهِ وَعَزْمُـهُ
كَسَا فَخْرَهَـا قَحْطَانَهَـا وَنِزَارَهَـــا
وَمَا بَرِحَتْ إِنْ صِحْتُ يَوْماً لِمُنْجِدٍ
كِبَـــارُ أَيَادِيـــهِ تَؤُمُّ صِغَارَهَـــا

وللأديب عفيف الدين عبد الله بن على بن جعفـر ، قصيـدة فائقة يَمْدَحُه بها ، فمن غزلها : /

١١٧ظ فَتَـنَ القُلُـوبَ هَوَاكُـمُ حَتَّـى لَقَـدْ
كَادَ الهَـوَى بِهَواكُـــمُ أَنْ يُفْتَنَـــا
حَيَّـا الغَمَامُ دِيَـارَ قَوْمٍ طَبْعُهُـــمْ
أَنْ لَا يَخَافَ الجارُ فِيهِمْ مَا جَنَى
أُمَيِّمَـمَ الحرمِ الشَّرِيـفِ وَقَـــاصِداً
آل النبـيِّ ظَفِـرْتَ غَايـاتِ ٱلْمُنَـى
لَا تَحْسَبَـنَّ أَبَـــا نُمَـــيٍّ غَائِبَـــاً
فَرُمَيْثَـةُ بنُ أَبِـى نُمَـــيٍّ هَا هُنَـــا

ضَرَبَ السُّرَادِقَ حَوْلَ كَعْبَـةِ مَكَّـةٍ
وَغَـدَا لَهَـا رُكْنـاً وَكَـانَ الأَيْمَنَـــا
وَحَمَى الذى قَدْ كَانَ وَالِدُهُ حَمَى
وَبَنَـى الـذى قَدْ كَانَ وَالِـدُهُ بَنَـى
خَيْـلٌ تُقَـادُ إِلَـى العَطَـاءِ وَمِثْلُهَـــا
تَغْـزُو وَأُخْـرَى فِى المَرَابِـطِ صُفَّنَـا
وَطَمَـا خِلَالَ النَّقْـعِ مِثْـل جِداوِلٍ
بِسُكُونِـهِ غَسَلَـتْ قَمِيصاً أَدْكَنَـا
وفَتًـى يُسَابِـقُ فى الطِّعَـانِ قِرَانَـــهُ
فَبِــهِ تَكَــادُ قَنَاتُــه أن تَطْعَنَــا
يُكْنُونَـــهُ أَسَداً وَحَيْـــــدَرُ جَدُّهُ
والقَـومُ فِعْلُهُـــمُ دَلِيـــلٌ بِالكُنَـــى
ابـنُ الذَّبِيحَيْـنِ الذَّبِيـــحَ بِمَكَّـــةٍ
وَالمُفْتَدَى بالذَّبْحِ فِى وَادِى مِنَـى
فَهُـوَ التَّمَـامُ لِبَيْتِ آلِ مُحَمَّـــــدٍ
وَهُوَ الحُسَامُ بَلِ السَّنَـامُ بَلِ السَّنَـا
وَحُسَامُـهُ سَبَـقَ القَضَا وخِوَانُـــهُ
مَلَأَ الـفَضَا وَطِعَانُـه أَفْنَـى القَنَـــا
مَا زَالَ يُفْنِـى المُعْتَدِيـنَ بِسَيْفِـــهِ
حَتَّـى لَقَـدْ لَقِـيَ القَنَـا مِنْـهُ الفَنَـا
وَيَجُـــودُ بالأَمْوَالِ حَتَّـــى إِنَّـــــهُ
لَيَـرَى ذِهَـــابَ المالِ مَالاً يُقْتَنَـــى

فَإِذَا وَرَدْتَ إِلَــى خِضَمٍّ نَوَالِــهِ
فَٱبْسُطْ يَدَيْكَ فَقَدْ أَصَبْتَ المعْدِنَا
تَأْبَى سَوَائِمُهُ الربيــعَ لِمَــا رَأَتْ
أَنْ لَيْسَ يَذْبَحُ مِنْهُ إِلَّا الأَسْمَنَــا
وَيَظُنُّ خَازِنُــه الحفيــظُ لِمَالِــهِ
أَنّ الضَّيَّــاعَ لِمَالِــهِ أَنْ يُخْزَنَــا
قَيْــلٌ يَضُمُّ إلى عَظِيــمِ مَهَابَــةٍ
خُلُقــاً أَرَقَّ مِنَ النَّسِيــمِ وَأَلْيَنَــا
تَقِفُ المَنِيَّةُ والأَمَانِــى حَيْثُ مَا
يُومِى وَلَيْسَ تَسِيرُ حَتَّى يَأْذَنَا
مَاذَا يَقُولُ المَدْحُ فِيمَنْ مَدْحُهُ
جَعَــلَ الإِلَــهُ بِهِ كِتَابــاً بَيِّنَــا
طَوَّقْتَنِى وَأَخُــوكَ طَوْقَــىْ مِنَّــةٍ
أَحْسَنْتَ فِيهَا حَيْثُ شِئْتَ وَأَحْسَنَا
لَمَّا حَطَطْتُ الرَّحْلَ فِى سَاحَاتِكُمْ
أَوْلَيْتُمُ النِّعَــمَ الفُــرَادَى وَٱلثُّنَــا
قَدْ صِرْتَ تَعْرِفُنَــا لَدَيْكَ فَإِنْ تَرِدْ
يَوْمَ المَعَادِ لِحَوْضِ جَدِّكَ فَٱسْقِنَا
لَيْسَ اللِّسانُ يُطِيقُ أَنْ يُحْصِى لَكُمْ
شُكْراً فَكُونِى يَا جَوَارِحُ أَلْسُنَا /
١١٨و فَلَأَشْكُرَنَّ وَفَوْقَ شُكْرِى أَنْتُمَــا
وَلَأُثْنِيَــنَّ وَأَنْتُمَــا فَوْقَ ٱلثَّنَــا

انتهى كلام الفاسى .

قلت[١] : وذكر الفاسى أيضاً فى ترجمة محمد بن أحمد بن مَيْمُون بن قَاسِم التُونُسِيّ المالكى ، المعروف بابن المغربى[٢] قصيدة فى مدح الشريف رُمَيْثَة بن أبى نُمَىّ الحسنى صاحب مكة وهى :

السّعْدُ قَارَنَ وَجْهَكَ المَسْعُودَا
واللهُ مَلَّكَ مُلْكَكَ التَّخْلِيدَا
وجُيُوشُ نَصْرِكَ يَا رُمَيْثَةُ أَقْبَلَتْ
تَسْعَى إِلَيْكَ عَسَاكِراً وَجُنُودَا

ومنها :

لا زالَ سَعْدُكَ بالدَّوَامِ مُوَفَّقاً
وَسَدِيدُ رَأْيِكَ فى الأمورِ[٣] رَشِيدَا
يَا طَاعِنَ اللَّبَاتِ وَخْزاً بِالْقَنَا
والحَرْبُ شَبَّ شَرَاره المَوْقُودَا
يَا بَهْجَةَ الدنيا وَعَيْنَ زَمَانِهَا
وسخيَّها وَمَلِيَّها المَقْصُودَا
أَمَّنْتَ خَوْفَ المسلمين وَرَوْعَهُمْ
وَلَمَمْتَ شَمْلَهُمُ فَصَار نَضِيدَا

---

(١) أى المؤلف عز الدين بن فهد . .

(٢) العقد الثمين ١/٣٨٧ برقم ٦٣ .

(٣) فى الأصل « الأنام » ، والمثبت عن المرجع السابق .

لَا زِلْتَ ذُخْــراً للأَنَام وَمَلْجَــــأً
وَعَمِيـمُ مُلْكِكَ لِلْـوَرَى مَمْــدُودَا
وَبَقِـيتَ فِى النِّعَـمِ التى أُوْتِيتَهَــا
مُتَقَلِّبــاً وَعَلَـــى العُـــلَا مَحْسُودَا

وتركت سائرها لكون ما ذكرته أصلح شيءٍ فيها . انتهى .

وقال الوالد (١) : وقال الشريف أحمد بن على بن الحسين بن عقبة الحسني فى كتابه « عمدة الطالب فى نسب آل أبى طالب » : وأما رُمَيْثَة بن أبى نُمَىّ ، ويلقب أسد الدين ، ويُكْنَى أبا عَرَادَة فملكَ مكة بعد أبى الغيث ، وطالت مُدّتُه ، وكان سيداً جليلاً شجاعاً شاعراً ، ولما تغلب ابنه الشريف أحمد على الحِلَّة (٢) وأعمالها ، كتب إليه قصيدة يذكر فيها شرف مكة وفضائلها ، ويذم العراق وأهلَها ، ويُحَذِّرُ ولده من صولة المغول . فأجابه ابنه أحمد بقصيدة على رَوِيِّها ، ولما قتل(٣) ابنه أحمد ووصل إليه الخبرُ ، قال : قد علمت إذ تَعَرَّض لبلاد المغول أنه مقتول . ولم تسر من العراق قافلة إلى مكة بعد أن قُتِلَ وَلَدُه إلى أن مات رحمه الله .

(١) مقولة النجم بن فهد المنسوبة إلى الشريف أحمد بن على بن الحسين فى كتابه « عمدة الطالب فى نسب آل أبي طالب » لم ترد في ترجمة الشريف رميثة بكتاب بغية المرام اللوحات ٩٢ ــ ٩٩ و ، ولم ترد كذلك فى إتحاف الورى ٣/ ١٧٠ ــ ٢٣٢ .

(٢) الحلة : من بلاد العراق بين الكوفة وبغداد . (معجم البلدان لياقوت) .

(٣) قتل أحمد بن رميثة فى ثامن عشر رمضان سنة ٧٤٢ هـ بعد أن ملك الحلة وغيرها ، واجتمع عليه الأعراب من ربيعة وخفاجة ، ثم غدرت به المغل . وانظر العقد الثمين ٣/ ٤١ .

وولد أسد الدين رُمَيْثَة أولاداً منهم : أحمد ، وسَنَد ، وعَجْلَان ، وثَقَبَة ، ومُغَامِس ، ومُبَارَك . انتهى .

* * *

١٨١ ـ أبو الغَيْث بن أبي نُمَىّ محمد بن أبي سعد [حسن] بن على بن قَتَادة الحسني المكى .

قال الفاسى(١) : الأمير عماد الدين ، أمير مكة .

ولي إمرتها فى موسم سنة إحدى وسبعمائة ، شَرِيكاً لأخيه عُطَيْفَة ، وقيل لمحمد بن إدريس كما ذكر صاحب بهجة الزمن(٢) ، وذكر أنه أخرج محمد بن إدريس واستبَدَّ بالإمرة ، وجرت بينهما حروب كثيرة ، قتل فيها جماعة من الأشراف . ثم عزل فى الموسم من سنة أربع وسبعمائة بأخويه رُمَيْثَة وحُمَيْضَة . ثم ولى الإمرة فى سنة ثلاث عشرة وسبعمائة ، ووصل فيها إلى مكة ومعه عسكر جَرَّار فيه ثلاثمائة وعشرون فارساً من الترك ، وخمسمائة فارس من أشراف المدينة ، خارجاً عما يتبعهم من المتخطفة .

فلما علم به أخواه هربا إلى صوب حَلْي ابن يعقوب ، فسار إليهما فى سنة أربع عشرة ؛ فلم ير لهما أثراً ؛ لأنهما لحقا ببلاد

---

(١) العقد الثمين ٧٩/٨ برقم ٢٩٥٥ .

(٢) وانظر العقود اللؤلؤية ٣٣٦/١ ، وإتحاف الورى ١٣٥/٣ .

١١٨ظ السَّرَّاة . انتهى . /

وذكر البرزالي : أن الجيش التركى أقام مع أبى الغيث شهراً ، ثم ضَاقَ منهم وقَصَّر فى حقهم ، وصَارَ يَتَكَسَّب[(١)] عليهم ، وكتب لهم بخطه أنه قد استغنى عنهم ، فتوجهوا من عنده ؛ فقصده أخوه حُمَيْضَة ــ بعد جمعةٍ ــ وحاربه ، فقتل من أصحاب أبى الغيث نحو خمسة عشر رجلاً ، ومن الخيل أكثر من عشرين ؛ فانهزم أبو الغيث ولحق بأخواله من هذيل بوادى نخلة . وأرسل إلى السلطان هدية فوعده بنصره ، ويقال إنه أمر صاحب المدينة بنصره . ثم التقى مع أخيه حُمَيْضَة فغُلِبَ أبو الغيث ثانية مع كون جماعته أكثر عدداً ، وأُسِرَ ثم ذُبِحَ بخيف بنى شديد ، بأمر أخيه حُمَيْضَة . وكانت هذه الوقعة فى رابع [الحجة سنة أربع] [(٢)]عشرة وسبعمائة بقرب مكة ، وكلام صاحِب بهجة الزمن يُفْهِمُ أنها كانت فى سنة خمس عشرة ، وهو وهم . والله أعلم . انتهى . انتهى كلام الفاسى .

قال الوالد[(٣)] : وقال الشريف أحمد بن علي بن الحسين بن عُقْبَة الحسني فى كتابه « عمدة الطالب فى نسب آل أبى طالب » : وأما أبو الغَيْث بن أبى نُمَيّ فكان أبوه أبو نُمَيّ قد فَوَّض إليه مُلْكَ الحجاز بعد وفاته ، وسلّم له إخوته ذلك . فمكث على ذلك مدة يسيرة ، ثم

(١) كذا فى الأصل ، والعقد الثمين ٨/ ٨٠ .

(٢) سقط فى الأصل ، والمثبت عن المرجع السابق .

(٣) لم ترد هذه المقولة فى بغية المرام لوحة ٩٩ ، وأيضاً فى إتحاف الورى ٣/ ١٣٤ ــ ١٥٣ .

أن أخاه حُمَيْضَة قتله على فراشه ، وحمله إلى داره . ثم استدعى إخوته للضيافة فاجتمعوا إليه ــ وكان أبو الغيث ينام أكثر أوقاته إلى الضحى لصغر سنه ، فظنوا أنه نائم ، وأنه سيأتى للضيافة ــ فما راعهم إلا وأبو الغيث مقتولاً فى جفنة مسلوقاً كما هو قد وضع بين أيديهم . وعلى رأس كل منهم غلامان أسودان من غلمان حُمَيْضَة واقفان بالسلاح . فأذعنوا له بالملك قَهْراً ، فملك مكة ستة أشهر ، ثم قُبِضَ عليه وحُمِلَ إلى مصر ، فوكّل عليه فى دار ، ومنع من الخروج مدة ثلاث سنين . ثم إنه احتال بأن أمر بعض خواص غلمانه بأن يأتيه بفرس له معروف . ويضمره ويعده للهرب . ففعل الغلامُ ذلك . وأتاه بالفرس ، وأوثقه على باب الدار ، ودخل إليه ، فلبس السيد ثيابَ الغلام ، وألبسه ثياب نفسه ، ثم خرج فلم يَشُكّ الموكلون أنه الغلام الذى دخل ، فركب الفرس وهرب عليها إلى العراق . وسيأتى إن شاء الله تمام حكايته عند ذكره ، ومضى أبو الغيث دارِجاً[1] . انتهى كلام ابن عقبة .

* * *

١٨٢ ــ عُطَيْفَة بن أبى نُمَىّ محمد بن أبى سعد حسن بن على بن قَتَادَة الحسنى المكي .

---

(١) وانظر سمط النجوم العوالى ٤/٢٨٨ .

أخو السابق ذكره .

قال الفاسى[١] : يُلَقَّب سيف الدين . أمير مكة .

ولي إمرتها نحو خمس عشرة سنة ، مستقلاً بها فى بعضها ، وشريكاً لأخيه رُمَيْثَة فى بعضها .

وذكر بِيبَرْس الدوادار ، أو النويرى فى تاريخه[٢] ــ الشك منى ــ : ما يقتضى أنه ولى إمرتها شريكاً لأخيه أبى الغيث لَمَّا أن ولّاه الجَاشْنَكِير إمرتها فى موسم السنة التى مات فيها أبوهما وهى سنة إحدى وسبعمائة ، بعد القَبْضِ على أخويه المتغلبين على مكة : حُمَيْضَة ورُمَيْثَة ؛ تأديباً لهما على قبضهما أبا الغيث وعُطَيْفَة ، كما تقدّم مشروحاً فى ترجمة حُمَيْضَة ورُمَيْثَة .

وذكر صاحب « بهجة الزمن » أن الجَاشْنَكِير أَمَّرَ بمكة فى موسم سنة إحدى وسبعمائة ــ بعد القبض على حُمَيْضَة ورُمَيْثَة ــ أبا الغيث ، ومحمد بن إدريس بن قتادة / وهذا يخالف ما ذكره بِيبَرْس ــ أو النويرى ــ من أنه أَمَّرَ عُطَيْفَة مع أبى الغيث . والله أعلم بالصواب .

وذكرى النويرى : أن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون

(١) العقد الثمين ٦/٩٥ برقم ٢٠٠٣ .

(٢) يقول فؤاد سيد فى تعليقه على المرجع السابق : إن ولاية عطيفة لإمرة مكة شريكاً لأخيه أبى الغيث فى سنة إحدى وسبعمائة مذكورة فى نهاية الأرب جـ٣٠ لوحة ٢ .

صاحب مصر وَلَّى عُطَيْفَة إمرة مكة فى سنة تسع عشرة وسبعمائة بعد القبض على أخيه رُمَيْثَة بمكة فى موسم سنة ثمان عشرة ، وأن السلطان جَهَّزَ مع عُطَيْفَة ـ لنصرته ـ عسكراً مع أميرين : عز الدين ...(١) ، وعز الدين أَيْدَمُر الملكي ، وأنهم توجهوا من القاهرة فى شهر الله المحرم من سنة تسع عشرة وسبعمائة ، ولما وصل العسكرُ إلى مكة أجلسوا بها عُطَيْفَة وأقاموا عنده ، وتوجّه الذين كانوا بها من العام الماضى ، وكثر بمكة الأمنُ والعدلُ ، ورخصت الأسعار بحيث إنه بيعت غرارة القمح ـ فى هذه السنة ـ بمائة وعشرين درهماً ، على ما ذكره البرزالى . ولا أدرى هل أراد بالغرارة الغرارة المكية أو الشامية .

ولما حج السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فى هذه السنة ـ أعنى سنة تسع عشرة وسبعمائة ـ سأله المجاورون بمكة أن يترك عندهم فيها من يمنعهم من أذى حُمَيْضَة لهم ، ففعل وترك بها الأمير شمس الدين سُنْقُر (٢) فى مائة فارس . ولما قصد حُمَيْضَة مكة ـ وعُطَيْفَة بها ـ خرج إليه عُطَيْفَة ، ومع عُطَيْفَة أخوه عَطَّاف ، وآخر من إخوته ، وعسكره ضعيف ، فنصرهم الله على حُمَيْضَة

---

(١) بياض فى الأصل بمقدار كلمتين كتب فوقه « كذا » ، ومثله فى العقد الثمين ٩٦/٦ ، وإتحاف الورى ١٦٣/٣ .

(٢) كذا فى الأصل ، والعقد الثمين ٩٦/٦ ، وفى السلوك للمقريزى ١/٢ : ٢٠٣ ، وإتحاف الورى ١٦٦/٣ « الأمير آق سنقر شاد العمائر » . وانظر ما سبق فى ص ٦٦ .

وكسروه ، وكان ذلك فى جمادى الآخرة من سنة عشرين وسبعمائة . وقتل حُمَيْضَة بعد ذلك بأيام .

وذكر البرزالى نقلاً عن كتاب الشيخ فخر الدين النويري[1] : أن مكة كانت في هذه السنة طيبة من كثرة المياه والخير والأمن ، وأرسل إليها من الغلال ما له قيمة كثيرة .

وذكر البرزالى : أنه جاء فى هذه السنة من اليمنيين والكارم خلق كثير إلى مكة ؛ بسبب عدل عُطَيْفَة .

قال وذكر : أن الناس تألَّمُوا لمجيء رُمَيْثَة من مصر إلى مكة فى موسم هذه السنة صحبة الأمير أَرْغُون النائب الناصرى ؛ لأن الناس يُحبُّون عُطَيْفَة لعدله . قال : لكن أمر مكة إلى عُطَيْفَة وهو مشكور السيرة . انتهى .

ورأيتُ فى كلام بعضهم ما يقتضى أن رُمَيْثَة ولى إمرة مكة فى هذه السنة شريكاً لأخيه عُطَيْفَة . والله أعلم بالصواب .

وذكر البرزالى : ما يقتضى أن رُمَيْثَة كان أمير مكة فى سنة إحدى وعشرين وسبعمائة ؛ لأنه قال فى أخبار هذه السنة : ورَدَ كتابُ موفق الدين عبد الله الحنبلى إمام المدرسة الصالحية من

(١) كذا فى الأصل ، والعقد الثمين ٦/٩٦ . وللشيخ فخر الدين النويرى ترجمة فى العقد الثمين ٦/٥٤ برقم ١٩٧٦ ، ولكنها لم تتضمن أنه كان مؤرخاً فضلاً عن أن وفاته كانت بعد وفاة الشيخ علم الدين البرزالى بحوالى أربع عشرة سنة . ولعل المراد هنا هو الشيخ شهاب الدين أحمد بن علي النويري صاحب كتاب نهاية الأرب المتوفى سنة ٧٣٢ هـ .

القاهـرة ، وهـو مؤرخ بمستهل جمادى الآخرة يذكـر فيـه أنـه جاء فى هذا القرب كتابٌ من جهة عُطَيْفَة أمير مكة ، يذكر : أن رُمَيْثَـة قد حَلَفَ له بنُو حسن ، وقد أَظْهَرَ مذهبَ الزيدية . وجاء معه كتـاب آخر من جهة مملوك هنالك لنائب السلطنة ، فيه مثل ما فى كتـاب عُطَيْفَة . وقد تَحَـرَّج السلطـان من هذا الأمـر ، واشتـد غضبـه على رُمَيْثَة . انتهى .

[وذكر ابن الجزرى ما يقـتضى أن عُطَيْفَـة كان أمير مكـة فى سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة ؛ لأنه قال فى أخبار هذه السنة : ورد كتابٌ من القاهرة مؤرخ بشهـر شعبـان ، أن السلطـان ــ أَعَـزَّ الله نصره ــ أبطل المكس المتعلق بالمأكول بمكة فقط ، وعـوّض صاحب مكـة الأمير الشريـف عُطَيْفَـة ثلثـى دماميـل[1] من صعيـد مصر . انتهى][2] .

وذكـر ابـن الجزرى ــ أيضاً ــ فى تاريخه : ما يقــتضى أن رُمَيْثَـة كان أميراً على مكـة شريكـاً لعُطَيْفَــة فى بعض سنــي عشر الثـلاثين وسبعمائـة ؛ لأنـه ذكـر : أنـه سأَل المحدِّث شهـاب الديـن المعروف بابن العديسة ــ بعد قدومه إلى دمشق / من الحج فى سنـة ١١٩ظ

(١) دماميل : وكذا فى العقد الثمين ٩٧/٦ ، وشفـاء الغـرام ٢٤٤/٢ ، وإتحاف الورى ١٧٦/٣ . وفى السلوك للمقريـزى ١/٢ : ٢٣٦ « دمامين » وهـى بلـدة من بلاد مركـز الأقصر بمحافظـة قنـا ، تقـع على الشاطـئ الغـربي للنيـل . (خطـط على مبـارك ٢٠/١١) .

(٢) ما بين الحاصرتين سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٩٧/٦ .

خمس وعشرين وسبعمائة ــ عن أمور تتعلّق بالحجاز وغيره ، وأنه قال : والحكام يومئذ على مكة الأميران الشريفان أسد الدين رُمَيْثَة ، وسيف الدين عُطَيْفَة ولدا أبى نُمَىّ . انتهى .

وذكر [ابن](١) الجزري أيضاً ما يقتضى أنَّ عُطَيْفَة كان منفرداً بإمرة مكة فى سنة ست وعشرين وسبعمائة ؛ لأنه قال : ووصل أيضاً مَرْسوم كريمٌ من السلطان إلى السيد عُطَيْفَة بتبطيل مَقَام الزيدية والإنكار عليه في ذلك . وفى أمور حدثت بمكة ، فدخل السيد عُطَيْفَة عند وصول المرسوم الكريم وأخرج إمام الزيدية إخراجاً عنيفاً ، ونادى بالعَدْل فى البلاد ، وحصل بذلك سرور عظيم للمسلمين . انتهى .

وإمام الزيدية المشار إليه هو ــ فيما أظن ــ رجل شريف(٢) كان يصلى بالزيدية بين الركنين : اليمانى والحجر الأسود ، فإذا صلّى صلاة الصبح وفرغ من الصلاة دعا بدعاء مُبْتَدَع وجَهَر به صوته وهو : اللهم صَلِّ على محمد ، وعلى أهل بيته المصطفين الأطهار ، المنتخبين الأخيار ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطَهَّرهم تطهيراً . اللهم انصر الحق والمحقين ، واخذل الباطل والمبطلين ، ببقاء ظل أمير المؤمنين ترجمان البيان ، وكاشف علوم

(١) إضافة على الأصل .

(٢) وانظر ما سبق من تعليقنا ص ٩٦ ، والسلوك للمقريزي ٢/٣ : ٩٠٤ ، ١/٣ : ١٠ ، وإتحاف الورى ٢٦٥/٣ ، ٢٦٦ .

القرآن ، الإمام ابن الإمام ابن الإمام : محمد[1] بن المطهر بن يحيى ابن رسول الله ﷺ ، الذى للدين أحيا ، إمام المتقين ، وحجاب الصائمين . اللهم انصره وشعشع أنواره ، واقتل حُسَّاده ، واكبِتْ أضداده . مع زيادات على هذا .

وكان إذا صلى صلاة المغرب دعا أيضاً بهذا الدعاء ، وجهر به صوته في هاتين الصلاتين . وما زال على هذا الأمر إلى أن وَصَل إلى مكة العَسْكَرُ المصريّ المجرّد لليمن ؛ نُصْرَةً للملك المجاهد صاحب اليمن[2] فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة . فعند ذلك خرج هذا الإمام من مكة ، وأقام بوادى مَرٍّ ، وما رجع إليها إلى وقت الحج . انتهى ما ذكره ابن الجزرى نقلاً عن ابن العديسة من خبر إمام الزيدية بمكة .

وكأنه عاد بعد الموسم إلى ما كان يفعله .

وحاصل ما ذكرناه من هذه الأخبار : أن ولاية عُطَيْفَة بمكة في عشر الثلاثين وسبعمائة مختلف فيها : هل وليها فيها بمفرده ، أو شركه

---

(١) هو محمد بن المطهر بن يحيى بن المرتضى بن المطهر ، وهو من أئمة الزيدية الذين تغلبوا على بعض المدن والحصون باليمن ، وتولى دعوة الزيدية من سنة ٧٠١ هـ إلى أن توفي سنة ٧٢٩ هـ ترجيحاً . وانظر البدر الطالع ٢٧١/٢ برقم ٥٢٤ ، والأعلام للزركلي ٣٢٤/٧ ، ومعجم المؤلفين ٣٧/١٢ .

(٢) هو علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول ، الملك المجاهد صاحب اليمن ، ومنشئ المدرسة المجاهدية بمكة . تولى سلطنة اليمن بعد موت أبيه الملك المؤيد فى سنة ٧٢١ هـ ، وتوفى سنة ٧٦٤ هـ . (العقد الثمين ١٥٨/٦ برقم ٢٠٥٨) .

فيها أخوه رُمَمَيْثَة ؟ .

ولم يزل عُطَيْفَة على ولايته إلى أن وصل العسكـــرُ المجرد إلى مكة ، في سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة بسبب قتل الأمير أَلْدَمُر أمير جَنْدَار فى سنة ثلاثين وسبعمائة فى رابع عشر الحجة منها .

ولما وصل العسكر إلى مكـــة وجـــدوا الأشراف قد هربـــوا بأجمعهم . وقد تقدم خبر هذا العسكر فى ترجمة رُمَيْثَة ، وأنه استقر فى إمرة مكة بمفرده ، ثم توجّه عُطَيْفَة إلى مصر ، وعاد منها فى سنة أربع وثلاثين متولياً ، وأقام بموضع يقال له أم الدمن ، ثم جاء إلى مكة وأخذ نصفَ البلاد من أخيه رُمَيْثَة . فلما كانت ليلة النفر من منى أخرجه رُمَيْثَة من مكة بلا قتال ، فتوجّه عُطَيْفَة إلى مصر وأقام بها ، إلى أن جاء صحبة الحاج فى آخر سنة خمس وثلاثين ، وقد ولي نصف البلاد ، ومعه خمسون مملوكاً ــ شراء ومستخدمين ــ وأخذ نصف البلاد من / أخيه رُمَيْثَة بلا قتال ، وكانا متوليين لمكة في سنة ١٢٠و ست وثلاثين وسبعمائة .. ثم إنهما بعد مدة من هذه السنة حصلت بينهما وحشة ومباعدة ؛ فأقام عُطَيْفَة بمكة ومعه المماليك ، ورُمَيْثَة بالجديد إلى شهر رمضان . فلما كان فى اليوم الثامن والعشرين مِنْه ركب رُمَيْثَة فى جميع عسكره . ودخل مكة على عُطَيْفَة بين الظهر والعصر ــ وكان عُطَيْفَة برباط أم الخليفة والخيل والدروع والتجافيف فى العلقمية ، فلم يزل رُمَيْثَة وأصحابُه قاصدين إلى باب العَلْقَمِيَّة ــ ولم يكن معهم رجال ــ فوقف على باب العلقمية مَنْ حَمَاها إلى أن أغلقت ــ والموضع ضيّق لا مجال للخيل فيه ــ

والذين حموا الغُزُّ والعبيدُ من غلمان عُطَيْفَة ؛ فلم يحصل فى ذلك اليوم لِرُمَيْثَة ظفر ، وقتل فى ذلك اليوم من أصحاب رُمَيْثَة وزيره واصِلُ بن عيسى الزَّبَّاع ، وخُشَيْعَةُ ابن عمّ الزباع ، ويحيى بن ملاعب ، وولوا راجعين إلى الجديد . ولم يقتل من أصحاب عُطَيْفَة غير عبد واحد أو اثنين ـــ فيما قيل ـــ والله أعلم .

وذكر ابن محفوظ : أن فى هذه السنة لم يحج الشريفان رُمَيْثَة وعُطَيْفَة . واصطلحا فى سنة سبع وثلاثين ، وأقاما مدة ، ثم توجها إلى ناحية اليمن بالواديين ، وترك عُطَيْفَة ولَدَه مُبَارَكاً ، وترك رُمَيْثَة ابنه مُغَامساً بالجديد . وحصل بين مُبَارَك ومُغَامِس وَحْشَةٌ وقتال ، ظفر فيه مبارك .

وذكر أن فى هذه السنة استدعى صاحبُ مصر الشريفين عُطَيْفَة ورُمَيْثَة ، فذهبا إلى مصر ، فلزم عُطَيْفَة ، وأعطى رُمَيْثَة البلادَ ، وجاء إلى مكة ، ولم يزل عُطَيْفَة بمصر إلى أن توفى بها فى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة بالقبيبات ظاهر القاهرة ، ودفن بها . وكان موصوفاً بشجاعة مفرطة ، وكان أكثر حرمة من أخيه رُمَيْثَة .

وقد بلغنى عن الشريف أبى سُوَيْد بن أبي دعيج بن أبى نُمَىّ الحسني المكي الآتى ذكره[1] ، قال : كان رُمَيْثَة مع عُطَيْفَة كمبارك ابن عُطَيْفَة مع عجلان . انتهى بالمعنى .

---

(١) العقد الثمين ٥٣/٨ برقم ٢٨٩٨ ، ولم يذكر الفاسي فى ترجمته سوى اسمه فقط .

ولم يكن لمبارك بن رُمَيْثَة قدرة على مخالفة أخيه عجلان فيما يتعلق بأمر دولته ، وكان عجلان له مُكْرِماً وقائماً بمصالحه .

وكان عُطَيْفَة يسكن برباط أم الخليفة الناصر لدين الله العباسي ، بالجانب الشامي من المسجد الحرام ، ولذلك قيل لهذا الرباط العطيفية ، لكثر سُكْنَى عُطَيْفَة به . ووجد عُطَيْفَة فى سقفه خبيئة فضة فى الجانب الذي يلي المسجد الحرام ، والذى أرشده إلى ذلك نَجَّارٌ كان بمكة ، ولما ذكر ذلك النجارُ لعُطَيْفَة ، قال : أريد أن تُخْلِيَ لى الموضع ، وأن تحضر لي سُلَّماً طويلاً ، فأحضر له سُلَّمَ الحرمِ ، وأخرج كلَّ من كان عنده ، حتى لم يبق معهما غيرهما . وكان عُطَيْفَة يُعِينُ النجار على حمل السلّم ونصبه حيث يختار النجار ، وكان النجار يفتح بالقدوم عن المواضع التى يتخيَّل أن بها الفضة مخبوءة ،وكانت الفضة دراهم مضروبة يقال لها « القازانية »(١) وكان الذي وجدوه من ذلك كثيراً . ولم يكن عند النجار الذى أخرج هذه الفضة خبرٌ بها ، وإنما نظر إلى السقف فظهر له بذكائه أنه مشغول .

(١) القازانية : نسبة إلى قازان ملك التتار ، ويقال له غازان أيضاً وهو محمود بن أرغون بن أبغا بن هولاكوبن تولى خان بن جنكزخان ، السلطان معز الدين . تولى ملك التتار فى سنة ٦٩٣ هـ وأسلم فى سنة ٦٩٤ هـ ففشا الإسلام فى التتار ، وضربت السكة باسمه ، وهُزِمَ جيشُه أمام جيوش مصر والشام فى وقعة تل شقحب سنة ٧٠٢ هـ فنزل به الغم ، ومات فى شعبان سنة ٧٠٣ هـ . (الدرر الكامنة ٢٩٢/٣ برقم ٣١٣٣) .

ولشيخنا ــ / بالإجازة ــ الأديب [يحيى][1] النشو ١٢٠ظ الشاعر المكى فى عُطَيْفَة مدائح كثيرة منها من قصيدة ــ فيما أنبأنا به ــ قوله :

ها قَدْ مَلَكْتَ لمُهْجَتِى وحُشَاشَتِى
فانْظُر بأَيِّهِمَا عَلَىّ تَصَدَّقُ
يا مُمْرِضِى ببِعَادِهِ وصُدُودِهِ
أنا عبد ودِّكَ بالمحبة مُوْثَقُ
بالله ما خَطَرَ السُّلُوُّ بخَاطِرِى
أبداً ولا قلبى بِغَيْرِكَ يَعْلَقُ
يا لائمِي دَعْ عنك لَوْمِى فى الهَوَى
ما أنت مِنْ رُوحِى برُوحِى أَرْفَقُ
لو ذُقْتَ ما قَدْ ذُقْتُه مِنْ لَوْعَةٍ
مَا كنتَ تَرْعَدُ بالمَلَامِ وتُبْرِقُ
وأَغَنَّ فَتَّانِ اللواحِظِ أَهْيَفٍ
عَبْلِ الرَّوَادِفِ بالهلالِ مُطَوَّقُ
غُصْنٍ يَمِيسُ عَلَى نَقىً مِن فَوْقِهِ
بَدْر عليه من المَلَاحَةِ رَوْنَقُ
يَحْكِى الأُقَاحَةَ مَبْسِماً وبِثُغْرِهِ
خَمْرٌ بِمَرْشِفِهِ الشَّهِيّ مُرَوَّق

(١) إضافة عن العقد الثمين ٤٥٢/٧ برقم ٢٧١٨ ، وهو يحيى بن يوسف بن محمد بن يحيى المكى ، يلقب محيى الدين ويعرف بالنشو الشاعر . توفى سنة ٧٨٢ هـ بمكة ، وكان يكتب الإنشاء لأمرائها .

لِلّهِ ما لَاقَيْتُ مِنْهُ وَلَـم يَكُـنْ
لى فِى هَوَاهُ مُساعِدٌ أو مُشْفِـقُ
إلَّا الشَّرِيفَ عُطَيْفَـةَ بنَ محمـدٍ
مَلِكٌ بِظِـلِّ جَنَابِـهِ أَسْتَوْثِـقُ

ومنها :

يَسْمُـو عَلَى هَامِ السِّمَاكِ بِهِمَّـةٍ
عَلْيَا تَظَلُّ بها السعادَةُ تُحْـدِقُ

تَمْشِى المَنَايَا تَحْتَ ظِلِّ حُسَامِـهِ
لَا يُسْتَبَـاحُ ذِمَامُـهُ وَالمَوْثِـقُ
غَيْثٌ إذا ما الغَيْثُ أَخْلَفَنَـا فَمِـنْ
كَفَّيْـهِ سَيْـحٌ للبرِيَّـةِ مُغْـدِقُ
أَضْحَتْ به أُمُّ البِـلادِ أَنِـيسَةً
فَالْعَـدْلُ مِنْهَـا بالمَسَـرَّةِ مُوْثِـقُ

وقوله فيه من أخرى :

فأَنْتَ المليكُ ابنُ المليكِ أَصَالَـةً
يُقَصِّرُ عَنْ أَوْصَافِكَ النَّظْـمُ والنَّثْـرُ
أَعَـزُّ الـوَرَى قَدْراً وَجَاهـاً ورِفْعَـةً
وَأَبْسَطُهُمْ كَفّـاً لَهُ الحُكْـمُ وَالْقَهْـرُ

ومنها :

فَسَلْ عَنْ عُلَاكَ النَّسْرَ يَا خيرَ مَاجِدٍ
فَقَدْ قِيلَ لِي من تحت أقدامِكَ النَّسْرُ
أَلَــم تَرَ أنَّ اللهَ أعْطَــاكَ رُتْبَــةً
إِلَيْكَ بها تُهْدَى المَثُوبَـةُ وَالْأَجْرُ
فَمَـا لَكَ فِي كُلِّ المُلُوكِ مُمَاثِـلٌ
وَقَدْ نُشِرَتْ بالنصرِ أَعْلَامُكَ الصُّفْرُ
بَقِيتَ بَقَاءَ الدَّهْرِ بالمُـلْكِ والغِنَـى
وَدَامَتْ لَكَ الأيَّـامُ والمجدُ والفَخْـرُ

وقوله فيه من أخرى :

بَلَوْتُ بَنِي الدنيا جَمِيعـاً بأَسْرِهِـمْ
فَلَم أَرَ فِيهِمْ مَنْ لهُ الشكرُ والحمْدُ
سِوَى سَيْفِ دِينِ اللهِ فَهْـوَ عُطَيْفَـةٌ
مَلِيكٌ له مِنْ رَبِّـهِ العـزُّ والمَجْــدُ
لَهُ هِمَّـةٌ تَسْمُــو إلى كُلِّ غَايَــةٍ
هُوَ الطاهِرُ الأَنْسَابِ والعَلَـمُ الفَـرْدُ
هو الملكُ المَاحِي لِمَنْ كَانَ قَبْلَـهُ
فَمَا فِي مُلُوكِ الْأَرْضِ طُرًّا لَهُ نِدٌّ /
هو المنعمُ المُولِي الجَزِيلَ[1] تَفَضُّلاً ١٢١و
فمِنْ سَيْبِه قَدْ أَوْرَقَ الحَجَرُ الصَّلْدُ

(١) كذا فى الأصل ، وفى العقد الثمين ١٠٣/٦ « الجميل » .

كَرِيـمٌ كِرَامُ الـعَصْرِ تَسْعَى لِبَابِـهِ
وُفُـوداً لَهُـم مِنْـهُ المَـوَاهِبُ والرِّفْـدُ
تَخِـرُّ لَهُ كُلُّ الملــوكِ مَهَابَــةً
وَتَخْـرَسُ مِنْ إجْلَالِـهِ الأَلْسُنُ اللُّـدُّ
أبـادَ الأعــادِى بالصَّوَارِمِ والقَنَــا
لَهُ الخَيْلُ فِي الغارَاتِ بالنَّصْرِ تَحْتَدُّ
عليها رجـــالٌ مِنْ لُؤَىّ بن غَالِبٍ
إذَا وَعَدُوا أَوْفُوا وإنْ عَقَدُوا شَدُّوا

وقوله فيه من أخرى :

تَجْــرِى مَقَادِيــرُ الإلَـــهِ بما تَشَا
وَالدَّهْـرُ قَدْ أَلْقَـى إلــيكَ زِمَامَــهُ(٢)
اَللهُ أَعْطَــاكَ(١) الــذى أَمَّلْتَــهُ
فَدَعِ الــحَسُودَ تُمِيتُــهُ أَوْهَامُــهُ

ومنها :

ما للسُّكُـوتِ إفَـادَةٌ عَنْ كُلِّ مَنْ
أَبْـدَتْ به بين الــوَرَى أَجْرَامُــهُ
هَا قَدْ قَدَرْتَ فلا تكُــنْ مُتَوَانِيـاً
فالأُفْعُــوَانُ قَوِيَّـــةٌ أَسْمَامُـــهُ

(١) هذا من الغلو المذموم الذي يأثم قائله وهو كذب محض .
(٢) كذا فى الأصل ، وسمط النجوم العوالى ٤/٢٣٤ . وفي المرجع السابق « الله قد أعطى » .

لَا تَحْلُمَـنَّ عَنِ العَـــدُوِّ تَكَرُّمـــاً
كَمْ سَيِّـــدٍ ضَرَّتْ به أحْلَامُـــــهُ
لَا تَحْقِـرَنَّ أَخَـــا العَـــداوَةِ إنَّـــهُ
كالجَمْـرِ يُوْشِـكُ أنْ يَضُرَّ ضِرَامُـهُ
أنتَ المليكُ ابـنُ المليكِ أَصَالَـــةً
فالجودُ مِنْكُـــمْ وُفِّــرَتْ أقْسَامُـــهُ
أَوَ مَا عَلِـمْتَ بأنَّ فِيكَ فَصَاحَـــةً
ما حَازَهَـــا قُسٌّ وَلَا أَقْوَامُـــــهُ
لَيْثٌ تَخَـافُ الأُسْدُ مِنْ سَطَوَاتِـهِ
غيثٌ يَجُـودُ عَلَـى الأَنَامِ غَمَامُـــهُ
مَنْ لَيْسَ مَشْغُولَ اللِّسَانِ(١) عَنِ النَّدَى
يَوْمـاً إذَا شَغَـلَ اليميـــنَ حُسَامُـــهُ

وقوله فيه من أخرى :

مَنْ لِى بسَفْحِ مِنىً يَلُوحُ لِنَاظِـرِى
والبرقُ خَفَّـــاقٌ عَلَـــى أَعْلَامِـــهِ
قُلْ للمُقِيـمِ عَلَـى أُثَيْـلَاتِ النَّقَـــا
لا تَقْتُـلِ المُشْتَـاقَ قَبْـلَ حِمَامِـــهِ

ومنها فى المدح :

---

(١) كذا فى الأصل ، والعقـد الثـمين ١٠٤/٦ . وفى سمط النجــوم العـــوالى ٢٣٤/٤ « البنان » ، وهو أنسب للمعنى .

المالِكُ المَـلِكُ المُطَـاعُ لأمْـرِهِ
لَيْثٌ تَخَافُ الأُسْدُ مِنْ إقْدَامِـهِ
سيفٌ لِدِينِ اللهِ فَهْـوَ عُطَيْفَـةٌ
حَازَ الفخـارَ وَقَـادَهُ بِزِمَامِـهِ
ملكٌ تَشَرَّفَتِ البِـلَادُ بِعَدْلِـهِ
والعَـدْلُ مَنْسُوبٌ إلى أَحْكَامِـهِ
أحْيَـا الأنـامَ بجودِهِ ونَوَالِـهِ
فَاسْتَبْشَرَتْ بِالخِصْبِ فى أَيَّامِهِ
مِنْ نَسْلِ أَحْمَدَ واحِدٌ فى عَصْرِهِ
آبَـاؤُهُ كُلٌّ كَرِيـمُ كِرَامِـهِ
فَاقَ الملوكَ بَنِى الملوكِ بِعَدْلِـهِ
فملوكُ هَذَا العَصْرِ مِنْ خُدَّامِـهِ

وقوله فيه من أخرى أولها :

وأَقْبَلَ السعدُ والإقْبَالُ والنِّعَمُ

ومنها :

فيـا لها رُتْبَـةً مَا نَالَهَـا أَحَـدٌ
وَهِمَّةً قَصَرَتْ مِنْ دُونِهَا الهِمَمُ /
١٢١ظ يَا بنَ الذَّبِيحَيْنِ يا أَعْلَى الوَرَى نَسَباً
وَمَنْ بِهِ أهلُ بيتِ اللهِ قَدْ رُحِمُوا
مَنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ سيفَ الدِّينِ مُعْتَصِماً
فَذَاكَ لَيْسَ بحَبْلِ اللهِ يَعْتَصِمُ

عُطَيْفَـــةٌ فيـــهِ سِرُّ اللهِ مُدَّخَـــرٌ ١
قَدْ بَرَّ فِى مَدْحِـهِ الشَّاعِـرَ الـقَسَمُ

انتهى كلام الفاسى .

* * *

١٨٣ ــ محمـد بن إدريس بن قتـادة بن إدريس بن مُطَاعِـن ابن عبد الكريم الحسني المكى .

قال الفاسى(١) : أمير مكة .

ذكر الشيخ تاج الديـن عبـد البـاقى بن عبـد المجيـد اليمنـى فى كتاب « بهجة الزمن فى تاريخ اليمن » أن الأمير بيبَرْس الجَاشْنَكِير لَمَّا حَجَّ فى سنـة إحـدى وسبعمائـة أَمَّـرَ بمكـة أبـا الغَيْـث ، ومحمـد بن إدريس ، وحَلَّفَهما لصاحب مِصر . فأقام أبو الغـيث أيَّاماً وأخـرج من مكة محمد بن إدريس ، واستبَـدَّ بالإمـرة . وجَـرَت بينهمـا حروب كثيرة ، وقُتِلَ فيها جماعة من الأشراف .

وكاتَبَ أبو الغيث السلطانَ ــ يعنى المؤيـد صاحب اليمن ــ وبذل الخدمة والنصيحة والرَّهِينَة ؛ فقبل ذلك منه . انتهى .

ولم يزد الشيخ تاج الديـن المذكـور فى نَسَبِ محمـد بن إدريس المذكور على اسم أبيه .

---

(١) العقد الثمين ١/٤٢١ برقم ١٠٣ .

ورأيت ما يخالف ما ذكره فى تأمير الجَاشْنَكِير لمحمد بن إدريس هذا بمكة ؛ لأن كلام بِيبَرْس الدوادار فى تاريخه يدل على أن الأمير بِيبَرْس [الجَاشْنَكِير][1] إنما أمَّر بمكة فى هذا التاريخ أبا الغيث وأخاه عُطَيْفَة ابنى أبى نُمَىّ — والله أعلم بالصواب .

وبلغنى أن أبا نُمَىّ أمير مكة جَعَل لمحمد بن إدريس هذا رُبْعَ ما يتحصل لأمير مكة فى كل سنة ، ولكنه لم يجعل له ولاية بمكة . وأن أبا نُمَىّ كان كثير الاغتباط بمحمد بن إدريس هذا ، ويقول فيه — لكثرة اغتباطه به إذا رآه — : هنيئاً لمن هذا ولده . وأن بعد موت أبى نُمَىّ أشار بعضُ الناس على أولاد أبى نُمَىّ بقتل محمد بن إدريس هذا ، وقال لهم : لايتم لكم معه أَمْرٌ إلّا إن قتلتموه . فتشاوروا فى ذلك ، وذكروه لحُمَيْضَة بن أبى نُمَىّ ؛ فلم يُوَافق على ذلك حُمَيْضَة ، وأعرضوا عن قتل محمد بن إدريس . وكان بعد ذلك بين إخوته أولاد إدريس ، وأولاد أبى نُمَىّ حروب كثيرة ، منها فى شهر واحد — شهر رمضان — بضع وعشرون لقية . والله أعلم بحقيقة ذلك . انتهى كلام الفاسى .

* * *

١٨٤ — ثَقَبَة بن رُمَيْثَة بن أبى نُمَىّ محمد بن أبى سعد حسن بن على بن قتادة بن إدريس بن مُطَاعِن الحسنى المكى . قال الفاسى[2] : يُلَقَّب أسد الدين ، ويُكْنَى أبا شِهَاب .

---

(١) إضافة للتوضيح .

(٢) العقد الثمين ٣/٣٩٥ برقم ٨٦٨ .

ولى إمرة مكة مدة سنين شريكا لأخيه عَجْلَان ، ومستقلا بها فى بعضها .

ورأيت فى تاريخ ابن محفوظ وغيره شيئا من خبَرِهما ، ورأيتُ أن أُلَخِّص ذلك بالمعنى . وذلك أن ثقبة ولِىَ إمْرَة مكة شريكا لأخيه عجلان فى حياة أبيهما ، لما تركها لهما أبوهما على ستين ألف درهم ، فى سنة أربع وأربعين وسبعمائة . ثم قُبِضَ عليه فى هذه السنة بمصر ، وكان قدمها بطلب من صاحبها الصالح إسماعيل بن الناصر ، ثم أُطْلِق ، فتوجّه إلى مكة ـــ ثم توجّه منها فى سنة ست وأربعين إلى نخلة ، لما ولى أخوه عجلان إمرة مكة بمفرده / فى حياة ١٢٢و
أبيه ، وتوجّه ثقبةُ بعد ذلك إلى مصر فى السنة المذكورة ، وقُبِضَ عليه بها ، ولم يزل حتى أطلق هو وأخواه سَنَد ومُغَامِس وابن عمهم محمد بن عُطَيْفَة . ووصلوا إلى مكة فى سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، وأخذوا فيها من عجلان نصفَ البلاد بغير قتال ، وداما[1] على ذلك إلى سنة خمسين ، وفيها حصل بينهما وحشة ، وكان عجلان بمكة وثَقَبَةُ بالجديد ، ثم خرج عجلان إلى الوادى لقتال ثَقَبَة ، فمنعه القواد من ذلك واصطلح مع أخيه ثَقَبَة ، ثم سافر عجلان إلى مصر فى هذه السنة ، فاستقل ثَقَبَة بالإمرة ، وقطع دعاء عجلان من زمزم .

فلما وصل عجلان من مصر متوليا للبلاد بمفرده ، فى خامس شوال من السنة المذكورة توجّه ثَقَبَةُ إلى ناحية اليمن ، ثم قصد

---

(١) أى عجلان وثقبة كما سيأتى .

ذَهَبان(١) وحَمِضَة ، وتعرَّض للجلاب وأخذها ، وحمل فيها عبيده ، وجاء بها إلى حَلْى ، ولاءم الملكَ المجاهد صاحب اليمن من حَلْي . وكان المجاهد قد توجّه إلى مكة للحج فى سنة إحدى وخمسين ، ودخل المجاهد إلى مكة ومعه ثَقَبَة وإخوته وكان عجلان قد منعهم من ذلك .

وفى سنة اثنتين وخمسين كان عجلان بمكة وثَقَبَة بالجديد ، وجاءت الجلابُ إلى جُدَّة فَنَجَلَها ثَقَبَة وجباها جباء عنيفا .

وفى هذه السنة جاء له ولأخيه عجلان طلبٌ من صاحب مصر ، فتقدما إلى مصر ، كل منهما على انفراده . ثم رجع عجلان من يَنْبُع ، واستمر ثَقَبَةُ حتى بلغ مصر ، فولى الإمرة بمفردة ، ووصل فى ذى القعدة من هذه السنة ، ومعه خمسون مملوكا . فمنعه عَجْلاَن من الدخول إلى مكة ، فرجَعَ إلى خُلَيْص ، وأقام بها إلى أن جاء مع الحاج . وأراد عجلانُ منعه ، ومنع أمير الحاج من الدخول . ثم رضى ثَقَبَة بأن تكون الإمرة بينه وبين أخيه عجلان نصفين ، وصالح أخاه عجلان على ذلك . وكان المصلح بينهما أمير الحاج المصرى الأمير المعروف بالمجدى(٢) .

---

(١) ذَهَبَان وحَمِضَة : واديان يتخللان حَرَّة بنى هلال ــ من كنانة ــ الأول على ١٥ كيلاً من القحمة . والثانى على عشرة أكيال جنوب القحمة ، وبه قريش تسمى حمضة ، وهما بين إمارة مكة وإمارة جيزان . (بين مكة واليمن ٢٢٦ ــ ٢٣٣) .

(٢) هو طيبغا المجدى (السلوك للمقريزى ٣/٢: ٨٥٥، ٨٥٨، والنجوم الزاهرة ٢٦٥/١٠) . وفى الدرر الكامنة ٣٣٣/٢ برقم ٢٠٦١ ، والدليل الشافى ٣٧٦/١ برقم ١٢٨٩ « طيبغا المحمدى » .

ثم استقل ثَقَبَةُ بالإمرة فى أثناء سنة ثلاث وخمسين بعد قبضه على أخيه عجلان ، وأخذه لِمَا كان معه من الخيل والإبل .

قال الوالد : ويقال : فى هذه الواقعة أنشد شاعر مكة يَحْيَى ابن يوسف النَّشْو يُحَرِّضُ الشريف ثَقَبَة بقصيدة موشحة[1] ، منها :

الملكُ بالأسيافِ لا بالكُتُبْ وهو عقيم لا تقل فيه أَبّ
وهكذا شَرْطُ ملوكِ العَرَبْ
لا يطلب الملكُ فتىً ذَلِيلَا
ما قد جرى تعلمه ياثقبَهْ إن التوانى كان عندى سَبَبَهْ
ليس إذا العزم تخلَّى طَلَبَه
أخاكَ لا تتخذْهُ خَلِيلَا
مَنْ لزمَ الضربَ بوادٍ سَكَنَه ومن إذا القرْمُ وافى طَعَنَه

انتهى .

قال الفاسى : واستمرّ ــ يعنى ثقبة ــ على ذلك حتى قَبَضَ عليه أمير الركب المصرى عُمَرْ شَاه[2] فى موسم سنة أربع وخمسين ،

(١) ولما كانت ترجمة ثقبة فى بغية المرام للنجم بن فهد لوحة ١٠٤ ، ١٠٥ يتعذر قراءتها لوجود رطوبة مع سوء التصوير فإننى لم أتبين وجود هذه الموشحة للنشو بها .

(٢) هو ركن الدين عمر شاه التركى ، حاجب الحجاب . توفى سنة ٧٧١ هـ . (الدرر الكامنة ٢٧٦/٣ برقم ٣١٠٠ ، والدليل الشافى ٥٠٧/١ برقم ١٧٦٨) . والخبر فى السلوك للمقريزى ٣/٢ : ٩٠٣ ، ٩٠٤ .

واستقر عوضه أخوه عَجْلاَن . وذلك بعد أن سئل فى الصلح مع (١٢٢ظ) أخيه / عجلان على إشتراكهما فى الإمرة فلم يوافق . وحمل إلى مصر ، فأقام بها معتقلا حتى هرب منها ، ومعه أخواه المذكوران[١] ، ومحمد بن عطيفة ـــ وكانوا قد اعتقلوا معه ـــ فوصلوا إلى نخلة في السابع عشر من رمضان سنة ست وخمسين ، وليس معهم إلا خمسة أفراس ، وكان عجلان يومئذ بخيف بنى شديد ، ثم ارتحل إلى مكة فأقام بها . ثم انتقل ثَقَبَة وأخواه إلى الجديد ، وأقاموا به ومعهم ثلاثة وخمسون فرسا .

فلما كان وقت وصول الحاج وصلوا إلى جُدَّة ، وأخذوا الجِلاب ، ودَبَرُوا بها إلى بُجَيْر[٢] وبعد رحيل الحاج من مكة توجّهُوا بالجلاب إلى جُدّة ونجلوها ، ونزلوا الجديد . ثم اصطلح ثقبة وعجلان على أن تكون الإمرة بينهما نصفين . فى تاسع المحرم سنة سبع وخمسين .

فلما كان اليوم الثالث عشر من القعدة نزلوا الـمَعَابِدَة محاصرين لعجلان ، ثم رحلوا ـــ بعد أن تضرَّر النـاسُ بهم ـــ فى الرابع والعشرين من ذى القعدة إلى الجديد .

ثم انفرد ثَقَبَة بالإمرة في ثالث عشر جمادى الآخرة من هذه السنة ، بعد رجوعه من اليمن ، [وأقام بمكة][٣] وقطع نِدَاء

---

(١) أى سند ومغامس . وانظر إتحاف الورى ٣/٢٦٠ .

(٢) بجير : قرية لطيفة من أعمال هدة بنى جابر ، يسكنها عرب من القحطانية ، فيها نخيل وعين عذبة جارية . (حسن القرى فى أودية أم القرى) .

(٣) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٣/٣٩٧ .

أخيه على زمزم ، واستمرّ منفردا بالإمرة إلى مستهل الحجة من هذه السنة ، وأخوه عجلان فى هذه المدة بالجديد .

فلما وصل الحاج المصري [دخل معهم عجلان مكة بعد أن فارقها ثقبة ، ثم طلب ثَقَبَةَ إليها أميرُ الركب المصري](١) وكان يقال له الهذبانى ، فلم يُجِبْه ثَقَبَة ــ مع كونه أمّنه ــ وقصد ناحية اليمن ونهب قافلة الفقيه البركانى ، وأخذ ما معهم من البضائع والقماش ، وكان مالا كثيرا .

وفى سنة ثمان وخمسين. وصل ثَقَبَة إلى الجديد ونزل به ، وأقام به مدة ، ثم ارتحل بعد ذلك إلى ناحية اليمن ، وأقام بها مدة ، ثم عاد إلى الجديد ثانية ، فعمل عليه القوّاد ، وحالفوا أخاه عجلان . فارتحل إلى خيف بني شديد ، ثم أتى نخلة ، ثم التأم عليه الأشراف جميعهُم وَرَمُّوا(٢) معه فى خيف بني شديد ، والتأم القوّاد جميعهم مع عجلان ، وخرج من مكة ونزَل الجديد ، ثم ارتحل منه إلى البُرقة(٣) طالبا قتال ثقبة ، فلم يمكنه القوّاد من ذلك ، ثم عاد إلى الجديد بعد شهر .

فلما كان أوّل ذى القعدة قصد ثَقَبَةُ مكة ، فلم يُمَكَّنْ من دخولها بعد أن وصل إلى الدرب من ناحية الأبطح ، ثم اصطلح ثَقَبَة

---

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن المرجع السابق .

(٢) كذا فى الأصل ، والعقد الثمين ٣٩٨/٣ . وفى العقد الثمين ٦٦/٦ ، وإتحاف الورى ٢٧١/٣ ، وما سيأتي فى ترجمة عجلان ص ١٤٧ « ونزلوا » .

(٣) البرقة : قرية حسنة من خيف بنى شديد ، بها نخيل ومزارع ، وبها حصن كبير ، أو قصر يسكنه أمير مكة . (حسن القرى فى أودية أم القرى) .

وعجلان وتشاركا فى الإمرة عند وصول الحاج فى سنة ثمان وخمسين ، واستمرا على الصلح ، والاشتراك فى الإمرة إلى أن عُزِلاَ فى أثناء سنة ستين وسبعمائة ، بعد أن استدعيا فيها للحضور إلى حضرة السلطان فى مصر فاعتذرا عن ذلك ، وَوَلِيَ عوضهما أخوهما سند وابنُ عمهما محمد بن عطيفة . انتهى ما ذكره ابن محفوظ ، وغالبه بالمعنى .

وذكر لى بعض من أثق به من الفقهاء المكيين : أن ثقبة اشترك مع أخيه سند فى الإمرة بمكة لما تَوَجَّه محمد بن عُطَيْفَة والعسكر الذى كان بمكة إلى مصر ، بعد الفتنة التى كانت بين العسكر والأشراف بمكة ، بعد الحاج فى سنة إحدى وستين وسبعمائة ، وأن ثقبة سكّن الشَّرَّ عن العسكر ، وساعدهم على التوجّه إلى مصر ، فرعى له ذلك ، وأشرك مع أخيهِ عجلان فى الإمره ، فلم يصل أخوه عجلان من مصر إلا وهو(١) ضعيف مُدْنِف ، فأقام أيَّاما ، ثم مات فى شوال سنة اثنتين وستين وسبعمائة
١٢٣و بالجديد ، وحُمِلَ إلى مكة فدفن بالمعلاة . / انتهى .

وكان كثير الرعاية للزيدية ، موصوفا بكرم وشجاعة . ومدحه ابن غنائم(٢) بقصيدة حسنة أولها :

ما خَفَقَت فوقَ مَنْكِبٍ عَذَبَهْ عَلَى فَتىً كابنِ مُنْجِدٍ ثَقَبَهْ

---

(١) أي ثقبة .

(٢) هو أحمد بن غنايم المكى ، شاعر يعرف بابن غنايم ، ويلقب بالشهاب . توفى سنة ٧٤١ هـ . (العقد الثمين ١١٥/٣ برقم ٦١٢) .

ولاآعتـزَى بِه لفخـارِ مُنْتَسِب إلاّ وفـاقت عُلاَهُ مُنْتَسَبَـهْ
منتخبٌ من سَلِيـلِ منتـخبٍ منتـخبٌ من سليـل منتَخَبَهْ
كم جَبَرَت راحاتهُ[1] مَنْكَسِراً وفَكّ من أَسْرِ غيـرِه رَقَبَـهْ

[وخلـف ثقبـة عدة أولاد ، وهـم : أحمد ، وحسن ، وعلى ، ومبارك ، وفاطمة ، وسبق خبر أحمد ، وسيـأتى ذكـر حسن ، وعلى ، ومبارك ، وأما فاطمة فموجودة فى تاريخه][2]

* * *

١٨٥ ـــ عَجْلَان بن رُمَيْثَة بن أبى نُمَىّ محمـد بن أبى سعـد حسـن بن على بن قَتَادَة بن إدريس بن مُطَاعِن الحسنى المكي .

قال الفاسى[3] : يكنى أبا سريع ، ويلقب عز الدين .

أمير مكة :

ولي إمـرة مكـة غير مرَّة ، نحو ثلاثين سنـة ، مستقـلا بها مدة ، وشريكـا لأخيـه ثَقَبَـة مدة ، وشريكـا لابنـه أحمد بن عجـلان مدة . كما سيأتى بيانه .

وقد ذكر ابن محفوظ المكـى شيئـا من خبره ، وأفـاد فيـه ما لم

---

(١) فى الأصل ، وسمط النجـوم العوالى ٢٤٣/٤ ، وبغيـة المرام لوحـة ١٠٥ و « راحتاه » والمثبت عن العقد الثمين ٣٩٩/٣ .

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة عن المرجع السابق ، وبغية المرام لوحة ١٠٥ و .

(٣) العقد الثمين ٥٨/٦ برقم ١٩٧٩ .

يفده غيره . ورأيت أن ألخص هنا ما ذكره من خبره بالمعنى ، مع ما علمته من خبره مما لم يذكره ابن محفوظ .

وملخص ما ذكره ابن محفوظ : أن عجلان وأخاه ثقبة اشتريا مكة من أبيهما رُمَيْثَة فى سنة أربع وأربعين وسبعمائة بستين ألف درهم ، حين ضعف وكبر وعجز عن البلاد ، وعن أولاده ، وصار كل منهم له فيها حكم . ثم إن ثَقَبَة توجّه إلى مصر بطلب من صاحبها الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وبقي عجلان وَحْدَه فى البلاد إلى آخر ذى القعدة من السنة [المذكورة][(١)] ثم فارقها لما علم أن صاحب مصر قبض على أخيه ثَقَبَة ، وأنه وصل مرسوم من صاحب مصر لأبيه رُمَيْثَة بردّ البلاد عليه . وقصد عجلان جهة اليمن ، ومنع الجِلاَب من الوصول إلى مكة ، فلم يصل منها إلا القليل ، وحصل فى هذه السنة غلاءٌ عظيم فى أيام الحج . وكان حجاج مصر كثيرين ، وكذلك حجاج الشام . ولما رحل الحاج من مكة وصل إليها الشريف عجلان من جهة اليمن ، ونزل الزاهر وأقام بها أياماً ، ثم بعد ذلك اصطلح هو وأبوه وأخذ من التجار مالا جزيلا .

وذكر ابن محفوظ : أن فى سنة ست وأربعين توجّه عجلان إلى مصر ، فولاّه الملكُ الصالح البلادَ دون أبيه ، ولما توفى الملك

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٦/٥٩ .

الصالح ، وولى أخوه الملك الكامل شعبان(٢) السلطنة بالديار المصرية والشامية ، عوض أخيه الملك الصالح ، كتب لعجلان مرسوما بالولاية ، ووصل عجلان إلى مكة فى رابع عشر جمادى الآخرة سنة ست وأربعين ، ومعه خمسون مملوكا ــ شراء ومستخدمين ــ وقبض البلاد بلا قتال من إخوته . وتوجه أخوه ثقبة إلى نخلة ، وأقام معه أخواه سَنَد ومُغامِس بمكة ، وأعطاهما فيها رسما ، وأقاما على ذلك مدة . ثم إنه تشوَّش منهما ، فأخرجهما من البلاد بحيلة إلى وادى مَرّ ، ثم أمرهم بالاتساع فى البلاد ، فلحقا بأخيهما ثَقَبة ، وكان قد توّجه إلى الديار المصرية قبل توجههما إليها بشهر ، فلما وصلوا إلى مصر قُبِضَ عليهم بها / .

ووجدت بخط جمال الدين بن البرهان الطبرى : أن عجلان ١٢٣ظ
سافر إلى مصر فى ثانى المحرم من سنة ست وأربعين ، فولاَّه مكةَ الملكُ الصالحُ ، وأنه دخل إلى مكة يوم السبت السابع عشر من جمادى الآخرة من سنة ست وأربعين وهو متولٍ مكة ، وقرئ مرسومه بالتولية على زمزم فى الساعة الثالثة من النهار ، ودعى له بعد المغرب ، وللسلطان الملك الكامل ، وصلى على أخيه الملك الصالح بعد المغرب . وقطع عجلان دعاء والده رُمَيْثَة ، وراح أخوه ثقبة إلى نخلة ، وأعطى أخاه سندا ثلث البلاد بلا دعاء ولا سِكَّة ، وأعطى

(٢) تولى الملك الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون السلطنة فى مصر فى ربيع الآخر سنة ٧٤٦ هـ بعد وفاة شقيقه الصالح إسماعيل . واستمر في الملك إلى أن قتل فى جمادى الآخرة سنة ٧٤٧ هـ . (النجوم الزاهرة ١٠/١١٦ ــ ١٤٠) .

أخويه مُغَامِسًا ومُبَارَكا السَّرَّين ، يعني الموضع المعروف بالواديين .

وسافر ثقبة إلى مصر ، ثم سافر بعده أخواه سند ومغامس إلى مصر ، ثم جاء نجاب الشريف عجلان من مصر ، فى أوائل ذى القعدة من سنة ست وأربعين . وأخبر أن البلاد لعجلان ، وأن إخوته قُبِضُوا فى مصر حتى ينظر حال عجلان مع الحاج ، وزُيِّن السوق بمكة ، فلما مات رُمَيْثَة بطلت الزينة . وكان موته [فى][1] ثامن ذى القعدة من السنة المذكورة ، بعد وصول النجاب بخمسة أيام . انتهى .

وذكر ابن محفوظ : أن عجلان نشر بمكة من العدل والأمان ما لم يسمع بمثله ، وطرح ربع الجنايات ، ورفع المظالم .

وذكر أن عجلان كان متوليا لمكة فى سنة سبع وأربعين وسبعمائة ، ولم يحدث فيها حادث .

وذكر أن فى سنة ثمان وأربعين وصل إخوته ثقبة ، وسند ، ومغامس بنو رُمَيْثَة ، ومحمد بن عطيفة من مصر ، فأخذوا نصف البلاد من عجلان بلا قتال بعد أن ملكها وحده سنتين بلا شريك ، وحصَّلَ من الأموال ما لا يحصى .

وذكر أن فى سنة خمسين وسبعمائة تنافر الشريفان عجلان وثقبة ، وكان عجلان بمكة ، وثقبة بالجديد . ثم إن عجلان خرج

---

(١) إضافة عن العقد الثمين ٦١/٦ .

إلى الوادى لقتال ثقبة ، فلما أن بلغ إلى الدكناء[١] رام المسير إلى ثقبة ، فمنعه القواد من ذلك . ثم إنه نزل بوادى العقيق من أرض خالد[٢] وأقام بها مدة يسيرة ، ثم أصلحوا بينه وبين أخيه ، وصعد عجلان إلى الخيف الشديدى ، وأقام به مدة يسيرة ، ثم توجّه إلى مصر . وبقى ثقبة فى البلاد وحده ، وقطع نداء أخيه عجلان من زمزم .

فلما كان اليوم الخامس من شوال سنة خمسين وسبعمائة وصل عجلان من مصر متوليا لجميع البلاد ، فتوجّه ثقبةُ إلى ناحية اليمن بلا قتال . وأقام عجلان متوليا لمكة بمفرده بقية سنة خمسين ، وسنة إحدى وخمسين ، ودخل ثقبةُ وإخوته إلى مكة فى ولاية عجلان هذه ، لأنهم لَايَمُوا الملك المجاهد صاحب اليمن من حلي ، وهو متوجه إلى مكة للحج فى سنة إحدى وخمسين . وكان عجلان هَمَّ بمنع المجاهد وإخوته من دخول مكة ، فغلبوه ودخلوها ، ولم يلتفت المجاهدُ إلى عجلان ولا أنصفه ، ولم يلتفت إلى أحد من الأشراف والقواد ، ولا إلى أمير الحاج المصري بُزْلَار[٣] . وإنما أقبل على الأمير

(١) الدكناء : قبلى أرض حسان ، ومواليه لأرض خالد ، فيها نخيل وعين جارية ، وأصيلة عظيمة يقال لها المدرة ، ومسكن عظيم ، وبركة قدرها جسيم . (حسن القرى فى أودية أم القرى) .

(٢) وأضاف إتحاف الورى ٢٤١/٣ « ولعله من أرض مرّ » . وأرض خالد بين الجموم والخضراء ، يقال : إنها تنسب لأمير مكة خالد بن عبد الله القسرى ، الذى كان متولياً مكة لبنى أمية فى المائة الأولى . وفيها نخيل وعين عذبة جارية مع عدة برك ، وبيوت عالية . (حسن القرى فى أودية أم القرى) .

(٣) هو بزلار أمير السلاح ، كان من كبار أمراء مصر . مات سنة ٧٥٦ هـ . (الدرر الكامنة ٨/٢ برقم ١٢٧٤) .

١٢٤و طَاز(١) /، أحد الأمراء المقدمين في الركب المصري(٢)، فعمل عليه عجلان عند أمير الركب بُزْلَار ، حتى ركب بُزْلَار ولفيفه على المجاهد بمنى في أيام التشريق ، وحاربوا المجاهد ، ولم يقاتل وإنما قاتل عسكره ، فانكسر عسكر المجاهد ، ونهبت محطته ، وأُخِذَ أسيرا — بأمان — وحُمِل إلى مصر . وكان من خبره ما يأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى . ثم إن المصريين هَمُّوا بالقبض على عَجْلَان ، لأنه ربما أظهر للمجاهد أنه معه على المصريين . فلما علم بذلك عجلان أخبر أصحابه ، فاجتمعوا إليه وصاروا في جمع عظيم . فلما أحس بهم الأمراء المصريون هالهم ذلك ، وأنكروا على عجلان ، وسألوه أن يكفهم عنهم فكفهم . ورحل الحاج من فوره ، وأقام عجلان بمكة [بقية](٣) سنة إحدى وخمسين .

وفي سنة اثنتين وخمسين كان عجلان بمكة ، وثقبة بالجديد . وجبى ثقبة الجلاب الواصلة إلى جدة جباء عنيفا ، ونجلها جميعا .

وفي سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة وصل مرسوم من صاحب مصر يطلب الشريفين عجلان وثقبة . [فتوجها إلى القاهرة . فأما ثقبة فبلغها](٤) وأما عجلان فإنه وصل إلى ينبع ، وقصد منها

(١) هو طاز بن قطغاج ، أحد كبار أمراء الدولة ، توفي سنة ٧٥٣ هـ . (الدرر الكامنة ٢/٣١٤ برقم ١٩٩٨) .

(٢) وانظر جماعة الأمراء الذين خرجوا للحج في هذه السنة في النجوم الزاهرة ١٠/٢١٨ .

(٣) إضافة عن العقد الثمين ٦/٦٢ .

(٤) سقط في الأصل ، والمثبت عن المرجع السابق .

المدينة النبوية للزيارة ، وتوجّه منها إلى مكة ــ ولم يزل مالكها إلى ذي القعدة من سنة اثنتين وخمسين ، ومنعَ ثقبة لما أن وصل من مصر متوليا لمكة بمفرده من دخول مكة . فأقام ثقبة بخُلَيص إلى أن وصل الحاج المصري فى سنة اثنتين وخمسين ، وجاء ثقبة مع أمير الحاج المجدي(١) ، وأراد عجلان منعهما من دخول مكة . ثم إن المجدى(١) أصلح بين الأخوين ، على أن يكون لكل منهما نصف البلاد ، بموافقة ثقبة على ذلك .

وفى سنة ثلاث وخمسين توجّه عجلان إلى ناحية اليمن ، فلقى جلبة وصلت من اليمن فيها عَبْدُ القاضى شهاب الدين الطبري قاضى مكة ، وجماعة من أهل مكة ، فأخذ ما فيها ، وكان قدرا جسيما . وبعد فعله هذا بأيام زالت إمرته من مكة ، لأن أخاه ثقبة لما بلغه فعل عجلان هذا توجّه إلى عجلان ــ وعجلان فى قلة من أصحابه ــ وغَرَّه بالصلح ، فوثب عليه وقيَّدَ معه على بن مُغَامِس بن واصل الزباع ، وأخذ جميع ما كان مع عجلان من الخيل والإبل .

فلما كان الليل ، ورقد الموكل بعجلان ، خلع عجلان القيد من رجليه ــ وكان واسعا ــ وهَرَب إلى إمرأة من الفريق الذى كانوا فيه ، فانزوى إليها ، وعرفها بنفسه ، وسألها أن تخفيه . فقالت له : [أما](٢) تخشى من ثقبة ؟ فقال لها : لا بأس عليك ، أنا أتحيَّل فى

---

(١) فى الأصل « المحمدي » ، وانظر ما سبق ص ١٣٢ ، والعقد الثمين ٦٣/٦ .

(٢) إضافة عن العقد الثمين ٦٣/٦ .

إخفائى بأن أحفر حفرة تغيبني وأقعد فيها ، وحطى علَىَّ أمتعتك ولا عليك ــ فلما انتبه الموكل بعجلان تفقــده[١] فلم يجده ، فذهب إلى ثقبة وعَرَّفه الخبر . فأخذ هو وأصحابه فى طلب عجلان فلم يجدوه ، وأتى إلى بيت المرأة التى هو مختف عندها ودَوَّرَه بنفسه ، فلم يجد عجلان [فيه][١] . فلما كان الليل أركب فرسا ، وراح إلى بنى شعبة باليمن .

وفى سنة أربع وخمسين توجّه عجلان إلى نخلة ــ بعد أن كان فى أول السنة بالواديين ــ وأخذ منها المالَ الذى كان نهبه ، وقصد الجديد ، وفرق المال ، وأقام بالجديد إلى آخر السنة ، فلما آن /
١٢٤ظ وقت وصول الحاج ، وسمع أن البلاد لأخيه ثقبة ، وليس له فيها أمر ، ارتحل إلى الحردة ، وبعث إليه أمير الحاج المصرى ــ وهو الأمير عمر شاه ــ بأمان ، وأمره أن يصل إليه ، ويصلح بينه وبين أخيه . فتوجّه إليه عجلان ولقيه بالجموم ، وخلع أميرُ الركب على عجلان ، وسار معه إلى مكة . فلما أن وصل الأمير إلى الزاهر خرج إليه ثقبة وإخوته على جارى العادة لتلقى الأمير وخدمة المحمل ، فأحاط به أصحاب الأمير ، وسألوا ثقبة فى الإصلاح بينه وبين أخيه عجلان ، فأبى إلا أن يكون السلطان رسم بذلك ، وصمَّمَ على ذلك ، فقبض عليه وعلى إخوته ودخلوا بهم مكة محتاطين عليهم ، وأمَّر الأميرُ عجلانَ على مكة ، فقبضَ عجلانُ البلاد ، وذهب أمير الركب بالأشراف إلى مصر تحت الحوطة .

(١) فى الأصل ، والمرجع السابق « فقده » .

(٢) إضافة عن المرجع السابق .

ودام عجلان على ولاية مكة بمفرده سنة خمس وخمسين ، وفيما بعدها كما سيأتى بيانه .

وكان فى سنة خمس وخمسين عشّر جميع نَخْل وادى مَرّ من وقت الصيف ، وجعل على كل نخلة أربعة دراهم ، وثلاثة ، ودرهمين ، وسبب ذلك أن المجاهد صاحب اليمن ــ من وقت رجوعه إلى اليمن بعد القبض عليه بمنى ــ منعَ التجار من السفر إلى مكة ، فقلّ ما بيد عجلان ، وفعل ما ذكرناه من عَشْره للنخيل . وحصل له فى ذلك مالٌ جزيل ، وعنف فى هذه السنة بالأشراف والقواد عنفا عظيما ، وأخذ منهم ما كان أعطاهم من الخيول والأموال . وكان أغدق عليهم فى العطاء ، بحيث يقال : وهب فى يوم واحد مائةً وعشرين فرسا ، وألفين ومائتى ناقة ، وثلاثمائة ألف درهم ، وستين ألف درهم .

وفى سنة ست وخمسين وسبعمائة وصل إليه توقيع بالاستمرار فى الولاية مع الرجبية ، فى أول شهر رمضان . فلما كان اليوم الثالث والعشرون منه وصل الشريف ثقبة وأخوته إلى الجديد ، فى ثلاثة وخمسين فرسا ، فأقاموا به ــ وكانوا فروا من مصر ووصلوا إلى وادى نخْلة(١) وليس معهم إلا خمسة أفراس ــ وكان عجلان عند وصولهم بخيف بنى شديد ، فارتحل إلى مكة وأقام بها . فلما كان ثالث عشر القعدة نزل ثقبَةُ ومَن معه المعابدة ، وأقاموا بها

(١) فى الأصل « وادى مر » ، والمثبت عن العقد الثمين ٦/٦٥ ، وبغية المرام لوحة ١٠٧ و .

محاصرين لعجلان ، وجرى فى هذا اليوم بين العبيد بعض قتال ، قتل فيه بعض القواد اليواسفة من أصحاب الشريف ثقبة ، وعبد له . ثم ارتحل هو ومن معه فى صبيحة يوم الاثنين الرابع والعشرين من ذى القعدة إلى الجديد ، فأقاموا به . فلما [كان](١) وقت وصول الحاج رحلوا إلى ناحية جدة وأخذوا الجلاب ودبروا بها . فلما رحل الحاج من مكة توجهوا بالجلاب ونجلوها ، ونزلوا الجديد .

فلما كان اليوم التاسع عشر من المحرم سنة سبع وخمسين اصطلح عجلان وثقبة ، واقتسما الإمرة نصفين — وانقسم الأشراف والقواد ، وكان مع عجلان خمسون مملوكا ، فقسمها بينه وبين أخيه .

وكانت ولاية عجلان لمكة بمفرده — بعد القبض على أخيه ثقبة — سنتين وخمسين يوما أو نحوها .

١٢٥و فلما كان اليوم / الثالث عشر من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين توجه ثقبة من ناحية اليمن إلى مكة ، وملكها بمفرده ، وقطع نداء أخيه عجلان على زمزم ، وأقام بمكة إلى الموسم — وعجلان بالجديد .

فلما وصل الحاج مكة فى موسم سنة سبع وخمسين دخلها عجلان مع الحاج ، وملكها بمفرده ، بعد أن فارقها ثقبة فى هذا التاريخ وبَعُدَ عن مكة . ثم إنه وصل ونزل الجديد ، فأقام به مدة ، ثم ارتحل إلى ناحية اليمن وأقام به مدة ، ثم وصل إلى الجديد ثانيا ،

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن المرجعين السابقين .

فعمل عليه أصحابه القواد ، وحالفوا عجلان . فارتحل ثقبة إلى خيف بنى شديد ، ثم إلى نخلة ، ثم التأم عليه جميع الأشراف ونزلوا خيف بنى شديد . وٱلْتَـأَمَ جميع القواد على عجلان . وخرج من مكة ونزل بالجديد ، ثم ارتحل منه إلى البُرْقَة طالبا قتال ثقبة ومن معه ، فمنعه القواد من ذلك . وأقام بالبرقة قريبا من شهر . وجمع مروخا[1] كثيرة ، وذلك فى شهر رجب سنة ثمان وخمسين ، ثم عاد إلى الجديد ، ورتب فى مكة خيلا ورجلا .

فلما كان أول شهر ذى القعدة سنة ثمان وخمسين قصد ثقبة مكة ليدخلها ، فمنع من ذلك . فلما وصل الحاج فى هذه السنة اصطلح الشريفان ثقبة وعجلان ، وحج الناس طيبين ، ولم يزل عجلان وثقبة مشتركين فى الإمرة بمكة من موسم سنة ثمان وخمسين إلى حين وصل الخبر بعزلهما من إمرة مكة ، وتوليتها لأخيهما سَنَدَ ابن رُمَيْثَة ، ومحمد بن عُطَيْفَة . وكان سَنَدُ مع إخوته فى ناحية اليمن ، وابن عُطَيْفَة بمصر ، ووصلَ إلى مكة فى ثامن شهر جمادى الآخرة من سنة ستين وسبعمائة ، ومعه عسكر وصل به من مصر ـــ تقدم خبره[2] فى ترجمة ابن عُطَيْفَة ـــ وخُلِعَ عليه وعلى

---

(١) المروخ ، جمع مرخ : وهو شجر من العضاة من الفصيلة العشارية ، ينغرس ويطول فى السماء حتى يستظل فيه ، وليس له ورق ولا شوك ، سريع الورى ، يقتدح به . ومن أمثال العرب « في كل شجرة نار واستمجد المرخ والعفار » ، أو جمع المرخ بمعنى الدهن المعروف ، أو جمع المريخ بمعنى السهم الطويل ذى القـذذ الأربعة أو ذى الأذنين . (تاج العروس ، والمعجم الوسيط) .

(٢) أى فى العقد الثمين ٢/١٠٤ برقم ٣٠٣ .

سند بعد وصوله إلى مكة بالإمرة .

وتوجّه عجلان إلى مصر ومعه ابناه أحمد وكُبَيْش ، وكان صاحب مصر قد استدعى عجلان وثَقَبَة للحضورِ إليه ، قبل وصول هذا العسكر إلى مكة ، فاعتذرا عن الحضور ، وكان وصول الطلب إليهما منه في جمادى الأولى من هذه السنة ، وسبب طلبهما ما يَحْصُل بمكة من الجَوْرِ بسبب افتراق الكلمة بمكة .

ولَمّا وصل عجلان إلى مصر قُبِضَ عليه وعلى ابنيه . ولم يزل بها حتى أطلقه الأمير يَلْبُغَا العمرى ، المعروف بالخَاصِّكِيّ(١) ، لما صار إليه الأمر بالديار المصرية ، بعد قَبْضِهِ على أستاذه الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فى أثناء سنة اثنتين وستين وسبعمائة ، وبطَّل يَلْبُغَا العسكرَ الذى كان السلطان حسن أمر بتجهيزه إلى الحجاز ، بسبب قتال بنى حسن ، لأنه جهز إلى مكة سنة إحدى وستين عسكرا من مصر مقدمهم الأمير قُنْدُس ، وعسكرا من دمشق مقدمهم ناصر الدين بن قَرَاسُنْقُر ، وأمرهم بالمقام بمكة عوض جَرَكْتَمُر والعسكر الذى وصل إلى مكة مع ابن عُطَيْفَة لتأييده وتأييد سَنَد لَمّا وليا إمرة مكة فى سنة ستين وسبعمائة . ووصل قُنْدُس ومن معه ، وابن قَرَاسُنْقُر ومن معه إلى

---

(١) هو يلبغا بن عبد الله الخاصكى الناصرى ، الأمير الكبير ، الملقب بنظام الملك فى دولة الأشراف شعبان . قتل فى ربيع الآخر سنة ٧٦٨ هـ . (الدرر الكامنة ٢١٣/٥ برقم ٥٠٧٩ ، والنجوم الزاهرة ٣٦/١١ ـــ ٤٠ ، وشذرات الذهب ٢١٢/٦ ، والدليل الشافى ٧٩٣/٢ برقم ٢٦٧٢) .

مكة فى موسم سنة إحدى / وستين وسبعمائة ، وأقاموا بها بعد ١٢٥ظ الحج ، وتوجَّه منها جَرَكْتَمُرُ ومَن معه ، وحصل بمكة بإثر سفر الحاج فتنةٌ بين العسكر الذى بمكة وبنى حسن ، فاستظهروا على الترك قتلا ونهبا ، وخرجوا من مكة على وجه مؤلم ، فعظم ذلك على السلطان حسن ، وأَمَرَ بتجهيز عسكر لقتال بنى حسن ، ومَن يُتَخَيَّلُ منه الخلاف من أعراب الحجاز .

فلما قُتِلَ السلطان حسن كان ما ذكرناه من الإعراض عن سفر العسكر المشار إليه إلى مكة . وتوجّه عَجْلَانُ إلى مكة وقد ولى إمرتها شريكا لأخيه ثَقَبَة — على ما بلغنى — بسبب تسكين ثَقَبَة الفتنة على العسكر ، ووصل عجلان إلى وادى مَرّ فى آخر شهر رمضان سنة اثنتين وستين وسبعمائة ، أو فى أوائل شوال منها . وقصد ثقبة للسلام عليه — وكان ثقبة ضعيفا قد أنهكه الضعف — فأظهر القُوَّة والجلد لِعَجْلَان حين حضَر إليه ، وأنكر على عجلان نزوله فى الموضع الذى نزل فيه ، فقال له عجلان : نرتحِلُ منه .

وأقام ثقبة أياما قليلة ثم تُوُفِّىَ . ودخل عجلان عند وفاة ثقبة إلى مكة ، وأمر ابنه أحمد بن عجلان باللحاق بأخواله القواد ذوى عمر ، ليسألهم أن يسألوا(١) له أباه عجلان أن يشركه معه فى إمرة مكة ، ففعل . وحضر القواد إلى عجلان وسألوه ذلك ففعل ، وجعل له رُبْعَ البلاد . وقِيلَ : إنه لما أتى مكة بعد موت أخيه ثقبَة أمَرَ ابنه أحمد بن عجلان بالطواف نهارا ، وأمر المؤذن على زمزم

---

(١) فى الأصل وبغية المرام لوحة ١٠٨ و « ليسألوا » . والمثبت عن العقد الثمين ٦٨/٦ .

بالدعاء له جهرا ، كما يصنع لأمراء مكة ، وجعل له رُبْعَ الحاصل ، وأمره بقصد أخواله ليعضدوه ففعلوا .

وفى سنة ثلاث وستين توجَّه عجلان من مكة لحرب صاحب حَلْي[(١)] الأمير أحمد بن عيسى الحَرامي ـــ بحاء وراء مهملتين ـــ والتقى الفريقان بموضع يقال له قَحْزَة ـــ بقاف وحاء مهملة وزاى معجمة وهاء ـــ بقُرْبِ حلى ، وكان النصر لعجلان وأصحابه ، فلم يقتل منهم إلا اليسير ، وقتل من المحاربين لهم نحو المائتين ـــ فيما قيل ـــ واستولوا على حَلْي ، وعلى أموال كثيرة لأهلها . واستأثر عجلان بأشياء من ذلك ، فلم يسهل ذلك بمن كان معه من بنى حسن ، وتغيَّرت عليه خواطرهم ، وتقدّم عنه إلى صوب مكة طائفةٌ منهم ، وكاتبوا أخاه سَنَد بن رُمَيْثَة ، وأطمعوه بالنصر . وكان قد ظفر بجَلْبَةٍ فيها مال لتاجر مكيّ ، يقال له ابن عَرَفَة في غيبة أخيه بحَلْي ، والتأم عليه طائفة من بنى حسن ، وفَرَّق عليهم ما نهبه . وقُدّر أنه هلك بإثر ذلك . فلم يجدوا شيئا يغيظون[(٢)] به عجلان إلا تَوْلِيَتهم لولده أحمد بن عجلان عليه . وقالوا له : سَلْهُ يزيدك رُبْعاً آخر فتَسْتَوِيَان . وعرف بذلك عجلان ، فأعطى ولده رُبْعاً آخر من حاصل البلاد ، لعلمه أنه يغرم ذلك وأكثر منه لبنى حسن ، ثم يصلحون بينهم على ذلك . واستمرا على ولاية مكة ، وعلى أن يكون لكل منهما نصف الحاصل ، إلى سنة أربع وسبعين وسبعمائة ، أو

---

(١) حلى : بالفتح ثم السكون ، مدينة باليمن على ساحل البحر بينها وبين السرين يوم ، وبينها وبين مكة ثمانية أيام . (معجم البلدان) .

(٢) فى الأصل ، والعقد الثمين ٦/٦٩ « يغيظوا » .

قبلها بقليل .

ثم بدا لعجلان فى ترك الإمرة كلها لابنه أحمد ، على مالٍ جزيل من النقد يُسَلِّمُه إليه ابنُه أحمد ، وعلى أن يشترى منه جانبا من قبله بمال / جزيل شَرَطَه . وكان من سبب ذلك ــ فيما ١٢٦و قيل ــ أن عجلان حين رأى علو قدر ابنه أحمد ، ومحبة الناس له أمر لابنه محمد بخيل ودُرُوع بنخلة ، ليضاهى أخاه أحمد . فلم ينهض محمد لما أُرِيدَ منه ، ونمى هذا الخبر إلى أحمد بن عجلان ، فعاتب أباه على ذلك . واعتذر له ، وقال : سأترك لك البلاد . فوقع الاتفاق بينهما على أن يعطيه من النقد ما شرطه عجلان ، وأن يكون له فى كل سنة الخبز الذى قُرِرِّ [لعجلان بديار مصر على إسقاط المَكْسِ عَمَّا يصل إلى مكة من المأكولات . وعما يصل][1] من الأموال مع حجاج الديار المصرية والشامية برا وبحرا ، وهو مائة ألف درهم ، وستون ألف درهم ، وألف إردب قمح ، وألا يقطع اسم عجلان من الدعاء فى الخطبة ، وغيرها مدة حياته ، والتزم بذلك أحمد بن عجلان .

ثم إن عجلان نَدِمَ على ذلك ، وألَحّ على ابنه أحمد فى تحصيل المال النقد الذى شرطه عليه ، استعجازاً منه له عن تحصيله ، ليكون ذلك سببا إلى أن يرجع الأمر له كما كان ، من غير نكث منه . فَقُيِّضَ لأحمد بن عجلان من أعانه إلى إحضار المال المشروط ، وأحضره إلى أبيه ، فلم يجد أبوه من قبوله بُدًّا ، وامتعَض من ذلك ، ووَفَّى أحمدُ

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٦/٦٩ .

لأبيه بما التزم له من اختصاص أبيه بمعلوم مصر ، والدعاء له فى الخطبة ، حتى مات أبوه عجلان في ليلة الاثنين الحادى عشر من جمادى الأولى ، سنة سبع وسبعين وسبعمائة بمكة ، ودُفِنَ بالمعلاة ، وبُنِىَ عليه فيها قبة ، وقد بلغ السبعين أو قاربها .

وكان ذا عقل ودهاء ومعرفة تامة بالأمور ، وسياسة حسنة ، وفيه محبة لأهل السنة ، ونُصْرَةٌ لأهلها ، وربما ذكر أنه شافعى المذهب . وحين حضره الموت أوصى قاضى مكة أبا الفضل النويرى بتولى غُسْلِه والصلاة عليه مع فقهاء السنة .

وبلغنى أن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما[1] ذُكِرَ عنده لينظروا رأيه فيه ، فقال عجلان : معاوية شيخ من كبار قريش ، لاح له الملك فلقفه . هذا ما بلغنى عنه فى حق معاوية رضى الله عنه[1] .

وكان — على ما بلغنى — يقوم الليل ، ويطوف كثيرا فى آخر عمره ، فلا جرم أنه رأى سعادة عظيمة ، وتهيأت له أمور حصل له بها فخر عظيم .

فمن ذلك : أنه فى سنة ثلاث وستين وسبعمائة ملك البلاد المعروفة بحَلْى ابن يعقوب — كما سبق ذكره — وعظم شأن عجلان بهذه الواقعة ، ومَدَحَهُ الناسُ بسببها — وما علمت أن أحدا قبله من الأشراف : ولاة مكة ، استولى على حَلْى غير أبى الفتوح الحسن بن

(١) ضرب قارئ للكتاب على الترضية عن معاوية وكتب فوقها « لعنه الله » .

جعفر المتقدم ذكره[١] ، ولم يتفق ذلك لأحد بعد عجلان إلا لولده السيد الشريف حسن بن عجلان ، وكان توجَّهَ إليها فى سنة أربع وثمانمائة بعد موت صاحبها دُرَيْب بن أحمد بن أحمد بن عيسى مقتولا فى حَرْبٍ كان بينه وبين كنانة ، فى يوم عرفة . سنة ثلاث وثمانمائة ، وهَرَبَ منه الأمير موسى بن أحمد ، أخو دُرَيْب ، ورتَّبَ فيها الشريفُ حسن أحمدَ بن دُرَيْب ، وأخواله من بنى كنانة . وعاد إلى مكة فى جمادى الأولى من سنة أربع وثمانمائة[٢] .

ومن ذلكم : ما اتفق فى أيامه من إسقاطه المَكْسَ ـ كما ذكرنا ـ وذلك فى / سنة ست وستين . ١٢٦ظ

ومن ذلك : تَقَدُّم أولاده فى النجابة فى حياته وبعد موته . وقد ذكرنا فى هذا الكتاب[٣] شيئا من تراجمهم .

ومنها : اتساع الدنيا لديه ، فقد بلغني أنه ملك من السَّقَايَا بوادي مَرّ ونخلة مائتى وَجْبَة ماء ، وله من العمارات بمكة الموضع المعروف بالعلقمية عند المَرْوة ، ومدرسة أنشأها بالجانب اليمانى من المسجد الحرام ، مطلة عليه ، مقابلة لمدرسة الملك المجاهد . وحصنٌ بجياد ، بلحف جبل أبى قبيس . وحصنٌ مليح بأرض حسان ، وأصائل حسنة بها وبغيرها من وادي مر ونخلة . وكان يغالى فى شراء

---

(١) أى فى العقد الثمين ٦٩/٤ ، وانظر ترجمته برقم ١٣٤ فى الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٤٨٣ .

(٢) وانظر ترجمة حسن بن عجلان رقم ١٩٦ ص ٢٤٦ من هذا الجزء .

(٣) أى فى العقد الثمين للفاسي .

ذلك ، وينصف فى الثمن . وملك من العبيد والخَيْل والدروع شيئا كثيرا .

ومن أفعاله المحمودة تسبيل الماء بالمروة من العلقمية ، وصدقة على الزُّوَّار للنبى ﷺ في طريق الماشي ، وهذه الصدقة جزء من المال المعروف بمال ابن حَسَّان صاحب خُلَيْص بواسط هَدَةِ بنى جابر ، بما لذلك مِنَ السُّقْيَة ، ونفعها مستمر إلى الآن — أجزل الله ثوابه .

ولشيخنا — بالإجازة — يحيى بن يوسف . المعروف بالنشو ، الشاعر المكى فيه مدائح كثيرة . منها للنشو — فيما أنبأنا به — من قصيدة أولها :

لَوْلَا الغَرَامُ وَوَجْدُهُ ونُحُولُهُ
ما كُنتَ تَرْحَمُهُ وأنتَ عَذُولُهُ
إن كنتَ تُنْكِرُه فَسَلْ عَنْ حَالِهِ
فالحُبُّ داءٌ لايُفِيقُ عَلِيلُهُ
يا مَنْ يَلُومُ عَلَى الهَوَى أَهْلَ الهَوَى
دَعْ لَوْمَهُم فالصَّبْرُ مَاتَ جَمِيلُهُ

ومنها :

دَعْ عنكَ مَنْ لاخيرَ فيه مِنِ الوَرَى
لَاتَمْتَدِحْهُ فَفِى الأَنَامِ بَدِيلُهُ

وَٱمْدَحْ مَلِيكَ الـعَصْرِ وابـنَ مَلِيكِـهِ
مَن شاعَ ما بيـنَ المَـلاَ تَفْضِيلُـــهُ
عجـلانُ نَجْـلُ رُمَيْثَـةَ بنِ محمّـــدٍ
أَمِـنَ الحَـوَادِثَ والخُطُـوبَ نَزِيلُـهُ
مَلِكٌ إذا قابَـــلْتَ غُرَّةَ وَجْهِـــــهِ
فَلَكَ الغِنَـى والفَقْـرُ عنكَ يُزِيلُـــهْ
وَرِثَ المكـارِمَ كابِـراً عَنْ كابِـــرٍ
فَنَوَالُـــهُ للعَالَمِيـــنَ يُنِيلُـــــهُ
مِن آلِ أحمدَ واحـــــدٌ فى عَصْرِهِ
فهو الشّرِيفُ ابنُ الشّرِيـفِ سَلِيلُهُ
ماذا يقـولُ المدْحُ فِيـه وَمَـــا عَسَى
إذْ كانَ يَخْـــدمُ جَدَّهُ جِبْرِيلُــــــهُ
أمـا الملـوكُ فكُلُّهُـــمْ مِنْ دُونِـــهِ
كالبـدرِ فى أُفُـقِ السمـاءِ حُلُولُـــهُ
سُلْطَـانُ مَكّـةَ وَٱلْـمَشَاعِـرِ وَالصَّفَـا
مَنْ لاَ يَخَـافُ من الزَّمَـانِ نَزِيلُـــهُ
لَوْ حَاوَلَ النَّجْـمَ العَظِيـــمَ لَنَالَـــهُ
تُنْبِيكَ عَنْـــهُ رِمَاحُـــهُ ونُصُولُـــهُ
سَكَـنَتْ محَبَّتُهُ القُلُوبَ جَميعَهَـا
لَمَّــا تَقَـــارَنَ سَعْـــدُهُ وَقَبُولُـــهُ /

انتهى كلام الفاسي . ١٢٧و

قلت[١] : ورأيت بخط الوالد للشريف عجلان ترجمة مختصرة ، مع تراجم جماعة من أمراء مكة ، وأظنه نقلها من تأليفٍ لشيخه الفاسي ، قال فيها : وكان ذا عقل وافر ، ورأى ودهاء ، ومعرفة تامّة بالأمور ، وسيرة حسنة ، وعنده رِفْق بالرعيّة ، وإكرام لأهل السُّنَّة . فلا جَرَمَ أنه نال سعادة عظيمة فى نفسه ، ومَلَكَ ما لاَ يملكه غيرُه من أمراء مكة بعد أبى الفتوح — فيما أعلم — وهو البلد المعروفة بحَلْى ابن يعقوب ، فى سنة ثلاث وستين وسبعمائة وطردَ عنها صاحبها أحمد بن عيسى الحَرَامى — بالراء المهملة — بعد أن قَتَل خلقا من أصحابه ، بالموضع المعروف بقَحْزَة ، وبه عُرِفَت هذه القضية ، ثم خُودِع فيه فتركها له .

ونال سعادة عظيمة فى أولاده ، فما منهم أحدٌ إلا وَوَلِيَ إمرة مكة ، إمّا استقلالا ، أو نيابة . فأما الذين وَلَوْها استقلالا فإنا أفردناهم بالذكر . وسنذكر هاهنا الذين وَلَوْها نيابة . فهم :

خُرْص بن عجلان ، ناب عن أبيه فى مَبْدَإِ ولايته ، ومات فى عشر الستين وسبعمائة — ظنا[٢] .

ومنهم : كُبَيشُ بن عجلان ، ناب عن أبيه وأخيه أحمد ، وقام بتدبير أمر ولده محمد بن أحمد بن عجلان ، وحارب عِنَان

---

(١) أي مؤلفنا العز بن فهد . والذي رآه بخط الوالد لم يرد فى بغية المرام للنجم ابن فهد ترجمة الشريف عجلان اللوحات ١٠٥ — ١٠٩ .

(٢) وانظر ترجمته في العقد الثمين ٤/٣١٣ برقم ١١٢٨ .

بعده ، وسار إليه فى جمع كثير ، فالتقوا بأذاخر فى يوم السبت تاسع عشر شعبان ، سنة تسع وثمانين وسبعمائة ، وتكاثر عليه أصحاب عِنَان فقتلوه بعد أن قاتل قتالا عظيماً(١) .

ومنهم : محمد بن عجلان ، نَابَ عن أخيه عَلِىٍّ فى الإمرة ، وقام بعده بأمر البلد ، حتى وصل أخوه السيد الشريف حسن بن عجلان من مصر ، وكان دخل مصر ، واليمن ، فأكرمه الأشرف صاحب اليمن ، وبعث معه محملا فى سنة ثمانمائة ، وتوفى فى شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وثمانمائة بمكة(٢) .

أنشدني الأديب يحيى بن يوسف المكى ، المعروف بالنشو ، الشاعر لنفسه ــ إجازة ــ من قصيدة يمدح بها الشريف عجلان :

أما الملوكُ فكلّهم مِن دونِهِ
كالبدر في أُفُقِ السماء حُلُولُهُ
سلطانُ مكةَ والمشاعرِ والصفا
مَن لايخاف مِنَ الزمانِ نَخِيلُهُ(٣)
لو حاولَ النجمَ العظيمَ لنالــه
تُنْبيكَ عنه رِمَاحُه وَنُصُولُهُ
سكنت مَحَبَّتُهُ القلوبَ جميعَهَا
لَمّا تَقَارَبَ سَعْدُهُ وقبُولُهُ

(١) وانظر ترجمته فى العقد الثمين ٧/٨٥ برقم ٢٣٦٠ .

(٢) وانظر ترجمته فى العقد الثمين ٢/١٣٧ برقم ٣٠١ .

(٣) كذا فى الأصل . وفى سمط النجوم العوالى ٤/٢٤٦ وما سبق ص ١٥٥ « نزيله » .

انتهى .

قال الوالد : وقال الشريف أبو العباس أحمد بن على بن الحسين بن عُقْبَة الحسنى ، فى كتابه « عمدة الطالب فى نسب آل أبي طالب » : وأما عَجْلاَن بن رُمَيْثَة ابن أبى نُمَىّ ويُكْنَى أبا سريع ، ويُلَقَّب عز الدين ، فملك مكة بعد أبيه ، وكان إخوته : مُغَامِس وثَقَبَة وسَنَد ينازعونه ، وأخرجوه من مكة مرارا ، ثم عاد إليها وملكها ، واستقرت عليه بعدهم بغير منازع ، إلى أن سلَّمها عن طيب نفس إلى ابنه أحمد .

وولد عجلانُ بن رُمَيْثَة أحمدَ ومحمداً وعليًّا ـــ انتهى .

١٢٧ظ قلت : ورأيت قصيدة مَدْحاً / فيه ، ما علمتُ ناظمها ، وهي :

ثَغْرُ الزمانِ لهذا اليوم مُبْتَسِمُ
فالوصلُ باللَّثْمِ خدٌّ والسُّرورُ فَمُ
جادَ الحَيَا مِنْ جِيَادٍ رَوْضَة حُمِيَتْ
مِنَ الذُّبُول فشملُ المُلْكِ مُلْتَئِمُ
قد أصبح العِزُّ يبنى فى منازله
من بعد ما كان كالبُنْيَان يَنْهَدِمُ
غَنَّى الغِنَا كلُّ صوت فى جَوَانِبِهِ
فشَبَّبَتْ راقصات وسطه النَّعَمُ

كأنَّمــا بنْتُ كَرْمٍ فى مَفَاصِلِـــهِ
مَشَتْ وَقَدْ حَلَّ فيـه الجودُ والكَـرَمُ
شُفِـى سَرِيعـاً من الـداء المُلِـمِّ بِهِ
أبـو سريـعٍ فَمَـا فى جسمِهِ أَلَـــمُ
جاءت جُيُوشُ التهانى وهى راكضة
خيلاً مِن الشِّعْرِ لَم تُعْلَك لهالُجُـمُ
فالوصلُ يُقْبِـلُ إقبـالَ الشجـاع إلى
مَوَاسِمِ الحرب والهِجْـرَانُ يَنْهَـــزِمُ
سلَّتْ يَدُ الدهر سَيْفاً كان أغمـده
فَلاَ تَلُمْـهُ فأنت الصارمُ الخَــــذِمُ
شقيـقُكَ القمـر الميمـون طَلْعَتــهُ
يزيد فى الـحُسْنِ إذْ يَبْـدُو وَيْنكَتِـمُ
لايُعْـرَفُ النفـعُ فيـه عنـد مطلعـه
إلا إذا جهلت(١) فى سِتـره الظلـم
وجوهـر العقـد لولا صون بهجتــه
حينـا لما كان فى اللَّبَّـاتِ يَنْتَظِـمُ
والليث ماظهرت فى النفس صورته
إلاَّ لِمَـا أَخْـفَتْ الغَابَـاتُ والأُجُمُ
يابنَ النبىّ ويانجل الـوصىّ وذَا الْــ
ــخُلق الـرَّضِىّ ومَـنْ مَعْرُوفُـه أَمَـمُ

---

(١) كذا فى الأصل . ولعلها « جهدت » .

يا مُخْجِلَ الشمس فى ضَوْءِ الجَبِينِ وفى الـ
ـنُّور المُبِينِ وَمَنْ تُهْدَى به الأُمَمُ
قُدِّمْتَ فى أشرف الأزمان مغتبطا
بِقُربْكَ البيتُ والأركان والحرمُ
ماجِئتَ إلا مجيءَ الغيثِ بَعْدَ صدًى
حَتىّ شَكَتْ رِيَّها القيعانُ والأكمُ
يكاد يَسْتَلِمُ الركنُ الشريفُ إذا
أَتَيْتَهُ فَمَ صِدْقٍ مِنْكَ يَسْتَلِمُ
أيامُ بُعْدِكَ عنه طالَ أقْصَرُها
وحُرِّم الصبْرُ فهى الأشْهُر الحُرُمُ
وزمزمٌ بدموع كالسيول بَكَتْ
إذ غِبت عنها ففيها الماءُ يَلْتَطِمُ
وفى المقام أقام الشوقُ منتظرا
قدومَ أُنْسِكَ إذ تمشى به القدم
وما صفا للصفا عَيْشٌ لغيبتكم
ولا على بابه الآمال تَزْدَحِمُ
والمَرْوَةُ امتلأت وجدا وقد فقدت
مُرُوءَةً مِنْكَ عنها تقصرُ الهِمَمُ
ومسجدالخَيْفِ نال الخَوْفُ منه فما
مَرّت به بعدك العقبان والرَّخَمُ /
ولم يَفُزْ بأَمَانِيه مِنىً فَغَدا ١٢٨و
يبكى لبعدك عنه والدموع دَمُ

ولم يكن عرفات عارفـا أحــدا
إذ ليس يعلوه منك العِلْمُ والعَلَمُ
فلتحمد الله هاتِيكَ المواقِفُ قَدْ
زَالَ الصَدَى إذ سقاها الوابلُ الرَّذَمُ
عجلان قد جاءها عجلان أنعمُهُ
تجرى رسوم نداه الأنيقُ الرسمُ
جاءت بمُعْتَزٍّ اعتزَّتْ عزائمه
بالله فالحدُّ منه ليس يَنْثَلِمُ
مؤيَدُ الزِّنْدِ وارِى الزَّنْدِ تحسبهُ
من حِدَّة الذهن نار الأُفْقِ تَضطرمُ
دانى الإجابة هَطَّال السَّحَابة وصًّا
لُ القَرَابَةِ لم تُقْطَع بِهِ رَحِمُ
إن أحسنوا فهو بالإحسان مبتدئٌ
وإن أساءوا فَعَافٍ ليس يَنْتَقِمُ
تحوطهم منه عينٌ غيرُ نائمة
إلا إذا كان حلما عنهم الحُلُم
مواهبٌ كالبحار الزاخِرَات لهم
أقَلُّ مَوْجُودِها أن يَغْرقَ العَدَمُ
كأن إسحاق يُنْهِي قولَ قائلهم
شعرا به تُطربُ الأوتارُ والنَّغَمُ
اللفظ كالدُّرِّ والآتى بجَوْهَرِهِ
قُسٌّ بِسُوقِ عُكَاظٍ والنِّدَا الحِكَمُ

أقْسَمْتُ إنك لَلْمَيمُــونُ طَائِــرهُ
ولَمْ يَكُـن لِسوَى تَأْكِيـدِىَ الـقَسَمُ
فلــيس يحرم منــه الجود آمِلُــهُ
لَكِنَّـه أبــدا يُعْطِـى ويحتــرمُ
تختـالُ خيـلٌ جِيـادٌ أنتَ راكبُهــا
كأنما الأرضُ مِن أملاكهـا قِمَــمُ
تبـدوُ عظيمـات أوساطٍ مُضَمَّــرةً
فكلمـا اتسعت ضاقت بها الحُـزُمُ
مارَامَكُم آل بيتِ المصطفى أحـدٌ
بالسوءِ إلاَّ وحَــلَّت دَارَهُ النِّقَــمُ
لم يفتــرض جدُّكم إلا مَوَدَّتكـــم
أجْـراً لها فعُرَاهـــا ليس تَنْـــفَصِمُ
عُلُوُّكـم بِعَلِـىٍّ غَيْــرُ مُنْخَــفِضٍ
وفَخْرُ فاطمـــةٍ مَا لَيْسَ يَنْفَطِـــمْ
العُـرْبُ تَعْـرِفُ فضلا ليس تُنْكِـرهُ
لكُم فكيف مُلوكُ التُّـرْكِ والعَجَـمُ
قد أَحْسَنَ الله إذْ وَافَى بنـى حسن
مُطَاعِـنُ الدهـرِ والأيـامُ تَصْطَــدِمَ
وافى سَلِيمـاً من الآفاتِ وَابْتَهَجُـوا
عِلْمـاً بأنهُـمُ فى سِلْمِــهِ سَلِمــوُا
فى جنـة أصبحـوا مِن أَمْـن طَاعَتِـهِ
فلا يُلِـــــــمُّ بهم هَمٌّ ولا هَرَمُ

خُذْهَـا عزيـزةَ مَمْـدُوحٍ ومُمْتَدِحٍ
دُونِى زُهَيْـرٌ كما مِن دُونِكـــمُ هَرِمُ
رشيقـةَ القَـدِّ وَسْنَـــى مابها سَنَـــةٌ
مهضُومَةَ الكَشْحِ للعذال تَهْـتَضِمُ / ١٢٨ظ
تُرِيكَ وَجْهاً كشمسِ الصَّحْوِ طَالِعَةً
وقـد أُدِيمت بها من كَفِّكَ الدِّيَـــمُ
بعيـــدة قَرَّبَتْهَـــا منكُـــمُ رَحِـــمٌ
من الحسين غَدَتْ موصولـةً بِكُـمُ
إن تُعْظِـمِ المهـرَ عنها تَمْشِ رَافِلَـةً
مِنْ حَوْلِهَا خَدَمٌ مِنْ حَوْلِهَا حِـمَمُ
لازِلْتَ بالعـزِّ عزَ الديـنِ مُرْتَفِعـــاً
كالبدرِ أو كهـلال الفِطْـرِ يَبْـتَسِمُ
السَّعْـدُ والـنصرُ والإقبـالُ مُنْجِـدُه
أنَّى اتَّجَهْتَ فسادات الـوَرَى خَدَم
ما أنتَ من نَقْصِ ضوءٍ كالهلالِ وَلاَ
به تُشَبَّـــــه إلا حين تَلْتَثِـــــمُ

وللأديب جمال الدين محمد بن حسن بن العُلَيْف(١) قصيـدةٌ مَدَحه بها ، سمعها الوالدُ من ولده العلامـة بدر الديـن حسين فى يوم

---

(١) هو محمد بن حسن بن عيسى بن أحمد بن سلـم العدنـانى الحلـوى ، يلـقب بالجمال ، ويعـرف بابـن العليـف . توفى فى رجب ٨١٥ هـ . (العقـد الثـمين ٤٧١/١ برقم ١٤٥ ، وشذرات الذهب ١١٢/٧) .

الجمعة ثانى عشر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وثمانمائة ، بالمسجد الحرام ــ ولى أنا منه إجازة ــ قال : أنشدنى والدى لنفسه [قصيدة](١) يمدحه فى سنة ثلاث [وستين](٢) وسبعمائة أولها :

أمـا وَرَشِيقـاتُ القُـدُود المَـوَايسِ
ذَوَاتِ العُيـونِ الفَاتـراتِ النَّـواعِسِ
كَوَانِسُ مابَيْـنَ الخُـدُورِ كَأَنَّهَـا
على الوصف آرامُ الظباء الكَـوَانِسِ
أوانس كَمْ مِنَّـا جُسُومـاً تَرَكْنَهَـا
خوالٍ مِنَ الأرْوَاحِ غَيْـر أوَانِسِ
هُمُ بَاعِثَاتُ الوجدِ فى كلّ مُهْجَةٍ
وَفِى كلِّ صَدْرٍ باعثـاتُ الـوساوِسِ
لَوَابِسُ فينان الأثيث ولم أرَ
لوابسَ إلاّ هُنّ غيـرَ لَوَابِسِ
تَجَـانَسَ منها فى العقـود مَبـاسِمٌ
لَهُـنّ دَوَاعِـى نسبةٍ في التَّجَـانُسِ
أراكَ عَلَـى ودِّى بِهِـنّ مُصَاحِبـاً
طَمَاعَـة قَلْبٍ مِنهُـمُ غيـرِ آيِسِ

(١) إضافة على الأصل .

(٢) فى الأصل « ثلاث وسبعمائة » والإضافة يقتضيها السياق ؛ لأن الممدوح الشريف عجلان مات سنة ٧٧٧ هـ عن سبعين سنة ، ولا يعقل أن المادح مدحه قبل ولادته ، ولأن عجلان كانت له انتصارات في سنة ٧٦٣ هـ فى فتح حلى ابن يعقوب ، ويقول المؤلف فى ص ١٥٢ من هذا الجزء « مدحه الناس بسببها » وهذا يرجح ما أضفته .

وساق كَسَاهُ فاحِمُ الشَّعْرِ فارتـدى
رُؤى لابس من شعـــره غير لابِسِ
يُدِيرُ بيُسْرَاهُ مُدَاماً كأنها
ضِيَا قَبَس يَهْفـوُ علَـى كلِّ مَايِسِ
ولستُ بنـاسٍ والنـوى قد أذاعَـــهُ
مَسِيراً أرَانَـــا عافيـــاتِ المغـــارِسِ
مَقَـالى وقـد لاحت لِعَيْنِـىَ باللِّوَى
بَوَاقِـى عَلاَمَاتِ الـرُّسُومِ الـدَّوَارِسِ
خليلـيّ عُوجَـا نمتـرى فَيْضَ عَبْـرةٍ
على طَلْسَمِ الرسمِ القَديمِ القُدَامِسِ(١)
وَكَمْ لَيْلَةٍ سِرْنَـا إلى أن تَمَـخَّضَت
عن الصبح ما بين القِفَارِ البَسَابِس
وصَلْنـا بِبَـرْدِ اللَّيـلِ حَرَّ هَجِيرِمــا
قَطَعْنَا بإعمال الجِمَالِ القَنَاعِسِ(٢)
إلى حيث لانَلْقَى بها سُوحَ باخِـلٍ
عليها ولانَلْقَـــى بها وَجْــهَ عابِسِ
إلى ذِى بَشَاشَاتٍ تَلُـوحُ كأنَّهـــا
تَنَفُّسُ صُبْحٍ مِنْ خِلاَلِ الـعَسَاعِسِ

(١) القدامس : الشديد (لسان العرب ــ ق د س) .

(٢) القناعس : جمع قنعاس ، وهو الجمل الضخم العظيم . (لسان العرب ــ ق ع س) .

وإلاَّ وُمَيْض البَرْقِ وَهْناً وقَدْ سَرَى
يلوح ابتساما كالسَّحَابِ المُنَاعِسِ
إلى قائــمٍ عمَّ الرَّعيّــةَ عَدْلُـــه
وسائِسِ مُلْكٍ دُونَــهُ كل سَائِسِ
إلى ابن رَسُولِ الله عجلان أَوْضَعَتْ
قَلُوصِى بِرَحْلِى فى الخبات الطَّوَامِسِ
كأنِّيَ لَمّا أن حَلَلْتُ بسُوحِهِ
أَنَخْتُ قَلُوصِى فى جِنَانِ الفَرَادِسِ
بَدا لِيَ إذ عايَنْتُهُ فى جَبِينِهِ
من البشر مايجلو ظلام[١] المقابس
فحدَّثْتُ نَفْسِى بالعَفَا مِنْهُ إذْ بَدَتْ
خلائق تولين العفــا كل جالس
خلائقه تُنْبِيكَ عن فضل ماجِدٍ
وطِيبُ الجنى يُنْبِى بطيب المغارِسِ
وأغلب منى كُلّ قِرْن إذا طَغَى
بقلبٍ كأمثال اللّيُوثِ البَيَاهِسِ[٢]
فَلَوْ رَامَ إقليم العِرَاقَيْن نَالَهُ
ومصر ومهما رَامَ مِنْ أرضِ فارِسِ

---

(١) فى الأصل « للوم » ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٢) البياهس : جمع بيهس ، وهو اسم للأسد ، وقال ابن سيدة : من صفات الأسد مشتق منه . (لسان العرب ــ ب هـ س) .

بعَزْمٍ قَدِيرٍ لَوْ أرادَ بِعزْمِهِ
مَنَالَ الثُّرَيَّا نَالَهـا كُلّ لامِسٍ
بجيشٍ تَجِيشُ الأرض منه وتلتظى
على الأرض منه حاميات الوَطَائس
كطُوفَانِ نُحوحٍ فَاضَ فى الأَرْضِ فاغتدى
بما فوقهـا من كل رطب ويـابِسِ
وعَالَ عـوالٍ فى حِجَـاجٍ كأنها
ثَوَاقِبُ شُهْبٌ طُلَّع فى حَنَادِسِ
كأنّ عَلَى الأرماح وهى أسِنَّـة
سَمَـا عادٍ الأَ وَاقَدَات النَّبَارِسِ
وبيض تُنَضَّى من غُمـودٍ كأنها
عرائسُ بيضٌ جُرِّدَت مِن مَلاَبِسِ
أغـاروا بها بيضاً وعـادوا كأنما
بها من دَمِ القَتْلَى خِضَابُ العرائِسِ
وخيل تُثِيـرُ النَّقْـعَ رَكْضاً كأنها
هُبُوبُ الرِّياح الذَّارِيات الرَّوَامِس(١)
عوادٍ على خَيْلِ الأعـادى كأنها
عَوَادِى سِبَاعٍ طَارِدَاتِ الفَـرَائِسِ

---

(١) الروامس : الرياح الدوافن للآثار كالرامسات وهى التى تنقل التراب من بلد إلى آخر . (تاج العروس ــ ر م س) .

تَحَامَى غَطَارِيفُ الكُمَاة جِيَادَه
لِمَا فَوْقَهَا من كُلِّ لَيْثٍ مُمَارِسِ
مَدَاعِسُ حَرْبٍ تنطقُ الحربُ عنهُمُ
بأشْجَعِ مافَوْقَ الثَّرىَ مِن مُدَاعِسِ
وناهيك من فُرْسَان حَرْبٍ تعدها
ذوى صَوْلَة ناهِيكَهَا من فَوَارِسِ
ويكفيك مافوق المنابر فيهُمُ
مِنَ الذِّكْرِ عَنْ طِيبِ الثَّنَاقِى المَجَالِسِ
غَرائبُ يُثْنِى عِزَّهَا كُلُّ قائل
وآياتُ يَتْلُو فضْلَها كلُّ دَارِسِ /
أرَدْتُ بها قولَ الوليدِ مُعَارِضاً ١٢٩ظ
أشاقك توخيد[1] الجمال القَنَاعِسِ
أُنَافِسُ في إتمام جَاهِى وحُرْمتى
وما أنا فيما بعدهم بالمُنَافس
إذا صَحَّ جَاهِى مِنْ تَعَرُّضِ ناجِزٍ
فَكُلُّ عَطَائِى مِنْهُمُ غيرُ بَاخِسِ

* * *

١٨٦ ــ سَنَد بن رُمَيْثَة بن أبي نُمَىّ محمد بن أبي سعد

(١) التوخيد : يقال وخد البعير يخد وخداً ووخيداً ووخداناً : أسرع ، ووسع الخطو ، ورمى بقوائمه كمشى النعام . (المعجم الوسيط) .

حسن [بن على بن قتادة][(١)] الحسنى المكى .

قال الفاسى[(٢)] : أمير مكة .

ولى أمرتها شريكا لابن عمه محمد بن عُطَيْفَة ، بعد عزل إخوته ثَقَبَة وعجلان ، وجاء الخبرُ بولايته وهو معهما فى ناحية اليمن ، فقدم مكة ، وأُعْطِىَ تقليده ، وخُلِعَ عليه وعلى ابن عُطَيْفة ، ودُعِىَ لهما على زمزم ، وذلك فى جمادى الآخرة — وقيل فى رجب — سنة ستين وسبعمائة ، واستمر مباشر الإمرة بمكة إلى أوائل سنة اثنتين وستين وسبعمائة . وكان بلغه وهو بمنى فى أيام الحج من سنة إحدى وستين أن الترك يريدون القبض عليه ، فهرب إلى جهة نخلة [وبلغ الترك][(٣)] هربه ، فأنكروا أن يكونوا هَمُّوا له بسوء ، واستدعوه إليهم . فحضر ، ثم وقع بإثر سفر الحاج فى هذه السنة بين بعض الترك — الذين قدموا فى موسم هذه السنة للإقامة بمكة ، عوض الذين قدموا مكة لَـمَّا وليها سَنَد وابن عُطَيْفة — وبين بعض الأشراف المكيين منازعة أفضت إلى قتال الترك وبنى حسن . فقام سند على الترك ، وتخلّى ابن عُطَيْفَة عن نصرة الترك ، فَغُـلِبَ الترك وخرجوا من مكة ، وخَرَج بإثرهم ابن عُطَيْفَة متخوِّفاً .

ووجدت بخط بعض الأصحاب ، فيما نقله من خط ابن

---

(١) إضافة على الأصل ، عن العقد الثمين ٤/ ٦١٧ برقم ١٣٥٦ .

(٢) قال الفاسي : أى فى المرجع السابق .

(٣) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٤/٦١٨ .

محفوظ المكى : أن سندا كان خارجـا عن البـلاد فى وقت هذه الفتنة ، وأنه لما وصلَ طلبَ الاجتماعَ بالتركِ لإصلاح أمرهم ، فلم يمكنه التركُ من الدخول عليهم . وهذا يخالف ما تقدّم من قيام سند على الترك ــ والله أعلم بالصواب .

وكان ثَقَبَةُ بن رُمَيْثة قد جاء إلى مكة بإثر الفتنة ، ولايمه أخوه سند ، واشتركا فى إمرة مكة إلى أوائل شوال سنة اثنتين وستين ، وكان عجلان قد قدم من مصر فى رمضان من هذه السنة متوليا لإمرة مكة [شريكا لأخيه ثقبة ، فلما مات ثقبة فى أوائل شوال من هذه السنة دخل عجلان مكة][١] وقطع دعاء أخيه سند ، وأمر بالدعاء لولده أحمد بن عجلان ، وأمره بالاجتماع بالقواد العمرة ــ وكانوا يخدمون سندا ــ فاجتمع [بهم][١] أحمد بن عجلان ، فأقبلوا عليه وعرف ذلك سند ، فخاف على نفسه ، فهرب إلى نخلة . وقيل ، بل أقام بوادى مَرّ بالجديد ، واستجار بابن أخيه أحمد أبن عجلان . ثم وقع بين بعض غلمان سند ، وبين بعض غلمان ابن أخيه شيء أوجب تغيّر خاطر ابن أخيه عليه ، وأمره بالانتقال من الجديد ، فانتقل سند إلى وادى نخلة ، ثم إلى الطائف ، ثم إلى الشرق ، ثم إلى المدينة النبوية ، ثم إلى الينبع ــ ووصله وهو بها أوراق بنى حسن من أهل مكة : يأمرونه بالقدوم عليهم إلى مكة ، ليساعدوه على ولايتها . وسبب ذلك أنهم حضروا الوقعة المعروفة بقحزة قرب حَلْى من بلاد اليمن / وقاتلوا مع عجلان أهل حلي ١٣٠و

---

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٤/٦١٩ .

فظفر عجلان وأصحابه ، وأحسن عجلان إلى أصحابه إحساناً رأوه فيهم مقصرا ، وأفضى بهم الحنق عليه إلى أن كتبوا إلى أخيه سند يستدعونه ـــ فحضر سند إلى جُدّة [فى](١) سنة ثلاث وستين ، وصادف بها جَلْبَة فيها مال جزيل لتاجر مكى يقال له ابن عرفة ، فنهبها سند . وبلغ خبره نائب عجلان على مكة كُبَيْشاً ، فجمع أهلَ مكة وخرج إلى جُدَّة ، ليستنقذ من سند ماأخذ ، فأشار عليه بعض أحباب أبيه بعدم التعرض لسند ، ورجوعه إلى مكة وحفظها ، ففعل . ونقل سندُ ما نهبه إلى الجديد بوادى مَرّ ـــ وكان ما وقع منه بجدة قبل حضور بنى حسن من حَلْي ـــ فلما حضروا إلى مكة انضم إليه جمعٌ كثير منهم ، وفرّق ما معه عليهم ، فلم يفده ذلك فى مراده ، لأن كل من انضم إليه من بنى حسن له قريب أكيد مع عجلان . وقصد كل منهم التحريش بين الأخوين ، لينال كل فريق مراده ممن يلائمه من الأخوين ، مع إعراض كل ممن مع الأخوين عن أن يقع بينهم قتال بسبب الأخوين . وعرض بعد ذلك لسند مرضٌ مات منه فى سنة ثلاث وستين وسبعمائة بالجديد ، واستولى ابن اخيه عِنان بين مُغَامِس بن رُمَيْثَة على خيله وسلاحه ، وذهب به إلى اليمن .

ووجدت بخط بعض المكيّين : أن عجلان بن رُمَيْثة لَـمَّا ولي مكة فى سنة ست وأربعين وسبعمائة ـــ فى حياة أبيه رميثة ـــ أعطى أخاه سَنَدَ بن رميثة ثُلُثَ البلاد ، بلا دعاء ولا سِكَّة ، وأنه بعد ذلك

(١) إضافة عن العقد الثمين ٤/٦١٩ .

سافر إلى مصر ، وقُبِضَ عليه بها ، وعلى أخويه ثُقَبَة ، ومُغَامِس ، حتى يُنْظَرَ فى حال عجلان . انتهى بالمعنى](١) .

ووجدت بخط بعض المكيين : أن عجلان بن رُمَيْثَة ، لما وَلِىَ مكة فى سنة ست وأربعين أعطى أخويه سنداً ومُغَامِساً رَسْماً فى البلاد ، وأقاما معه مدة ، ثم بعد ذلك تَشَوَّشَ منهما ، فأخرجهما من البلاد بحيلةٍ إلى وادى مَرّ ، ثم أرسل إليهما أن تَوَسَّعَا فى البلاد ـــ وكان الشريف ثقبة قد توجّه إلى الديار المصرية ، فلحقا به بعد شهر . فلما وصلوا إلى مصر لزمهم [السلطان](٢) عنده .

ووجدت بخطه أيضا : أنهم وصلوا من مصر فى سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، فأخذوا نصفَ البلاد من عجلان بلا قتال . انتهى .

ولحمزة بن أبي بكر في الشريف سند بن رُمَيْثة قصيدةٌ يمدحه بها ، أولها :

خَلِيلَيَّ إمّا جِئْتُمَا رَبْعَ تَهْمَدِ
فلا تَسألا عن غيرها أمّ مَعْبَدِ(٣)

---

(١) سقط هذا الخبر فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٤/٦٢٠ .

(٢) إضافة على الأصل .

(٣) كذا فى الأصل . وفى سمط النجوم العوالى ٤/٢٤٤ « .. فلا تسألاه غير عن أم معبد » .

وإن أنتما أبصرتما بَانَــةَ الحِمَـــى
وَرَسْمــاً لذاتِ المَبْسِمِ المتبدّدِ(١)
فأوّل ما تستشهــدا عن حلولــه
وتستفهمـا أخبــار رَسْمٍ ومَعْهَــدِ
عسى تُخْبِرُ الأطـلالُ عَمَّـن سألتما
بما شئتما للــمستهام المُسَهَّـــدِ

ومنها في المدح :

وفى سَنَـدٍ أسْنَـدْتُ مَدْحًـا مُنَضَّداً
غريبَ القـوافى كالجمـان المُنضَدِ
هو القَيْلُ وابنُ القيلِ سلطانُ مكـة
وحامـى حماهـــا بالحسام المهنـــد
وصَفْوَةُ آل المصطفى طَوْدُ فخرهـم
وبـــانى عُلاَهُم فوقَ نَسْرٍ وفَرْقَـــدِ
بَنى ما بَنَـى قِدْمًـا أبــوه رُمَيْثَـــةٌ
وشادَ الـذى قَدْ شَادَ من كل سُؤْدَدِ
وشَنَّ عِتَـاقَ الخيـلِ شُعْثـاً ضَوَامِـراً
وأفنـــى عليها كُلَّ طَاغ ومُعْتَـــدِ
فَرَوَّى صِفَاحِ البيضِ من مُهَجِ العِدَى
وسُمْر القنا مهما اعتلى ظهرَ أَجْرَدِ

(١) كذا فى الأصل ، والعقد الثمين ٤/٦٢٠ ، وسمط النجوم العوالى ٤/٢٤٤ .
ولعلها « المتبرد » .

وأبيضُ طَلْـقُ الوجـهِ يَهْتَزُّ للنـدى
وَيُجْدِى إذا شَحَّ الحَيَا كُلُّ مُجْتَـدِ
كريـمٌ حليـمٌ ماجـدٌ وابـنُ ماجـدٍ
ظريـفٌ شَرِيـفٌ سَيِّـدٌ وابـنُ سَيِّـدِ
إمامُ الهدى بَحْرُ الندى مُهْلِكُ العِدَى
وبـــدرُ بَدَا من آل بَيْتِ محمَّـــدِ
[أشمُّ طويلُ البـاعِ نَدْبٌ مُهَـذَّبٌ
أَغَرُّ رَحِيبُ الصَّدْرِ ضَخْمُ المُقَلَّدِ](١)
فدَوْحَتُـه بَيْـنَ الـورى خيـرُ دَوْحَـةٍ
ومَحْتِـدُه بين الـورى خيـرُ مَحْتِـدِ
ومنها :
إليكَ جَلَـبْتُ المدحَ إذ أنتَ كُفْـؤُهُ
وإن أنـا أَجْلِبْــهُ لِغَيْـــرِك يَكْسَدِ
ومـا مَدحُكُـــم إلاّ عَلَيْنَـــا فَرِيضَةٌ
ومَـــدْحُ سواكم سُنَّـــةٌ لم تُؤَكَّـــدِ
ثناؤكُـمُ أَثْنَــى به اللـــهُ جَهْـــرَةً
وأَنْزَلَـهُ وَحْيـاً على الطُّهْـرِ أَحْمَـــدِ

انتهى كلام الفاسى .

* * *

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٤/٦٢١ ، وسمط النجوم العوالى ٤/٢٤٥ .

١٨٧ ــ محمد بن عُطَيْفة بن أبى نُمَىّ محمد بن أبى سعد حسن بن على بن قتادة بن إدريس بن مُطَاعِن بن عبدالكريم الحسنى المكى.

قال الفاسى[١] : أمير مكة .

وليها ــ بعد أن عُزِلَ ابنا عمه عجلان وثَقَبة ابنا رُمَيْثَة بن أبى نمي ــ شريكاً لابن عمه سند بن رُمِيْثَة . ويقال : إن ولاية مكة [عرضت عليه][٢] بمفرده ، فأبى إلا أن يليها شريكا لبعض أولاد رُمَيْثة ، فولي معه سند بن رُمَيْثَة .

وبلغنى أنه لما وصل الخبر بولايتهما إلى مكة أشار عجلان إلى ثَقَبَة بأن يُعْطِيَ كلٌّ منهما أربعمائة بعير لبنى حسن ، ليساعدوهما على بقاء ولايتهما ، ومَنْعِ ابن عطيفة ومَنْ معه . فلم يوافق على ذلك ثَقَبَة ، واحتج بعجزه عن الإبل المطلوبة منه ، ولِمَا بينه وبين سَنَد من كثرة الأُلفة ، ومعاضَدَة سند له .

وكان صاحب مصر الملك الناصر حسن لما وَلَّى مكة سندا ، وابنَ عُطَيْفة جَهَّزَ من مصر مع ابن عُطَيْفة عسكرا فيه أربعة من الأمراء ، وهم : جَرَكْتَمُر الماردينى حاجب الحجاب بالقاهرة ، وكان مُقَدَّم العسكر . وقُطْلُوبُغَا المنصورى . وعلم دار . وابن أَصْلَم .

وذكر ابن محفوظ : أن هذا العسكر كان نحوا من مائتى

---

(١) العقد الثمين ٢/١٤٠ برقم ٣٠٣ .

(٢) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٢/١٤١ .

مملوك ، ومعهم تسعون فرسا ، وأنهم وصلوا إلى مكة فى الثامن من جمادى الآخرة سنة ستين وسبعمائة . انتهى .

وذكر لى بعض الناس : أن هذا العسكر وصل إلى مكة فى رجب من السنة المذكورة — والله أعلم بالصواب فى ذلك — وَلَمَّا وصل هذا العسكر إلى مكة وصل إليهم سَنَدُ بن رُمَيثة فأعطوه تقليده ، وخلعوا عليه وعَلَى ابن عُطَيْفة ، ودُعِىَ لهما على زمزم ، وانصلح بالعسكر حال مكة ، وارتفع منها الجور ، وانتشر العدل بها ، وأُسْقِطَ المَكْسُ من المأكولات ، وجُلِبَت الأقوات ، فرخُصَت فيها الأسعار إلى الغاية ، وانقمع أهلُ الفساد ، بحيث لم يتجاسر أحد منهم على حمل السلاح بمكة ، لأن مقدّم العسكر أمر بذلك .

١٣١و واستمر / هذا الحال بمكة على ما ذكرناه إلى انقضاء الحج من سنة إحدى وستين وسبعمائة . ثم تَغَيَّر ذلك لفتنة عظيمة وقعت بين بنى حسن من أهل مكة ، والعسكر الذى بها . وهذا العسكر غير العسكر الذى قدم [إلى مكة](١) مع ابن عُطَيْفَة . ومقدّم هذا العسكر أميران : أمير يقال له قُنْدُس ، قدم من القاهرة فى جماعة [وأمير يقال له ناصر الدين بن قَرَاسُنْقُر المنصورى ، قدم من الشام فى جماعة](١) ، ليقيموا بمكة عوض العسكر الذى قدم مع ابن عطيفة . وكان قدوم العسكر الذى مع قُنْدُس ، وابن قَرَاسُنْقُر إلى مكة فى الموسم من سنة إحدى وستين وسبعمائة .

(١) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ١٤٢/٢ .

وسبب الفتنة بين هذا العسكر وأهل مكة أن بعض العسكر رَامَ النزولَ بدار المضيف عند الصفا ، فمنعه من ذلك بعض الأشراف من ذوى على ، فتضاربوا ، وبلغ ذلك بنى حسن والتُّرْك ، فثارت الفتنة بينهم .

وقيل إن سبب الفتنة أن بعض الترك نزل بدار المضيف ، فطالبه بعضُ الأشراف بالكِرَاء ، فضربَ بعضُ الترك الشريفَ ، فقَتَلَ الشريفُ التركىَّ . فثار جماعةٌ من الترك على الشريف ، فصاح الشريفُ ، فاجتمع إليه بعض الشرفاء واقتتلوا ، وبلغ ذلك التركَ وبنى حسن ، فقصد الأشراف أجيادا ، ووجدوا فى ذهابهم إلى أجياد خيلا على باب الصفا للأمير ابن قَرَاسُنْقُر ، ليسعى عليها بعد طوافه — فإنه كان ذلك اليوم ذهب للعمرة من التنعيم — فركبها الأشراف ، وبلغ ابنَ قَرَاسُنْقُر الخبرُ — وهو يطوف — فقطع طوافه ، وتقدم للمدرسة المجاهدية ليحفظها ، فإنه كان نازلا بها ، وتحصن هو وبعضُ الترك فى المسجد الحرام ، وأغلقوا أبوابه ، وهدموا الظُّلَّة التي على رأس زقاق أجياد الصغير ، لِيَرَوْا مَن يقصدهم من بنى حسن ، ويمنعوه من الوصول إليهم بالنشاب وغيره ، وعملوا فى الطريق عند المجاهدية أخشابا كثيرة ، لتحول بينهم وبين من يقصدهم من الفرسان من أجياد الكبير . هذا ما كان من خبر الترك .

وأما ما كان من خبر بنى حسن ، فإنهم لما توجهوا لأجياد استولوا على اصطبل ابن قَرَاسُنْقُر ، وقصدوا الأمير قُنُدُسَ — وكان

العسكر لم يحمده ، وكذا أهلُ مكة : لتقصيره فى نُصْرَةِ كل من الفريقين ، ولم يزل بمصر مقيماً حتى مات فى أثناء سنة ثلاث وستين وسبعمائة ، أو بعدها بقليل . وكانت مدة ولايته سنة ونصفا ، تزيد أياما أو تنقص أياما ، للاختلاف فى تاريخ قدومه إلى مكة مع العسكر الذي جهز معه إلى مكة حين ولايته لها .

ولشيخنا ــ بالإجازة ــ الأديب يحيى بن يوسف المكى ، المعروف بالنشو مدائح فى ابن عطيفة هذا . منها ما أنشدناه ــ إجازة ــ من قصيدة له يمدحه بها . سنة تسع وثلاثين . أولها :

تُذِيبُ فؤادِى بالغرام وتَجْحَدُ
وتَرْضَى بإتلافِي ومالِيَ مُنْجِدُ
أمَا لِكَ نَفْسِي وهى نفسٌ أبيّة
وما عنده من رحمة لى توُجَد
أتَنْقُضُ عهدِى والعهودُ وَفِيّة
ألست على العهد الذى أنت تَعْهَدُ
وتُنْكِرُ ما بيني وبينك فى الهوى
وَلِى فيك أشجانٌ تُقِيمُ وتُقْعِدُ
فحبك لى دِينٌ ووجهُكَ قِبْلَةٌ
وخَالُكَ رُكْنٌ للمُقَبِّلِ أسْوَدُ[1]

ومنها فى المدح :

---

(١) هذا من المجون المستقبح الذي يدل على استخفاف بالمقدسات ولولا أنه تراث يفيد في الدلالة على حال عصره لوجب حذفه .

نازلا ببيت الزَّبَّاع بأجياد ـــ فقاتلوه مِن خارجه حتى غلبوه ، ودخلوا عليه الدار ،فقتلوا جماعة من أصحابه ، وهرب هو من جانب منها ، فاستجار ببعض الشرائف فأجارته . ونَهَبَ منزلَه بنو حسن ، وقصد طائفةٌ منهم التركَ الذين بالمسجد ، فقتلوا من سراة بنى حسن مُغَامِسَ بنَ رُمَيْثَةَ أخا سَنَد ، وغيره .

وكان من أمراء الترك بعد ذلك أنهم خرجوا من مكة بعد أن استجاروا ببعض بنى حسن على أنفسهم وأموالهم ، ولم يخرجوا من مكة إلا بما خَفَّ من أموالهم ، وخرج بعدهم من مكة ابنُ عَطَيْفَة قاصداً مصر ، خائفا يترقب ، بسبب ما كان بين ذوى عطيفة والقواد العمرة من القتل ، وكان تخلَّى فى وقت الفتنة عن نُصْرَة الترك بإشارة بعض بنى حسن بذلك عليه ، وقوَّى عزمَه على ذلك قتلُ الترك لمُغَامِس بن رُمَيْثَة .

ووجدت بخط بعض أصحابنا فيما نقله من خط ابن
١٣١ظ محفوظ : أن ابن عطيفة أراد أن / يتعصَّبَ للترك ، فتهدَّدَهُ لذلك بعضُ بني حسن بالقتل ، وأنه وسند قعدا فى البلاد بعد سفر الترك .

وفى كون ابن عُطَيْفَة أقام بمكة بعد سفر الترك منها نظرٌ ، لأن المعروف عند الناس أنه سافر بعد الفتنة إلى مصر . اللهم إلا أن يكون مُرَادُ ابنِ محفوظ أنه أقام بمكة أيَّاما يسيرة بعد سفر الترك ، ثم سافر من مكة . فلا منافاة حينئذ . والله أعلم ـــ

ولما وصل ابن عُطَيْفَة إلى مصر ، لم يكن له بها وَجْهٌ ، لأن

إمـامٌ له فضلٌ عظيم على الــــوَرَى
كريـمُ الأيـادِى بالسماحـة أَوْحَـدُ
يَجُـــودُ بما تَحْــوِى يداهُ تَكَرُّمًـــا
ويعلـــمُ أنّ المالَ ليس يُخَلِّــــدُ
فتـىً لم يَرَ الـراؤونَ مثـلَ صفاتــــه
إذا قيـل هذا حاتـمٌ فهـو أَجْـــوَدُ
أجَـلُّ الـورى قدرا وجاهـاً ورِفْعَــةً
وأكـرم من يُرْجَـى عَطَـاهُ ويُـقْصَدُ

وله فيه من أخرى ، وأنشدناه إجازة :

أتـرضى بإتـــلافِ المحب ظلامــــة
فتأخـذه بالعُنْـفِ والرفـــقُ أَلْيَـــقُ
أعنـدك علـــمٌ أنــه بك هائــــمٌ
وأكبـادُه من لوعـة الهَجْـرِ تُحْـرَقُ
فأحوالـــه تُنْبِـــى بما فى ضميـــرِهِ
إذا لم يكـن للقـولِ منــــه مُصَدِّقُ

ومنها فى المدح :

بَلَـوْتُ بنـى الدنيا جميعـا بأسرهـم
وجَرَّبْتُهــم إنّ التجـــارب تَصْدُقُ
فلـم أر فى ذا الـعصر مثـل محمـد
إماماً به الدنيـــا تُضِيءُ وتُشْرِقُ /
١٣٢و جَواداً إذا جار الزمـان على الـورى
يجود بما تحوى يداه وينفــــــــــق

لقد جلَّ عَنْ قدر الملوك الأُلَى[(١)] مضوا
إلى الغاية القُصْوَى من الفضل يَسْبِقُ
يجود على العافى ويُبْدِى اعتذاره
فأوراقه بالجود والبذل تُورِقُ
لقد أعجز المُدَّاحَ فى بعض وصفه
عليهم بأنواعِ المكارم يُغْدِقُ

ومنها :

على أنه والله واحدُ عَصْرِهِ
وهل مثله من بعد ذا العَصْرِ يُخْلَق
وَمَنْ لاَمَنِى فى مَدْحِهِ فَهْوَ جاهلٌ
فَجِيدِىَ بالإحسان منه مُطَوَّقُ
وإنْ كانَ مدحُ الغيرِ عندىَ سُنَّةً
فمدحِى لَهُ فرضٌ عَلَيَّ مُحَقَّقُ

انتهى كلام الفاسى .

* * *

١٨٨ ـ أحمد بن عجلان بن رُمَيْثَة بن أبى نُمَىّ محمد بن أبى سعد حسن بن على بن قتادة بن إدريس بن مُطَاعِن الحسني المكْي ، يُكْنَى أبا سليمان ، ويُلَقَّبْ شهاب الدين .

---

(١) فى الأصل « الذى » والمثبت عن سمط النجوم ٤/٢٤٢ .

قال الفاسى[١] : أمير مكة ، ورئيس الحجاز .

ولي إمرة مكة شريكا لأبيه ومستقلا ، ثم شريكا لابنه محمد ستًّا وعشرين سنة ، تنقص يسيرا ــ نحو شهرين ــ كما سيأتى بيانه .

ونشير إلى ما يوضح ذلك مع شيء من حاله : وذلك أنه كان ينظر فى الأمر بمكة نيابةً عن أبيه أيام مشاركة أبيه وعمّه ثقبة فى إمرة مكة ، فى سنة ستين وسبعمائة . ولما عزلا فى هذه السنة بأخيهما سَنَد ، وابن عمهما محمد بن عُطَيْفَة السابق ذكره ، توجّه عجلان وابناه أحمد وكُبَيْش [فى جماعة من ألزام عجلان إلى مصر ، فلما وصلوها قُبِضَ على عجلان وابنيه أحمد وكُبَيْش][٢] واعتقلوا بِبُرْجٍ بقلعة الجبل بمصر ، وأقسم صاحب مصر السلطان حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ألاّ يطلقهم مادام حيا ، لأنه كان شديد الحنق على عجلان وابنه أحمد لأمور منها : أن أحمد بن عجلان صدّ الضياء الحموى[٣] عن الخطابة بالمسجد الحرام ، بعد أن برز إلى المسجد فى شعار الخطبة ، فى موسم سنة تسع وخمسين وسبعمائة [رعايةً][٤] للقاضى شهاب الدين الطبرى الآتى ذكره[٥] . وكان

---

(١) العقد الثمين ٣/٨٧ برقم ٥٩١ .

(٢) سقط فى الأصل ، والمثبت عن المرجع السابق .

(٣) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن أبى المكارم الحموى المكى . المتوفى سنة ٧٧٠ هـ . (العقد الثمين ٢/٨٦ برقم ٢٣٥) .

(٤) بياض في الأصل بقدر كلمة ، والمثبت عن العقد الثمين ٣/٨٧ .

(٥) أي فى العقد الثمين ٣/١٦١ برقم ٦٤٧ . وهو أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبى بكر بن محمد بن إبراهيم الطبرى ، قاضى مكة . شهاب الدين أبو الفضل . المتوفى سنة ٧٦٠ هـ .

السلطان قد ولّى الخطابة للضياء الحموى ، ثم نقل المذكورين من بُرْج القلعة إلى الإسكندرية لما سمع السلطانُ بفتك بنى حسن فى عسكره الذى ندبه إلى مكة فى موسم إحدى وستين وسبعمائة ، ولم يزالوا فى الاعتقال حتى قُبِضَ على السلطان المشار إليه ، ثم أُطْلِقُوا ، وولى عجلان إمرة مكة شريكا لأخيه ثقبة ، وتوجّه عجلان وجماعتهُ إلى مكة بعد الإعراض عن تجهيز العسكر الذى كان الناصر حسن عَزَمَ على إرساله إلى الحجاز لتمهيد أمره ، والفتك بكل من يوجد فيه من بنى حسن والأعراب . وسبب الإعراض عن ذلك زوال [ملك][١] الملك الناصر المذكور .

ولما وصل عجلان وجماعتهُ إلى وادى مَرّ لقوا به ثَقَبَة عليلا مدنفا ، ثم مات / ثقبة بعد أيام قليلة فى أوائل شوّال سنة اثنتين ١٣٢ظ وستين وسبعمائة ، فبادر عجلان وجماعته إلى مكة ، وأشرك معه ولده أحمد فى إمرتها ، وأمره بالطواف بالبيت ، وأمر عبدالسلام المؤذن[٢] [أن][٣] يدعو له إذا طاف على زمزم ، وبعد المغرب على عادة أمراء [مكة][٣] فى ذلك . وجعل له رُبْعَ المتحصل لأمير مكة يصرفه فى خاصته ، وعلى عجلان تَكْفِيَةُ العسكر ، واستمر على

(١) إضافة عن العقد الثمين ٣/٨٨ .

(٢) هو عبد السلام بن عبد الله بن على بن محمد بن عبد السلام بن أبي المعالى الكازروني المكى ، مؤذن الحرم الشريف . توفي سنة ٧٧٣ هـ . (العقد الثمين ٥/٤٢٨ برقم ١٨٠٨) .

(٣) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٣/٨٨ .

ذلك مدة . ثم إن بعض بنى حسن حَسَّنُوا لأحمد بن عجلان أن يسأل أباه فى السماح له بربع آخر من المتحصل ، وحَمَلَهم على ذلك الحنق على عجلان ، لزعمهم أنه قصر فى حقِّهم . فامتنع عجلان من موافقة ابنه على ذلك ، وهم بمباينته ، ثم ترك ، لتحققه أن بنى حسن قَصَدَت بذلك تحصيل شيء منه ، ورأى أن إسعاف ابنه بمراده أولى من إسعافهم بقصدهم منه ، فإنه قد لايفيده . وصار لأحمد نصف المتحصل ولأبيه مثله ، ولكل منهما نواب تقبض ما يخصه .

واستمرا على ذلك إلى أن ترك عجلان ما كان له لابنه أحمد . وقيل إن سبب تركه لذلك أنه كان رغب فى أن يكون ابنه محمد بن عجلان ضِدًّا لولده أحمد ، بأن يفعل فى البلاد فعلا يظهر به محمد ، ويغضب منه أحمد [فيلين بذلك جانب أحمد لأبيه ، لأنه كان قوي عليه ، وينال بذلك مقاصد من ابنه أحمد][1] فكتب عجلان ورقة إلى ابنه محمد [يأمره][1] بأن يَشْغَبَ هو وأصهاره الأشراف على أحمد بن عجلان ، وأن يأخذ من خيل أبيه ما شاء ، ويذهب إلى نخلة فيأخذ منها أدرعا له هناك مودعة ، ويأخذ ممن هى عنده مايحتاج إليه من المصروف . فوصلت ورقته إلى ابنه محمد وهو فى لَهْوٍ مع بعض أصدقاء أخيه أحمد ، فأوقفهم على ورقة أبيه ، فاستغفلوه وبعثوا بها إلى أخيه أحمد ، وأشغلوه باللهو إلى أن بلغ أخاه الخبرُ . فقصد أحمد أباه فى جمع كثير معاتباً له على ما فعل ــ وكان

---

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٨٩/٣ .

قد بلغه ما كان من ابنه محمد ، وشق عليه ذلك كثيرا ــ فاعتذر لأحمد ، وما وجد شيئا يتنصّل به إلا السماح له بترك الإمرة ، وظنّ أنه يعجز عما يشترطه عليه عوضا فى الترك ، وكان فى نفسه ثلاثمائة ألف درهم ــ فيما قيل ــ بعضها فى مقابلة الإمرة ، وبعضها فى ثمن خيل يبيعها له أبوه لعدم حاجته إليها إذ لم يكن أميرا . فالتزم أحمد مقصود أبيه من المال ، وأعانه عليه جماعةٌ من التجار . فلما تَيَسَّر له المبلغ المطلوب منه ندم [أبوه][١] ورام أن يعرض عن قوله فما قدر عليه ، وما وسعه إلا الموافقة ، فاشترط على ابنه أيضا أن يكون له بعض الرسوم التى لأمير مكة . وبلغنى أنه رَسْم مصر ، وأن يديم له ذلك مدة حياته ، مع الخطبة له والدعاء على زمزم . فالتزم له ابنه بذلك ، وأشهد كل منهما على نفسه بما التزمه جماعةً من أعيان الحرم ، وأنهى هذا الحال لصاحب مصر : أن عجلان ترك نصيبه فى الإمرة لابنه أحمد ، وأنه والمجاورين يسألون تقرير أحمد فى ولاية مكة بمفرده . فأجاب السلطان إلى ذلك .

وذكر لي بعض الناس : أن ذلك كان فى سنة أربع وسبعين وسبعمائة ، وذكر لى بعضهم ما يدل على أنه كان قبل ذلك بسنتين أو نحوهما . والله أعلم . /

واستمر أحمد منفردا بالإمرة إلى أن أشرك معه فيها ابنه محمد ١٣٣و
ابن أحمد فى سنة ثمانين وسبعمائة ، وما كان لمشاركته فى ذلك أثر ، لأن السيد أحمد هو القائم بمصالح العسكر ، وإليه النظر فى جميع

---

(١) إضافة على الأصل .

الأمور ، واستمر على ذلك إلى أن مات السيد أحمد .

وكان بعد موت أبيه عزم على السفر إلى جهة ينبع ، فقيل لحرب أميرها ، وقيل لإزالة أمْرٍ بوادى الصفراء أُمِرَ بإزالته لضرر حصل منه للحاج .

فلما نزل الهدة ـــ هدة بني جابر[1] ـــ متوجها لقصده بلغه أن بنى عمه أولاد ثَقَبَة بانوا عنه ، وحالفوا عليه بعض بنى حسن من ذوى عبدالكريم ، فأعرض عن قصده ، وبعث إلى مكة فرسانا لصونها . وكشف عن خبرهم ، فبلغه أنهم توجهوا صوب وادى نخلة ، وأنهم لقوا فى طريقهم سليمان بن راشد أحد تجار مكة . وابنه حسب الله واختطفوهما ، وذهبوا بهما معهم إلى الشرق ، وسار فى إثرهم إلى أن بلغوا سُولة[1] بنخلة اليمانية ، فأشير عليه بالمقام هناك ، وأن يبعث إليهم فرسانا لاستنقاذ ابن راشد وابنه ، فبلغتهم فرسانه وهم فى كثرة وغفلة ، فأوهموهم أنه فى الأثر ، ففروا ، وظفر[2] أصحاب أحمد بابن راشد وابنه ، وعادوا بهما إليه . ورجع أحمد بعد

(١) هدة بنى جابر : نسبة لبنى جابر ـــ بطن من بطون حرب ـــ تقع أول وادي مر الظهران ، وتعد من أعمال مكة ، ويصعد إليها من جبل يقال له الظاهر بقرب أبي عروة بوادى فاطمة (العقد الثمين ٣١/١ ، ومعجم قبائل الحجاز ، وحسن القرى بأودية أم القرى ـــ وادى أبى عروة ـــ) .

(٢) سولة : عين جارية ، وبلدة بنخلة اليمانية، أسفل من الزيمة ، عند مصب وادى سبوحة ، وهى والزيمة قريتان بنخلة اليمانية ، وليس بهما غيرهما . (معالم مكة للبلادى ١٣٩) وفي معجم البلدان لياقوت : هى قلعة على رابية بوادى نخلة .

(٣) فى الأصل ، والعقد الثمين ٩١/٣ « فظفروا » .

ذلك إلى مكة ، ثم توصَّلَ بنو عمه إلى نخلة ، ومعهم أفراس عديدة ، فقصدهم بعضُ بنى حسن وأوهمهم أنه يصل إليهم جماعة من بنى حسن ، لميلهم إليهم حنقا على أحمد بن عجلان . وبينما هم على ذلك وإذا بخيل أحمد بن عجلان قد دهمتهم مع عسكره ، ففر بنو ثَقَبَة ، وما سلمت أرواحهم إلا بجُهْدٍ — وقبض على بعض جماعتهم ، وأعانهم على ذلك ، أنهم ظفروا بطليعة بنى ثَقَبَة فلم يتيقظوا لأصحاب أحمد — ورجع عسكره إلى مكة ولم يبت بنخلة خوفاً من البيات بها — بعد أن كان أَجْمَعَ على ذلك — ثم توصل بنو عمه المشار إليهم إلى مصر ، بعد قتل الأشرف شعبان صاحب مصر ، وكتب لهم القائمون بعده إلى أحمد بن عجلان بملاطفتهم وإكرامهم ، ورسموا لهم بأن يصرف لهم فى كل سنة ستين ألف درهم ، وقالوا لهم : إذا لم يرضَ عزلناه ، وأحسنوا إليهم بشىء يتجهزون به .

فوصولوا إلى أحمد ، وأعلموه الخبرَ ، فلاطفهم وأرضاهم فيما رسم لهم به ، وتوالفوا مدة . ثم حصل كدر فى نفسه منهم ، ومن عِنَان بن مُغَامِس بن رُمَيْثَة ، ومن أولاد مبارك بن رميثة ، لميلهم عليه مع صاحب حلى ، لأن أحمد بن عجلان رغب فى أن يزيده صاحبُ حَلْي فى العادة التى جرت بأن يسلمها إليه صاحب حلى ، فلم يوافق على الزيادة لعظمها ، واستعان عليه بالقواد العمرة فما أفادوه ، فاستعان القواد بعنان وبنى ثقبة فالتزموا لهم بأن يُخَزِّلُوا أحمد بن عجلان عن قصده لصاحب حلي — وكان قد أجمع على ذلك —

ابن عجـــلان تقصيرا كثيرا ، فرسَمَ لهمـــا صاحبُ مصر الملك الظاهـر(١) بخطام فى الزاملـة خمسة وسبعين درهما ، وبأبى عُرْوَة ــ قرية بوادى مَرّ ، بيد أمير مكـة ــ وغير ذلك مما يكـون رُبْـعَ المتحصل لأمير مكة .

وكان أحمد قد أتبعهـم بكُبَيْش وهدية سَنِيَّة للملك الظاهـر فرأى كُبَيْش من الدولة إقبالا على عِنَان ، فالتزم بالموافقة على مارسم به السلطان لعِنَان ، وحَسَن بن ثَقَبة ، وسالمهما حتى توصَّل إلى مكة ، فعَرَّف أحمَد بن عجلان الخبرَ ، وقال له : لابد من موافقتك على مارُسِمَ به لعِنَان أو قتله . فمـال إلى قتلـه . وسئـل أحمد [فى](٢) أن يجير عِنَاناً وحَسَن بن ثقبة ، ففعل . وتوثَّق الساعِى فى ذلك مِنْه ، وكان الساعى لِعنَان في الجيرة حَسَن بن ثَقَبَة . فحضَر إليه عِنَان فى أيّام الموسم ، ثم فَرَّ منه عِنَان والناسُ بِمنًى ، ولحقه حسن بنُ ثَقَبَة ، لأنه لم يوافق على ما وصلا به .

ثم إن أبا بكر بن سُنْقُر الجمالى أميرَ الحاج المصرى ، وغيره مِن أصحاب أحمد بن عجلان قالوا لعِنَان وابن ثَقَبَة : إرجعا إلى أحمد فإنه يجيبُ إلى ما طلبتما ، ونكتب إليه بذلك فلا يخالف .

(١) هو السلطان الملك الظاهر أبو سعيد سيف الدين برقوق بن آنص الجركسى ، تولى سلطنة مصر فى رمضان سنة ٧٨٤ هـ ، ومات فى شوال سنة ٨٠١ هـ . وانظر ترجمته وأخباره فى العقد الثمين ٣٥٧/٣ برقم ٨٣٩ ، والنجوم الزاهرة ٢٢١/١١ ــ ٣١٨ ، ١/١٢ ــ ١٦٧ ، والضوء اللامع ١٠/٣ برقم ٤٨ .

(٢) إضافة عن العقد الثمين ٩٣/٣ .

فإن لم يعطهم مالوا عنه لصاحب حَلْى ، وحلفوا له على ذلك ، وحلفَ معهم عليه بنوُ مُبَارك ، وبلغ ذلك أحمد بن عجلان ـــ وهو بمكان يقال له أم غراب . قريب من الحسبة[١] ودوقة[٢] ، وهو على يوم من حلى للمجد في السير ، فلاطف أحمد صاحب حلى ، وقنع منه بزيادة / دون التى فى نفسه ، وأمر عِنَاناً بمباينته ، فبان عنه ، ١٣٣ظ فنهب إبلا كثيرة للأعراب . وحصَّل أفراسا وسلاحا ، فلاطفه أحمد فاستدعاه إليه ، فحضر إليه وأكرمه ، ثم أغرى حسنَ بن ثقبة ، لِعَتْبِهِم عليه فى أمرٍ نَخفَرَ جوارَهم فيه ـــ ومن عادة العرب أن يُقتَل من خفر جوارهم ـــ فما تم لأحمد مراد فى عِنَان ، لأن أحمد بن ثقبة نهى عن قتله . ولما عرف ذلك أحمد أغرى عِنَان بأحمد بن ثَقَبَة ، لأن أخاه حسن بن ثقبة ممن اتُّهِمَ بقتل محمد بن مُغَامِس أخى عِنَان ـــ ومن عادة العرب ألا يقتصروا فى القصاص على القاتل بل يقتلوا غيره من جماعته إذا كان أحشم من القاتل ـــ فكاد عِنَان أن يَفْعَل ما أمره به ، ثم ترك .

وعرف عِنَان وبنو ثقبة بما كان من أحمد بن عجلان فى حَقِّهم ، فسافر عِنَان وحسن بن ثَقَبَة إلى مصر ، وشكوا من أحمد

---

(١) الحسبة : تطلق على وادى الأحسبة ، وصحفها ياقوت بالأحسية والحسية : وهى واد بينه وبين السرين سُرَى ليلة من جهة اليمن ، ويقال بينهما ما يزيد على ٨ كيلاً . (بين مكة واليمن ١٠٢) .

(٢) دوقة : بلدة تقع جنوب الليث . (معجم معالم الحجاز ، وبين مكة واليمن) .

وهذا أخوه محمد يرجع معكما ــ وكان قد توجه إلى مصر مغاضبا لأخيه ، وطالبا بخير يحصل له بمصر ــ وحَسَّنوا لمحمد أن يرجع معهما ، وأنهم يأمرون أحمد بكرامته ، فرجعوا إلى أحمد ، ولم يتوثَّق محمد من أحمد لمن قدم به ، ظَنًّا منه أنه لا يخفره ، وأنهإذا لم يُوَافق على مقصودهما رَدَّهما إلى مأمنهما .

ومن الناس من يقول : إنه نَدَبَ أخاه محمدا لإحضارهما ، فحضرا معه لذلك ، واجتمعوا بالسيد أحمد ، وقد جَلَس لهم مجلسا عاماً فيه الترك والعبيد ، وقَرَّرَ معهم أن يقبضوا على عِنَان وحَسَن بن ثَقَبة إذا أشار إليهم بذلك . فلما أشار بذلك قبضوا عليهما ، وركب من فَوْرِهِ إلى أحمد بن ثَقَبَة وقَبَضَ عليه ، وعلى ولده عليّ بن أحمد ــ وكان أحمد بن ثقبة مُظْهِرًا طاعة أحمد بن عجلان ، ومُعْرِضاً عن موافقة أخيه حسن وعِنَان فما أفاده ذلك ــ وقَيَّدَ الجميعَ ، وضمّ إليهم أخاه محمد بن عجلان ، وسجنَ الخمسة بأجياد مدة يسيرة ، ثم بالعلقمية ، واستمروا بها إلى موسم سنة سبع وثمانين وسبعمائة . وفى أولها كان القبضُ عليهم ، / ١٣٤و وفى موسمها نقلهم إلى أجياد ، وفى موسمها وصل إليه كتابُ السلطان من مصر بإطلاقهم ، فلم يَفْعَل ، ونقلهم بعد الموسم من أجياد إلى العلقمية عند المروة ، وكادوا أن يفلتوا منها فى أثناء سنة ثمان وثمانين ، ففطن لهم ورُدُّوا، غير عِنَان فإنه نجا ، وتوصَّل إلى مصر ، وكان من أمره ما يأتى ذكره .

وبلغنى أن أحمد بن عَجْلان كتبَ إلى الملك الظاهر

[صاحب مصر][(١)] يسأله فى رَدّ عِنَان إليه . فكتب إليه : وأما ما ذكرت من جهة عِنَان فإن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾[(٢)] واستمر المذكورون فى سجن أحمد حتى مات ، فَكُحِلُوا[(٣)] بعده بنحو عشرة أيام ، وأَلِمَ لذلك الناسُ ، وما حصل للراغب فى ذلك راحة . وكان المتظاهر بذلك محمد بن أحمد بن عجلان ، فقُتِلَ بعد كَحْلِهم بتسعين يوما ، وقتل كُبَيْش بعد كَحْلِهم بسنة ، وكانوا تَرَقَّقُوا لمحمد بن عجلان عند كَحْلِهم ، فما أفادهم ذلك ، وترقَّقُوا لأبيه بأشْعَارٍ كتبوها إليه فما أَجْدَت ، فتمَّ على كل منهم ما قضى الله به عليه .

وكان لأحمد بن عجلان سيرة مشكورة ، ومحاسِنُ مذكورة ، لأنه كان كثير العَدْل فى الرعيّة ، مُكْرِما للتجار ، وسمح لهم بأشياء كثيرة ، فكثر تردُّدُهم إليه ، فأثرى وكَثُرَ ماله ؛ مما كان يحصل له منهم من الموجبات والهدايا السنية ، وقَرَّرَ بينه وبينهم ضرائب معروفة فى الركائب والزوامل ، فلم يكن يتعدى ذلك ، وقَرَّرَ أمورا يسمح لهم بها فيما لايريدون فيه بيعاً من الأزواد والقرْطَلاَّت[(٤)] وغيرها مما يختص بالتاجر وأتباعه ، فما خالف ذلك . وكان نُوّابُه بجدة معه فى أرغد

---

(١) إضافة عن العقد الثمين ٣/٩٤ .

(٢) سورة التوبة : آية ٦ .

(٣) الكَحْل : هو إذهاب البصر بحديدة محماة أو نحوها ، توضع أمام العين حتى يذهب بصرها . (شرح مصطلحات صبح الأعشى) .

(٤) القرطلات : جمع قرطلة وهى عدل الحمار . (تاج العروس) .

عيش ، لأنهم كانوا يكارمون بالإسقاط ويكارمونهم بالهدية ، ويعلم بذلك السيد أحمد بن عجلان فلا ينالهم منه كبير ضرر ، وإنما يؤدبهم بغرامة لطيفة . وكان يُحْسِن لبنى عمه ذوى رُمَيْثة بأشياء مُقَرَّرَة لهم فى كل شهر تقوم بكفايتهم ، وذلك ــ فيما قيل ــ غرارتان فى كل شهر وأربعمائة درهم ــ وقيل مائتا درهم ، وقيل ثلاثمائة ــ غير ما يزيدهم على ذلك من منافع يسألونها منه ، ولهم عليه رسوم فى كل موسم ، كل سنة عشرة آلاف درهم لكل نَفَر ، يزيد بعضَهُم سِرًّا على ذلك ، وربما بلغت الزيادة لبعضهم عشرة أخرى . وكان يحسن كثيرا إلى من سواهم من بنى حسن من الأشراف والقواد وعبيده وأتباعه . وما وَجَدَ بالإحسان إليهم إلا خيراً كثيرا ؛ لأنه ملك ما لم يملكه غيره من الخيل والسلاح والعَبِيد . وبلغت خيلُه نحو أربعمائة ، وعبيده نحو ثمانمائة ــ على ما قيل فيهما ــ وما تأتى ذلك لمن كان قبله من أمراء مكة المقاربين لعصره ــ ويَسَّرَ الله تعالى له عقارا طائلا جدا بوادى مرّ ، عظم انتفاعه به ، وذلك خيوف أحياها ، فملكها من غير شريك فيها ، وهي : الأُصَيْفِر(١) ، والبَحْرَين(٢) ، والبَثْنى(٣) ، والحُمَيمة(٤) .

(١) الأُصيفر : خيف بوادى مَرّ ، ينسب لجبيل صغير أصفر اللون ، بباطن الحمض أسفل المرشدية . (حسن القرى بأودية أم القرى) .

(٢) البحرين : قرية بين واسط بنى أحمد والجديد ، قريبة من الجموم ، وبها عين جارية . (المرجع السابق) .

(٣) البثنى : خيف بين الروضة وخيف بنى شديد ، به عين جارية . (المرجع السابق) .

(٤) الحميمة : وتعرف بالجديدة ، وقديماً بالمبارك ، وهي قبلى البرابر بوادى مر ، فيها مزارع للحب والخضر . (المرجع السابق) .

وأحيا أيضاً أمّ العيال [١] ، والبِقَاع [٢] بوادى الهَدَة ـــ هَدَة بنى جابر ـــ والرَّيَّان [٣] قُرْب الـمُبَارَك ، وما وجد / له حاصل طائل ١٣٤ظ من النقد لَـمَّا مات .

وكان قد تعلَّلَ قبل موته أياما كثيرة من حَبَّة طلعت عند أذنه ـــ بلغنى أن جَدّه رُمَيْثَة ، وجَدَّ أبيه أبا نُمَيّ ماتا بها ـــ وبعض الناس قال : إنها من سُمٍّ طَيَّار ، وصل إليه في كتاب من مصر ، والله أعلم .

وكان يُحْمَلُ فى بعض الليالى إلى المسجد فيُطَافُ به ، ويقول : وَاغَوْثَاه . ويكرِّرُها ، فيكثر بكاءُ الناس عليه . فلما مات عَظُمَ عليه الأسَفُ ، وارْتَجَّت مَكَّة لموته ؛ لكثرة ما كان فيها من الصُّرَاخ والعَوِيل .

وكانت وفاته ليلة السبت العشرين من شعبان ، سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، عن نحو ثمان وأربعين سنة ، وصُلِّىَ عليه بالحرم الشريف ، بعد أن قال المؤذن على زمزم : الصلاة على الملك العادل . ودُفِنَ بالمعلاة وبُنِيَتْ عليه قُبَّة . وقد مدحه جماعةٌ من

(١) أم العيال : قرية بهدة بنى جابر . (المرجع السابق) .

(٢) البقاع : بوادى هدة بنى جابر علو وادى مر ، وقد دثرت فى القرن التاسع . (حسن القرى بأودية أم القرى) .

(٣) الريان : قرية بمر الظهران قرب المبارك ، بها عين عذبة جارية ، ونخيل قليل . (المرجع السابق) .

الشعراء بقصائد حسنة كثيرة ، وأجازهم بعطايا خطيرة .

وكان أعيان البلاد الشاسعة من العراق والهِنْد يُحِبُّونَه ، لِطِيبِ الثناء عليه ، ويُهَادُونَـه ، وبـعث رسولاً إلى صاحب بَنْجَالة[١]، وهَدِيَّـةً مع شخص يقال له كمال الدين النَّهَاوَنْدِى ، فمات قبل عوده .

ومـن خبره فى العـدل : أنـه لما مات بعض تُجَّـار مكـة أرسل إليه ولدهُ بمائتى ألِف دِرْهَم ، فردَّهَـا ، فظـنْ الـرسولُ بها وجماعتـهُ أنّ أحمد بن عجـلان استقلَّهـا ، فأعـادوا ذلك إليـه وضاعفـوه بمثلـه فرَدّ ذلك وقـال : لم أرُدُّه استقـلالا ، وإنما رَدَدْتُـه لأنـه لا وَجْـه لأَخْذِى له . هذا معنـى ما بلغنـــى عنـــه فى هذه الحكايـــة . انتهى كلام الفاسى .

قال الوالـد[٢] : وقـال الشريـف أحمد بن على بن الحسين بن عُقْبَـة الحسني فى كتابـــه « عمـــدة الطــــالب فى نسب آل أبى طالب » : وولـدُ عجـلان بنِ رُمَيْثَـة أحمدُ ، ومحمـدٌ ، وعلـيٌّ . أمـا أحمدُ ــ ويكنى أبا سليمان ، ويُلَقَّب شهاب الدين ــ فمـلك مكـة فى حيـاة أبيـه ، سلَّمَهـا إليـه رَغْبَـةً ، وتهيَّـأ له ما لم يَتَّفِـق لغيره من أهله ، وتمكن فى البلاد تمكنا عظيما ، وجمع من الخَيْلِ والعبيدِ والمال والسلاح ما لم يُعْهَد لمثلـه ، ومـات حتـف أنفـه ، وكان له من الولـد

---

(١) بنجالة : هى البنغال ، وكانت تشمل معظم نواحى بردوان ووكالات وهاكـة وغيرها . (دائرة المعارف الإسلامية ٤/٢٢٤ ــ ٢٢٧) .

(٢) مقولـة الوالـد النجـم بن فهـد لم ترد فى ترجمة أحمد بن عجـلان ببغيـــة المرام اللوحات ١١٣ ــ ١١٦ .

جماعة ، منهم سليمان ، ملك بعده ، وقُتِلَ[١] غيلة . وأما محمد وعليّ ابنا عجلان بن رُمَيْثَة ، فلا أَعْرِفُ حالهما[٢] ، وسمعت أن عَلِيًّا حاكمٌ بمكة الآن . انتهى .

* * *

١٨٩ ــ محمد بن أحمد بن عَجلان ــ بفتح العين ــ ابن رُمَيْثَة بن أبي نُمَيّ محمد بن أبى سعد حسن بن على بن قتادة بن إدريس بن مُطَاعِن الحسنى المكى .

قال الفاسى[٣] : أمير مكة ، يُلَقَّب جمال الدين .

ولي إمرة مكة ثمان سنين شريكا لأبيه ، غير مائة يوم من آخرها فإنه استقل بها بعد أبيه .

وأول ولايته فى سنة ثمانين وسبعمائة ، وكان يصل إليه مِنْ

(١) لم يرد فى شفاء الغرام ٢٠٦/٢ ، ولا فى العقد الثمين ٦٠٠/٤-٦١٣ . ولاية لسليمان المشار إليه هنا ، وإنما الذى تولى بعد أحمد بن عجلان فولده محمد ، وهو الذى قتل غيلة ، وسترد ترجمته بعد سطور من هذه الترجمة برقم ١٨٩ .

(٢) كذا نقل النجم ابن فهد عن الشريف أحمد بن علي الحسني ، ولم يشر إلى أن الفاسى قد ترجم لأولهما في العقد الثمين « ١٣٧/٢ برقم ٣٠١ » ، ولثانيهما في العقد أيضاً « ٢٠٦/٦ برقم ٢٠٨٥ » . هذا وسترد ترجمتهما تحت رقم ١٩٤ ، ١٩٥ من هذا الجزء .

(٣) العقد الثمين ٣١٧/١ برقم ٣٣ .

صاحب مصر بسبب ذلك تَقْلِيدٌ وخلعة فى كل موسم على ماذكر لى والدى[١]، وهو المُخْبِرُلى بولايته فى سنة ثمانين . ولم يكن لولايته فى حياة أبيه أثر ، لأن أباه كان يقوم بمصالح العسكر ، وهو الذى ينظر فى الأمور إلى أن مات . فعند ذلك نظر فيها ولدهُ مع عَمِّه كُبَيْش ، وكان لايفصل أمرا دون كُبَيْش ، وإلى كُبَيْش مُعْظَمُ النظرِ / فى الأمور . ١٣٥و

وبعث محمد ــ بعد موت أبيه ــ إلى الملك الظاهر صاحب مصر كتاباً يخبر فيه بموت أبيه ، ويسأل استقراره عوضه فى إمرة مكة ، ومحضرا فيه خُطُوطُ أعيان أهل الحرم بسؤال ولايته ، فأجاب السلطانُ إلى ذلك ، وبعث إليه تَقْلِيدًا وخلعة بالولاية مع رسوله عُطَيْفَة بن محمد بن عُطَيْفَة بن أبى نمىّ ، فبلغ مكة فى آخر شوّال سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، أو فى أول ذى القعدة منها .

وفى ليلة العشرين من شعبان فى هذه السنة مات أحمد ، فَلَبِسَ ابنُه خلعة الولاية ، وقُرِىءَ تَقْلِيدُه بالإمرة بالحرم الشريف على رءوس الأشهاد ، وكان السلطان ولَّاه ذلك وهو متغيِّر عليه ، لما بلغه عنه من موافقته على كَحْلِ الأشراف الذين مات أبوه وهم فى سجنه ، وهم : عَمُّه محمد بن عجلان ، وخَالَاه أحمد ، وحسن ابنا ثقبة ، وابن خاله علىٌّ بن أحمد بن ثَقَبة؛ لأن السلطان المذكور كان

---

(١) أى والد التقي الفاسى . وهو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن الحسني الفاسى المكي ، ناب فى الحكم بمكة ، وولى مباشرة الحرم ، ورحل فى طلب العلم . مات فى شوال سنة ٨١٩ هـ . (العقد الثمين ١٠٩/٣ برقم ٦٠٥ ، والضوء اللامع ٣٥/٢ برقم ١٠٣ ، والدليل الشافى ٦٢/١ برقم ٢١٣) .

سأل أباه فى إطلاقهم فامتنع ، فأضمر السلطانُ ولايةَ عِنَان بن مُغَامِس بن رُمَيْثَة لإمرة مكة عوض محمد هذا ، وسيَّرَه مع الحاج المصري ، ولم يطلعه على ذلك ، وأمر أمير الحاج بعدم الاحتفال به ، لئلا يتَشَوَّش من إكرامه محمدُ بن أحمد ، فَيَنْفِرَ ، فيفوت المرادُ منه .

وعَرَّفَ السلطانُ الأميرَ جَرْكَس الخَلِيلِيّ(١) أمير آخور(٢) الملكي الظاهرى بما فى نفسه مِن(٣) حَقّ محمد وعِنَان . وكان من الحُجَّاج فى هذه السنة ــ وهى حجَّتُه الأولى . وحجّتُهُ الثانية فى سنة تسعين وسبعمائة ــ فلما وصل إلى مكة خدمه محمدٌ وأُمُّه السيدة فاطمة بنت ثَقَبَة كثيرا ، وبعثت إليه أمه تسألـــه عن حالِ ابنها وعِنَان . فذكر لها أنه لايعلم على ابنها سوءا ــ وربما قيل إنه حلف لها على ذلك ــ فانشرح لذلك خاطرها وحَسَّنَت لابنها الإقدام على مُلاقاة المحمل المصري لخدمته(٤) على عادة أمراء الحجـاز ، وكان مُحْجِماً عن ذلك لإشارة كُبَيْش [عليه](٥) بعدم ملاقاة المحمل . ومازالت به أُمُّه حتى وافقها على مُرَادِها .

---

(١) هو جركس بن عبد الله الخليلى ، صاحب الخان المشهور بالقاهرة ، مات قتيلاً فى سنة ٧٩١ هـ . (السلوك للمقريزى ٣/٢ : ٦٨٥ ، والنجوم الزاهرة ٣٨٣/١١ ، والدليل الشافى ٢٣٣/١ برقم ٨٠٧) .

(٢) أمير آخور : هو المشرف على إسطبل السلطان ومتعلقاته . (صبح الأعشى ٤٦١/٥) .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى العقد الثمين ٣١٨/١ « فى حق » .

(٤) فى الأصل « لحرمته » ، والمثبت عن العقد الثمين ٣١٩/١ .

(٥) إضافة عن المرجع السابق .

فخرج فى عسكره إلى أن حضر عند المحمل ، فلما أخذ يُقَبِّل خُفَّ الجمل ، وَثَبَ عليه باطِنيَّان[١] فجرحاه جِرَاحَاتٍ مات منها من فوره ، وذلك فى يوم الاثنين مستهل الحجة سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، وله عشرين سنة ، ونقل إلى المعلاة ، ودُفِنَ بها بعد الصلاة عليه وغَسْلِهِ وتَكْفِينِه . وتوجَّع الناس عليه كثيرا سيما أُمُّه ، ويقال إنها كانت دَعَت عليه بالهلاك بعد أن عرفت بكَحْلِ أخويها ، ومَنْ ذكر معهما ، لعظم ألمها لذلك ، وألم الناس أيضا لكَحْلِهم . فإن صحَّ هذا عنها فقد ٱسْتُجِيبَ دُعَاؤُها ، وما خطر لها ببال قتله .

وكان كُبَيْش يَتَوَقَّع له ذلك ، ولذلك نهاه عن ملاقاة المحمل [وكانت أمه لاتَظُنّ يصيبُه مِن السوءِ فى ملاقاة المَحْمِل][٢] غير اعتقاله ، وغَلَب على ظنها سلامته ، لما ذكر لها الخَلِيليُّ .

ويقال إن الخليلى عُوتبَ على ما ذكره لأمه ، لأنه ظهر بعد ذلك ما يَدُلّ على علمه للسوء فيه . فاعتذر بعدم قدرته على إفشاء

---

(١) باطنيان : أى رجلان من الباطنية ، وهى فرقة من الإسماعيلية الشيعة ، كانت تقوم بأعمال الاغتيالات السياسية ، مدفوعة بعقيدتها ، وبالأجر الذي يدفع لها . أنشأ هذه الفرقة حسن الصباح المتوفى سنة ٥١٨ هـ . فى قلعة ألموت ، فى الشمال الغربي من بلاد فارس ، وكانت تسمى بالحشيشيين ، وهى بمثابة جمعية سرية يلتزم أعضاؤها بالطاعة العمياء للرئيس الأكبر ، والاغتيال والقتل أهم أساليبها ، وكان يطلق على الواحد من أعضائها اسم فداوى « فدائي » . (وانظر السلوك للمقريزي ٢/١ : ٢٧٧ هامش) .

(٢) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٣١٩/١ .

السرِّ ، وقـال : كان يَنْبَغِـي لهم أن يَفْطِنُـوا لملازمـة جماعَتِنَـا لحَمْـلِ السِّلَاح .

ومـا كان لمحمـد فى كَحْـلِ المذكوريـن رَاحَـةٌ ، / لأنـه ٱبْتُلِىَ
١٣٥ظ بفَقْدِ الحيـاة ، ويستبعـد أن يكـون للمذكوريـن على ذلك قُدْرةٌ إلا أن يشاء الله ، وكل ما يسدونه إليه من الأذى يَسِيرٌ بالنسبةِ إلى ما أصابه من البلاء .

ويقال إنه لم يُوَافِق على كَحْلِهم حتى عُظِّمَ عليه فى التخويـف من شَرِّهم ، فما نفعه الحَذَرُ من القَدَر ، ولكنه فاز بالشهادة .

ولما قُتِلَ أُعْلِنَت ولايةُ عِنَان بمكة عوض المذكور ، ودَخَل مكـة مع التُّرْكِ وهم مُتَسَلِّحـون حتـى انتهوا إلى أَجْيَـاد ، فحاربـوا مَن ثبتَ لهم من جماعة محمد ثم وَلَّـوْا . وتـركَ التـركُ الحربَ مع التَّيَقُّـظِ مخافـة العدو . وانقطع بقتل محمد ولاية أولاد أحمد .

ويقـال إن أحمد بن عَجْـلَان رأى فى المنام أن عنانـــاً جَبَّ ذكره ، فذكـر ذلك أحمد لبعض الناس ، فقال له : عِنَانُ يقطع ذكر ولدك المذكور . فكان كذلك ، لأن محمداً قُتِلَ ولم يَتْرُك ولداً ذكـراً ، وما ترك أبوه ذكراً غيره .

وكان أحمد قد منـح ابنَـه محمـدا هذا ثلاثـة خُيُـوفٍ أَحْيَاهَـا بوادى مَرّ وهى : البَثْنَى ، والبَحْرَين ، والحُمَيْمَة ، وثبت إقـرار أحمد بمِـلْكِ ابنـه محمـد لذلك عِنْـدَ قاضى مكـة محبِّ الديـن النُّوَيْـرِىِّ ، بشهـادة عَمِّـه القـاضى نور الديـن النُّوَيْـرِىّ عَلَـى أحمد بن عَجْـلان بذلك ، ويمين ابنه محمد عَلَى صحة ذلك عند الحَجَرِ الأَسْوَد .

قال الفاسي(١) : يُكْنَى أَبَا لِجَام ، ويُلَقَّب زين الدين .

أمير مكة ، وولى إمرتها مَرَّتين : الأولى سَنَةٌ ، غير أنه كان [معزولا مِنْ قِبَلِ السلطان نحو أربعة أشهر من آخرها . والثانية سنتان أو نحوهما غير أنه كان](٢) ممنوعاً أشهرا من قِبَلِ آل عجلان ، لغلبتهم له على الأمر بمكة . وسنُوَضِّح ذلك وغيره مِنْ خَبَرِهِ :

وذلك أنه كان ــ بعد قَتْلِ أبيه مُغَامِس ــ لايَمَ عمه سَنَد ابن رُمَيْثَة ، فلما مات سَنَدٌ استولى عِنَانٌ على خَيْلِه وسلاحه ، وفرَّ بذلك عن عمه عَجْلان ، لأنه وارث لِسَنَد . ثم لأيَمَ عِنَان عَمَّه عَجْلان وابنه أحمد ، وكانا يَغْتَبِطَانِ به ، لِمَا فيه من الخصال المحمودة . وبلغنى أنه دخل يوما على عجلان ــ وعنده بعض أعْيَان بنى حسن ــ مُسْتَقْضِيًا منه حاجة ، فقضاها له عجلان ، ثم قال : هَنِيئًا لِمَنْ كان له ابنٌ مِثْلُه . وكان أحمد بن عجلان يُكْرِمُه كثيرا ، وزوّجه عَلَى ابنتِهِ أمِّ المَسْعُود ، وفى ليلة مقامه للدخول عليها قُتِلَ أخوه / محمد بن مُغَامِس ، فأرضاه عنه أحمد بن عجلان بمالٍ ١٣٦و
جَيِّد . ثم نَفَرَ عنه أحمد ، لميله [عنه](٣) إلى صاحب حَلْى ، لَمَّا رامَ أحمدُ القيامَ عليه ــ كما سبق مُبَيَّنًا فى ترجمة أحمد(٤) ــ وأمر عنانا أن يَبِينَ عنه ، فَبَانَ ، وأخذَ إبلاً كثيرة للأعراب . فسألوا أحمد

(١) العقد الثمين ٦/٤٣٠ برقم ٣١٦٢ .

(٢) سقط فى الأصل ، والمثبت عن المرجع السابق .

(٣) إضافة عن العقد الثمين ٦/٤٣١ .

(٤) أى فى العقد الثمين ٣/٨٧ برقم ٥٩١ .

وكان أبوه زوَّجَه على ابنة عَلِيّ بن مُبَارَك بن رُمَيْثَة ، بنت[١] سعدانة بنت عجلان واحتفل أحمد بالنفقة فى عُرْسٍ ولده عليها احتفالا عظيما ، ورُزِقَ منها بنتا تسمى شَمْسِيَّة ، هى الآن زوجة السيد رُمَيْثَة بن محمد بن عجلان أمير مكة ، فى سنة تسع عشرة وثمانمائة . والله تعالى يُسَدِّدُه ، وإلى الخير يُرْشِدهُ . انتهى كلام الفاسى .

قلت[٢] : شاهدت بخط الوالد الحافظ نجم الدين عمر بن فهد الهاشمى المكى ــ رحمه الله تعالى ــ ما صورته من المسودة الأولى ــ يعني للفاسى : كأن أبوه قد رَشَّحه للإمرة مِن بعده ، وجَعَلَ عَمّه كُبَيْشاً مُدَبِّراً له ، فلما مات استقرّ عوضه . ولم يَخْتَلِفْ عليه فى ذلك اثنان ، وذلك فى أواخر شعبان . انتهى .

* * *

١٩٠ ــ عِنَان بن مُغَامِس بن رُمَيْثَة بن أبى نُمَىّ محمد بن أبى سعد حسن بن على بن قَتَادة الحسنى المكى .

---

(١) فى الأصل ، والعقد الثمين ١/٣٢٠ « ابن » . والتصويب عن العقد الثمين ٨/٢٥٠ ترجمة سعدانة بنت عجلان بن رميثة ، زوجها ابن عمتها الشريف علي بن مبارك بن رميثة .

(٢) أي مؤلفنا العز بن فهد . ولم يرد ما شاهده من خط أبيه فى كتاب بغية المرام لوحة ١١٦ ، ١١٧ ترجمة محمد بن أحمد بن عجلان .

ابن عجلان أن يستَنْقِذَهَا لهم من عِنـان ، فأبى ذلك أحمد ، فتـوسَّلَ كلُّ مَنْ له فيها حقٌّ إلى عِنَـان ببـعض بنـى حسن ، فأجـــابَ كلَّ سائل بمراده إلى أن لم يَبْقَ معه إلاَّ اليسير ، فقال لصاحبـه : إن كان لك صاحبٌ من بني حسن فكلِّمْـهُ يَسْأَلنـــى فى ردِّ ذلك فأَرُدُّه . فقال له : إنما أسألك بالله فى رَدِّ ذلك . فَرَدَّهُ عليه .

وحصَّلَ خيلا وسلاحا بمعاونة صاحب حَلْى له عَلَى ذلك .

ثم رأى أحمد بن عجلان أن يعيـده إلى مُصَاحَبَتِـهِ ، فأجـابَ عِنَان إلى ذلك ، وأَحْسَن له بعد عَوْدِهِ إليه ، ثم أَغْرَى به بَعْضَ بَنِـى ثَقَبَة ، وأَغْرَاهُ ببعضهم ـــ كما سبـق مُبَيَّنًـا فى ترجمه أحمد ـــ ليشتغـل عِنَـان عن أحمد بمُعَـادَاةِ بَنـي ثَقَبَـة ، ويَشْتَغِـلَ بنـو ثقبـة عن أحمد بمعاداة عِنَان . فما تَمَّ له قَصْدٌ ، وعرف ذلك عِنَانٌ وبنو ثَقَبَة .

ثم سافر عِنَان وحَسَنُ بنُ ثَقَبَـة إلى مصر ، فبالغـا فى شكـوى أحمد ، وسألا السلطـانَ الملكَ الظاهرَ بَرْقُـوق صاحبَ مصر فى أن يرسم لهم عليـه بأمـور رَغِبَـا فيها ، فأجـابَ سُؤَالَهـم ، إلا أن عِنَانـا رُزِقَ قَبُولاً مِنَ السلطان .

وأتبعهم أحمد بن عجلان بهَدِيَّةٍ سَنِيَّةٍ للسلطان مع كُبَـيْش ، ولَمَا رأى كُبَيْشٌ حالَ عِنَان رائجـا أَظْهَـرَ للسلطـان وللدولـة أنّ أحمد ابن عَجْلان يُوَافِقُ عَلَى ما رُسِمَ به لِعِنَان وبنـى ثَقَبَـة ، لئـلا يَتِـمَّ على أحمد بمصر سوءٌ . وسالَم المذكورين حتى وصَلَ مكـة ، وعـرَّفَ أحمدَ بالحال ، وقـال له : لابُـدَّ لَكَ من الموافقـــة على مارُسِمَ بِهِ لهمـــا ،

أو الفَتْكِ بعِنَان . فمالَ إلى الثانى ، وأَضْمَرَ ذَلك . واجتمع به عِنَان ، وحَسَنُ بنُ ثَقَبة ـــ بعد التَّوَثُّق منه ـــ فما أجاب لمرادهما . ثم إنّ بعض المتكَفِّلينَ لِعِنان بأمان أحمد بن عجلان عَرَّفه بقَصْدِ أحمد فيه ـــ وكان ذلك بمِنًى ـــ ففَرَّ إلى يَنْبُع ، وتلاهُ حسنُ بن ثقبة . ثم حَسَّن لهما أميرُ الحاج المصرى أبو بَكْرِ بن سُنْقُر الجمالى أن يَرْجِعَا إلى مكة ، وحَسّن لمحمد بن عَجلان أن يرجع معهما ـــ وكان قد توجّه من مكة مُغَاضِباً لأخيه ـــ وضَمِنَ لهم أنّ أحمد يَقْضِى حَوَائجهم إذا وصلَ إليه كتابُه ، فرجعوا إلى أحمد ، فلما اجتمعوا به قَبَضَ عليهم ، وضمَّ إليهم أحمد بن ثَقَبة ، وابنَه عليًّا ، وقَيَّدَ الخمسة وسَجَنَهم بالعَلْقَمِيَّة ، من أول سنة سبع وثمانين وسبعمائة وإلى مَوْسِمِها ، ثم نقلهم إلى أَجْيَاد فى موسم هذه السنة ، ثم أعادهم بعد الموسم إلى العَلْقَمِيَّة ، وكادوا يُفْلِتُون منها بحِيلَةٍ دَبَّروها ، وهي أنهم ربطوا سُرُرًا كانت عِنْدَهم بثِيَابٍ معهم ، وصعدوا فيها ـــ غير محمد بن عجلان ـــ حتى بلغوا طاقَةً تُشْرِفُ على منزِلٍ مُلاَصِقٍ لِسجنِهم ، فنزلوا منها إليه ، فنُذِرَ بهم بعضُ الساكنين فيه فصَاحَ عليهم ، يَظُنُّهم لصوصا ، فسمِعَ الصياحَ الموكلون بهم من خارج السّجْن فتيَقَّظُوا ، وعَرَفَ الأشرافُ بتيَقُّظِ الموكلين بهم ، فأحجموا عن الخروج إلا عِنَانا فإنه أَقْدَم ، ولَمَّا / بلغ باب الدار وَثَبَ وَثْبَةً شديدة ، فانفكَّ القيدُ عن إحدى رجليه ، ١٣٦ظ
وما شعر به أحدٌ حين خرج ، فسار إلى جهة سُوقِ اللَّيْل ، وما كان غير قليل حتى رأى كُبَيْشًا والعسكرَ يُفَتِّشُون عليه بضوءٍ معهم ، فدنا إلى مَزْبَلَةٍ بسوُقِ الليل وأَظْهَرَ أنه يَبُول ، وأخفاه الله

عن أعينهم ، فلما رجعوا سار إلى أن لقيه بعضُ معارفه ، فعرَّفه خبرَه ، وسأله فى تَغْيِيبِهِ ، فغَيَّبه فى بيت بشِعْبِ على ، فى صِهْرِيج فيه ، ووضع على فَمِهِ حَشيشاً ودابة ، لئلا يظهر موضعُ الصّهْرِيج للناظر فى البيت . وفى الصباح أتى كُبَيش بعسكره إلى ذلك البيت ، لأنه أُنْهِى إليه أَنَّه فيه ، فما وجده فيه ، فقيل له إن فى البيت صهريجا . فأعرض عن ذلك ، لما أَرَادَ اللهُ تعالى من سلامة المختفى فيه . ثم بَعَثَ إلى بعضِ الأشراف ذوى راجح ــ وكان له منهم قَرَابَةٌ ــ فحضر إليه غيرُ واحدٍ منهم ، وسألهم فى إعانته بمركوب له ولمن يسافر معه . فأجابوه بقصده ، وأخرجوا له ركائب إلى المَعَابِدَة ، وحملوا عليها فخارا وغيره ليَخْفَى أمرُها على من يراها ، وخرج عِنَان من سوق الليل إلى المعابدة ، ونزل عند امرأة يعرفها من أهلها ، فأخفته بإلباسها له ثِيَابَ النِّسَاء ، وأجلسته معها ، ومع غيرها . ونُمِىَ الخبرُ إلى كُبَيْش فأتى إلى المنزل الذى فيه عِنَان بالمعابدة ، وسأل عنه صاحبةَ المنزل التي أخفته فنالت بالقول من عِنَان كثيرا ، وأنكرت أن يكون عندها ، فصدَّقَها كُبَيْش . فلما كان الليل ركب مع رجلين أو ثلاثة الرَّوَاحِلَ التى أُعِدَّت لهم ، فوقفت بعضُ ركابهم قبلَ وصولهم إلى وادى مَرّ ، وما وصل هو إلى خُلَيْص إلا وقد كَلَّتْ راحلته ، فسأل بعضَ أهل خُلَيْص عن راحلة لبعض أصحابه بلغه أنها بخُلَيْص ، فأُخْبِرَ بوجودها فأخذها . ويقال : إن صاحبها كان إذا فَرَغَ من عَلْفِهَا يقول : ليتَ عِنَانا يَخْلُص فيَنْجُوَ عليك . فكان ما تَمَنَّاه ، فتوصَّل عِنَان إلى ينبع ، ثم

إلى مصر فى أثناء سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، فأقبل عليه الملكُ الظاهرُ . ووصل إليه ـــ فيما بلغنى ـــ كتابٌ من أحمد بن عَجْلَان يسأله فى رَدِّ عِنَان إليه . فكتَبَ إليه الظاهرُ يقول : وأما ما ذكرتَ من جهة عِنَان فإن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وإنْ أَحَدٌ مِنَ الـمُشْرِكِينَ آسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُم أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾(١) وبعد قليل بلغ السلطانَ موتُ أحمد بن عجلان ، وكَحْلُ ولدِهِ الأشرافَ المسجونين ، فتغَيَّر عَلَى الوَلَدِ ، لأنه كان يسأل أباه فى إطلاقهم فأبى ، وأضمر تَوْلِيَة عِنَان مكة عوضه ، وكتمَ ذلك عَلَى عِنَان ، وخَادَع محمدَ بن أحمد بن عَجْلان بأن أرسل إليه العهد والخلعة بولاية مكة ، وأذن لعِنَان فى التوجُّهِ صُحْبَة الحاج ، وأمر أمير الحاج بِقِلَّةِ مُرَاعَاتِه لعِنَان فى طريق مكة ، فكان لايَلْتَفِتُ إليه ورُبَّمَا أهَانَه ، لئلا يَتَشَوَّشَ محمد بن أحمد بن عجلان ، وتمَّت عليه هذه الخُدْعَة لِمَا قَضَى الله تعالى به له من الشهادة ، فإنه لما حَضَر لِخدْمَة المحمل المصرى على عادة أمراء الحجاز قَتَلَهُ باطِنِيَّانِ فى مستهل الحِجَّة من سنَةِ / ثمانٍ وثمانين وسبعمائة . وبعد قتله أَشْعَر ١٣٧و
أميرُ الحاج المَارْدِينِيُّ عَنَاناً بولايته لإمرة مكة عوض المذكور ، ودخل مع الترك ـــ وعليهم السلاح ـــ حتى انتهوا إلى أجياد فحاربهم فيه بعضُ جماعة محمد بن أحمد ثم وَلَّوْا .

ونُودِى لعِنَان فى البلد بالولاية ، وأُلْبِسَ الخلعة السلطانية

---

(١) سورة التوبة : آية ٦ .

لذلك فى مستهل الحجة ، ثم قُرِئ توقيعهُ على قُبَّة زَمْزَم ، وكتابُ السلطان بولايتِهِ ، وإلزام بنى حسن مِنَ الأشراف والقُوَّاد بطَاعَتِهِ . وقام بخدمة الحاج حتى رحلوا . وتوجَّه بعد سَيْر الحاج بمدة يسيرة إلى جُدَّة فقَرَّرَ أَمْرَها ، ورتَّب بها نائبا : محمد بن عجلان ، لملايمته له من السجن ، وتَوَحُّشِهِ من كُبَيْشٍ ، بسبب قيامه فى كَحْلِهِ ، واستدنى جماعةً كثيرةً من عَبِيد أحمد فأَحْسَنَ إليهم ، وقال لهم : أنا عَوِضُكُم فى مولاكُم وابن مولاكُم . فأظهروا له الرِّضَا عنه ، وجَعَلَهم بجُدّة ، وجعل بها محمد بن بَرْكَتِى — وهو ابن مَوْلَى أبيه مُغَامِس — عَيْنًا له على محمد ومن معه من آل عجلان . فوقع مِن محمد بن عَجلان ما أَنْكَرَه عليه محمد بن بَرْكَتِي ، وأنهى ذلك عنه إلى عِنَان ، فكتَبَ عِنَان إلى محمد بن عجلان يَزْجُرُه ، فغَضِبَ محمدٌ وأرسل إلى كُبَيْش ومَن معه من آل عجلان وغيرِهم يستدعيهم إليه ، فقدموا إليه ، فاستولوا على جُدَّة وما فيها من أموال الكَارِمِ ، وغلال المصريين من أهل الدولة بمصر ، وكان ذلك شيئا عظيما جدا ، ومالَ إليهم لِلطَّمَعِ جماعةٌ من أصحاب عِنَان ، ولم يستطع عِنَانٌ الخروجَ إليهم ، واحتاج وأخذ بمكة ما كان فى بيت شمس الدين ابن جِنٍّ البِيرِ — وَكِيل جَرْكَسْ الخَلِيلِىّ أمير آخور الملكى الظاهرى ، وأحد خواص السلطان — مِنَ الغِلاَلِ والقُمَاشِ والسُّكر وغيرِ ذلك ، وكان شيئا كثيرا ، وأعطى ذلك لبنى حسن وغيرهم، وتجمَّلَ به حالُ عِنَان وقتا . وكان الذين مع عِنَان يختلفون عليه ، فأرضى أحمدَ بن ثَقَبة ، وعَقِيلَ بن مُبَارَك بإشراكهما معه فى الإمرة بمكة . وصار يُدْعَى لهما معه فى الخُطْبَة وبعد المَغْرِب على زَمْزَم ،

ولكل منهما طَبْلَخَانَاه[١] وغِلْمَان . ثم أشرك معه فى الإمرة والدعاء عَلِىَّ بنَ مُبَارَك لَـمَّا أتاه مُنَافِراً لآل عجلان .

وبلغ ذلك ـــ مع ما اتفق بمكة وجُدَّة من النَّهْب ـــ السلطانَ بمصر ، فعزَل عِنَانًا ، وولَّى عَلِىَّ بن عجلان [إمرة مكة][٢] عِوَضَه . وامتنع أصحابُ عِنَان من تسليم البلد لعَلِىّ ، فتابعهم عِنَانُ عَلَى ذلك ، والتقوا مع أصحاب عَلِىٍّ بالأَبْطَح عند ثَنِيَّة أذَاخر ، فقُتِل كُبَيْشٌ وغيرُهُ من آل عجلان ومن جماعتهم ، وَوَلَّوْا راجعين إلى منازلهم بالوَادى ، فأجار عِنَان من اللحاق بهم ، ودَخَل هو وأصحابُه مَكَّةَ مسرورين بالنصر ، بعد أن كادَ يَتِمُّ عليهم الغلب . وكان من أسباب نصرهم أنهم عاجلوا آل عجلان بالقتال قبل وصول بَقِيَّتِهم إلى الأَبْطَح ، وعدم ظهور عِنَان وَقْتَ الحَرْبِ ، لإشارة بعض خواصه عليه بذلك ، بظَنِّهِ أن آل عجلان يجتهدون فى حَرْبِه إذا ظَهَرَ لهم . وقُتِلَ من جماعة عِنَان شريفٌ يقال له فَيَّاش ، وخمسة من أهل مكة ، وذلك يوم السبت سلخ شعبان ، سنة تسع وثمانين وسبعمائة ، وفُتِحَت الكعبةُ / لعِنَان وأصحابِه لما انتهوا إلى ١٣٧ظ
المسجد ، فدخلها جماعةٌ منهم ، وأقاموا بمكة إلى أن أطَلَّ الحجاجُ المصريون عَلَى دُخُولِ مكة ، ثم فارقوها وقصدوا الزَّيْمة بوادِى نَخْلَة

---

(١) الطبلخاناه : مجموعة من الطبول ، يدق بها فى المواكب الرسمية ، أو فى المواقع الحربية ، أو على أبواب السلاطين وبعض الأمراء فى أوقات مخصوصة . (دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر ـــ النظم السياسية ـــ ١٧٩) .

(٢) إضافة عن العقد الثمين ٤٣٥/٦ ، ٤٣٦ .

اليمانيـة . وتَخَلَّـف عِنَانٌ لما بَلَغَـهُ مِن تقريـر السلطـان له فى نِصْفِ الإِمْرَةِ بمكة شَرِيكاً لِعَلِىّ بن عجلان ، بِشَرْطِ حُضُور عِنَـان لخدمـة المحمل . وبـرزَ للقائِـه حتّـى كاد يَصِل إليـه ، فَبَلَغَـهُ أنّ آل عجـلان يُرِيدُونَه بسوء عند لقائه ، وتبع أصحابَه إلى الزيمة ، فأتاهم إليها علـىٌّ ابن عجلان فى طائفة من جماعته ومِنَ الترك ، فَقَتَلُـوا بعضَ الأشراف وغيرهـم ، وعـادوا ظافريـن بَخْيـلٍ ودُرُوعٍ ، لأنهم لما وافـوا الـزِّيمة كان الأشراف فى غَفْلَـةٍ عنهم ، وفى تعب مِن قتـالهم لقَافِلَـةِ بَجِيلَـة . فأعرضوا عن قتال عَلِىّ ومن معه .

وبعـد الموسم نزل عِنَـان وأصحابـهُ وادى مَرّ ، واستولـوا عليـه وعلى جُدَّةَ ، وحصل فى طريقها وغيرها من الطرقات نَهْبٌ وخـوفٌ . وكتب عِنَان إلى السلطان يعْتَذِرُ عن تَرْكِ حُضُورِهِ لخدمة المحمِلِ لِمَا بَلَغَهُ مِن قَصْدِ آل عجلان له بالسوء ، وشكاهم إليـه . فكـتب إليـه السلطانُ يقول له : أنتَ على وِلاَيَتِكَ ، فافعل ما تقـدر عليـه . فمـا تَمَّ له فيهم مُرَاد ، لاختـلاف أصحابه عليـه . فسارَ فى أثنـاء سنـة تسعين وسبعمائة ـــ وهـو حَنِـقٌ عليهم ـــ إلى مصر ، ومـا وجـد بها الإقبال الذى كان يعهده ، وأقام بها مُطْلَقـاً إلى أن زالت دولـةُ الملك الظاهر ، وصار الأمرُ لمن كان قبله ، وهو الصالح حاجِّى بن الأشرف شعبان ، ولمُدَبِّرِ دولته الأمير يَلْبُغَا النّاصِرِى ، فسعى له عنده فى عوده لولاية مكة ، فأجـيب لقصده ، وَوُعِـد بإلبـاس خلعـة الولايـة فى يوم عُيِّنَ له ، فلم يَتِمَّ له الأمرُ ، لأنـه فى ذلك اليـوم ثَار عَلَـى النـاصرِىِّ أميرٌ يقال له تَمُرْبُغَا الأَقْضَلِي ، ويُلَقَّبُ مِنْطَاش ، وما كانَ غير قليـل

حتى قُبِضَ على الناصرى ونحو أربعين أميرا من أصحابه . وبعد قيام مِنْطَاش بقليل قَدِم إلى مِصْرَ محمّدُ بنُ عجلان ، فسعى عند مِنْطَاش فى حَبْسِ عِنَان ، فأُجِيَب وحُبِسَ عِنَان مع بعض مماليك الظاهر فى النِّصْفِ الثانى من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة .

ثم خَلُصُوا هم وعِنَان ، وصُورَةُ خَلاَصِهِم : أنهم نقبوا نَقْباً من الموضع الذى كانوا مسجونين فيه من القلعة ، فوَجَدُوا فيه سِرْبًا ، فمَشَوْا فيه حتى انتهوا إلى موضع آخر ، فنقَبُوه فخرجوا منه إلى مَحَلٍّ سَكَنِ نائب القلعة ، فصاحُوا على مَنْ بِهِ(١) ــ وهم غافلون ليلا ــ فأدْهَشُوهم ، وكانوا قِلَّةً لخروج مِنْطَاش وغَالِب العسكر إلى الشام لقتال الظَّاهِرِ ، فإنه ظَهَرَ بالشَّام واجتمع إليه ناسٌ كثير ، والتقى بشَقْحَب(٢) مع العسكر الذى فيه الصالح ومِنْطَاش ، فتَمَّ النصرُ للظاهِرِ وقَبَضَ عَلَى الصالح وغيرِهِ ، وفَرَّ مِنْطَاش إلى دِمَشق هَارِباً فتَحَصَّن بها . وكان سَبَبُ إطلاق الظاهر : أن الناصِرِىَّ حينَ أحس بظهور مِنْطَاش عليه ، كَتَبَ كتابا إلى نائب قلعة الكَرَكِ يأمره بإطلاق الظاهر فأَطْلَقه ، وكان من أَمْرِهِ ما ذكرناه ، وكان من أَمْرِ مماليكه الذين ثاروا بالقلعة أنهم اسْتَوْلُوا عليها لعجز أصحاب مِنْطَاش / عن مقاومتهم ، وبعثوا يبشرون مَوْلاَهم ١٣٨و بذلك ، وكان ممن بعثوه لبشارته عِنَان .

(١) فى الأصل ، والعقد الثمين ٤٨٧/٦ « بها » .

(٢) شقحب : هى قرية فى الشمال الغربى من غباغب ، ويقال لها تل شقحب وتعد من ضواحى دمشق . (هامش النجوم الزاهرة ٣٦٧/١١) .

فلما عَرَفَ السلطانُ ذلك أَقْبَل إلى مصر ،وأَعْرَضَ عن حِصَار مِنْطَاش بدمشق . وبعد استقرار السلطان بالقلعة شَفَعَ كبير مماليكه المستولين على القَلْعَةِ ، وهو بُطا الدَّوَادَار لعِنَان فِي وِلَاية مكة ، فأجَابَه السلطانُ لسؤاله ، ولكن أَقَرَّ عَلِيَّ بنَ عجلان على ولاية نِصْفِ إمْرَة مكة شَرِيكًا لعِنَان ، لِمَا فى نفسه على عِنَان . وتجهَّزَ عِنَانُ إلى مكة ، ومعه شخصٌ تركى من جهة السلطان لِيُقَلِّدَه الولاية بمكة . فلَمَّا انتهى عِنَان إلى يَنْبُع[1] حَسَّن له وُبَيْرُ بن مِخْبَار[2] أميرُ يَنْبُع أن يُحَارِبَ معه بنى إبْرَاهيم ، وَوَعَدَه بشَىْءٍ على ذلك ، فمال إلى ذلك عِنَانُ وحَارَبَ مع وُبَيْر بنى إبراهيم ، فظفروا على بنى إبراهيم . ثم توجَّه عِنَان إلى مكة وتلَقَّاهُ كثيرٌ من بنى حسن قَبْل وصولِهِ إلى الوادى .

ثم مشى الناسُ فى الأُلْفَةِ بَيْنَه وبين آل عجلان ، فمالَ كُلٌّ منهم إلى ذلك ، فتوافقوا على أنّ كُلاً منهما يدخل مكة لحاجته ، فإذا قضاها خرج من مكة ، ولِكُلٍّ منهما فيها نُوَّاب : بعضهم لقَبْضِ ما يَخُصُّ كُلًّا منهما من المُتَحَصِّل ، وبعضهم للحكم بها ، وأن يكون القُوَّادُ مع عِنَان ، والأشْرَافُ مع عَلِيّ . وكان الاتفاق على ذلك ، ووصوله إلى الوادى فى النصفِ الأَوَّلِ من شعبان سنة اثنتين

(١) فى الأصل « مكة » — خطأ من الناسخ — وانظر العقد الثمين ٤٣٨/٦ .

(٢) كذا فى الأصل ، والمرجع السابق ، وسماه السخاوى فى الضوء اللامع ٢١٠/١٠ برقم ٩٠٨ وبير بن مخبار بن محمد بن عقيل بن راجح الحسنى . وقتل فى سنة ٨١٤ هـ .

وتسعين وسبعمائة . وقَبْلَ نِصْفِه بيومين دَخَل عِنَانَ مكة لابسا لِخِلْعَةِ السلطان ، وقُرِئَ بها تَوْقِيعُه ، ثم دُعِيَ له على زمزم وفى الخطبة ، ودام هذا بين المذكُورَيْن إلى الرابع والعشرين من صفر سنة أربع وتسعين وسبعمائة .

ثم أزيل شِعَارُ وِلَايةِ عِنَان مِنْ مَكَّةَ غير الدعاء له فى الخطبة فإنه لم يُزَل . وسبب ذلك أن آل عجلان قَطَعُوا الدعاء له عَلَى زَمْزَم بعد المغرب ، وأَخْرَجُوا نُوَّابَه مِن مكة بعد أن هَمُّوا بقَتْلِهِ بالمسعى فى التاريخ المذكور ، وما نَجا إلا بجهد عظيم ، وقصد فى حال هَرَبِه الأشرافَ مُسْتَنْصِراً بهم عَلَى آل عجلان ــ وكانوا معه ــ فأَمَرَهُ الأَشْرَافُ بالانتصارِ بالقُوَّادِ أصحَابِهِ ، فحركهم لِنَصْرِهِ فما تَحَرَّكُوا ، لأنهم رأَوْا منه قَبْلَ ذلك تَقْصِيرًا .

وسَبَبُ ذلك أن بعض آل عجلان أَحَبّ تَكْدِيرَ خاطِرِ القُوَّادِ عليه ، ليتمكن منه آل عجلان ، وقال لعِنَان : أرى القُوَّاد جُفَاةً ونحن نُغْنِيكَ عنهم[1] . فظنّ ذلك حقيقَةً ، وفَعَلَ ما أُشِيرَ به عليه ، فتأثَّرَ منه القوادُ ، وحَكَوْا ما رأوا منه لأُصحابهم من آل عجلان ، فذَمُّوه معهم ، ونَفَّروهُم منه ، فازدادوا نُفُورا ، ولذلك تخَلَّوْا عن نَصْرِهِ حين سألهم ذلك .

وبعد مفارقته لمكة على الوجه المذكور اجتمعَ به علىٌّ بن عجلان ، ومحمد بن محمود ــ وكان عَلِىٌّ لا يَفْصِلُ أَمْراً دُونَ ابنِ

---

(١) كذا فى الأصل ، والعقد الثمين ٤٣٩/٦ « نعينك عليهم » .

محمود ــ واعتذرا إليه بعَدَمَ العِلْمِ بِتَجَرِّى غِلْمَانِهِم عليه ، وكان فى مدة ولايته مَغْلُوباً مع أصحابه ، وكذا علىٌّ مع أصحابه ،وحصل بذلك ضَرَرٌ على السُّفَّار إلى مكة ، لزيادة العرافة[1] وقِلَّة الأمن ، وتَخطُّف الأَمْوال .

وأُنْهِى هذا الحالُ إلى السلطان / فاستدعى عِنَانا وعَلِيًّا مع جماعة من أعيان الأشراف والقُوَّاد . فأعرضوا عن الوصول لباب السلطان ، غير عِنَان وعَلِىّ فإنهما لم يَجِدَا بُدًّا من ذلك . وبعد وصول هذا الاستدعاء تَحَرَّكَ لنصرِ عِنَان بعضُ الأشراف الذين مع عَلِيّ بن عجلان ، وألْزَمُوه بإخلاء [مكة من][2] العبيد وأتْبَاعِهِم حتى يَدْخُلَ إليها عِنَان ، ليتجهّز منها بِسَفَرِه ، فإذا تَمَّ جهازُه خرج وعادوا إليها . فما وسع علىّ إلاّ الموافقة ، فخرج المشارُ إليهم إلى منى ، ودخل عِنَان مكة ، فأقامَ بها حتى انقضى جهازُه ، ثم توجّه إلى مصر في جمادى الآخرة سنة أربع وتسعين ، وتلاهُ عَلِىٌّ إليها ، وحضر إلى السلطان غَيْرَ مَرَّة ، ففوَّضَ إمرةَ مكة لعَلِيٍّ بمفرده ، وأَمَرَ عِنَاناً بالإقامة بمصر ، ورَتَّبَ له شيئا يصرفه ولم يَسْجِنْه . ثم إن بعض بني حسين من أهلِ المدينة وشَىَ بِهِ إلى السلطان ، وقال له :

١٣٨ظ

(١) العرافة : وظيفة العرفاء ، جمع عريف ، وهو القيم بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس ، يلى أمورهم ، ويتعرف الأمير منه أحوالهم . (تاج العروس) . ولعل المراد هنا هو الضريبة التي كان يفرضها العرفاء على المسافرين .

(٢) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٧/٤٣٩ .

إنه يُرِيدُ الهَرَب إلى مكـة [يفسد بها][1] وأنـه أَعَـدَّ نجُبًـا لذلك ، فسجنه السلطـانُ ببُرْجٍ فى القلعة فى أثناء [سنـة][1] خمس وتسعين وسبعمائة ، فاستمر به إلى أن أنْفَـذَهُ السلطـانُ إلى الإسكندريـة ، فى آخـر سنـة تسع وتسعين وسبعمائـة ، مع جَمَّـازِ بن هِبَـة الحُسَيْنِـى صَاحِبِ المدينة ــ وكان قُبِضَ عليـه فى هذه السنـة بإثـر وصولـه إلى مصر ــ وبعث السلطانُ معهما إلى الإسكندريـة علـيَّ بن مُبَـارَك بن رُمَيْثَـة وَوَلَدَيْـه ، وسجـنَ الجميــع بالإسكندريــة إلى أن مات الملك الظاهر .

فلما ولى ابنهُ الناصرُ فَرَج شَفَع لهم بعضُ الناسِ فى إطلاقهـم بالإسكندريـة ، ومنعهـم من الخروج من أبـوابها ، فتَـمَّ لهم ذلك . ثم تكرّرَ سَجْنُهم وإطلاقهم بالإسكندرية على الصفة المذكـورة ، ثم نُقِـلَ عِنَان إلى مصر فى آخر سنة أربع وثمانمائة ، أو فى أول التى بعدها ــ بسَعْـى القـاضى بُرْهَـان الديـن إبراهيم بن عمـر المَحَلِّـىّ[2] تاجـرِ الخَوَاصِّ الشريفة السطانيـة ، لتغيُّـرِهِ عَلَـى صاحِب مكـة الشريـف حَسَن بن عجلان ، لِمَا أخذه من الذهب الكثير من وَلَـدِهِ القـاضى شِهَابِ الدين أحْمَد ، لما انـكسر المركب الـذى كان فيـه ، وهـو إذ ذاك متوجه إلى اليمن . وقصد المحلى بإطلاق عنان إخافة السيد حسن كى يردَّ عليه المال ، أو ما أمكن منه ، ونوّه لعنـان بولايـة مكـة فمـا قُدِّرَ ذلك ، لمعالجة المنية عنانا .

---

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٦/ ٤٤٠ .

(٢) له ترجمة ضافية فى الضوء اللامع ١/ ١١٢ وفيها توفى سنة ٨٠٦ هـ .

وسبب موته أنه حصل له مرض خطر يقتضى إبطال بعض جسده ، فعولج من ذلك بإضجاعه بمحل فيه آثار النار ، حتى يَخْلُص ذلك إلى أعضائه فيقويها ، وكان أثر النار الذى أضجعوه عليه شديد القوة فأحرقه ، فمات يوم الجمعة مستهل شهر ربيع الأول ــ وقيل ثانية ــ سنة خمس وثمانمائة ، عن ثلاث وستين سنة .

وكان كثير الشجاعة والكرم ، عالى الهمة ، قليل الحظ فى الإمرة ، وأما فى بيت روحه فسعده فى ذلك عظيم . ونَخلَّف ولدين نجيبين ، أحدهما السيد محمد ، توفى بينبع فى النصف الثانى من ذى القعدة سنة ست وثمانمائة ، قافلا إلى مكة باستدعاء السيد حسن صاحب مكة . والآخر : السيد على ، وهو بقيد الحياة[1] ، وله اعتبار كبير بين قومه .

١٣٩و ومن محاسن / أبيه : أنه سمح لبنى شيبة ، سدنة الكعبة المعظمة بما كان يأخذه منهم أمراء مكة قبله ، وذلك جانب كبير من كسوتها فى كل سنة ، أو خمسة آلاف درهم عوضاً عن ذلك ، مع ستارة الباب ، وثوب مقام إبراهيم عليه السلام .

ومما سمح به لبعض الشعراء ، وهو الجمال محمد بن حسن بن العُلَيْف ، ثلاثون ألف درهم جزاءً له على قصيدة مَدَحَه بها . أولها :

ـ بُرُوجٌ زَاهِرَاتٌ أَوْ مَغَانِى ـ

---

(١) أى فى زمن الفاسى ، وقد توفى السيد على سنة ٨٣٣ هـ . وانظر الضوء اللامع ٢٧٢/٥ برقم ٩١٤ .

قلت : قد ذكر المصنف[١] كثيراً من القصيدة المذكورة فى كتابه « ذيل سير النبلاء » للذهبى ، فقال :

بروجٌ زاهراتٌ أو مَغَانِى   لأقمارٍ مِنَ البيضِ الحِسَانِ
تَمَايلُ للحسانِ بِهَا علينا   قُطُوفٌ مِنْ فواكِهِهَا دَوانِى
ونَجْنِى مِنْ ثِمَارِ الوصلِ فيها   ثماراً ليس يجْنِيهِنَّ جَانِى

ومنها :

رعى الله الربيعَ فكم رَعَيْنَا   به ثمرَ الوصالِ عَلَى التَّدَانِى
بأيامٍ كأنّ الغيثَ فيها   يجودُ الأرض مِنْ كَفَّىْ عِنَانِ
كريمٌ لو أعيرَ الغيثُ يوما   أنامِلَهُ لجادَ مَدَى الزمان
ولو سُئِلَتْ نواحى الأرضِ عنه   لقالت كلُّ ناحية : سَقَانِى
إذا مَرَّ الزَّمانُ حَلَلْتُ منه   عَلَى حُلْوِ الفكاهة والخِوَان
مطابق جنة الفردوس يوما   لنا بجهنمٍ يوم الطعان

وقال : لابن العُلَيْف فى مدح عنان أيضاً قوله :

نخَلْتُ الناسَ بعد أبى لجَامٍ   فلم ألق لِنَخْلِهِمُ دقيقا
سلكتُ لهم طريقةَ كُلِّ مَدْحٍ   فما سلكوا لمعروف طريقا

انتهى .

ومدحه الإمام العالم الأديب أبو العباس أحمد شهاب الدين

(١) أى القاضى تقى الدين الفاسى .

ابن موسى بن على المكى ، الشهير بابن الوكيل(١) فقال :

العِزُّ بالعَزْمِ لابالجُبْن والكَسَلِ
وَالمُلْكُ بين مُتُونِ البِيض والأسلِ
والجَدُّ بالجِدِّ أو بالحَدِّ يوم وَغًى
من مُرْهَفَاتٍ ومن عَسَّالَةٍ ذُبُلِ
مَنْ رَامَ بالهُوَنِ إدْرَاكاً لِنَيْلِ مُنًى
فذاكَ مِنهُ فِعَالُ العاجز الفَشِلِ
لَاعِزّ إلاّ بِشِقِّ النفس مُكْتَسَبٌ
بِلَسْعَةِ النَّحْل تَجْنِى رَائِقَ العَسَلِ
فانْهَضْ بسَطْوَة عَزْمٍ منك مُدْرِكَةٍ
أبا لجامٍ تَفُز بالسؤل والأَمَلِ
وعَوِّد النفسَ إرهابَ العُداة ولاَ
تَمِلْ عَنِ العَزْمِ بالتَّفْرِيط والمَلَلِ /
وإن تَلُحْ لك من قِرْنٍ مَضَارِبُهُ ١٣٩ظ
فاضربْهُ لامثل ضربِ الخائف الوجل
فالحلم أقبح من جهل إذا اقترنت
بالحِلْمِ طُرْقُ الخَنَى أوأوجه الخَطَلِ

(١) ترجم له فى العقد الثمين ٣/١٨٧ برقم ٦٧٠ ، وذكر أنه مات بالقاهرة سنة ٧٩١ هـ وهو في عشر الأربعين .

واجعل رسولك لاكُتباً منعمة[1]
بَلْ غُرَّةُ الخيلِ فيها أبْلَغُ الرُّسُلِ
واستعمل العدلَ فى كل الأنام ولا
تُصْغِ لِنِكْسٍ بقول الزورِ مُشْتغِل
وَٱقْنِ المَحَامِدَ لاتبغى بها بَدَلاً
وهل لكسب العُلاَ والحَمْدِ مِنْ بَدَلِ
فاللَّهُ أعطاكَ تمييزا ومعرفة
فاشكرْ لربك ما أعطاكَ وَٱبْتَهِلِ
مَن مِثْلُ ذا البطل الضرغام مِن مثل
كلا وليس له فى الخَلْقِ من مُثُلِ
وهل لسيرته الحسناء من شَبَهٍ
وهل كدولته الغَرَّاء فى الدُّوَلِ
مإن رأينا له قِرْنًا يُقَاسُ به
ولا سَمِعْنَا بِهِ فى الأعْصُرِ الأُوَلِ
ذَلَّت لهَيْبَتِهِ قُلْبُ الرجال كما
بالأينِ[2] ذَلَّتْ رقابُ الأَيْنُقِ الذُّلُلِ
يُعْطِى الكثير بلا مطلٍ يُكَدّره
ولا امتنانٍ عَطَاءَ البائسِ الخَذِلِ

---

(١) كذا فى الأصل ، ولعلها « منمقة » فذلك يناسب الكتب .

(٢) الأين : الإعياء . يقال : وجفت الإبل على الأين : على الإعياء . (المعجم الوسيط) .

وأظلَمَ الجوُّ من نَقْعِ العجاج ضُحًى
حتى حسبنا الضُّحَى بالنقع كالطَفَلِ (١)
ترى بها أعين الأبطال إذ سُتِرَت
يَنْظُرْنَ بالأُذن لاينظرن بالمُقَلِ
فكَرَّ فيهم عِنانٌ كرّةً تركت
للخيلِ وَطْئا على الأجساد والقُلَلِ
وفرّق الطعنُ منهم كلَّ مُجْتَمِعٍ
وَٱعْوَجّ بالضرب فيهم كلُّ مُعْتَدِلِ /
وأيقنوا فى الوغى أن لا سلاح لهم ١٤٠و
سوى الفرار فَفَرُّوا فَرَّة العَجِلِ
لَوَّوْا رءوسَهُمُ فى الأرض ساقطة
بِهَا عِثَارٌ لأيدى الخَيْلِ والإبِلِ
للطعن والضرب وقعٌ فى ظهورهُمُ
والسَّبْىُ والأَسْرُ فى الأطفال والكِلَلِ
جُزُوا بَنى حسن حُسْنَى بِفِعْلِهِمُ
يوم الوغى يوم ذاك المشهدِ الجَلَلِ
المصطلين على جُرْدِ السَّلاَهِبِ فى
.......(٢) ضراب الحرب منْتَقِلِ

---

(١) الطفل : الظلمة ، أو الوقت قبل الغروب . (المعجم الوسيط) ويقال : وقت من النهار بين العصر والعشاء (صبح الأعشى ٢/٣٥٩) .

(٢) بياض في الأصل بمقدار نصف الشطر ولعلها : في مستنقع من ضراب الحرب منتقل « المراجع » .

لايعـرف المنـع فى بذل النـــوال ولا
يصغى إلى العذل فى الإعطاء والعَذَلِ
لو أنَّ فى كَفِّـهِ الدنيـا لجَـادَ بِهَـا
فاتْرُكْـهُ يا مُبْتَغِـى جَدْوَاهُ أو فَسَلِ
وكُلّ ما فى الوَرَى جُودٌ وفيضُ نَدًى
من بَحْرِ يمناه أَدْنَى[منه][(١)] لِلْوَشَلِ
كالليثِ ذُعْرًا وكالبَحْرِ الخضمّ نَدًى
والشمسِ نورا إذا مالشمسُ لَمْ تَفُلِ
الفارسُ البطلُ ابـن الفـارسِ البطـلِ
ابن الفارسِ البطلِ ابن الفارس البطل
إن رُمْتَ حَصْرَ عُلاً فيه تَرُمْ شططا
حتـى كأنك لم تتـــرك ولم تَقُـــلِ
ويـوم حَرْبٍ شهدنـا منـه مُعْضِلَـة
وَقْعُ القَنَا فيه مثـل العـارض الهطِـلِ
جاء العـدوُّ بجيش منـه مُجْتَمِـــع
مِلْءِ الفِجَاجِ ومِلْءِ السّهْلِ والجَبَلِ
وافاهُـمُ مِن عِنـــانٍ فارسٌ بَطَـــلٌ
فى غارة عَظُمَت فى جَحْفَلٍ حَفِـلِ
دنت هُتُوفُهـم للقتـــل واختلفـــوا
طعنا إلى أن ظننـا الطعنَ كالقُبَـلِ

(١) بياض فى الأصل بمقدار كلمة . والمثبت يستقيم به الوزن .

والموت بين القَنَا فى كل معتـرك
والسَّمْهَرِيَّـةِ فى الأعنـاقِ والنُّصُلِ
التَّـاركين عِدَاهُـم يوم تنظرهـم
صُفْـراً أناملهـم مِنْ شِدَّةِ الوَهَـلِ
هُمُ الجَحَاجِيحُ من أصلٍ زَكَا نَسَبا
نَسْلُ البَتُولِ ونَسْلُ المصطفـى وعلى
بِقَهْرِهِـمْ ذَلَّت الأبطـال كلّ وغـىً
وكل قِرْنٍ شديـد البـأس مُحْتَفِـلِ
والقَهْرُ من سادةٍ لاعَيْبَ فيه كَمَـا
لاعَيْبَ فى ذِلَّةِ الأوْغَادِ[1] والسِّفَـلِ
فيامليكَ الورى طُرًّا ومَـنْ خَضَعَتْ
له الخلائـق مِنْ حَافٍ ومُنْتَعِـلِ
ومَـن تفـرَّدَ بالجُـودِ العزيـز ومَـنَ
قد نَالَ مَرْتَبَـةً فى الخَلْـق لم تُنَـلِ
أشكُو إليك زَمَانـاً ليس يُنْصِفُنـى
وقَـدْ رَمَـانى بصَرْفِ غَيْـرِ مُنْتَقِـلِ
أُسكِنْتُ بين أُنـاس هَانَ عندهـمُ
قليـلُ حَظِّـى وقَـلَّت فيهمُ حِيَلـى
نَوَّلْتُهـم كل إحسان فمـذ عجـزوا
عن المكافـاة جازوا أقبـح العَمَـلِ

---

(١) فى متن البيت « العذال » وفوقها كلمة « الأوغاد »وقد أثبتنا المناسب للمعنى .

وكلَّفونِي أمــورًا لَسْتُ أقدرهـــا
والحالُ مِنْ بعضها..[١].غير مُحْتَمِلِ
لايقبلـون اعتـذارى حين أسألـه[٢]
بل يسلقونى بزورِ المنطــقِ الزَّلَــلِ
ولايُرَاعـــون ماأولــيتُ من أدب
وبَسْطِ عِلْـمٍ وحَـقٍّ للعُلَـى قِبَلـــى
فالفضلُ والعلمُ مِنْ دَأْبِى ومن شِيَمِى
ولاافتخارى وكسبِ الحمدِ من شُغُلى
ونالَنِى مِنْهُـمُ ضَيْـمٌ وفَـــرْطُ أذًى
فليس فى الخَلْقِ قلبٌ نَاقِعٌ غُلَلِى
فإن أزلتَ الذى أشكو شَكَرْتُ وإن
لم تَشْكُ أرجع بنَـوْلٍ غير مُنْـفَصِلِ
لابُـدّ مِنْ نُقْلَـةٍ أقْضِى بها وَطَــرِى
فإنّ نَيْـلَ المُنَـى والعِـزّ فى النُّقَــلِ
كيـف المقـامُ بأرض لا صديـق بها
يَحْنُو علىَّ ولايُبْـدِى النصيحـة لِي
فيــا مقيمـــا على ذُلٍّ ومَسْكَنَــةٍ
بالمسكـــــن السـ ....[٣]

(١) بياض في الأصل بمقدار كلمة ولعلها : ذا غـير محتمل «المراجع»
(٢) في الأصل « أسئلة » ، ولعل الصواب ما أثبته .
(٣) بياض في الأصل بمقدار نصف الشطر .

إن كنتَ تطلبُ فى الدنيا قَضًا وَطَر
فَفَارِقْ الوطَنَ المحبوبَ وَٱرْتَحِلِ /
١٤٠ظ وفُز بنفسِكَ عن ضَيْمٍ تُخَافُ بِهِ
ولا [تقل] (١) ناقتى فيه ولاجملى
فالرزقُ مُكْتَسَبٌ فى كل ناحيــة
والموتُ يأتى ولكن بٱنْقِضَا الأَجَلِ
فاسْلَمْ ودُمْ وَٱبْقَ بالتأييد ياملكا
واظفر بنصرٍ على كل العِدَى وَصُلِ
واقبل قصيدة شاك شاكر نظمت
حُبًّا لِمَدْحِكَ لَا لِلْبَذْلِ وَالبُخْلِ
عَارَضْتُ قَوْلَ ابنِ الحُسَيْنِ بِهَا
أَعْلَى الممالك مايُبْنَى على الأَسَلِ (٢)

وذكر شيخنا القاضى بدر الدين (٣) العينى فى تاريخه المسمى

---

(١) إضافة يستقيم بها الوزن .

(٢) وابن الحسين هو : أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبى الشاعر المشهور المتوفى قتيلاً فى سنة ٣٥٤ هـ . وقصيدته مطلعها :

« أعلى الممالك ما يبنى على الأسل والطعن عند محبيهن كالقبل »

(٣) هو قاضى قضاة الحنفية بالديار المصرية بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن الحسين بن يوسف بن محمود العينى ، نسبة إلى عين تاب — قرية قرب حلب — مات سنة ٨٥٥ هـ ، وله مؤلفات عدة فى الحديث ورجاله ، والتاريخ ، واللغة والأدب . وكتابه المسمى بـ « عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان » لا يزال مخطوطاً وقد حصل أحد الدارسين على شهادة الدكتوراه من جامعة الأزهر فى تحقيق الجزء الأخير منه ، وباقى الكتاب فى انتظار من يقوم بتحقيقه . وانظر مقدمة تحقيق كتاب السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد للبدر العينى . بتحقيقى .

« عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان » السيد عِنَان فى المتوفين سنة خمس وثمانمائة ، وقال توفى فى أوائل ربيع الأول منها ، وذلك بعد أن خرج من حبس الإسكندرية ، بسفارة الأمير يَشْبك الدوادار ، وكان محبوسا منذ عشرين سنة من أيام الملك الظاهر برقوق . انتهى — وصوابة : عشر سنين .

* * *

١٩١ — أحمد بن ثَقَبَة بن رُمَيْثَة بن أبى نُمَىّ محمد بن أبى سعد حسن بن على بن قَتَادة الحسنى المكى .

قال الفاسى[١] : ولى إمرة مكة شريكا لعِنَان بن مُغَامِس ، فى ولايته الأولى ، بتفويض من عنان إليه ، يستظهر به على آل عجلان المنازعين له فى ذلك . وكان الخطيب بمكة يدعو فى خطبته لأحمد بن ثَقَبَة هذا مع عِنَان ، وهو فى هذا كله ضرير ، لأن ابن عمه أحمد بن عجلان اعتقله مع ابنه على وأخيه حسن بن ثقبة ، وابن عمهم [عنان][٢] ومحمد بن عجلان فى أول سنة سبع وثمانين وسبعمائة كما سيأتى ذكره فى ترجمة أحمد بن عجلان[٣]. فلما مات كُحلوا كلهم غير عنان فإنه هرب فى تاسع عشرى شعبان سنة ثمان

---

(١) العقد الثمين ٢٢/٣ برقم ٥٢٧ .

(٢) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٢٣/٣ .

(٣) أى فى العقد الثمين ٨٧/٣ .

وثمانين وسبعمائة .

وبلغني أنه لما كُحِلَ أصاب المِرْوَدُ ظاهِرَ إحدى عينيه فلم تذهب ، وأصاب جوف الأخرى فأذهبها . فلما كحل ابنه على وصاح ذهل أبوه ، ففتح عينه ينظر إليه ، وقال : واولداه . ففطن له بعض الحاضرين ، فأشار بكحله ثانيا فكحل ، ولم يكن له ذنب يوجب اعتقال أحمد بن عجلان له : لأنه كان مظهرا لطاعته ، غير موافق لأخيه حسن ، وعنان فى مشاققتهم لأحمد بن عجلان ، ولكن كان أمر الله قدرا مقدورا .

وكان أحمد بن ثقبة أجمل بني حسن حالا فى حياة أحمد بن عجلان ، لأنه كان أكثرهم سلاحا ، وخيلا ، وإبلاً ، وعقاراً ، وغلّة ، ولم يكن فى بنى حسن من يناظر أحمد ابن عجلان فى الحشمة غيره .

ولما توفى خلف أربعة ذكور وبعضَ بنات ، وتوفى فى آخر المحرم سنة اثنتى عشرة وثمانمائة بمكة ، ودفن بالمعلاة ، وقد قارب السبعين أو بلغها . انتهى كلام الفاسي .

* * *

١٩٢ ــ عقيل بن مبارك بن رُمَيْثَة بن أبى نُمَىّ الحسنى المكي .

قال الفاسي[١] : كان من أعيان الأشراف ، وجعله ابنُ عمه أميرُ مكة عِنَان بن مُغَامِس ابن رُمَيْثَة شريكا له فى ولاية مكة فى سنة تسع / وثمانين وسبعمائة ــ وهي ولاية عنان الأولى ــ وبقى على ١٤١و
ذلك أشهرا ، وكان يدعى له فى الخطبة على زمزم بعد المغرب .

وتوفى فى سنة خمس وعشرين وثمانمائة ، بعد أن أضر ، وربما تغير عقله . انتهى كلام الفاسي .

* * *

١٩٣ ــ على بن مبارك بن رُمَيْثَة بن أبى نُمَىّ الحسنى المكى .

قال الفاسي[٢] : كان يأمل إمرة مكة ، وقوى رجاؤه لها لما انحرف الملك الناصر فرج[٣] ابن الملك الظاهر برقوق صاحب

---

(١) العقد الثمين ٦/١١٦ برقم ٢٠١٤ .

(٢) العقد الثمين ٦/٢٢٤ برقم ٢٠٩٦ .

(٣) تولى الناصر فرج سلطنة مصر فى صبيحة يوم وفاة والده الظاهر برقوق : يوم الجمعة النصف من شوال سنة ٨٠١ هـ ، بعهد من أبيه إليه ، وحكم ما يزيد على ١٣ سنة ، وقتل فى صفر من سنة ٨١٥ هـ . (السلوك للمقريزى ٣/٣:٩٥٩،٤/١:٣ــ ٢٢٨ ، والنجوم الزاهرة ١٢/١٦٨ إلى آخر الجزء ، و ١٣/٣ ــ ١٥٤ ، والدليل الشافى ٢/٥٢٠ برقم ١٧٩٣ ، والضوء اللامع ٦/١٦٨ برقم ٥٦٢) .

مصر ، على صاحب مكة الشريف حسن بن عجلان ، ورسم بالقبض عليه ، وعلى ولديه ، وندب لذلك الأمير بَيْسَق(١) ، وأشير عليه بأن يكون على بن مبارك المذكور مع بَيْسَق فيما ندب إليه ، ليتألف له بنى حسن ، لاينفروا منه . وبعث عليا المذكور إلى الإسكندرية على أن يعتقل بها ، فإذا خرج الحاج من مصر إلى مكة طُلِبَ على ، وجُهِّزَ إلى مكة ، بحيث يدرك أميرَ الحاج قبل وصوله إلى مكة . وكان إرساله إلى الإسكندرية ليبلغ ذلك صاحبَ مكة فلاينفر منها ، وتتم عليه المكيدةُ . فوقاه الله السوء ، وعطف عليه قلبَ صاحب مصر ، فبعث إليه وإلى وَلَدَيْه بالتشاريف والعهد ببقائهم على ولاياتهم ، وإلى أمير الحاج بالكَفِّ عن حربهم . ورجع على بن مبارك إلى مصر ، وقصده أولاده من مكة ، رجاء أن يتم له أمر . فأدركه الحِمَام دون المرام فى آخر سنة خمس عشرة وثمانمائة وهو معتقل بقلعة الجبل ، وكان اعتقاله فى هذه السنة ، بإشارة الملك المؤيد [أبى النصر](٢) شيخ قبل توليته الملك .

وكان علىٌّ المذكور ــ فى سنة تسع وثمانين وسبعمائة ــ

(٣) هو الأمير بيسق الشيخى البرقوقى أمير آخور ، مات بطالاً بالقدس سنة ٨٢١ هـ . له آثار بمكة كعمارة المسجد الحرام . (الدليل الشافى ٢١٠/١ برقم ٧٤٠ ، والضوء اللامع ٢٢/٣ برقم ١١٤) .

(٢) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٢٢٥/٦ . وقد تولى سلطنة مصر فى يوم الاثنين مستهل شعبان سنة ٨١٥ هـ ، وتوفى ثامن المحرم ٨٢٤ هـ . (السلوك للمقريزى ١/٤ : ٢٤٣ وما بعدها ، والنجوم الزاهرة ١/١٤ ــ ١٦٦ ، والدليل الشافى ٣٤٦/١ برقم ١١٩١ ، والضوء اللامع ٣٠٨/٣ برقم ١١٩٠) .

لايم آل عجلان بجدة ، وجعلوه سلطانا مع على بن عجلان ، وأعطوه نصف ماتحصل فيها : ليصرفه على جماعته ، ثم خُوِّفَ منهم ففرّ إلى عِنَان وأصحابه بمكة ، فأشركه عنان فى إمرة مكة ، وصار له ولأخيه عقيل بن مبارك نصف البلاد ، ولعنان وأخيه أحمد بن ثقبة النصف ، وكان عنان قبل وصول على إليه جعل مكة أثلاثا بينه وبين عقيل وابن ثقبة ، فلما أشرك معهم عليا ، صار يدعى لأربعة على زمزم ، وفى خطبة الصغار فى رمضان ، وأما فى خطبة الجمعة فلا يدعى إلا لعنان ، لأن الخطيب بمكة لم يوافق على الدعاء لغيره ،

وحضر على بن مبارك حصار مكة فى دولة على بن عجلان سنة سبع وتسعين [وسبعمائة][(١)] ثم توجّه ـــ بعد انقضاء الحصار ـــ إلى مصر فى هذه السنة ، فاعتقل بها ، ثم نقل إلى الإسكندرية فاعتقل بها ، ثم أطلق فيها . ثم أذن له فى القدوم إلى مصر فقدمها ، وأقام بها حتى مات ، خلا المدة التى بعث فيها إلى الإسكندرية ، للمكيدة المقدم ذكرها . انتهى كلام الفاسى .

* * *

١٩٤ ـــ على بن عجلان بن رُمَيْثَة بن أبى نُمَىّ محمد بن أبى سعد حسن بن على بن قتادة الحسنى المكى .

قال الفاسى[(٢)] : يلقب علاء الدين ، ويكنى أبا الحسن ،

---

(١) إضافة على الأصل .

(٢) العقد الثمين ٦/٢٠٦ برقم ٢٠٨٥ .

أمير مكة .

١٤١ظ ولى إمرة مكة ثمان سنين ، ونحو / ثلاثة أشهر ، مستقلاً بالإمرة ، غير سنتين أو نحوها ، فإنه كان واليا فيها شريكا لعِنَان بن مُغَامِس بن رُمَيْثَة الآتى ذكره(١) كما سيأتى بيانه .

وأول ولايته فى رجب ، وإلا ففى أول شعبان من سنة تسع وثمانين وسبعمائة ، بعد عزل عِنَان حنقا عليه ، لما اتفق فى ولايته من استيلاء كُبَيْش وجماعة عجلان ، وابنه أحمد ، ومن انضم إليهم على جُدَّة [وما فيها من أموال الكارم وغلال المصريين ، وعجز عِنَان عن دفعهم عن الاستيلاء على جُدَّة](٢) وعن استنقاذ الأموال منهم ، ولإشراكه لبنى عَمِّه فى إمرة مكة ، ووصل إلى على تقليدٌ وخلعة ، بسبب ولايته لإمرة مكة ، من الملك الظاهر بَرْقُوق صاحب مصر ، مع نجاب مُعتَبرٍ من العيساوية ، ووصل النجاب إلى عنان فى النصف الثانى من شعبان من سنة تسع وثمانين ، لكى يُسَلِّم مكة لعلىٍّ وجماعته . فامتنع من تسليمها إليهم أصحابُ عِنَان ، وتابعهم على ذلك عِنَان . ولما علم بذلك علىٌّ وجماعتهُ قوى عزمهم على التوجه إلى مكة ، وصرف الجمالُ محمد بن فرج ، المعروف بابن بَعَلْجَد نفقةً جيّدة على من لايم عليًّا من الأشراف والقواد العمرة

(١) أى فى العقد الثمين ٦/٤٢٦ برقم ٣١٦٢ . وقد مضت ترجمته فى هذا الكتاب برقم ١٩٠ .

(٢) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٦/٢٠٦ .

والحميضات ، وساروا إلى مكة ، وخرجوا على الأبطح من ثنية أذاخر ، وخرج للقائهم من مكة عِنَان وأصحابُه . فلما تراءى الجمعان انحاز الحميضاتُ عن آل عجلان ، فلم يكونوا معهم ولا مع عِنَان ، وتقاتل الفريقان ، فتّم النصر لعِنَان وأصحابه ، ورجع آل عجلان إلى مَحلّهم ـــ وهو القصر بالوادى ـــ بعد أن قُتِلَ منهم كُبَيْش ، ولقاح بن منصور من القواد العمرة ، وعشرون عبدا ـــ فيما قيل ـــ وذلك فى سلخ شعبان من السنة المذكورة .

وفى شهر رمضان توجه علىٌّ إلى مصر ، فأقبل عليه السلطان ، وولاَّه نصف إمرة مكة ، وولى النصف الثانى لعِنَان ، بشرط حضور عِنَان لخدمة المحمل ، ووصل علىٌّ مع المحمل إلى مكة ، فدخلها مع الحاج ، وقُرِئَ توقيعُه على مقام الحنابلة بالمسجد الحرام .

وكان عِنَان قد أعرض عن لقاء المحمل ، مُتَخَوِّفاً من آل عجلان ، وفَرَّ إلى الزِّيمَة بوادى نخلة اليمانية ، وكان أصحابه قد سبقوه إليها ، فسار إليهم علىٌّ وجماعته ، وجماعة من الترك الحجاج ، فوجدوا الأشراف محاربين لقافلة بجيلَة ، ولما عرف بهم الأشراف هربوا ، خوفا من سهام الترك . وقَتَلَ أصحاب علىٍّ منهم مبارَكَ بن عبدالكريم من الأشراف ، وابن شكوان من أتباعهم ، وعادوا إلى مكة ، ومعهم من خيل الأشراف خمسة ، ومن دروعهم ثلاثة عشر درعا . وتوصلت قافلة بَجِيلة إلى مكة ، فانتفع بها الناس .

وبعد سفر الحاج من مكة صار عِنَان والأشراف إلى وادى

مرّ ، واستولوا عليه ، وعلى جُدَّة ، ونهبوا بعض تُجَّار اليمن ، وأفسدوا فى الطرقات ، ولأجل استيلائهم على جُدَّة احتاج علىٌّ إلى النفقة ، فأخذ من تجار اليمن ومكة ما استعان به على إزالة ضرورته .

وفى ربيع الآخر ـــ أول جمادى الأولى ـــ من سنة تسعين وسبعمائة أتاه من مصر أخوه الشريفُ حسن بجماعة من الترك استخدمهم له : نحو خمسين فارسا ، وخلعة من السلطان ، وكتاب منه يتضمن استمراره ، فلبس الخلعة / وقُرِئ الكتاب بالمسجد ١٤٢و
الحرام ، ووصل إليه أيضاً خلعة وكتاب يتضمن استمراره من الصالح حاجى بن الأشرف شعبان لما عاد إلى السلطنة بمصر ، بعد خلع الملك الظاهر ، فى أثناء سنة إحدى وتسعين وسبعمائة .

وفى آخر ذى القعدة منها : بلغه أن الأشراف آل أبى نُمَىّ يريدون نهب الحاج المصرى ، فخرج من مكة بعسكره لنصرهم ونصر أخيه محمد ، فإنه كان قدم معهم من مصر ، بعد أن أُجِيبَ لقصده فى حبس عِنَان ، ولم يقع بين الفريقين قتال ، لأن أمير الحاج أبا بكر بن سنقر الجمالى لما عرف قصدَ الأشراف للحاج لاطفهم مع الاستعداد لحربهم ، فأعرضوا عن الحاج .

وفى أوائل سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة : حصل بين على وأخويه حسن ومحمد منافرة ، فبانَ عن على أخواهُ ، ونزلا بمن انضم إليهما فى وادى مرّ ، ثم هجم حسن مكة في جماعة ، وخرجوا منها من فورهم ، وقتَل بعضُهم شخصا يقال له بحر .

وفى سنة اثنتين وتسعين ـــ أيضاً ـــ اصطلح والأشراف آل أبى

نمى ، بسعى محمد بن محمود ـــ وكان علىٌّ قد قلَّده أمْرَه لنيل رأيه ـــ وحلفوا لعلىّ وحلف لهم ، وأعطاهم إبلا وأصائل بوادى مَرّ ، وتزوّج بعد ذلك منهم بنت حازم بن عبدالكريم بن أبى نمىّ .

ولما كان قبيل النصف من شعبان سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة : وصل عِنَان من مصر متوليا نصف الإمرة بمكة من قِبَل الملك الظاهر ، شريكا لعلىّ ، فسعى الناس بينهم فى المؤالفة ، وأن يكون لكل منهما نواب بمكة ، بعضهم للحكم بها ، وبعضهم لقبض ما يخصه من المتحصل ، وأن كلا منهما يقدم مكة إذا عرضت له بها حاجة فيقضيها ، وأن يكون القواد مع عنان ، والأشراف مع علىّ ، لملايمتهم له قبل وصول عِنَان ، فرضيا بذلك ، وفعلا مااتفقا عليه ، وكان أصحاب كل منهما غالبين له على أمْرِه ، فحصل للناس من ذلك ضرر ، سيما الواردين إلى مكة ، لأن حجاج اليمن نُهِبُوا بالمعابدة بطريق منى وبمكة نهبا فاحشا ، ونهب أيضا بعض الحجاج المصريين ، وما خرج الحاج المصريون حتى استنزل عليهم أمير الحاج أبو بكر بن سنقر من بعض بنى حسن ، وكان ذلك فى موسم سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة .

ولما سمع ذلك السلطان بمصر استدعى إليه عليًّا وعنانا ، وكان وصول هذا الاستدعاء فى أثناء سنة أربع وتسعين وسبعمائة ، ووصل مع النجاب المستدعى لهم خلعتان من السلطان لعلىّ وعنان ، وكان عنان إذ ذاك منقبضا عن دخول مكة لأن بعض غلمان على بن عجلان همّ بالفتك به فى آخر صفر من سنة أربع

وتسعين وسبعمائة بالمسعى ، ففرّ هاربا بعد أن كاد يهلك ، وأزال أصحاب عليّ نُوّابَه من مكة ، وشعارَ ولايته بها ، لأنهم قطعوا الدعاء له على زمزم بعد المغرب . وأُمِرَ الخطيبُ بقطع اسمه من الخطبة فما أجاب . ثم دخل عنان مكة ــ بموافقة عليّ وأصحاب رأيه ــ ليتجهز منها إلى مصر . فلما انقضى جهازه سافر منها فى جمادى الآخرة إلى مصر ، وتلاه إليها / ١٤٢ظ عليّ ، وقصد المدينة النبوية ، فزار جده المصطفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وغيره ، وجمع الناس بالحرم النبوى لقراءة ختمة شريفة للسلطان ، والدعاء له عقيبها ، وكتب بذلك محضرا يتضمن ذلك ، وما اتفق ذلك لعنان ، لأنه قصد من بدر ينبع ، ليسبق منها عليا إلى مصر ، ولما وصل عليٌّ إلى مصر أهدى للسلطان وغيره هدايا حسنة ، واجتمع بالسلطان يوم الخميس خامس شعبان من سنة أربع وتسعين ، فى يوم الموكب بالإيوان ، فأقبل عليه السلطان كثيرا ، وأمره بالجلوس فوق عنان ــ وكان جلس تحته ــ وبعد أيام فوض إليه إمرة مكة بمفرده ، وأعطاه أربعين فرسا ، وعشرة مماليك من الترك ، وثلاثة آلاف إردب قمح ، وألف إردب شعير ، وألف إردب فول . ومما أحسن إليه به فرس خاص . وسرج مغرق[1] بالذهب ، وكنبوش[2]

---

(١) التغريق بالذهب : هو الطلاء به .

(٢) الكنبوش : غطاء مزركش بالقصب وغيره ، يجعل على ظهر الحصان تحت السرج ، ويطلق أيضاً على الستر أو الطرحة المزركشة التي تغطي الحصان . (هامش النجوم الزاهرة ١١/٧ ، والخطط التوفيقية ١٠/٧٠) .

ذهب ، وسلسلة ذهب ، وأحسن إليه الأمراء ، لإقبال السلطان عليه ، فحصَّل غلمانا من الترك ، قيل إنهم مائة ، وخيلا قيل إنها مائة ، ونفقة جيدة ، وتوجّهَ مع الحجاج إلى مكة ، فوصلها سالما ، وكان يوم دخوله إليها يوما مشهودا . وقام بخدمة الحاج فى أيام الموسم من سنة أربع وتسعين وسبعمائة .

وحج فى هذه السنة ناسٌ كثير من اليمن بمتاجر ، وانكسر من جلابهم ببندر جدة ست وثلاثون جلبة فيما قيل . وسافروا من مكة بعد قضاء وطرهم منها فى قافلتين ، وصحبهم فيها عليّ بعسكره ، وأطلق القافلة الثانية من المكس المأخوذ منهم بمكة .

وكان غالب الأشراف آل أبى نميّ لم يحجوا في سنة أربع وتسعين وسبعمائة لانقباضهم منه ، فإنه كان نافر رأسهم جارَ الله بن حمزة بمصر ، وسعى فى التشويش عليه ، فما وسع جار الله إلا أن يخضع لعليّ فقل تعبه ، واستدعى على الأشراف آل أبى نميّ فحضر إليه جماعة منهم ، مع جماعة من القواد والحميضات ، فقبض على ثلاثين شريفا ، وثلاثين قائدا — فيما قيل — وطالبهم بما أعطاه لهم من الخيل والدروع . فسلم القواد ما طلب منهم ، وسلم إليه الأشراف بنو عبدالكريم بن أبى سعد ، وبنو إدريس بن قتادة ما كان له عندهم من ذلك . وأما الأشراف آل أبى نميّ فلم يسلموا ما كان عندهم ، فأقاموا فى سجنه حتى سُلِّمَ إليه ما طلب منهم بعد ثلاثة أشهر . وكان سَجْنُهُ لهم في آخر ذى الحجة من سنة أربع وتسعين وسبعمائة ، وكان بمكة جماعة من الأشراف والقواد غير الذين قبض

عليهم ، فقروا بمكة مستخفين ، والتحق كل منهم بأهله .

ومضى الأشراف إلى زبيد ، ونزلوا عليهم بناحية الشام ، وراسلوا عليًّا فى إطلاق أصحابهم . فتوقف على ، ثم أطلق منهم محمد بن سيف بن أبى نُمَيّ ، لتكرر سؤال كُبَيْش بن سِنان بن عبدالله بن عمر له فى إطلاقه ، فإنه كان عنده يوم القبض عليه . ومضى محمد بن سيف ــ بعد إطلاقه ــ إلى علىّ ، وكان نازلا ببئر شميس ، فسعى عنده فى خلاص أصحابه واستقر الحال معه على أن يسلّم الأشراف إليه أربعين فرسا وعشرين درعا ، وأن يردوا إليه ما أعطاه لهم / من الأصائل ، وأن يكون بين الفريقين مجود ــ أى ١٤٣و
حسب ــ إلى سنة . ومضى من عند علىّ جماعة إلى الأشراف لإبرام الصلح على ذلك ، وقبض الخيل والدروع ، والإشهاد بردّ الأصائل . ففعل الأشراف ذلك . وجاء علىٌّ إلى مكة فأطلق الأشراف فى تاسع عشرى ربيع الأول سنة خمس وتسعين وسبعمائة ، وما كان إلا أن خرجوا ، فساروا بأجمعهم حتى نزلوا البحرة بطريق جدة ، فجمع علىٌّ الأعراب ومن معه من العبيد والترك ، ومضى حتى نزل الحَشافة ، فرحلَ الأشرافُ من البحرة ، ونزلوا جُدَّة واستولوا عليها ، وكان مما جَرَّأهم على ذلك الطمعُ فى مركب وصل إليها من مصر ، فيه ما أنعم به السلطان عليه من القمح والشعير والفول . وصار فى كلّ يوم يرغب فى المسير إلى جُدَّة لقتال المذكورين ، فيأبى عليه أصحابهُ من القواد ، ويجيرون عليه من المسير ، ودام الحالُ على ذلك شهرا ، ثم سَعَى عنده القوادُ الحميضات فى أن يعطى للأشراف

أربعمائة غرارة قمح من المركب الذى وصل إليه ، ويرحلَ الأشرافُ من جُدّة . فأجابَ إلى ذلك ، وسلّمها إليهم . فلما صارت بأيديهم توقّفوا فى الرحيل ، فزادهم مائة غرارة ، فرحلوا ونزلوا العُدّ وصاروا يفسدون فى الطريق .

وبلغه أن ذوى عمر فى أنفسهم منه شيءٌ ، فمضى إلى الأشراف وصالحهم ، وردّ عليهم ما أعطوه له . وأقبل على مُوادَّتهم . فكان جماعة منهم يتحملون منه ، وجماعة يبدون له الجفاء ، ويعملون فى البلاد أعمالا غير صالحة اقتضت أن التجار أعرضوا عن مكة وقصدوا يَنْبُع ، لقلّة الأمن بمكة وجدة ، فلحقه لأجل ذلك شِدّة ، وكان يجتهد فى رضائهم عليه بكل ما تصل قدرته عليه ، وقنع منهم بأن يتركوا الفساد فى البلاد ، فما أسعفوه بمراده .

ومما ناله من الضرر بسبب حقدهم عليه : أن بعض الشرفاء والقوّاد غزوه بمكة فى خدمة أخيه السيد حسن بن عجلان ، لوحشة كانت بينهما ، ونزلوا الزاهر أياما كثيرة ، ثم رحلوا منه لأنهم لم يتمكنوا من دخول مكة ، ويقال إن بعضهم ناله بِرٌّ من علىّ بن عجلان فرحل ، وتلاه الباقون . وكان وصولهم إلى مكة فى جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وسبعمائة .

وتوجّه بعد ذلك حسنٌ وعليُّ بن مبارك إلى مصر راجين لإمرةٍ ، فقبض عليهما السلطان الملك الظاهر برقوق ، وبعث خلعة لعليّ ، وكتابا أخبره فيه بما فعل ، وأمره فيه بالإحسان إلى الرعية ، والعدل فيهم ، لما بلغه من أن عَلِيًّا تعرض لأخذ شيء من المجاورين

بمكة . فقرىء الكتابُ بالمسجد الحرام بعد لبسه للخلعة ، وأحسنَ السيرة ، ونادَى فى البلاد : بأن من كان له حَقّ فليحضر إليه ليرضيه فيه . وكان الذى حمله على الأخذ فَقْدَه لما كان يعهد من النفع بجدة ، ومطالبة بنى حسن له بالعطاء . ومازال حريصا على أن يحصل منهم عليه رضاء ، إلى أن أدرك من بعضهم ما به الله عليه قضى ، من سلب رُوحِهِ ، وإسكانه فى ضريحه .

وكان صورة ما فُعِلَ به : أنه لما خرج يريد البراز اتَّبَعُه
١٤٣ظ الكردى ولدُ عبدالكريم / بن مخيط الكردي ، فسايره وهو راكب على راحلته ، وعليٌّ على فَرَس ، ورمى بنفسه على عليّ وضربه بجَنْبِيَّة كانت معه ، فطاحا جميعا إلى الأرض ، فوثب عليه عليٌّ فضربه بالسيف ضربة كادَ منها يهلك . وولّى عليٌّ راجعا إلى الحِلَّة . فأَغْرَى به شخصٌ يقال له أبو نميّ ــ غلام لصهره حازم بن عبدالكريم ــ جُنْدُبًا وعُبَيَّة وحمزة بن قاسم ، وعَرّفهم أنه قَتَل الكُرْدِيّ ، فوثبوا عليه وقتلوه ، وقطعوه وبعثوا به إلى مكة فى شجار(١) ، فوصل إلى المعلاة ليلا ، وصلى عليه ، ودفن فى قبر أبيه .

وكان قتله فى يوم الأربعاء سابع شوال سنة سبع وتسعين وسبعمائة ، ودفن فى ليلة الخميس ثامنه . وعظم قتلُه على الناس سيما أهل مكة ، لأنهم تخوّفوا أن الأشراف يقصدون مكة وينهبونها ،

(١) الشجار : محفة دون ظلة ، أو هودج صغير ، أو مركب من مراكب النساء أصغر من الهودج مكشوف الرأس . (تاج العروس ، والمعجم الوسيط) .

وتخيّل ذلك بعضُ العبيد الذين فى خدمة على ، وهَمُّوا بنهبها والخروج منها قبل وصول الأشراف إليها ، فنهاهم عن ذلك العقلاء من أصحابهم ، وحَمَى اللهُ البلد من الأشراف وغيرهم .

وفى الصباح وصل إليها السيّد محمد بن عجلان ــ وكان عند الأشراف منافراً لأخيه على ــ ووصل إليها أيضاً السيد محمد بن محمود ــ وكان نازلاً بحادثة قريب مكة ــ وقاما مع العبيد والمولدين بحفظ البلد إلى أن وصل السيد حسن من مصر متولّيا لإمرة مكة عوض أخيه على ، وذلك [بعد](١) نصف سنة ونحو نصف شهر . وكان لعلى من العمر ــ حين قتل ــ نحو من ثلاث وعشرين سنة ، وكان تزوّج الشريفة فاطمة بنت ثَقَبَة بإثر ولايته مكة ، وتجمَّل بها حاله . ثم تزوّج بنت حازم بن عبدالكريم بن أبى نُمي ، ثم بنت النصيح أحمد بن عبدالكريم بن عبدالله بن عمر ، وكان زواجه عليها قبل موته بنحو جمعة أو أقل ، وكانت قبله عند أخيه السيد حسن ، فأبانها لما تَزَّوج عليها ابنة عنان ، لتحريم الجمع بينهما باعتبار الرضاع .

وكان مليح الشكالة والأخلاق ، ذا كَرَمٍ وعقل رزين ، وكان بنو حسن يتعجبون منه ، لأنهم كانوا يكثرون الحديث عنده فيما

(١) إضافة على الأصل يستقيم بها المعنى . وفي العقد الثمين ٢١٤/٦ : أن السيد محمد بن عجلان تولى أمور مكة بعد قتل أخيه علي إلى حين قدوم أخيه الشريف حسن بن عجلان من مصر ، فى آخر ربيع الأول سنة ٧٩٨ هـ . وذلك أزيد من نصف سنة يسراً . وانظر العقد الثمين ١٣٧/٢ ترجمة محمد بن عجلان .

يريدونـه من الأمـور . ويرغبـون فى أن يخوض معهـــم فى ذلك ، فلا يتكلم إلا بما فيه فصل لذلك .

وأصلـح اللـه بوصول السيـد حسن . البـــلادَ ، لاجتهاده فى حسم مواد الفساد ، واستمر منفردا بإمرة مكة إلى شعبان سنـة تسع وثمانمائـة ، ثم شاركـه فى ولايتها ابنـه السيـد بركات بسعـي أبيـه له فى ذلك ، ثم ولي ما كان للسيد حسن من الولاية ، وهـو نصف الإمـرة بمكة ، ابنه أحمد ، بسعي أبيه له فى ذلك أيضا ، وولي أبـوهما نيابـة السلطنة بالأقطار الحجازية ، وكان ولايته لذلك ، وولاية ابنـه أحمد فى شهر ربيع الأول سنـة إحـدى عشرة وثمانمائـة ، واستمروا على ذلك إلى أثناء النصف الثانى من سنة اثنتى عشرة وثمانمائة ، ثم عزلـوا عن ذلك مدة يسيرة نحو شهـــر ، ثم عادوا إلى ولايــاتهم فى ثالث عشر ذى القعدة من السنة المذكورة ، ومـا ظهـر لعـزلهم أثـر ، لسرعـة عودهـم للولايـة ، واستمـروا / على ولايـاتهم إلى أوائـل صفـر سنـة ثمان عشرة ١٤٤و
وثمانمائة . ثم عزلوا عن ذلك كله ، ووليه السيد رُمَيْثَـة بـن محمـد بن عجلان ، وفى توقيعه أنه ولي نيابة السلطنة عن عَمِّـه ، وإمـرة مكـة عوض ابني عمه ، واستمرّ الدعاء فى الخطبة ، وبعد المغرب على زمزم للسيد حسن وابنيه إلى مستهل الحجة سنة ثمان عشرة وثمانمائـة ، وكان إليهم أمرُ مكة من حين بلغهم الخبر بذلك . فى أول الـنصف الثـانى من شهر ربيع الأول سنة ثمان عشرة وإلى استهلال ذى الحجة منها .

وفى هذا التاريخ فارقها المذكورون ، ودخلها فيـه السيـد رُمَيْثَـة بن محمد ، واستمرت بيده إلى أن فارقها فى ليلـة السادس والعشريـن

من شوّال سنة تسع عشرة وثمانمائة ، بعد حرب كان بينه وبين عَمِّه فى يوم الأربعاء خامس عشر من شوال ، وظهر فيه عسكر عمه على عسكره ، ومضى لصَوْبِ اليمن . ثم أتى رُمَيْثَة لعمّه خاضعا ، فى صفر سنة عشرين وثمانمائة ، فأكرم عَمُّه وِفَادَتَه . وقد خُطِبَ لرُمَيْثَة ودُعِيَ له على زمزم فى مدة إقامته بمكة على العادة ، وضُرِبَت السِّكَّة باسمه ــ فالله يصلح الجميع ويسددهم ، وإلى الخير يرشدهم .

ولوالدى قصيدة فى مَدْحِ عليٍّ بن عجلان منها : (١وبيّض ولم يذكر شيئا١) . انتهى كلام الفاسي .

قلت : وذكر الفاسي أيضا فى ترجمته من كتاب « ذيل سير النبلاء » للذهبي كثيرا منها ، وهو أولها :

إنْ بَانَ وجْهُ الصَّفَا من راكِدِ الكَدَرِ
وآنشَقّ فجرُ الضيّا مِن ظُلْمَةِ الفِكَرِ
لأُنْثُرَنّ عَلَى عُليــا أبــي حَسَنٍ
تالٍ مِنَ الحمدِ أونَظْمًا مِنَ الدُّرَرِ
وأُوقِفُ القَصْدَ فى سَاحَاتِ مَشْعَرِهِ
كيما أُفِيضَ بنُسْكِ النُّجْحِ والظَّفَرِ

---

(١) يبدو أن النسخة التي كانت فى متناول مؤلفنا لم تتضمن الأبيات التي وردت هنا ، ونقلها المؤلف عن ذيل سير النبلاء للفاسي . وقد ذكر محقق العقد الثمين ٦/٢١٥ أن نسخة « ك » ، ونسخة « ي » خلتا من هذه الأبيات ، أما نسخة « ق » فقد أوردتها .

مَالِى ولِلنَّأْيِ والتِّرْحَـالِ عَنْ أُفُـقٍ
عَلاَ عَلَـى كَرَّة الإِشْرَاقِ بالقَمَــــرِ
نَادَى : عليُّ بنِ عَجْلاَنٍ سمَاءُ سَمَا
بَنـِي رُمَيْثَـــة والساداتِ مِنْ مُضَرِ

ومنها :

كَمْ طَافَ حَوْلَكَ مِن مَوْلًى ومِنْ مَلِكٍ
وحَـوْلَ بيتِكَ مِنْ حَاجٍّ ومُعْتَمِــــرِ

ومنها :

وأَمَّكَ الـمُـلْكُ مِنْ مِصْرٍ بِهِ أَرَبٌ
إِلَـى لِقَـاكَ فَلاَقَى الخُبْرَ كالخَبَـرِ
إنْ تَابَعَـتْكَ صُفُـوفٌ تِلْـوَ أَفْئِــدَةٍ
فأَنْتَ قِبْلَـةُ أَهْـلِ البَـدْوِ والـحَضَرِ
[لِمْ لاَيكُونُ عَلَى الدنيا حُلِـيٌّ بِهَـا
وأَنْتَ جَوْهَـرَةُ الأَخْبَــارِ والسِّيَــــرِ
أَحْيَيْتَ آثَـارَ أَسْلاَفٍ وقَـدْ سَلَفُـوا
أَحْيَتْ مَكَارِمَهُمْ أَمْوَاتَ مُفْتَقِرِ](١)

ومنها :

وَمُذْ هَبَطْتُ إلى الأَرَضِينَ أَصْعَدَنِي
أَبُـو سَرِيـعٍ سَمَـاءَ العِـزِّ والكِبَــــرِ

(١) إضافة عن العقد الثمين ٦/٢١٦ .

فَاللَّهُ يُسْكِنُهُ جَنَّاتٍ مُزَخْرَفَةٍ
مَعَ النَّبِيينَ فى صَحْبٍ وفى زُمَرِ
أَبْقَى لَنا عُدَّةَ الأُمَرَا خَلِفَتَهُ
والبَدْرُ فِي الوَهْنِ مِثْلُ البَدْرِ فِي السَّحَرِ
مُنْشِي سَحَائِبَ جُودٍ مُزْنُهَا دُرَرٌ
تُغْنِى عَنِ السُّحْبِ والأَنْوَاءِ والمَطَرِ

وقال الفاسي أيضا فى الذيل المذكور : قال الأديب جمال الدين محمد بن حسن بن العُلَيْف / ، يمدح السيد علي بن عجلان ١٤٤ظ
صاحب مكة بقصيدة طويلة ، منها قوله :

أَحْسَنُ شيءٍ رَأَيْتُهُ دِمَنٌ ... مُتَبَسِّمٌ عَنْ عَلِي بنِ عَجْلاَنِ
عن يُوسُفٍ فى العُيُونِ أجْمَعها ... أَغْنَى الصَّدِيقَ المُحِبَّ والشَّانِى
تَدُلُّ أَنْوارُهُ عَلَى مَلَكٍ ... شَبَّهَهُ رَبُّهُ بِإِنْسَانِ.
مُتَوَّجٌ شُرِّفَ الزَّمَانُ بِهِ ... لَيْسَ لهُ فِى الزَّمَانِ مِنْ ثَانِى
أَشْرَفُ مَنْ تَوَّجَتْ بَنُو حَسَنٍ ... مِنْ مَلِكٍ عَادِلٍ وسُلْطَانِ
خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي بَسِيطَتِهِ ... وَارِثُ مُلْكِ النَّبِي سُلَيْمَانِ
مُطَبِّقُ الأَرْض مِن كَتَائِبِهِ ... عَلَى مُلُوكِ الوَرَى بطُوفَانِ
ثَوَاقِبُ الشُّهْبِ مِن أَسِنَّتِهِ ... بَوَارِقٌ نحوَ كُلِّ شَيْطَانِ
أَصْدَقُ مَا قَالَ فِيه مَادِحُهُ ... بَدْرُ تَمَامٍ وغَيْثُ صَدْيَانِ
سحائِبُ الجوُدِ مِنْ أَنَامِلِهِ ... تَنْهَلُّ مِنْ فِضَّةٍ وَعِقْيَانِ
يَمْتَطِيءُ الشمسَ فى المَرَاتِبِ عن ... زِيادةٍ فى العُلَى ونُقْصَانِ

مَرْتَبَـةٌ فِي العُلَـى يُقِـرُّ بِهَـــا … بالفَجْرِ قَاصِي الأَنَامِ والدَّانِي
لَوْ زِيدَت الشمسُ فِي مَنَاقِبِه … كانَتْ لَهُ مثلُ سَطْرِ عِنْوَان
قَصَائِـدُ المَـدْحِ فِيـه قَاصِرَةٌ … لَوْ بُلِّـغَتْ فيـه بُرْجَ كِيـوَانِ
ياسادةَ النـاسِ كُلُّ مَفْخَـرَةٍ … تخبـرُ عن فَضْلِكُـم وَبُرْهَــانِ
ومأأتـــى فِيكُـــمْ وأُنْـــزِلَ فِي … «طَهَ» وفى «هَلْ أَتَى» و «سُبْحَان»
فحَسْبُكُمْ مَاقُـرِى لَكُـمْ وَتُلِـى … مِن سُوَرٍ فِيكُــمْ وقُـــرْآنِ

انتهى ما فى الذيل المذكور .

* * *

١٩٥ ـــ محمـد بن عجـلان بن رُمَيْثَـة بن أبى نُمَـيّ الحسنـــي المكي .

قال الفـاسي[(١)] : ولي إمـرة مكـة نيابـــة عن أخيـــه على بن عجلان نصف سنة ، فى سنـة أربـع وتسعين وسبعمائـة ، لَمَّـا توجّـه أخوه عليٌّ فيها إلى مصر .

وولي إمْـرَةَ مكـةَ بعـد قَتْـلِ أخِيـه علـيٍّ إلى حِين قُدُومِ أخِيـهِ الشَّرِيف حَسَن بن عَجْلَان من مصر ، فى آخر ربيع الآخر[(٢)] سنـة

(١) العقد الثمين ١٣٧/٢ برقم ٣٠١ .

(٢) كذا فى الأصل ، ويؤيده ما ورد فى ترجمة حسن بن عجلان فى العقـد الثـمين ٨٩/٤ من دخوله مكة فى يوم السبت الرابع والعشرين من ربيع الآخر . وفى العقد الثمين ١٣٧/٢ « ربيع الأول » .

ثمان وتسعين وسبعمائة ، وذلك أزيد من نصف سنة يسيرا .

ووليها نيابة عنه بعد قدومه إلى مكة من مصر ....[١] .

وكان ابنُ عمه عنانُ بن مُغَامس بن رُمَيْثَة لما وَلِيَ إمرة مكة في ولايته الأولى لايَمَ محمد بن عجلان / هذا ، وأقبل كل منهما على ١٤٥و
الآخر كثيرا ، واستخلف عِنَان محمدا هذا بجدة ، وترك معه فيها مَنْ لاَيَمَهُ من عبيد أحمد بن عجلان ، وبعض موالى أبيه مُغَامِس ، يكون عَيْنًا على محمد ، فأنهى هذا المولى إلى عِنَان عن محمد تقصيرا ، فكتبَ عنانٌ إليه يَزْجُرُهُ ويُغْلِظُ له . فاستشاط محمد غضبا ، واستدعى كُبَيْشًا ومن معه من آل عجلان وغيرهم ، فقدموا عليه جدة ، واستولوا على ما فيها من أموال الكَارِم ، وغلال المصريين بالنهب ، وما قدر عِنَان على إزالتهم من جدة ، ولا استنقاذ ذلك منهم . وكان ذلك من أعظم أسباب عزله .

وكان عجلان يَرْغَبُ فى أن يكون ابنه محمد هذا ضِدًّا لولده أحمد بن عجلان ، بأن يفعل فى البلاد فِعْلاً يَظْهَرُ به محمد ، ويَغْضَبُ لِفِعْلِه أحمد ، فَيلِين بذلك جانبُ أحمد لأبيه ـــ لأنه كان قَوِيَ عليه ـــ ويَنَال بذلك مَقَاصِدَ من ولده أحمد ، ويَنَال بذلك محمد أمرًا فى البلاد . فلم ينهض محمد بِمُرَادِ أبيه مع تَيَسُّرِ سَبَبِ ذلك .

---

(١) بياض فى الأصل بمقدار ثلاث كلمات كتب فوقه كلمة « كذا » ، ومثله فى العقد الثمين ١٣٧/٢ .

وصورة الحال فى ذلك : أن عجلان كتبَ ورقةً إلى ابنه محمد ، يأمره بأن يَشْغَبَ هو وأصهارُه الأشرافُ على أحمد بن عجلان ، وأن يأخذَ مِن خَيْل أبيه ماشاء ، ويذهبَ إلى نَخْلَة ويأخذَ منها أدْرُعاً هناك مُودَعَةً له ، ويأخذَ ممن هي مُودَعَةٌ عنده مايحتاج إليه من المصروف . ووصلت ورَقَتُهُ إلى ابنه محمد ، وهو فى لَهْوٍ مع بعض أصدقاء أخيه أحمد ، فأوقفهم على ورقة أبِيهِ ، فآستَغْفَلُوه وبعثوا بها إلى أخيه أحمد ، وأشغلوه باللَّهو إلى أن بَلَغَ أخاه الخبرُ .

وقصد أحمد أباه فى جمع كثير ، مُعَاتِباً له على مافَعَلَ ــ كان قد بلغه ماكان من ابنه محمد ــ فشَقَّ عليه كثيرا واعتذر لأحمد ، وأعرض عن محمد لِقلَّةِ حزمه .

وكان محمد قصد قافلةً متوجهة من مكة إلى المدينة ، فى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ، فيها قاضى مكة أبو الفضل النويري ، فنهب محمدٌ جمالَ القافِلَةِ ببَدْرٍ ، وتَوَصَّلَ مَن فيها إلى المدينة ، وبلغ الخبرُ أباه عجلان ، فَجَدّ فى السير حتى أتاهم بالمدينة ، فاستعطفهم وأرضاهم بَردِّ الجمال ، أو بمَالٍ ــ الشك منى(١) ــ والله أعلم .

وكان محمد بعد ذلك ملايما لأخيه أحمد ، وأخوه مُكْرِمٌ له . ثم نَفَرَ منه محمد فتوجَّه من مكة بعد الحج ــ فى سنة ست وثمانين

---

(١) أي التقي الفاسي ، وانظر الخبر بصورة تختلف قليلاً عما هنا فى إتحاف الورى ٣/٣١٥ .

وسبعمائة ـــ قاصدا مصر طلبا لِخَيْر ، فلما كان بينبع أشار عليه أمير الحاج المصري أبو بكر بن سُنْقُر الجمالي : بأن يرجع إلى مكة ، ويرجع معه بعِنَان بن مغامس ، وحسن بن ثَقَبَة ، وكانا قاصدين مصر لشكوى أحمد ، لكونه لم يُجِبْهُمَا إلى مارَسَمَ لهما به عليه السلطان بمصر . وكان أمير الحاج قد أشار على المذكُورَيْن بالرجوع إلى مكة ، وضمن لهما على أحمد الموافقة على قصدهما إذا رجعا إليه ، وضمن لمحمد عن أحمد إسعافه لما يرومه من أحمد ، وأطمعه بالمزية فى الإحسان من أحمد إذا وصل إليه بالمذكورين .

فرجع الثلاثة إلى أحمد ، ولم يتوَثَّق محمد لنفسه ولا لمن معه اَغْتِرَارًا منه بنفسه ، لظنه أن أحمد لايسوءه فى نفسه ولا من معه ، فلم يصب ظنه ، لأن أحمد / قبض عليه وعلى المذكورين لما اجتمعوا ١٤٥ظ به ، وضمّ إليهم أحمد بن ثقبة وابنه عليا ، وقيد الخمسة . ومن الناس من يقول : إن أحمد ندب محمدا لإحضار عنان وحسن ، فلما حضرا إليه قبض عليهما ، فأنكر ذلك محمد على أحمد ، فضمه إليهما ، وسجن الخمسة بالعلقمية عند المروة . ولما مات أحمد كُحِلُوا ، غير عنان فإنه كان نجا من السجن قبل موت أحمد بيسير . وكان من أمرهم وأمر محمد ما كان .

ثم سعى محمد فى اعتقال عِنَان فى مصر ، فأجيب سؤاله . وكان محمد قدمها في سنة إحدى وتسعين وسبعمائة . بعد ثورة

مِنْطَاش(١) على الناصري(٢) ، ومصير الأمر إليه بعد قبضه على الناصري وسجنه ، وهو الذى أجاب محمدًا لسجن عِنَان .

وكان محمد هذا فى سنة ثمانمائة دخل اليمن ، فأكرمه صاحب اليمن الأشرف(٣) ، وجهز معه محملا إلى مكة فى سنة ثمانمائه بعد انقطاع محمله نحو عشرين سنة ، وتوجه به محمد بعد الحج ليأتي به ثانية إلى مكة ، فاقتضى رأيُ صاحب اليمن عدم إرساله ، فتوجّه محمد إلى مكة ، وأقام بها حتى مات فى الثانى عشر من ربيع الأول سنة اثنتين وثمانمائة ، ودفن بالمعلاة . انتهى كلام الفاسي .

* * *

١٩٦ ــ حسن بن عجلان بن رُمَيْثَة بن أبي نُميّ محمد بن

(١) منطاش : هو تمر بغا بن عبد الله الأفضلي الأشرفي ، المعروف بمنطاش ، خرج على الظاهر برقوق ، وقتل فى سنة ٧٩٥ هـ بعد هزيمته . وانظر الدرر الكامنة ٢/٥٢ ، ٥/١٣٤ ، والنجوم الزاهرة ١٢/١ ــ ٤٢ ، والدليل الشافي ١/٢٢٣ برقم ٧٨٠ .

(٢) الناصري : هو يلبغا بن عبد الله الناصري اليلبغاوي ، أحد كبار الأمراء ، ناب بحلب ودمشق ، وخرج على الظاهر برقوق ثم عاد إليه ، وقتل فى سنة ٧٩٣ هـ بحلب . (النجوم الزاهرة ١٢/١٢٦ ــ ١٢٨ ، والدليل الشافي ٢/٧٩٣ برقم ٢٦٧٣ ، والدرر الكامنة ٥/٢١٥) .

(٣) هو الملك الأشرف إسماعيل بن العباس بن علي بن رسول ، المتوفى سنة ٨٠٣ هـ . (الدليل الشافي ١/١٢٤ برقم ٤٣٣ ، والضوء اللامع ٢/٢٩٩ برقم ٩٢٢ ، وشذرات الذهب ٧/٢٦) .

أبي سعد حسن بن علي بن قتادة الحسني المكي .

قال الفاسي[1] : يُلَقّب بدر الدين . أمير مكة ، ونائب السلطنة بالأقطار الحجازية .

ولي إمرة مكة من غير شريك إحدى عشرة سنة وتسعة أشهر وأياما يسيرة ، وهي ستة أيام . ووليها سنة وسبعة أشهر — بتقديم السين — شريكا لابنه السيد بركات ، وهو الساعي له في ذلك .

وولي نيابة السلطنة سبع سنين إلا شهراً وأيّاما ، وولي ابنه أحمد عوضه نصفَ الإمرة الذى كان بيده قبل أن يَلِيَ نيابة السلطنة .

وما ذكرناه من مُدَّةِ ولايته لإمرة مكة — مستقلا ، وشريكا لولده بركات — هو باعتبار تاريخ الولاية بمصر ، لاباعتبار وصول الخبر بذلك إلى مكة . وكذلك ماذكرناه فى مُدَّةِ ولايته لنيابة السلطنة هو باعتبار تاريخ الولاية والعزل ، لاباعتبار بلوغ الخبر بهما إلى مكة ، فتكون ولايته على مكة — أميرا ونائبا للسلطنة — عشرين سنة وثلاثة أشهر إلا أربعة أيام ، وربما زاد ذلك أياما قليلة ، أو نقص أياما قليلة .

وسنوضح ذلك أكثر من هذا ، وغيره من خبره ، وذلك أنه ولد في سنة خمس وسبعين وسبعمائة تقريبا ، ونشأ فى كَفَالَةِ أخيه أحمد ، مع أخيه عليّ بن عجلان أمير مكة الآتى ذكره[2]. حتى

(١) العقد الثمين ٨٦/٤ برقم ٩٩٥ .

(٢) أي فى العقد الثمين ٢٠٦/٦ برقم ٢٠٨٥ . وقد مضت ترجمته فى هذا الكتاب برقم ١٩٤ .

مات أحمد ، ويقال إن أحمد استولى على ذهب جَيِّد تَرَكَهُ عجلانُ لابنيه حسن وعلي ، ولأخ لهما شقيق لعلي . ولايم المذكوران كُبَيْشًا بعد قتل محمد بن أحمد بن عجلان ، ثم سافر حسن بعد الحج من سنة تسع وثمانين وسبعمائة إلى مصر ؛ لتأييد أمر أخيه عليّ في إمرة
١٤٦و مكة / فإنه ولي إمرتها فى أثناء سنة تسع وثمانين وسبعمائة عوض عِنَان ، وما تمكن من دخولها .

ثم ولي نصف إمرتها شريكا لعِنَان بعد أن حضر إلى السلطان بمصر فى النصف الأخير من رمضان من هذه السنة . ووصل مع الحاج فى هذه السنة ، ودخل مكة فى أول ذى الحجة ، بعد مفارقة عِنَان وأصحابه مكة ، وعاد حسن إلى مكة ومعه جماعة من الترك ، لتأييد أخيه عليّ ، ثم حصل بين مُقَدَّمهم وبين حسن منافرةٌ بالمَرْوَةِ ، فقال المقدم ــ وأنا أسمع ــ لحسن : أنتَ صغيرٌ . فسمعت حسنا يقول له : إن كُنْتُ عندك صغيرا فأنا عند الله كَبِيرٌ . فاستدللت بذلك على تَيَقُّظِهِ . وكان وصوله بهذا العسكر في ربيع الآخر ــ أو جمادى الأولى ــ من سنة تسعين وسبعمائة . وكان ملايما لأخيه عليّ فى غالب مُدَّةِ ولايته ، وأخوه مُكْرِمٌ له ، وما ظهر بينهما منافَرَةٌ فاحِشَةٌ إلاّ فى وقتين ، بانَ فيهما حسنٌ عن عليٍّ ، وغَزَا فى كلا الوقتين أخاه بمكة ، فدخلها فى المرة الأولى هَجْماً فى جماعة من أصحابه ، وخرجوا منها من فَوْرِهِم ، وقَتَلَ بعضُهم شخصاً يقال له بَحْر ، وذلك فى أول سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة . والغَزْوَةُ الأخرى فى سنة سبع وتسعين وسبعمائة ، فى

جمادى الأخرة منها ، وأقام بمن معه من الأشراف وغيرهم فى الزاهر أيّاما ، ثم رحلوا بغير قصد ؛ لأنّ بعضَ أصْحَاب علىٍّ أمرَ بعضَ أصحاب حسن بالرحيل فرَحَلَ ، وتلاهُ الباقون .

وسافر حسن بعد ذلك إلى مصر راجيا لإمرة مكة ، فحضر عند الملك الظاهر صاحب مصر بالقلعة غير مَرّة ، ثم اعتُقِلَ بقلعة الجبَلِ فى شهر رمضان من السنة المذكورة .

ووصل كتابُ السلطان إلى علىٍّ يخبره بذلك ، ويأمره فيه بالعَدْلِ ، مع خلعة ، فلبسها ، وقُرِىء الكتابُ بالمسجدِ الحرام فى سَلْخ رمضان . وبعد جُمْعَةٍ استُشْهِدَ عَلِيٌّ ، وذلك فى سابع شوّال من السنة المذكورة ، وبلغ قَتْلُه السلطانَ فى تاسع ذى القعدة من السنة المذكورة ، فأطْلَقَ حَسَناً ، وولّاه عِوَضَ أخيه إمْرَةَ مكة ، وجعل إلى الأمير يَلْبُغَا السَّالِمِيّ تقليدَ حَسَنٍ الإمْرَة بمكة . وكان يَظُنّ أنه يُدْرِكُ الحجَّ فما قُدِّرَ ذلك .

ووصل الخبرُ بولايته إلى مكة فى أثناء العشر الأخير من ذى القعدة ، وقام بخدمة الحاج أخوه محمد بن عَجْلَان ، وكان بالبلد مِنْ حين قُتِلَ عَلِيٌّ .

ووقع فى هذا الموسم فِتْنَةٌ فى يوم التَّرْوِيَة ، نُهِبَتْ فيها للحاج أموالٌ كثيرة ، وطمع الحَرَامِيَّة فى الحُجَّاجِ فنهبوهم بطريق عَرَفَة ،

وكان مُعظم النَّهْبِ بالمأزِمَيْن(١) ـــ مَأْزِمَي عَرَفَة ـــ ويُسَمِّيها أهـلُ مكـة : المَضِيقَ . ورحَـلَ الحاج أجمع فى هذه السنـة يوم النفـر الأوّل .

وما توجّـه السيـد حسن من مصر إلا بعـد وصول الحاج إليها بأيام نحو نصف شهر ، وتوجّـه معـه بجماعةٍ من التُّرْكِ ، قيـل إنهم مائة وثلاثون ـــ وقيل سبعون ـــ ومعه من الخيـل تسعـون ـــ بتقـديم التاء ـــ وغير ذلك مما يُحْتَاجُ إليـه ويُتَجَمَّـلُ به . ولما انتهى إلى ينبع طالب أمِيرَهَا وُبَيْرَ بن مِخْبَارٍ بما أنعم به عليـه السلطـانُ عنـده ؛ لأن السلطان كان بعث قَمْحًا للبَيْعِ إلى يَنْبُع / فاستولى عليـه وُبَيْـر ، ثم ١٤٦ظ
أنعـم به السلطـان على السيـد حسن ، فتوقَّـفَ وُبَيْـرٌ فى تسليم ذلك إليه ، فأمـر حسن غِلْمَانَـه بلبس السلاح والتهيُّؤ للقتـال . فلمـا عرف ذلك وُبَيْـر أرضاه بخمسة وثـلاثين ألـف درهـم ، ورحـل عنـه حسن إلى مكة ، وأمر أخاه محمدا وأصحابه بلقائه ، فاجتمعوا قريبا

(١) المأزمـان : تثنيـة المأزم من الأزم بمعنـى العض أو الضيـق ، وهـو الطريـق بين الجبلين ، ومأزما مكة بين المشعر الحرام وعرفة ، وهـو شعب بين جبـلين يفضي آخـره إلى بطن عرنة ، التى يكون بها موقف الإمام ـــ وكان فيما مضى طريقاً ضيقاً يأتي المزدلفـة من جهة عرفة ، ولا يدفع الناس ليلـة المزدلفـة إلا منـه ، وقـد عبـد حاليـاً ، وجعـل له ثلاث مسارات ، أحدها للمشاة ، والآخران للسيارات ، وقد يطلق اسم المأزمين على منـى عنـد العقبة لضيق المكان . (معجم البلدان لياقوت ، ومعالم مكة التاريخية) .

من ثَنِيَّة عُسْفَان(١) ، أو السُّوَيْق(٢) .

وكان الأشراف لما سمعوا بإقبال حسن إلى مكة . وخروج محمد ومن معه منها للقائه ، رحلوا من عُسْفَان إلى غُرَانَ(٣) ، إلى شَقِّ طَريق الماشي ، فطلب حسن الأشرافَ يَوْماً وليلة فلم يلحقهم ، لارتفاعهم فى الحِرَار ، وأَمَرَ عليَّ بن كُبَيْش أن يخرج من مكة بجماعةٍ من أهلها إلى خَيْف بَني شَدِيدلِيَقْطَعُوا بها نخيلا للأشراف ، ففعل ذلك ، ثم أُشِيرَ عليه بالإعراض عن ذلك فترك ، وانتهى إلى بِئْرِ شُمَيْس وأقام بها عشرا . ثم دخل مكة فى ليلة السبت الرابع والعشرين من ربيع الآخر ، سنة ثمان وتسعين وسبعمائة ، فَلَبِسَ الخلعة ، وقُرِئ عَهْدُه بالوِلَاية ، وطافَ بالبيت ، وأقام بها إلى أثناء ليلة الأحد ، وخرج ومَنْ معه إلى بئر شُمَيْس . ثم انتقل منها فى النصف الثانى من جمادى الآخرة فى السنة المذكورة إلى العُدِّ ـــ

(١) ثنية عسفان : عقبة منسوبة لعسفان ، وعسفان بلدة تاريخية عامرة شمالي مكة على الطريق إلى المدينة ، تبعد عن مكة ثمانين كيلاً ، ويشرف عليها من جميع نواحيها حرار سود ، وتتفرع منها الطرق إلى جدة وإلى مكة وإلى المدينة ، وثنيتها بعدها بخمسة كيلومترات في طريق الحرار التي تقع شمالي عسفان ، وتسمى الثنية بثنية غزال . (على طريق الهجرة ١٩ ـــ ٢٧) .

(٢) السويق : لعل المقصود هو سوق خليص ؛ فهو أقرب الأسواق إلى ثنية عسفان وغران .

(٣) غران : واد يقع بين خليص وعسفان ، ويعتبر رافداً من روافد أمج ، ويسيل من حرة الحجاز العظيمة من قسمها الجنوبي ، فيسمى رهاطاً ، فإذا انحدر إلى البرزة سمي غراناً ، إلى أن يجتمع بأمج . وفى غران كانت غزوة بنى لحيان . (وفاء الوفا ٢/٣٥٣ ، وعلى طريق الهجرة ٢٣) .

وكان الأشراف قد أقاموا به نحو خمسة وعشرين يوماً بمعاونة الحميضات ، ثم رحلوا منه إلى جهة اليمن ــ وأُمَرَ في النصيف الثاني من رَجَب بقَطْعِ نَخِيلِ الفَائِجَةِ(١) والبُرَيْقَةِ بِخَيْفِ بني شَدِيد ، وكلاهما لبعض الأشراف . وكانوا قد اجتمعوا بدُرَيْب بن أحمد بن عيسى ، صاحب حَلْي(٢) ، وخوَّفَهم من حسن فى مرورهم عليه إلى وادي مَرّ . فذكروا له أنه لاقُدْرَةَ له عليهم ، ووقع كلامهُ فى قلوبهم ، لأنهم لما قربوا من الموضع الذى حسنٌ فِيهِ مُقيمٌ أرسلوا يطلبون الجيَرةَ من بعض أصحابه فى حالِ مُرُورِهِم ، وأوهموا رسولهم أنهم لا يمرون حتى يعود عليهم بالخَبَرِ ، وقصدوا بذلك أن يَتَثَبَّطَ عنهم أصحابُ حسن . فلما كان الليل مَرُّوا ــ وأصْحَابُ حسنٍ لَايَشْعُرون ــ حتى انتهوا إلى الوَادِى . وتأثَّرَ لذلك حسنٌ وأصحابُه ، وتحرَّكُوا للأخذِ بثأْرِ عليٍّ بن عجلان ، وكان محمد بن محمود ممن انتصب لذلك ، لحسن سياسته ، فتكلَّم مع القواد فى ذلك فأجابوه لِمَا طَلَب ، لِظَنِّهم أنه لايتمُّ ذلك عَلَى عادة بنى حسن فى التَّثَبُّطِ عن القتال بالجِيرَةِ فى كل يوم ، فَيَملُّ الطالب للقتال ويُصَالِحُ المطلوب ، فجاءَ القدرُ بخلاف ذلك ، لأن الفريقين لَمَّا التقيا وَبَادَرَ الأشرافُ إلى الحرب لاستخفافهم بالقوّاد ، وكانوا عرفوا بمكان القواد العمرة . فحملوا عليهم حملةً منكرة زالت بها

(١) الفائجة : عين تقع شمال شرقي خيف بنى شديد بوادى مَرّ ، وقد اندثرت . (حسن القرى بأودية أم القرى) .

(٢) ترجم له السخاوي فى الضوء اللامع ٢١٧/٣ برقم ٨١٧ .

القـواد من أمـاكنهم ، وكادوا ينهزمـون ، فعطـف الحميضـاتُ والسيّد حسن ـــ وكان فى القـلب ، ومـن جمع لهذا الحرب ـــ على الأشراف فانكسروا ، وقُتِـل من سراة الأشراف [سبعـة][1] منهم جُنْـدُب بن جُخَيْـذَب بن لِحَـاف بن راجـح بن أبى نمي . أحـد قتلـــة على بن عجلان ومن أتباعهم نحو ثلاثين ، وما قُتِـلَ من أصحـاب حسن ـــ فيما قيل ـــ غير مملوك وعبد . وكان معه ألـفُ رَجُـل ومائتـا رجـل ، من الترك والعبيد والمولدين ، وأهل مكة والأعراب . وأجار عَلَى حِلَّـةِ الأشراف من النهب فَسَلِـمَت ، وقصدوا جهـة الهَـــدَة ، وأقـــام / ١٤٧و بالجديد حتى أتى الموسم ، واستفحل أمره بعـد هذه الوقعـة ، وكانت بمكـانٍ يقـالُ له الزَّبَـارَة [2] بوادى مَرّ ، قريبـــا من أبى عُرْوَة [3] . فى الرابـع والعشريـن من شَوّال من السنـة المذكـورة وقيـــل : فى هذا التاريخ فى شهـر رمضان . ومـا أتى إلى جدة فى هذه السنـة من تجار اليمن غير قليل ، ومضى أكثرهـم إلى ينبـع ـــ وكان مقدّمهـم القـاضى وجيه الديـن عبدالـرحمن ابـن القـاضى نور الديـن على بن يحيـــى بن جميع [4] ـــ لأنهم أتوا إلى جُدَّة أيام الحرب المذكور ، فعدلوا عنها إلى

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٤/٩٠ .

(٢) الزبارة : قرية لبنى عمير في وادي مر ، تقـع بعـد التقـاء النخلـتين ، وعندهـا أخذ الوادي اسمها . (معجم معالم الحجاز) .

(٣) أبـو عروة : قريـة بوادى مر . قرب الـروضة والبرقـة ، عندهـا جبـل يقـال له الظاهر ، يصعد منه إلى هدة بني جابر . وفيها نخيل ومزارع للحب والبطيخ ، وتسقى من عين عذبة . (حسن القرى بأودية أم القرى) .

(٤) ترجم له السخاوي فى الضوء اللامع ٤/١٠٥ برقم ٢٩٦ ، وانظر ترجمة أخيه محمد بن علي بن يحيى فى العقد الثمين ٢/٢٢١ برقم ٣٣٣ .

ينبع ، ولما عادوا منها ــ فى سنة تسع وتسعين وسبعمائة ــ تَعَرّضَ لهم السيد حسن ، لأخذ الجَبَا منهم، فَراضَوه فى ذلك بعد أن أسقط عنهم الثلث منه . وذبح بعضُ غلمانه رجلا يقال له محمد بن جَمَّاز ، ويعرف بابن أبى داعس ، من غلمان الأشراف ؛ لتحسينه لابن جميع المرورَ عَلَى جدة ، والذى حمله على ذلك أن نفسه لم تَطِبْ بأن يَحْصُلَ لحسن نفعٌ من التجار .

وكان جماعة من التجار واصلين من اليمن لقصد ينبع ، فلما سمعوا بذبح المذكور ، وبإسقاط حسن الثلث من الجَبَا عمَّن(١) تقدّمَ دَخَلُوا إلى جدة ، وعُنِيَ حسنٌ بحفظ الواصلين إليه من اليمن فى توجُّهِهِم إلى مكة ، وفي عودهم منها إلى جدة ، فعادوا حامدين له ، ونال منهم نفعا جيِّدا تَجَمَّل به حالُه ، ومازال يزداد جمالا فى حاله ، وهَيْبَتُه تَعْظُمُ فى القلوب ، لأن صاحب مصر بعث إليه بخلعتين فى هذه السنة ، وذَهَبٍ ؛ لشكره له على قتل أعدائه . ووصل إليه ذلك على طريق سَوَاكِن (٢)؛ لخوف قُصَّادِه من صاحب ينبع . وكان وصول ذلك إليه فى آخر جمادى الآخرة من سنة تسع وتسعين وسبعمائة .

(١) كذا فى الأصل ، وفى العقد الثمين ٤/٩١ « لثلث الجبا » .

(٢) سواكن : بلد مشهور على الساحل الغربي للبحر الأحمر ، ترفأ إليه السفن ، بينه وبين جدة طريق بحري . (معجم البلدان لياقوت) وبينها وبين عطبرة التى على وادى النيل طريق سكة حديد ، وبينها وبين كسلا وبربر طرق تجارية ، وقد أثرت عليها ميناء بور سودان لقربها منها . (هامش النجوم الزاهرة ٧/١٣٩) .

وفيها ـــ قبل ذلك ـــ فى ربيع الآخر غزا بعضَ بنى شُعْبَة ، فأخذ منهم ثلاثمائة بعير وغير ذلك .

وفيها أخرج الأشرافَ مِن جدة ، وكانوا نزلوها فى شهر رجب بمعونة القواد الحُمَيْضَات ، لغضبهم على حسن . واستمالهم بالإحسانِ حتى ساعدوه على إخراجهم من جدة ، وتبعهم إلى عُسْفَان ، فهربوا إلى خُلَيْص ، فتبعهم فهربوا أيضا ، فرجع عنهم ، وتوصَّلُوا بغير حريم إلى الخَيْفِ ، فأجارهم بعضُ القواد إلى انقضاء السنة ، وسكنوا الخَيْفَ وماجَسروا على فعل ما يخالف هَوَاهُ إلى ذى القعدة من السنة المذكورة .

وفيها قصدوا نخلة ، وتكلموا مع أهلها فى أن يمكنوهم من إنزال أهلهم بنخلة . وكان الذى حرَّكهم على ذلك الطمعُ فى التجار الواصلين إلى جدة فى هذه السنة ، وكان الواصل منهم كثيرا فى هذه السنة . وبلغ الشريفَ خبرُهم ، فأشار إلى هُذَيْل بألاّ يُجيبُوا الأشراف لقصدهم ، وأحْسَنَ لهذيل بشيءٍ من المال ، والتزم للأشراف بخمسين ألف درهم على ألا يخالف عليهم ، ولايخالفوا عليه إلى انقضاء السنة ، وانقضاء شهر المحرم بعدها . وضمن عليه وعليهم جماعة من بنى حسن .

وقدم التجار إلى مكة ، وسافروا منها فى المحرم من سنة ثمانمائة فى قافلتين ، كل قافلة أزيد من ألف جمل ، وصحبهم السيد حسن فى سيرهم إلى جدة ، وحاطهم بالحراسة / حتى ركبوا إلى بلادهم . ٤٧
وأعطى الأشراف ما التزم لهم به وصالحهم فى ربيع الأول ـــ فيما

أحسب ـــ من سنة ثمانمائة إلى انقضاء سنة ثمانمائـة ، والتـزم لهم على ذلك بسبعين ألف درهم .

فلما كان قبل يوم التروية بليلـة أو ليلـتين توجـه حسن بأمـراء الحاج كلهـم وجماعـــة من التـــرك والمغاربـــة إلى وادى مَرًّ ، لقصد الأشراف بسبب سوء مابلغـه عنهم ـــ فيمـا قيـــل ـــ فانهزمـــوا إلى الهدة ، وماظفروا إلا بأحمد بن فياض بن أبى سويد فقتل ، وعادوا إلى مكة .

وفى آخر سنة ثمانمائة قبيـل الموسم كُحِـل بعض غلمـان ذوي عمر ، لتنجيله بعض الجلاب قبل بلوغها ساحل جدة . وحصل من ذلك رعب فى قلوب بنى حسن ، وما جسر أحد على أن ينجل قبل جدة إلا فى الوقت الذى أذن فيه حسن ، وهـو هلال ذى الحجـة ، وما قرب منه بأيام يسيرة .

وفى هذه السنة حج من اليمن فى البَـرِّ ناس كثير ، مع محمـل أنفـــذه الملك الأشرف صاحب اليمن ، وعـــليهم أمير من جهتـــه ، وعضدهـم محمـد بن عجـلان أخـو حسن ـــ كان قدم اليمن فى هذه السنـة ، ونالـه بِرٌّ طائـلٌ من الأشراف ، وأصاب الحجـــاجَ هؤلاء فى إقبـالهم إلى مكـة بالقـرب منها عطش عظيم ، هلك فيـه ـــ فيمـــا قيل ـــ ألف نفس . وتوجّه المحمل ومن معـه ـــ وفى خدمتـه السيـد محمـد ـــ لليمـن فى ثانـى عشرى ذى الحجـة من السنـة المذكـورة ، وكان قد انقطع المحمل من اليمن من سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة .

وفى سنـة إحـدى وثمانمائـة تغير القـواد الحميـضات عليـــه ؛

لطمعهم فيما حصَّله من الخيل والدروع ، وما ظفروا منه بقصد ؛ لأنه لما ظهر له ذلك منهم وصل إليه فى جمادى الآخرة من السنة المذكورة ثلاثة نجابة ، وأخبروا أن الأمير بَيْسَق أمير الحاج فى سنة تسع وتسعين وسبعمائة واصل إلى مكة في جماعة من الترك ، وأنه يتوجّه فى سنة إحدى وثمانمائة . ووصل إليه مع النجابّة المخبرين بذلك خلعتان من قبل السلطان فلبسهما ، وقرئ كتاب السلطان بالمسجد الحرام ، فتخوّف الحميضات منه ، ومن الترك الواصلين إلى مكة ، وسافروا إلى الشرق(١) قبل وصول الخبر بدنو الترك من مكة بيوم ، وذلك فى أول العشر الأخير من شعبان .

وفى ثالث عشرى شعبان وصل الأمير بَيْسَق ومعه خمسون فرسا ، ومائة مملوك ، وغيرهم من الفقهاء وغيرهم ، لقصد العمرة والحج . وكان شُمَيْلة بن محمد بن حازم(٢) أحد أعيان الأشراف لاقى الأمير بالطريق ، فخلع عليه وأعطاه دراهم وحِمْلَ دقيق ، وحلوى ، وأمره أن يأتيه بأصحابه ليصلح بينهم وبين السيد حسن ، فأجابه إلى ذلك . وبعد مفارقته له قصد الأمير حلة الأشراف ــ وكانوا قريبا منه بأم الدمن ــ فما وجد لهم أثرا ، لفرارهم قبل وصوله إلى حلتهم . وكان السيد حسن قد لقى الأميرَ بقَاع ابن غُزّى(٣) ، ووصل إلى

(١) فى الأصل « السوق » ، والمثبت عن العقد الثمين ٤/٩٣ .

(٢) هو شميلة بن محمد بن محمد بن حازم بن شميلة بن أبى نمي الحسن المكي ، كان من أعيان الأشراف ، موصوفاً بالشجاعة ، دخل مصر واليمن ، وتوفي فى المحرم سنة ٨١٩ هـ . (العقد الثمين ٥/١٨ ، والضوء اللامع ٣/٣٠٧ برقم ١١٧٨) .

(٣) فى الأصل « بقاع غزى » ، والمثبت عن العقد الثمين ٤/٩٣ ، وإتحاف الورى ٣/٤١٢ .

مكة بعد وصوله ، وخلع الأمير عليه ، وعلى محمد بن محمود ، وعلى
ابن كُبَيْش . ومَكَّن حسن أهلَ مكة من لبس السلاح ، وكان الأمير
١٤٨و قد منعهم من ذلك . ونقَّص سعرَ / الذهب عما قدره الأمير فى
قيمته لشكوى الناس إليه ذلك . وكان منع من الدعاء لصاحب اليمن
بعد المغرب على زمزم ، فنهاه السيد حسن عن ذلك ، ومكَّن من
الدعاء لصاحب اليمن على العادة .

وفى شهر رمضان من هذه السنة غزا حسن عربا يقال لهم البقوم ، فغنم منهم مائتي ناقة وبقرا وغنما ، وعاد بذلك ، وكان البقر[1] والغنم وكل بحفظه إلى بعض غلمان ممن ليس فيه كبير قوة ، فاستنقذ ذلك منهم المنهوبون ، وقتلوا من غلمانه جارَ الله بن أبى سليمان ، وتُرْكِيًّا ، وفاتهم الإبل .

وفى أول شوال منها توجه إلى وادى الطائف لأن الحمدة[2] أهل الجبل حشموه[3] فى جيرته أهل الطائف ــ وهو مكان مخصوص من وادى الطائف ــ فاسترضاه الحمدة بثمانين ألف درهم ، وخلى عن جرمهم . ونال مثل ذلك من بنى موسى أهل لِيَّة ــ وهو مكان مشهور بقرب وادى الطائف ــ واستدعى آل بنى النمر للحضور إليه ، فتوقفوا . فبذل له الحِمَدَة أربعين ألفا على أن يسير معهم إلى

---

(١) في الأصل « الإبل » ، والمثبت عن العقد الثمين ٩٤/٤ ، وإتحاف الورى ٤١٣/٣ .

(١) الحمدة : من بني جاهل من ثقيف . (معجم قبائل العرب) .

(٣) حشموه : أي أغضبوه ، أو آذوه ، أو أخجلوه . (المعجم الوسيط) .

آل بني النمر ، فسار معهم ، وهدم حصن آل بنى النمر ، وحصل فيه نهب كثير ، وقتل بعضهم ، وقتل من جماعته مملوكان . وعاد إلى مكة فى سادس شوال ، ومعه أزيد من عشرين فرسا ، فأهدى منها للأمير أربعا ، ثم عاد إلى الوادى .

وفى ليلة ثانى عشر شوال استدعى إليه مَنْ فى خدمة الأمير من الترك ، ومَن بمكة من غلمانه من العبيد والمولدين ، فذهبوا إليه إلى الوادى ، ومضوا معه إلى الخيف ، فقطعوا فيه تمر نخيل ذوى رَاجِح ، وقطعوا بالبُرْقَةِ نخيلا لبنى أبى سويد ، وقطعوا فى الروضة الخضراء نخيلا للأشراف ، لأنهم دَخَلُوا على الحميضات بعد عودهم من الشرق ، وحصل بينهم جميل ، فأدبهم السيد حسن بذلك ، ومضى الأشراف إلى ساية .

فلما توجه الحاج من مكة فى سنة إحدى وثمانمائة بلغ الشريف حسنا أن القواد وغيرهم طمعوا فى أهل اليمن ، فخرج فى صحبتهم إلى جدة ، ومعه الأمير بَيْسَق فى آخر ذى الحجة ، وعاد إلى مكة بعد سفر اليمنة[1] من جدة سالمين .

وفى أول شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانمائة توجه إلى الشرق وأخذ من الطائف ، ولِيَّة القُطعة التى قررها عليهم ، وعاد إلى مكة فى الخامس من ربيع الآخر .

وفيها اصطلح هو والأشراف آل أبى نميّ مدة سنة ، وصاروا

---

(١) اليمنة : أي حجاج اليمن .

يدخلون مكة برفقة وبغير رفقة . وأظن ذلك اتفق بعد عوده من الشرق ــ والله أعلم .

وفى آخر جمادى الأولى منها وصل إليه خلعة من صاحب مصر فلبسها .

وفى هذه السنة حصل له من التجار الواصلين من اليمن نفع أزيد من العادة بكثير ؛ لكثرة من وصل منهم فى هذه السنة . وكانت مراكبهم تزيد على العشرة غير الجلاب ، ووصلوا جدة فى آخر رمضان ، ومكة فى شوال .

وفى سنة ثلاث وثمانمائة ــ فى ثانى صفر ــ توجه إلى المدينة النبوية زائرا لجده المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام ، على طريق / الشرق فى مائتي راحلة ، ومائة جمل ، وستين فرسا ، ١٤٨ظ
وثلاثمائة رجل . وعاد إلى مكة فى عاشر ربيع الأول .

وفيها ندبَ إلى مصر القائد سعدَ الدين جبروه[(١)] بهدية ، ولشراء مماليك ترك ، وغير ذلك من مصالحه ، فوصل إليه فى الموسم من هذه السنة بجماعة من الترك .

وفيها ــ فى [ثانى][(٢)] شعبان ــ توجه إلى الشرق ، وأخذ من أهل الطائف وليَّة القطعة التى قررها عليهم .

---

(١) هو سعيد جبروه العجلاني ، القائد . مات بمكة فى جمادى الآخرة سنة ٨٣٩ هـ . وانظر الضوء اللامع ٣/٢٥٦ برقم ٩٦١ .

(٢) إضافة عن العقد الثمين ٤/٩٥ .

وفيها وقف رباطه[١] الذي أنشأ عمارته ، وهو بالقرب من مدرسته . وما عرفت هذه المنقبة لغيره من أمراء مكة الأشراف .

وفى سنة أربع وثمانمائة ـــ فى صفر ـــ توجه إلى حَلْي ، لأن كنانة استدعوه إليها عقيب فتنة كانت بينهم وبين دُرَيْب بن أحمد بن عيسى صاحب حلي وجماعته . وفيها ـــ أي فى الفتنة ـــ قتل دُرَيْب فى يوم عرفة من سنة ثلاث وثمانمائة . وكان الأشراف آل أبي نمي فى خدمته ، ومن أنضم إليه من زبيد . وكان فى خدمته حين توجه إلى حلي القواد العمرة والحميضات ، ومامَرَّ فى طريقه بأحد فيه [قوة][٢] إلا وأمره بالمسير فى خدمته بالظعن ـــ وكان قد سار إليها بذلك ـــ ولما دنا من حَلْـي خضع له موسى بن أحمد بن عيسى ، أخو دُرَيْب ـــ وكان قد قام مقام أخيه ؛ لأنه كان شريكه فى حال حياته فى ولاية حَلْي ، ولكن السمعة لدُرَيْب ـــ فلاطف موسى حسنا ، وأجاب إلى ما طلب حسن من الدروع والخيل والإبل وغير ذلك ، وشرط على حسن ألا ينزل الموضع المعروف بحَلْـي ، وأن يقصر دونه ، فما تم له قصد ، لأن حسنا نزل المكان المذكور ، وأقام به أياما ، وشق ذلك على [بعض][٢] مَنْ كان فى خدمته من القواد العمرة والحميضات ، لالتزامهم لموسى عن حسن أنه لايدخل حَلْي .

---

(١) وانظر شفاء الغرام ٣٣٢/١ ، وإتحاف الورى ٤٢٣/٣ وفيهما « وله عليه أوقاف بمكة ومنى ووادى مر » .

(٢) إضافة عن العقد الثمين ٩٦/٤ ، وإتحاف الورى ٤٢٦/٣ .

وبلغنـي : أنـه لما انتهى إلى حلي عَبَّـأ مَن مَعـه فـى عدة صفوف ، وأن موسى أقبل إليه راجلا يَشُقّ الصفوفَ وهي تُفْرَجُ له ، حتى انتهى إلى حسن وهو راكب [فسلم عليه وسأله فى العـود][١] وعـاد حسن بعـد ذلك بأيـام إلى مكـة ، فانتهى إلى موضع بالقـرب منها يقال له الأطوى[٢] فى شهر ربيع الآخر من السنـة المذكـورة . ثم دخل مكة بعد أيام من وصوله إلى الأطوى ، وخلع عليه الأمير بَيْسَق يوم دخوله إلى مكة ، واحتفل بلقائه ، لأنه لما توجّـه لحَلْـي استنابـه فى الحكم بمكة . ثم نقم عليه حسن بعضَ أوامره بمكـة ، لأن بيْسَقًـا منع من الدعاء لصاحب اليمن على زمزم بعـد المغـرب . فأمـر السيـد حسن بالدعـاء له . وأُرْسِلَ مَرْسُومَـان من صاحب مصر فى أحـدهما ألا يمنع من الدعاء بمكـة لسلطـان اليمن . وفى الآخر أن ليس لأحـدٍ مِنَ الأمـراء الـواصلين من مصر فى أوساط السنـة على صاحب مكـة السيـد حسن يدٌ ولا حُكْـم ، بل يعضدونـه ويقـوون كلمتـه ويعلـون شأنـه ، وإن لم يسمـع الأميـرُ وخالـف وطلبكـم القتـال قاتِلُـوه . وقُرِئ هذان المرسومـان خلـف المقـام بحضرة قاضى مكـة عز الديـن النويـرى ، وجماعـة من أهـل الحرم ، فى سـلخ جمادى الأولى ـــ أو مستهل جمادى الثانية ـــ ولم يكـن الأمير بَيْسَق إذ ذاك بمكـة ، لأنـه توجّـه من مكـة يقصد مصر ، وقت العصر من اليـوم التـاسع / ١٤٩و

---

(١) إضافة عن العقد الثمين ٣/٤٢٧ .

(٢) الأطوى : بئر فى جنوب غربي مكـة على بعـد ثمانين كيـلاً منها . (معجـم البلدان لياقوت ، ومعالم مكة التاريخية) .

والعشرين من جمادى الأولى .

وفى الليلة التى تلى هذا اليوم بعد المغرب ، وكان وصول أمر السيد حسن إلى مكة بالدعاء لصاحب اليمن ، مع قاصد من جهته ، ومعه المرسومان . ثم تنافرا بعد ذلك ، لأن الأمير بَيْسَق كان كتب شفاعات لنفسه ، وكتب فيها أنه أزال المنكر من مكة ، فأخذ ذلك منه السيد حسن ، وأخذ منه قفل باب الكعبة ومفتاحه ، وكان الأمير بَيْسَق لما أخذ ذلك عمل قفلا ومفتاحا عوض ذلك ، وركبه فى باب الكعبة وقت العصر من اليوم الثاني والعشرين من جمادى الأولى ، وأعيد القفل القديم إلى الكعبة . وكان أمر بِسَدِّ الشبابيك التي بالجانب الغربي ، فأذن حسن فى فتحها . وكان أمر بنقل السوق من المسعى إلى سوق الليل ، فأمر حسن بإعادته إلى المسعى ، وكان نَقْلُه إلى سوق الليل فى أول ربيع الآخر ، وعَوْدُه إلى المسعى فى عاشر جمادى الآخرة . واتفق أن عوده كان بحضوره ، لأنه كان عاد إلى مكة فى ليلة رابع جمادى الآخرة بعد أن بلغ كُلَيّة(١) ، ثم سافر منها فى ليلة الثامن والعشرين من جمادى الآخرة

---

(١) كلية : واد قرب الجحفة ، على ظهر الطريق ، به ماء آبار ، ويقال لتلك الآبار كلية . ويقال : كلية قرية بين مكة والمدينة . (معجم البلدان لياقوت) .

وفى كتاب على طريق الهجرة ٤٨ — ٥١ : سهل يمتد من الجنوب إلى الشمال مسافة ٤٠ كيلاً من الساحل غرباً إلى جبال فرسان ودوره شرقاً ما يقرب من خمسين كيلاً . وبئار كلية القديمة لها ذكر في روايات حرب وتاريخهم ، وواديها أكبر الوديان وأكثرها سكاناً وعمراناً .

إلى مصر ، وهو واجد على أهل مكة ، وكانوا نقموا عليه إهانته لكثير منهم ، لأنه رسم على القاضي الشافعي بمكة بغير موجب ، وضرب بعض فقهاء الحرم وفراشيه وغيرهم من أهل مكة .

ومما حمد عليه أمره (لبوابي المسجد الحرام[١]) بملازمة أبوابه وتنظيف الطرقات من الأوساخ والقمائم ، ونقل الكدى[٢] التي كانت بسوق الليل والمعلاة ، وألا يحمل السلاح بمكة ، وإخراج بنات الخطا والمخنثين وغيرهم من أهل الفساد من مكة .

وكان سبب إقامته بمكة تَوَلِّيه لأمر عمارة المسجد الحرام ، لأن في آخر شوال سنة اثنتين وثمانمائة احترق منه الجانب الغربي ، وبعض الجانب الشامي ، فقدم المذكور إلى مكة في موسم سنة ثلاث وثمانمائة ، وأقام بها لأجل ذلك إلى التاريخ السابق . ووكل بباقي العمارة جماعة من غلمانه ، وقد أوضحنا في كتابنا « شفاء الغرام »[٣] ومختصراته خبر هذه العمارة وسببها أكثر من هذا .

---

(١) في الأصل « لبوابين الحرم » ، والمثبت عن العقد الثمين ٩٨/٤ .

(٢) الكَدَى : لعلها جمع كداة بمعنى كل ما جمع من تراب ونحوه فجعل كثبة . (المعجم الوسيط) .

(٣) شفاء الغرام ٢٢٨/١ ، وفيه « أنه في ليلة السبت الثامن والعشرين من شوال سنة اثنتين وثمانمائة ظهرت نار من رباط رامشت ، بالجانب الغربي من المسجد الحرام ، ولم يكن غير لحظة حتى تعلقت بسقف المسجد ، وعمت بالحريق الجانب الغربي منه ، وبعض الرواقين المقدمين من الجانب الشامي ، بما في ذلك من السقوف والأساطين الرخام ، وصارت قطعاً ، وانتهى الحريق إلى محاذاة باب دار العجلة . وسبب ذلك أن النار لم تجد شيئاً تتعلق به لخلو ذلك الموضع ، وهو عمودان عليهما عقود وسقف ، =

وفى أول رجب من هذه السنـة وصل بعضُ الأشراف آل أبى نمي ، وهم : شُمَيْلَة بن محمد بن حازم ، وعلى بن أبى سويـد ، وابـن أخيه إلى حسن وسألوه فى الصُّلْح ، فأجـابهم إلى ذلك مدة سنـة ، ولم يذكـر لهم أن القـواد العمـرة يدخلـون معـه فى الصلـح . ولما سمع بذلك القواد العمرة شَقَّ ذلك عليهم ، فذكر لهم أنه لم يدخلهم معـه في الصلح ، وإنما صالحهم عن نفسه وجماعته . فرضوا منـه بذلك ، وغُمَّ بذلك الأشراف ، فتجهزوا ورجعوا إلى أهلهم بَحَلْي أو بقربها .

وفيها ـــ فى أول شعبان ـــ وصل إليه موسى صاحب حَلْـي ، فأعطاه ألف مثقال(١) ، وعشرة أفراس . وأظنه جاء إليه مستـنصرا به على كنانة ، لأنهم فى جمادى الأولى دخلوا حَلْـي بالسيـف ونهبوهـا ، وهَرَب هو إلى آل أبى نمي إلى الطالعي(٢) .

= بسبب سقوطه لتخربه فى السيل المهول الـذى كان بمكـة فى هذه السنـة أيضاً ، فصار ما احترق من المسجد الحرام أكواماً عظاماً ، تمنع من الصلاة فى موضعها ، ومن رؤية البيت العظيم . فلا حول ولا قوة إلا بالله . ثم قدر الله تعالى عمارة ذلك فى مدة لطيفة ، على يد الأمير بيسق الظاهري ـــ أعزه الله ـــ وكان قدومـه لذلك فى موسم سنـة ثلاث وثمانمائـة ، فلمـا رحـل الحاج من مكـة فى هذه السنـة شرع فى شيـل تلك الأكـوام العظيمـة حتـى فرغت ، ثم أخذ فى العمـارة حتـى عاد ذلك كما كان ... وكان الفـراغ من عمـارة ذلك فى العشر الأخير من شعبان سنة ٨٠٤ هـ » .

(١) أي أعطـاه السيـد حسن ألـف مثقـال ... إلخ . كما جاء فى إتحاف الـــورى ٤٣٠/٣ .

(٢) الطالعي : نسبة إلى آل طالع إحدى قبائل الطحـاحين ، فرع من فروع آل موسى ، يسكنـون فى وادي بقـرة ـــ أحـد فروع وادى حلي ـــ بجوار آل سعيـد الذيـــن يسكنون أسفل الوادى . (بين مكة واليمن ٣١٠ ـــ ٣١٢) .

١٤٩ظ وفيها ــ فى صفر ــ حصل له خمسة وستون / ألف مثقال وأزيد [ــ فيما قيل ــ من القاضى شهاب الدين أحمد بن القاضى برهان الدين المحلي ، وجماعة][1]من تجار الكارم ، لأن المركب الذى كانوا فيه انصلح بقرب مكة ، فأعطوه هذا المقدار عوضا عن الرُّبْع[2] الذى يأخذه وُلَاة البلاد فيما ينصلح فى بلادهم من الجلاب . ولما بلغ ذلك القاضى برهان الدين المحلي اشتد غضبه عليه ، وسعى فى إرسال شخص من خواص السلطان بمصر يطالبه بذلك ، فوصل فى آخر رجب وبلَّغ رسالته ، فاعتذر بتفرّق ذلك من يده ، ووعد بالخلاص ، وماطل فيه .

وفى ليلة رابع عشر شوال منها وصل إليه نجابه أحمد بن خليل الفراء[3] بخلعة وكتاب من صاحب مصر ، فلبس الخلعة ، وقرىء الكتاب بالمسجد الحرام ، فى رابع عشر شوال . ومما فى الكتاب : الوصية بالرعية .

ولما دنا الموسم من السنة التى جرى فيها ذلك تخوّف حسن

---

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٤/٩٩ ، وإتحاف الورى ٣/٤٢٥ .

(٢) فى الأصل « الربح » ، والمثبت عن المرجعين السابقين .

(٣) هو أحمد بن خليل بن حسن الأنصاري المكي ، المعروف والده بالفراء . وكان من الحفاظ ، وعني بالكتابة وحسن الخط ، كان يخدم الدولة فى مكة ، ويسافر لهم إلى مصر . قتل فيما بين العقبة وينبع فى إحدى سفراته فى ربيع الآخر سنة ٨١٣ هـ . (العقد الثمين ٣/٣٧ برقم ١٥٤٣) .

من لقاء الحاج المصري ، لكثرة من فيه من الترك ، فإنهم كانو نحو مائتي نفر ـــ فيما قيل ـــ وكانت خيله قليلة ، وما خرج إليهم إلا بجمع كثير جدا ، فهالهم ذلك فخلعوا عليه على العادة . ودخل مكة وخدم الحاج .

وكان المحلي قد غلب على ظنه أن حسنا لايعيد إليه شيئا من ذلك ، فسعى فى إحضار عِنَان بن مُغَامِس بن رُمَيْثَة إلى مصر ، فحضر إليها من الإسكندرية ـــ وكان معتقلا بها ـــ ونوّه له المحلي بولاية مكة ، فاخترمت المنية عِنَانًا قبل ذلك ، ووصل نعيه إلى مكة فى آخر ربيع الآخر من سنة خمس وثمانمائة ، وكانت وفاته فى أول الشهر الذي قبله .

وفى خامس جمادى الآخرة سنة خمس وثمانمائة وصل من مصر خلعة للسيد حسن مع نجابة ابن خليل ـــ ولبسها يوم السبت سادس عشر الشهر المذكور بالمسجد الحرام . وفى آخر الشهر وصل خادم من جهة السلطان ، يقال له بُلْبُل العلائي ، مشد الحوش ، وخلع على السيد حسن خلعة ـــ وكان مقيما بعرفة فى هذا التاريخ وقبله بمدة ـــ.

وفى هذه السنة أرضى المحلي بعشرة آلاف مثقال ـــ التزم له بها ، ووعد بخلاصها فى الموسم .

وفى هذه السنة أمر السيد حسن غلمانه بالاستيلاء على غلال أموال الأشراف آل أبي نمي .

وفى سنة ست وثمانمائة قصده جماعةٌ منهم لاستعطافه ، وما شعر بهم إلا عند منزله ، فعطف عليهم .

وفى سنة ست وثمانمائة استخدم بجدة الفقيه جابر بن عبدالله الحراشي[١] ، وفوض إليه الأمر فى جميع ما يصل إليها من جهة الشام واليمن ، فنهض بخدمته نهوضا لم ينهض بمثله أحد من خدامه فيما مضى ، وعمر الحراشي الموضع الذى يقال له الفرضة بجدة ، ليحاكى به فرضة عدن ، وقرر لبنى حسن الرسوم التى يتناولونها الآن ، وجعلها لهم فى ثلاث حُلَاتٍ[٢] ، وأبطل رسومهم السابقة[٣] ، وكانت تؤخذ من التاجر مع الجبا ، فلم يجعل لهم على التجار سبيلا ، فأراح التجار من مطالبتهم .

وفى سنة ست وثمانمائة — فيما أظنه — بعث حسن رتبة إلى حَلْي ، مقدمهم على بن كُبَيْش[٤] ، فاستغفلهم بعضُ جماعة موسى صاحب / حَلْي ، وفتكوا فى أصحاب حسن بالقتل وغيره . ١٥٠و

---

(١) هو جابر بن عبد الله ، المعروف بالحراشي ، تردد على مكة مرات كثيرة ، وخدم الشريف حسن بن عجلان ، وفوض إليه أمر جدة وغيرها . ولم يكن وفياً لمخدومه ، وآل به الأمر إلى أن شنق فى ذى الحجة سنة ٨١٦ هـ على باب المعلاة . (العقد الثمين ٤٠٠/٣ برقم ٨٧٠) .

(٢) فى الأصل « جلاب » ، والمثبت بضبطه عن العقد الثمين ١٠٠/٤ ، وإتحاف الورى ٤٣٦/٣ .

(٣) فى الأصل « السالفة » ، والمثبت عن المرجعين السابقين .

(٤) هو علي بن كبيش بن عجلان الحسني ، نائب مكة . مات فى ذى الحجة سنة ٨٣٨ هـ . (الضوء اللامع ٢٧٦/٥ برقم ٩٣٨) .

وفى سنة ست ـــ أو فى سنة سبع ـــ وثمانمائة توجه الحراشي إلى حَلْي ، وبنى فيها مكانا يتحصن فيه أصحاب حسن ومن انضم إليهم ، وحفر حوله خندقا .

وفى سنة ست وثمانمائة أتى الخبرُ إلى حسن بوفاة القاضى برهان الدين المحلي ، فاستراح من طلبه .

وفى آخرها توفى ابنه القاضى شهاب الدين أحمد بن المحلي بمكة فى آخر ذى القعدة ، وبين وفاتيهما تسعة أشهر أو نحوهما . فنال من تركة الولد أشياء طائلة ، ووجد فى ديوان ابن المحلي : أن الذى صار للسيد حسن من زكائبه ألف وأربعمائة زكيبة .

وفى سنة سبع وثمانمائة أتاه طالب بمال المحلي ، فماطل .

وفيها شفع إليه الملك الناصر أحمد بن إسماعيل(١) صاحب اليمن فى تركه التشويش على موسى صاحب حلي ، فما أبعده . وحَثَّه على الموافقة أديب العصر القاضى شرف الدين إسماعيل بن المقرى(٢) اليمني ، بقصيدة مدحه فيها . أولها :

---

(١) هو الملك الناصر أحمد بن إسماعيل بن العباس بن علي بن داود بن يوسف ابن عمر بن رسول ، صاحب اليمن . ملكها بعد وفاة أبيه الأشرف إسماعيل في سنة ٨٠٣ هـ ، ومات في سنة ٨٢٧ هـ ودفن بتعز . (غاية الأماني ٢/٥٥٨ ، ٥٦٦) .

(٢) هو إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله المقري بن علي بن عطية الشغدري الشاوري ، شرف الدين أبو محمد . توفي سنة ٨٣٧ هـ . (الضوء اللامع ٢/٢٩٢ برقم ٩١٤ ، والبدر الطالع ١/١٤٢ ، وشذرات الذهب ٧/٢٢٠ ، والأعلام للزركلي ٢/٢٦٢) .

أحسنتَ فى تدبيرِ مُلْكِكَ يا حَسَنْ
وأجدتَ فى تحليـل أَخْـلاَطِ الفتـنْ

ومنها :

موسى هزبـرٌ لايُطَـاقُ نِزَالُـــهُ
فى الحرب لكن أينَ مُوسَى مِنْ حَسَنْ
هَذاكَ فِي يَمَـنٍ وماسَلِـمَتْ لَهُ
يَمَنٌ وَذَا فِي الشام لَمْ يَدَعِ اليَمَنْ

قلت : ولنذكر بقيتها . فقال بعد البيت الأول .

ماكنتَ بالنزقِ العجولِ إلى الأذى
عند النزالِ (١) ولاالضعيفِ أخي الوَهَنْ
تُمْسِي ورأيُكَ عَنْ هَوَاكَ مُعَوَّقٌ
والغِرُّ مُلْقٍ فِي يَدِ الأَهْوَا الرَّسَن (٢)
داءُ الرياسةِ فى مُتَابَعَـةِ الهَـوَى
ودَوَاؤُهَا فى النَّفْـعِ بالوَجْـهِ الـحَسَنْ
وإذا الفتى استَـقْصَى لِنُصْرَة نفسه
قَلَبَ الصديقُ لِحَرْبِهِ ظَهْرَ المِجَنّ
لاتُصْغِ إنْ شرٌّ دعـــا فالشرُّ إنْ
تَنْهَضَ له يَنْهَضْ وإنْ تَسْكُنْ سَكَنْ

(١) كذا فى الأصل ، وفى إتحاف الـورى ٤٤٤/٣ ، وسمط النجـوم العـوالي ٢٦٢/٤ « عند النزاع » .

(٢) فى الأصل « والغير ملقى فى يد الأهوى الرسن » ، والمثبت عن إتحاف الـورى ٤٤٥/٣ ، وسمط النجوم العوالي ٢٦٢/٤ .

وسَدِيـــدُ رَأْيٍ ،لا يُحَـرِّكُ فِتْنَـــةً
سَكَنَتْ وإنْ حَرَّكْنَهُ الفِتَنُ أَطْمَـأَنْ
رَدُّ العَـدُوِّ إلى الصداقـة حِكْمَـــةٌ
صَفَّتْ مِنَ الأكدار عَيْشِ ذَوِى(١) الفِطَنْ
بالسيفِ والإحسانِ تُقْتَنَصُ العُلَـى
وحُصولُهَـا بهمـا جَمِيعًـا مُرْتَهَـــنْ
لاخيـرَ فى مِنَـنٍ ولَا سَيْــف لَهَـــا
مَاضٍ ولَا فِي السَّيْفِ [لَيْسَ](٢) له مُنَنْ
فى السيفِ جَوْرٌ فاجتنبْ تحكِيمَـهُ
مَالَـمْ يَضِع أمرُ المهيمنِ أَوْ يَهُـنْ
أَمَّـا حُلَـيٌّ فإنَّ خَوْفَك لَـــمَ يَدَعْ
أَهْــلاً بها للزائريـــن ولا وَطَـــنْ
أجلــيتهم عنها وجَسْمُكَ(٣) وَادِعٌ
فى مَكَّةٍ لَـمْ يُحْوِجُوكَ إلَى ظَعَـنْ /
تركـوا لك الأوطـــانَ غير مدافــع ١٥٠ظ
وتعلقـــوا بذُرَى الشوامخ والقُنَـــنْ
حفظـوا نفـوسًا بالفِـــرَارِ أَظَلَّهـــا
سيـفٌ عَلَى الأرواحِ لَيْسَ بمؤْتَمَـنْ

---

(١) فى الأصل « أولى الفطن » ، والمثبت عن المرجعين السابقين .
(٢) بياض فى الأصل بمقدار كلمة ، والمثبت عن المرجعين السابقين .
(٣) فى الأصل « وجيشك » ، والمثبت عن المرجعين السابقين .

وحفظُهَا بالفَرِّ أَكْبَرُ شاهد
لكَ بالعُلى فَلِمَ التأسّفُ والحَزَنْ
فاغمِد سيوفَكَ رغبةً لارَهْبَةً
مافِي قَتِيلٍ فَرَّ مَرْغُوبَا سِمَنْ
وَأَكْرِمْ سيوفَكَ عن دِمَا طُرَدَائِها
فالحرُّ يُكْرِمُ سَيْفَهُ أنْ يُمْتَهَنْ
قد كَانَ لا يرضى يَخُطُّ بِسَيْفِهِ(١)
فى ظهرِ مَنْ وَلَّى أَبُوكَ أَبُو الحَسَنْ
وقد اقتدرتَ وباقتدارِ ذَوِى النُّهَى
تَنْحَلُّ(٢) أَحْقَادُ الضغائن والإِحَنْ
مُوسَى هِزَبْرٌ لايطاقُ نِزَالُهُ
فى الحرب لَكِنْ أَيْنَ مُوسَى مِنْ حَسَنْ
هذاكَ فى يمنٍ ومَاسَلِمَت له
يَمَنٌ وَذَا فِي الشام لَمْ يَدَعِ اليَمَنْ
فانظرْ إلى مُوسَى وَقَدْ وَلعَتْ بِهِ
لَمَّا سَخِطتْ عَلَيْهِ أَحْدَاثُ الزَّمَنْ
ذاقَ المَرَارَ لِفَرْقِهِ(٣) أوطانه
فَقِهِ مَرَارَةَ فُرْقَةِ الرُّوحِ البَدَنْ

(١) كذا فى الأصل ، وفى إتحاف الورى ٤٤٥/٣ « يجرد سيفه » .
(٢) كذا فى الأصل . وفى إتحاف الورى ٤٤٦/٣ « تنسل » . وفي سمط النجوم العوالي ٢٦٣/٤ « تنفل » .
(٣) كذا فى الأصل . وفى المرجعين السابقين « لفوته » .

لو شئتَ. وهوَ عَلَيْكَ سَهْلٌ هَيِّنٌ
لجمعتَ بين الجَفْنِ مِنْهُ والوَسَنْ
بِعْ مِنْهُ مُهْجَتَهُ وخُذْ مَا عِنْدَه
عِوَضًا(١) يَكُنْ مِنْكَ المُثَمَّنُ وَالثَّمَنْ
هذِى مُسَاوَمَةُ الفحولِ وَمَنْ يَبِعْ
مَابِعْتَ لم يَعْلَق بصَفْقَتِهِ الغَبَنْ
جئنا بِحُسْنِ الظَّنِّ نَسْأَلُكَ الرضَى
والعفوَ عنه فلاتُخَيِّبْ فِيكَ ظَنّ
فالحرُّ يُكْرِمُ سَائِلِيهِ يَرَى لَهُمْ
فَضْلاً إذا ابْتَدَءُوهُ بالظنّ الحَسَنْ
ويُهِينُ سَائِلَه اللئيمُ لِظَنِّهِ
فِي مِثْلِهِ خَيْرًا وَذِلِكَ لاَيُظَن
لَازِلْتَ بالشَرَفِ المُخَلَّدِ بانِيًا
شَرَفًا ومَجْدًا ثَابِتًا لِبَنِي حَسَنْ

فلما وقف عليها الشريف حسن أعطاه على كل بيت ألف درهم ، وعلى بيت القصيدة أربعين ألف درهم ، وهو قوله :

مُوسى هِزَبْرٌ لايُطَاقُ نِزَالُهُ
فى الحربِ لكن أَيْنَ مُوسَى مِنْ حَسَنْ

(١) كذا فى الأصل . وإتحاف الورى ٣/٤٤٦ . وفى سمط النجوم العوالي ٤/٢٦٧ « ثمنا » .

وصالح الشريفُ حسن موسى على أن يؤدي إليه مالاً معلوما كل سنة . انتهى .

قال الفاسي(١) : وفى أوائل سنة ثمان وثمانمائة ورد عليه كتابُ الملك الناصر(٢) صاحب مصر يخبره فيه بهزيمته لأعدائه بالسعيدية(٣) ، ورجوعه إلى كُرْسِي مملكته بقلعة الجبل بمصر ، والذى وصل إليه بذلك بعض جماعة الأمير إينال باي المعروف بابن قجماس(٤) ــ وكان إليه تدبير المملكة بمصر ــ راجيا للبِرِّ من السيد حسن ، فما خَيَّب أمله ، وأمر بقراءة ختمة ، وبالدعاء عقيبها للملك الناصر ، وكتب بذلك / محضرا أُنفِذ مع حامل كتابه . ١٥١و

وفى ثانى ربيع الآخر وصل إليه من صاحب مصر خلعة مع خلعة القاضى جمال الدين بن ظهيرة(٥) بولاية قضاء مكة ، فلبس

(١) العقد الثمين ١٠٢/٤ .

(٢) أي الناصر فرج بن برقوق .

(٣) السعيدية : قرية أنشأها الملك الظاهر بيبرس بين بلبيس والخطارة بأرض مصر ، تيمناً باسم ولده السعيد محمد بركة خان ، وصارت مركزاً من مراكز البريد ، وقد اندثرت هذه القرية ، ومكانها حالياً عزبة الشيخ مطر حنفي ، وتقع على فم ترعة السعيدية بمركز الزقازيق ، محافظة الشرقية . (هامش النجوم الزاهرة ٢٥٢/٨) . وانظر فى وقعة السعيدية : النجوم الزاهرة ٣١٨/١٢ ــ ٣٢١ .

(٤) فى الأصل « قشماش » ، والمثبت عن السلوك للمقريزي ١/٤ : ٧ ، ٨ ، ٩ . والنجوم الزاهرة ١٦٩/١٣ ، والدليل الشافي ١٧٧/١ برقم ٦٢٧ ، والضوء اللامع ٢٢٦/٢ برقم ١٠٦٥ .

(٥) هو محمد بن عبد الله بن ظهيرة بن أحمد بن عطية بن ظهيرة القرشي المكي . توفي سنة ٨١٧ هـ . (العقد الثمين ٥٣/٢ برقم ٢١٣) .

كل منهما خلعته .

وفى آخر هذه السنة ذهب إلى الشرق ، ثم إلى لِيَّة ، وحارب بعض أهلها واستولى على بعض حصون من حاربه .

وفي هذه السنة أمر بهدم بَيْتَيْ حسبِ الله بن سليمان بن راشد(١) ، والخان المعروف به وغيره ، لأن شخصا يُقَال له سلمان(٢) شكا إليه من ابن راشد [وبعد أيام قتل سلمان غيلة ، فاتُّهم بقتله بعض أصحاب ابن راشد ، وما استطاع ابن راشد](٣) أن يتظاهر بمكة ، حتى أذن له فى ذلك السيد حسن بعد سنتين ، مع كونه صهرا لبعض أعيان القواد العمرة .

وفى سنة تسع وثمانمائة تغير السيد حسن على الحَرَاشي ؛ لخبث لسانه ، وامتنانه عليه بالخدمة . وقبض عليه في رمضان وبعثه إلى مكة ، وسجنه بها إلى الموسم . ثم أطلقه بشفاعة الإمام صاحب صنعاء باليمن . وكان قد استقصى أمواله ، فمنَّ عليه بشيء منها عند إطلاقه .

وفى سنة تسع وثمانمائة سأله التجارُ الذين بمراكب الكارم أن ينجلوا بجدة لخراب مراكبهم . فأجاب سؤالهم ، ووافقوه على تسليم ما شرطه عليهم . وقيل إن الذى حصل له من التجار ، ومن الحراشي

(١) أورد النجم بن فهد وفاته فى إتحاف الورى ٣/٦٤٩ فى سنة ٨٣٠ هـ ، وانظر الضوء اللامع ٣/٩٠ برقم ٣٦٣ .

(٢) هو المقرئ المؤدب سلمان بن حامد بن غازي بن يحيى بن منصور العامري الغزي . (إتحاف الورى ٣/٤٤٩) .

(٣) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٤/١٠٢ ، والمرجع السابق .

نحو أربعين ألف مثقال .

وفى سنة تسع وثمانمائة أيضا سعى لابنه السيد بركات فى أن يكون شريكه فى إمرة مكة ، فأجيب سؤاله ، ووصل لابنه تقليد مؤرخ بشعبان سنة تسع وثمانمائة ، وأكبر ظني أنه فى النصف [الثانى][1] من شعبان سنة عشر وثمانمائة [وفيها][2] ذهب إلى الشرق فى زمن الصيف ثم عاد إلى مكة .

وفى هذه السنة قدم المدينة زائرا من الشرق فى جمع كثير ، فخاف منه أهل المدينة ، وتزوّج ببعض أقارب أميرها جَمَّاز بن هِبَة .

وفيها أيضا حمل إلى القاضى الشافعي بمكة جمال الدين بن ظهيرة ثلاثين ألف درهم عوضا عن مالٍ كان أخذه ليتم تحت حجرِ الحُكْمِ العزيز بمكة ، واستحسن الناسُ [منه][1] تخليص ذِمَّتِهِ .

وفيها وقف دارين بمكة صارتا إليه بالشراء من ورثة العماد عيسى بن الهليس[3] ـــ يعنى بالسويقة على رباطه .

(١) إضافة عن العقد الثمين ١٠٣/٤ .

(٢) إضافة على الأصل .

(٣) هو عيسى بن عبد الله بن خطاب القرشي المخزومي اليمني ، نزيل مكة . كان من أعيان التجار باليمن ، وقدم إلى مكة ، وأقام بها نحو خمسة عشر عاماً متوالية . مات فى رجب سنة ٨٠٢ هـ . (العقد الثمين ٤٥٩/٦ برقم ٣١٨٥) .

وفيها تشوش لانقطاع أخبار مصر عنـه ، فبعث القـاضى أبـا البركات بـن أبى السعـود بن ظهيرة(١) يتعـــرف له الخبر ، ويسد ما لعلـه يجد من خلـل ، ووَكَّلَـهُ فيمـا له من الـرسم بمصر ، وأمره أنـه لايظهـر وكالتـه عنـه إن كان وكيلـه القـاضى نور الديـــن بن الجلال الطنبذي غير متوار . فخالف ما أمره به من أمر الوكالـة ، ومـا وجـد عليـه خلـلا ؛ لأن صاحب مصر كان بعث إليـه تشريفـاً وكتابـــا يتضمن دوام ولايته مع أمير من جهتـه ، ووصل ذلك إليـه فى رمضان من هذه السنة قبل وصول قاصده المذكور إلى مصر .

وفى رمضان من هذه السنة وصل إليه الشريفـان وُبَيْر ومُقْبِـل ابنـا مِخْبَـار ، أميرا ينبـع مواليين له ، فأقبـل عليهمـا ـــ وكان بينـــه وبينهمـا وحشة فزالت ـــ وحلفـا له ، وحلـف لهمـا على التنـــاصر ، وأحسن إليهما بمال جيد .

وفى رمضان من هـذه / السنـة وقـف عدة وجـاب بالمنيـــة ١٥١ظ والعقيق والفتيـح والريـان ، بعضهـا على رباطـه ، وبعضهـا على ربـاط ربيع ، وبعضها على رباط مُوَفّق ، وبعضهـا على ربـاط العِزّ ، وربـاط العَبَّاس ، وبعضها على الأشراف من أقاربه .

وفيها وصل إليـه هدية طائلـة من صاحب بَنْجَالَـة السلطان

---

(١) هو محمـد بن محمـد بن حسين بن علي بن أحمد بن عطيـة بن ظهيرة ، توفي سنة ٨٢٠ هـ . (العقد الثمين ٢/٢٨٧ برقم ٣٩٥) .

غياث الدين أعظم شاه(١) ، ووزيره خان جهان ، على يد الناخوذة(٢) محمود ، ووصلت معه صدقة من السلطان المذكور لأهل الحرمين ، وخلع لقضاة الحرم وأئمته وغيرهم من أهله .

وفيها وصل إليه هدية من صاحب كِنْبَاية(٣) ، وكتاب يخبره فيه : بأنه أُنْهِيَ إلينا أن الناس فى يوم الجمعة لايجدون مايستظلّون به عند سماع الخطبة بالمسجد الحرام ، وأن بعض الناس ـــ وسَمَّى جماعة منهم الشيخ موسى : يعنى المناوي ـــ استحسنوا أن يكون هناك ما يستظل به الناس . وإنّا أرسلنا بخيام يستظلُّ فيها الناس . فأمر بنصب الخيام ، فنُصِبَت حول المطاف مدّةً قليلة ، ثم صارت إليه . وكان فى نصبها ضرر لما يحصل للناس من العثار فى حبالها . وكان نصبها بعد سفر الحاج المصري من مكة .

وفى هذه السنة أيضاً مكَّنَ المصريين من القبض على أمير الحاج الشامي(٤) بسؤالهم له فى ذلك . وصورة ما فعل : أنه أتى إلى

(١) هو السلطان غياث الدين أبو المظفر أعظم شاه بن إسكندر شاه ، صاحب بنجالة من بلاد الهند . توفي سنة ٨١٤ هـ . (العقد الثمين ٣/٣٢٠ برقم ٧٩٤) .

(٢) الناخوذة : لفظ فارسي معناه ربان السفينة . (هامش السلوك للمقريزي ٢/٤ : ٦٨١) .

(٣) كنباية : ولاية من ولايات الهند قائمة بذاتها ، وعاصمتها تسمى بها . وهي ذات أبنية عظيمة ،كان يرد منها القماش والتيل والللك والكابلي . (حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور لابن تغري بردي ص ٢٨٦) .

(٤) وكان يسمى قرقماش . (إتحاف الورى ٣/٤٥٩ ، ودرر الفرائد ٣١٨) .

أمير [الحاج][١] الشامي في جماعة من أصحابه ، وهو عند مقام الخليل لصلاة الطواف فى نفر قليل جدا ، فقال له : تذهب تسلم على أمير الحاج المصري[٢] . فقال له : فى غير هذا الوقت . فما مكنه حسن من ذلك ،ومضى به إلى أمير الحاج المصري فَقُيِّد .

وفي سنة إحدى عشرة وثمانمائة ــ في المحرم ــ ندب القائدَ سعدَ الدين جبروة إلى مصر بهدية طائلة ، ليسعى له فى أن يكون ولده السيد أحمد شريكا لأخيه بركات فى إمرة مكة ، فأجيب إلى ذلك .

وولي حسن نيابة السلطنة بالأقطار الحجازية ، وذلك فى العشر الوسط من ربيع الأول سنة إحدى عشرة ، ووصل إليه رسول بغتة فى النصف الثانى من ربيع الثانى من السنة المذكورة ، ووصل معه خلعة للمذكور ، وخلعتان لولديه ، وكتاب من السلطان يشهد بولايتهم لما ذكر .

وفى آخر ربيع الآخر منها وَلّي إمرة المدينة لعجلان بن نُعَيْر ابن جَمَّاز بن منصور عوض أخيه ثابت بن نُعَيْر ، وكان قد عاد لإمرة المدينة ، وعزل عنها جَمّاز ، وما وصلت ولايتهُ إلاّ بعد موته .

وبعث حسن إلى جَمَّاز يعلمه بعزله ، وينهاه عن التعرّض لما فى حاصل الحرم ، فكان ذلك سبب إغرائه ؛ لأنه نهب ما فى

(١) إضافة على الأصل .

(٢) وهو بيسق بن عبد الله الشيخي الظاهري . وانظر المرجعين السابقين .

حاصل الحرم ، وخرج من المدينة قبل أن يصل إليها عجلان ،وكان حسن أَمَرَه بالمضيِّ إليها ، فمضى على طريق الشرق ليضم إليه جماعته ويسير بهم إلى المدينة . وبعث حسن ابنه أحمد فى جماعة من بنى حسن إلى المدينة على طريق الجادة ، فوصلوها بعد خروج جَمَّاز منها .

ولما دخل عجلان إلى المدينة صار الخطيبُ بها يدعو للسيد / ١ٵ٢و
حسن على المنبر فى الخطبة قبل عجلان ، وبعد السلطان . واستمرّ له الدعاء فى الخطبة ، وبعد المغرب على سُدَّة المؤذنين إلى أن زالت ولاية عجلان فى وقت وصول الحاج الشامي للمدينة ، فى النصف الثاني من ذى القعدة سنة اثنتي عشرة وثمانمائة[١] .

وفى سنة إحدى عشرة وثمانمائة نزل السيد حسن بعرفة مدة ثم مضى إلى جهة اليمن [حتى][٢] بلغ مكانا يقال له البُدَيع[٣] .

وفى آخر هذه السنة أخذ من العفيف عبدالله بن أحمد الهِبِّيّ خمسة آلاف مثقال ــ على ما قيل ــ عوضا عن بَيْتِ شَعْرٍ بعثه لصاحب اليمن ، لما طلب ذلك منه صاحب اليمن ، وما كان عَوَّضه عن ذلك .

---

(١) وانظر الخبر بأوضح مما هنا فى إتحاف الورى ٣/٤٦٣ ــ ٤٦٥ .

(٢) إضافة عن العقد الثمين ٤/١٠٦ .

(٣) البديع . لم نقف على تعريف بهذا المكان ، ولعله البديع : إحدى قرى جازان في منتصف الطريق بينها وبين أبي عريش . (بين مكة واليمن ٢٧٠ ، ٢٧٣) .

[وفى سنة إحدى عشرة عمّر دورا عدة فى المكان المعروف بدار عيسى ، وكان المتولى لأمر عمارتها الحراشي ، وكانت قبل عمارتها براحا مُتَّسِعًا مملوءا بالأوساخ ، حتى صار كالمزبلة] (١).

وفى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة وصل الخبر إلى مكة بأن صاحب اليمن أمر بحَبْس الجِلاَب عن مكة غَضَبًا على حسن ، بسبب ما أخذه من سفيره العفيف عبدلله الهِبِّيّ ، فشق ذلك على السيد حسن ، فأغراه الحراشي بغزو اليمن ، وقال له : أنا أقوم بجهازك ، وأجمعُ لَكَ الرجال من اليمن ، فتحرك لذلك ، ثم أُشِيرَ عليه بالملاطفة فمال إليها ، وبعث الشبيكي إلى اليمن رسولا يعتذر ، ويلتزم عنه بما يُطَيِّبُ الخاطر ، وهدية للتُّرْكِ ، فقبل ذلك السلطان ، وأذن للناس فى السفر ، فقدموا ولكن دون العادة .

وفى هذه السنة وصل إليه خلعة من صاحب مصر ، فلبسها في شعبان .

وفيها تغيّر صاحب مصر على السيّد حسن ، فرسم بالقبض عليه وعلى ابنيه ، وعزلهم والاحتفاظ بهم (٢) ، وأسَرَّ ذلك إلى أمير الحاج المصري الأمير بَيْسَق ، فاستعد لحرب المذكور ، وحصَّلَ مدافع وسلاحا كثيرا ، ثم سُعِيَ عند السلطان فى تقرير المذكورين فى

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ١٠٦/٤ ، وإتحاف الورى ٤٦٥/٣ .

(٢) فى الأصل « عليهم » ، والمثبت عن العقد الثمين ١٠٧/٤ ، وإتحاف الورى ٤٧٠/٣ .

وِلَايَاتِهم على أن يخدمه السيد حسن بما يليق بمقامه ، فأجاب إلى ذلك ، وبعث إليهم بالعهد والخِلَع مع خادمه الخاص فيروز الساقي ، وكتب إلى أمير الحاج المذكور بالكَفِّ عن محاربتهم ، وكان قد أعلن بينبع أنه يريد حرب حسن ، وكان حسن قد استعد لحربه لَـمَّا بلغه الخبر في عشر ذى القعدة ، وما انقضى شهر القعدة إلا وعنده ـــ فيما بلغني ـــ نحو ستمائة فرس ، وأربعة آلاف من الأعراب غير بنى حسن والمولدين والعبيد .

وبينما الناس في كرب لهذا الحال ، أتاهم من اللطف [ما][(١)] لم يخطر لهم ببال ، وذلك أنه وصل مَنْ أخبر بوصول فيروز ، وما معه من العهد والخلع للمذكورين . وما كان غير قليل حتى وصل فيروز ، فألبس المذكورين الخلع السلطانية وقرئ عهدهم بالولاية ، وسعى عند السيد حسن لأمير الحاج فى دخول مكة والإغضاء عنه ، فأجاب سؤاله على أن يسلِّم أمير الحاج ما معه من السلاح ، فأجاب إلى ذلك أميرُ الحاج على أن يعاد إليه سلاحه عند سفره ، فأمضى له شروطه . ودخل مكة ، واجتمع بالسيد حسن بمنزله بأجياد ، فأحسن ملاقاته ، ولم يجتمعا بعد ذلك ، وسلّم إليه سلاحه عند سفره من منى .

وما حجّ السيد حسن ولا غالب عسكره / فى هذه السنة ، ١٥٢ظ
وحجَّ قليلٌ من أهل مكة خائفين ، وذهب للناس أموالٌ كثيرة ،

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٤/١٠٧ .

وجُرِّحُوا ، ولولا كَفّ السيد حسن أصحابه عن إذاية الحجيج لكثر عليهم العويل والضجيج . وتأخر فيروز عن الحجاج بمكة ، لقبض ما التزم به السيد حسن من الخدمة ، وذلك ألف زكيبة للسلطان غير ما لفيروز . ومضى بعد أيّام إلى جُدّة فشحنت الزكائب بحضوره ، ووصلت سالمة إلى الطور ثم إلى مصر . ويقال إنها بيعت فيها بخمسين ألف مثقال .

وفى سنة ثلاث عشرة وثمانمائة : وَدَى السيد حسن الإمامَ أبا الخير ابن الشيخ أبي اليمن الطبرى(١) من عنده ، وسلم الدية دراهم إلى ورثته وإخوته ؛ لأن بعض مماليكه ــ فيما قيل ــ طَعَنَ أبا الخير ليلا ، وهو لايشعر به ، لظنه حرامِيًّا ،فمات لوقته . وكان قتله فى صفر ، وتسليم دِيَتِهِ فى ربيع الأول فى سنة ثلاث عشرة .

وفيها ــ فى ربيع الآخر ــ وصل إليه تشريف من صاحب مصر ، فلبسه في العشرين من الشهر المذكور . وكان جهز إليه مع نجابه أحمد بن خليل ، فقتل فى الطريق (٢) ، ووصل إليه ذلك مع بعض رفقته .

وفيها وصل له من صاحب بَنْجَالة السلطان غِياث الدين

(١) هو الشيخ أبو الخير محمد بن أبي اليمن محمد بن أحمد بن الرضي الطبري . (الضوء اللامع ٩/٢ برقم ٦) .

(٢) أضاف إتحاف الورى ٤٨٠/٣ « فيما بين العقبة وينبع فى ليلة سابع ربيع الآخر » .

هَدِيَّة طائلة ، ومن وزيره خان جهان ، ووصل إليه كتاب السلطان بأن يُعِينَ رسولَه يَاقُوتًا الغياثيّ فيما ندبه له من عمارة مدرسة بمكة . وشراء وقف لها . فبَاعَ منه دارين متلاصقين مجاورتين للمسجد الحرام ، وصارتا مدرسة للسلطان غياث الدين بعد هدمهما وإنشاء عمارتهما . وباع منه أيضاً أصيلتين[١] بالركاني ، وأربع وِجَاب[٢] من عين الركاني ، ليكون ذلك وقفا على المدرسة ، وما رضى فى ذلك إلا باثنى عشر ألف مثقال . فسلَّمَ إليه شاشات عوضا عن ذلك ؛ لأنه لم يعذره . وأخذ منه أيضا شيئا كان معه لعمارة عين عرفة على أن يتولّى هو ذلك . وكان السلطان المذكور قد ندب حاجي إقبال مولى جهان خان بصدقة لأهل المدينة ، وهدية لأميرها جماز ، فإنه لم يكن سمع بعزله ولاموته . وكان موته بإثر نهبه للمدينة مقتولا ، وأمر بعمارة مدرسة له بالمدينة ، وشراء وقف لها بالمدينة ، فاتفق أن المركب الذى فيه ما بعث به السلطان لأجل ذلك انصلح فى بعض مراسى الشُّقَّان[٣] ، فأخذ السيد حسن رُبْعَه مع ما كان لجَمَّاز . ويقال إن الذى أخذه من إقبال وياقوت يساوى

(١) الأصيلة : الحديقة أو البستان . وانظر شفاء الغرام ١/٣٢٩ .

(٢) الوجاب : جمع وجبة وهي نصيب مقرر فى ماء العين يقدر باثنتي عشرة ساعة .

(٣) الشقان : جمع شق للدلالة على كثرة الشقوق ، وهي كثيرة بين جدة والليث ، لها ذكر فى القرن الرابع الهجري . وفى أحسن التقاسيم للمقدسي ص ٧٨ وشقان : ميقات أهل اليمن فى البحر ، وهو موضع يقابل يلملم . (من إملاء الأستاذ حسن إبراهيم الفقي) .

ثلاثين ألف مثقال . وكان مع ياقوت صدقة لأهل مكة ، ففرقها عليهم ، وانتفع بها الناس ، وكان معه خلع لقضاة الحرم وأئمته ، وشيخ الحجبة وزمزم ، فأوصلها إليهم .

وفى آخر هذه السنة ـــ بعد الحج ـــ قَبَضَ السيد حسن ما كان للقاضي وَجِيه الدين عبدالرحمن بن جميع مع سفرائه من الأموال ، واستقصى فى ذلك . ويقال إن بعض غلمانه من المولدين هَمُّوا فيه بسوء ، لكونه لم يسمح لهم ولا لغيرهم بشيء من ذلك ، فما تمكنوا منه لِتَيَقُّظِهِ لهم ، فإن خبرهم بلغه من بعض من كان حالفهم عليه من القواد ، وأحسن لمن أعلمه بذلك / ولـغيره من ١٥٣و
القواد ، وأعرض عن المولدين ونفر منهم ، فبانوا عنه ولايموا القواد مدة أشهر . وما كل المولدين بان عنه ، وإنما بان منهم المسيء فى حقه .

وبعث إلى صاحب اليمن يخبره بما أخذ ، ويذكر له أن سببه ما وقع من ابن جميع من استيلائه على ما كان بيد سفير شكر مولاه من المال لشكر . وكان ابن جميع قد تعرّض لسفير شكر لما بلغه ما أخذ بمكة من خاله العفيف عبدالله الهبي ، وبعث مع كتابه بكتاب وصل إليه من مصر من صاحبها الناصر ، يتضمن ذَمّ ابن جميع ، وأمر صاحب اليمن بالقبض عليه ، وتخليص حقوق الناس منه ، وإرساله إلى مصر معتقلا ، فشَقَّ ذلك على صاحب اليمن وأعرض عن الكتابة إلى صاحب مكة . ثم تلطف به فكتب له كتابا . أوله بعد البسملة والصلاة على النبي ـــ صلى الله عليه وسلم :

﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَالاتَفْعَلُونَ ﴾(١) نحن لانقول إلا بما نفعل حسنا ، ولا نرى الأرض وأهلها إلا ودائع معنا ، ولانريد المال إلا للصنائع وحسن الثناء ، ولاندين إلا بالوفاء لمن عاقدنا ، وبالجفاء لمن خادعنا ، وشر الكلام كلام ينقض يومَه غدُه ، وشر المواعيد موعد من لايُصَدِّق لسانَه يدُهُ . وقفنا على كتاب المجلس السامي ــ وذكر له ألقابا ــ ثم قال : فوجدنا فيه ألفاظاً تدعى بالمودة ، وهى مستوحشة من دعواها مُسْتَخْيِيَة(٢) ممن سمعها أو رآها ، وما بالمجلس حاجة إلى أن يقول بلسانه ما ليس فى قلبه ، ويضمر أمرا ويودع غيره فى كتبه .

فَأَرْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنَ تُرَى إلا عَدُوًّا أَوْ صَدِيقَا

أما الشكوى من عبد الرحمن فقد عرفت ممن كان الابتدا ، ومن كافأك فما اعتدى . ومع ذلك فقد حصلت عقود وحساب ، وحصل منا تفضّل واحتساب ، وأمرناه فعوض وانسد الباب . وأما المال فمالعبد الرحمن مال فيستلف ، ولاحال فيستخف ، وأما دفعه فى العام الماضى عن التاجر الذى أوذى ببلده وهو حاضر فما كنا نستغرب منه حفظ الجار ، ولا نظنه يستغربه ، (وإنا لنعجب ممن يَمُنّ بحفظ جاره ، والمصون منصبه(٣) . وأمر التمادي في الذي هو

(١) سورة الصف : آية ٢ .

(٢) كذا فى الأصل ، والعقد الثمين ٤/١١٠ . وفى إتحاف الورى ٣/٤٨٩ « مستهجنة » .

(٣) كذا فى الأصل ، والعقد الثمين ٤/١١٠ . وفى إتحاف الورى ٣/٤٩٠ « وإنا لنعجب ممن لم يحفظ جاره ولا يصون منصبه » .

بيننا بِكَفَّيْك . فاستأخر به أو تقدم . انتهى .

ربما بعض ألفاظ هذا الكتاب أُمْلِيَتْ هنا بالمعنى ، ولم يفت منه إلا ألفاظ يسيرة فى ألقاب المكتوب إليه .

ووصل إليه هذا الكتاب مع القاضى شرف الدين إسماعيل بن المقرى وهو فى جهة اليمن فى آخر رمضان ، أو فى شوال من سنة أربع عشرة وثمانمائة .

ووصل إليه ــ قبيل هذا التاريخ من هذه السنة ، وهو بهذه الجهة ــ كتاب من الملك الناصر صاحب مصر وخلعة ، وعَرَّفه الرسول بذلك : أن السلطان يعتب عليه تقصيره فى الخدمة ، وكان هذا الرسول قد تعوَّق كثيرا فى الطريق ، وتشوَّف حسن لمعرفة الأخبار ، فأمرَ قبل وصول هذا الرسول إليه مولاه مفتاحا الزفتاوى بالسفر إلى مصر ، يتعرف له الأخبار / ، وما قُدِّرَ أنه سافر من مكة ١٥٣ظ
إلا بعد وصول الرسول المذكور إليها . فلما وصل مصر ، وجد الأطماع كثيرة في مولاه ، فحضر عند السلطان وبلّغ رسالته ، واعتذر عن مولاه فى تأخير الجواب ، وذكر أنه يقوم بواجب الخدمة . وعاد إلى مكة مع الحاج .

وشاع أن السلطان أعد نجبا كثيرة ومزادات ، فظنّ حسن أنه يريد الحج فما حَجّ ، وظهر أن تجهيزه إلى الشام .

ولما انقضى الحج من سنة أربع عشرة وثمانمائة ندب السيد حسن سعدَ الدين جبروه إلى مصر بهدية لصاحبها الناصر ، فى

مقابلة ما التزم له به ، فوجده قد توجّه للشام .

وفى سنة أربع عشرة وثمانمائة تصدّق السيد حسن بصدقة جيدة ـــ قيل إنها عشرة آلاف درهم ـــ والصدقة من عادته . والذى حركه عليها فى هذا الوقت أنه مرض مرضا شديدا خِيفَ عليه منه ، فرأى ـــ فيما قيل ـــ النبيّ صلى الله عليه وسلم فى النوم ، ومسح بيده الشريفة عليه ، وأمره بالصدقة ، فشفى بإثر ذلك ، وفعل ما ذكرناه من الصدقة .

وفى العشرين من جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وثمانمائة : وصل للسيد حسن وابنيه خلعٌ ، وكتابٌ للسيد حسن من الخليفة المستعين بالله أمير المؤمنين أبى الفضل العباس بعد عوده إلى مصر من الشام ، وقيامه فى مقام السلطنة[1] عوض الناصر فرج ، لقتله فى صفر من هذه السنة . وكان وصول الكتاب والخلع على يد سعد الدين جبروه .

وكتاب أمير المؤمنين يتضمن : إعلامه بقتل الناصر فرج بسيف الشرع . وأنه فوَّضَ تدبيرَ الأمور بالممالك للأمير شيخ ، ولقَّبَه بنظام الملك . وأنهم على ولاياتهم . وقرئ الكتاب بالمسجد الحرام . وألبس المذكورين الخلع ، وذلك فى يوم [الأربعاء][2] العشرين من جمادى الآخرة ، ودعي فى هذا المجلس للخليفة وللأمير

(١) وانظر سلطنة الخليفة المستعين بالله على مصر عوض الناصر فرج بن برقوق فى النجوم الزاهرة ١٣/١٨٩ ـــ ٢٠٨ .

(٢) إضافة عن العقد الثمين ٤/١١٢ .

شيخ ، ودعـي للخليفـة على زمـزم بعـد المغـرب وفى الخطبـة ـــ وكان الدعاء للخليفـة بمكـة مقطوعـا من دهـر طويـل جدا ـــ وبعـد ذلك بقليل وصل كتاب الخليفـة إلى السيـد حسن يخبره فيـه بالقـبض على عليّ بن مُبَارك . وذلك فى شعبان : أعنى وصول كتابه .

وفى شوال من السنـة المذكـورة ، وهـى سنـــة خمس عشرة : وصل خلـع للمذكوريـن من السلطـــان الملك المؤيـــد أبى الـــنصر شيخ[1] ، بعدما بويع بالسلطنـة بالديـار المصريـة فى مستهل شعبـان من السنة المذكورة ، ووصل منه كتـاب يخبر فيـه بذلك ، وباستقـرار المذكورين فى ولايتهم .

وفى سنـة خمس عشرة أيضا : نفـر الأشرافُ أولاد محمـــد بن عجلان من عمهم السيد حسن ، لأن أحمد بن محمد ضرب مسعوداً الصبحى نائب عمــه بجدة ، لكثرة مطلـه له فى بقيـة حوالـة عليـه . فغضب لذلك عمه ، وأمر بإخراجـه من البلـد ـــ والأمـر أهـون من ذلك ـــ فغضب لأحمد أخوه رميثة ، وأظهر التجهز للخروج ، فمـا ترّضَّاهُ عمه ، فمضى على جهازه حتى كمل ، وخرج وإخوتـه ـــ غير

(١) هو السلطان الملك المؤيد أبو النصر سيف الدين شيخ بن عبد الله المحمـودي الظاهـري ، رابـع السلاطين السلاجقـة ، والثامـن والـعشرون من ملـوك الـترك بالديــار المصرية ، تولى السلطنة بعد عزل الخليفة المستعين بالله أبي الـفضل العبـاس من السلطنـة فى يوم الاثـنين مستهل شعبـان سنـة ٨١٥ هـ ، وتـــوفي فى المحرم من سنـــة ٨٢٤ هـ . (النجـوم الزاهـرة ١٤/١ ـــ ١٠٩ ، والسيـف المهنـد فى سيرة الملك المؤيـد ـــ مقدمـــة التحقيق) .

واحد منهم ـــ صوب القواد العمرة ، فمكثوا عندهم / أياما . ١٥٤و وتكلَّموا مع عمهم فى تطييب خواطرهم فأعرض ، فمضوا إلى ينبع ، ثم إلى مصر ، فما وجدوا بها كبير وَجْه . وحسّن لهم القاضى نور الدين بن الجلال الرجوع إلى عمهم فإنه يرضيهم . فمالوا إلى ذلك ، وتوجهوا مع الحاج حتى بلغوا ينبع . ولما سمع عمهم بوصولهم منع من دخولهم مكة ، فأقاموا بينبع إلى أثناء السنة الآتية .

وفى سنة خمس عشرة : أجاب السيد حسن إلى أن يُعوِّض صاحب اليمن عما أخذه لأبن جميع بثلاثين ألف مثقال ، تؤدى إليه فى كل سنة عشرة آلاف ، لأن ابن جميع أظهر أن الذى أخذه له حسن بمكة لايساوى إلا هذا المقدار ، لئلا يكثر فيه طمع مخدومه ، وقال سرا : إن ذلك يساوى ثمانين ألف مثقال . حكى ذلك عنه الجمالُ المصريُّ بنخل زبيد . وكان ممن سَعَى فى ذلك عند السيد حسن مولاهُ القائد زين الدين شكر ، لأنه كان قدم إلى اليمن فى أثناء هذه السنة ـــ بعد أن وصلته ذمة من صاحب اليمن ـــ فلما اجتمع بصاحب اليمن سأله فى إطلاق الجلاب إلى مكة ، فقال : لايكون إلا بعد تسليم المال . فوافقه على القدر المذكور . فرضي به السلطان . وعاد شكر إلى مكة فبلغها فى العشر الأخير من رمضان ، فعَرَّف مولاه الخبر ، فما أمكنه إلا الموافقة . وسافر من مكة فى أوائل شوال ، بعد أن حَصَّل عروضا من القماش والحرير يساوى ذلك . فلما بلغ كمران[1] أقبلت الجلاب إلى مكة ، لأن

(١) كمران : جزيرة بالبحر الأحمر قبالة زبيد باليمن . (معجم البلدان لياقوت) .

السلطان قال لهم : إذا وصل إليكم شكر فاذهبوا إلى مكة . وكان لهم بكمران مدة على نية التنجيل بينبع ، وكان المقدم على الجلاب القاضي أمين الدين مفلح التركي المكي الناصري . فوصلوا إلى مكة فى أوائل العشر الوسط من ذى القعدة ، ونجلت الجلاب بجدة . وتوجّه بعد الحج إلى اليمن ، بعد أن جمع أعيان الناس من أهل مكة والمجاورين بها لقراءة ختمة شريفة بالمسجد الحرام ليلا ، وأمر بإهداء ثوابها لمخدومه ، وبالدعاء له ، واحتفل بإحضار شمع كثير أُوقِدَ فى حال القراءة ، وإحضار بخور وطيب للحاضرين . وعمل فى صبيحة هذه الليلة سماطا عظيما حضره الأعيان من الناس وغيرهم ، وفعل فى مدة مقامه بمكة معروفا كثيرا .

وفى موسم هذه السنة أقبل السيد حسن على الحراشي ، وكان قد نافر السيد حسن فى سنة اثنتى عشرة ووشى به إلى الناصر صاحب مصر ، مع من وشى به ، وكان ممن أبلغ فى ذلك ؛ لكونه يعرف حاله لخدمته له . فلما خاب سعيه فى حسن ؛ لرجوع الناصر عما كان وافق عليه من عزله أقام الحراشي بينبع ، ولايم ولاتها ، واكتسب مالا ، وصار يغرى صاحب اليمن بحسن ، فأشار حسن إلى إخراجه من ينبع ، فتوجه إلى مصر فلقى بها سوءاً . وأمر السلطان بإيصاله إلى حسن ، ووصل مع الحاج إلى مكة والباشة(١) فى عنقه ، فرآه حسن في هذه الحالة وحَيَّاه . ونزل برباط

---

(١) الباشة : قيد كالحلقة . يوضع في العنق ، أو اليدين والرجلين ، يتصل بسلسلة من الحديد يقال لها الجنزير . (هامش السلوك للمقريزي ٢/٣ : ٨٨٣) .

الشرابي[١] عند الأمير[٢] ، وكان يخرج ليلا للطواف مع بعض غلمان الأمير . فلما كانت ليلة التروية خرج كذلك / وانفلت ممن هو موكل به ، ومضى إلى مكي بن راجح[٣] ــ وكان موادًّا له ــ فَعَرَّفَ به حسنا ، فما راعه ولا دَلَّ عليه . فلما انقضى الموسم ظهر جابر ، وكثر تردده للسيد حسن ، وحلف كل منهما للآخر على الوفاء بالصحبة ، ففوَّضَ إليه السيد حسن أمرَ جدة ، فحصّل له ما أرضى به صاحبَ اليمن من التجار ، من غير كثير ضرر يلحقهم فى ذلك ، ومازال فى خدمته حتى شُنِقَ ــ لاتهامه بالميل مع رميثة بن محمد بن عجلان ــ فى ليلة النصف من ذى الحجة ــ سنة ست عشرة وثمانمائة ، بباب المعلاة . وفى هذه الليلة شُنِقَ ابنهُ محمد بن جابر بباب الشُّبَيْكَة[٤] .

(١) رباط الشرابي : هو رباط الأمير الشرابي المستنصري العباسي ، وكان يقبع عند باب بني شيبة على يمين الداخل من باب السلام إلى المسجد الحرام ، وتاريخ عمارته له فى سنة ٦٤١ هـ ، وللشرابي عليه أوقاف كثيرة من الكتب ومن المياه وغير ذلك بوادى مَرّ ونخلة . (شفاء الغرام ١/٣٣١) .

(٢) أي أمير الحاج المصري ، وهو بيبغا المظفري . (إتحاف الورى ٣/٤٩٨ ، ٥٠٠) .

(٣) كذا فى الأصل ، والعقد الثمين ٤/١١٤ . وفى إتحاف الورى ٣/٤٩٨ « ومضى إلى القائد شكر بن راجح العمري » . وفى العقد الثمين ٣/٤٠٢ « ولجأ إلى بعض القواد فأجاره » .

(٤) باب الشبيكة : الشبيكة حي كبير من أعرق أحياء مكة ، يمتد من المسجد الحرام غرباً إلى ريع الحفاير ، وشمالاً إلى حارة الباب ، وبه مقبرة عظيمة (معجم معالم الحجاز) والباب أزيل فى توسعة الحرم فى العهد السعودي ، وكان فى سور بأسفل مكة يسمى سور الشبيكة .

١ وفى سنة ست عشرة وثمانمائة : تقرب السيد حسن بتسبيل البيمارستان المستنصري(١) بالجانب الشامي من المسجد الحرام ، للضعفاء والمجانين ، وبصرف غَلّة القيسارية المعروفة بدار الإمارة(٢) عند باب بني شيبة فى مصالح المشار إليهم ، وذلك لأنه كان استأجر المكانين المذكورين فى سنة خمس عشرة ، مدة مائة سنة هلالية ، من القاضى الشافعي بمكة ، بأجرة معلومة ، على أن يصرفها فى عمارة المكانين لخرابهما فعمرهما ، وزاد فى البيمارستان فأكثر فيه النَّفْعَ ، ووقف مازاده وما يستحقه من منفعة المكانين فى باقي المدة المذكورة على الوجه السابق ، وثبت ذلك عند حاكم مالكي(٣) ، وحكم به لموافقته رأي بعض متأخرى المالكية فى وقف المنافع . وبعضهم يمنع ذلك ، وهو مقتضى مذهب الشافعي وأبى حنيفة وابن

---

(١) البيمارستان المستنصري : ينسب إلى المستنصر بالله العباسي أبي جعفر المنصور بن الظاهر بأمر الله ، أوقفه فى سنة ٦٢٨ هـ ، وكان ولي الخلافة بعد موت أبيه فى رجب سنة ٦٢٣ هـ وسار فى الرعية سيرة حسنة ، وأقام شعائر الدين ، واجتمعت القلوب على محبته . وتوفي سنة ٦٤٠ هـ . (شفاء الغرام ٣٣٧/١ ، وتاريخ الخلفاء ٤٦٠ ـ ٤٦٤) .

(٢) دار الإمارة : كان هذه الدار للخزاعيين ، وهي دار طلحة الطلحات ، باعها عبد الله بن القاسم بن عبيدة بن خلف الخزاعي ليحيى البرمكي بمائة ألف دينار ، وهي دار الإمارة التي عند الحذائيين ، بناها حماد البربري للرشيد هارون أمير المؤمنين ، وقد كانت تسمى دار السلامة ، ثم صارت تسمى دار الإمارة ؛ لنزول أمراء مكة فيها . (أخبار مكة للأزرقي ٢٣٤/٢ وهامشها) .

(٣) هو القاضى رضي الدين أبو حامد محمد بن الشريف عبد الرحمن الفاسي المالكي . (إتحاف الورى ٥٠٨/٣) .

حنبل رحمهم الله . وكان إثبات ذلك والحكم به فى صفر من السنة المذكورة .

وفيها شرع فى عمارة رباط آخر بأجياد للفقراء ، وكمل فى التي بعدها ، وفيه بقية تحتاج للعمارة[1]. فالله تعالى يتقبل منه ذلك .

وفى ليلة سادس جمادى الأولى من سنة ست عشرة وثمانمائة : وصل رميثة إلى حَدًّا من وادى مرّ ، على غفلة من أهلها ، لأن عمه رغب فى إخراجه من ينبع ، وما وجد مذهبا غير هذا . ولما بلغ عمه خبرُه أمَرَ بالمبادرة بإبعاده ، وصمَّمَ على ذلك ، وركب إلى جهته ، فما وسع الذين نزل عليهم إلا إبعاده ، فمضى إلى ينبع ، والتحق به فيها بعضُ القواد العمرة ، فعاد به إلى منزلهم بالعُدِّ . وأُخْبِر السيد حسن بوصوله ، فتوجّه للعد بعسكره . وكان رميثة قد توجّه منه مع بعض القواد ، والشريفين مَيْلَب ، وشفيع ابني على بن مبارك . وما شعر الناس به إلا وقد هَجَمَ مكة من دَرْبِ [اليمن][2] فى ضحى يوم الخميس رابع عشرى جمادى الآخرة سنة ست عشرة وثمانمائة ، وما قدر الذين بمكة من جماعة حسن على دفعهم ، وانضم إليهم

---

(١) رباط الشريف حسن بأجياد : هذا الرباط بقرب رباط ربيع : أمر بإنشائه الشريف حسن بن عجلان ، وهو ملاصق بجوبة داره التى أنشأها بأجياد ، وقد عمر غالب سفله إلا قليلاً ، وجانباً من علوه ، وفي سنة ٨٢٢ هـ استأجر بعض البناة بمكة على تكميل عمارته ، وشرع فى ذلك . وانظر إتحاف الورى ٥٠٨/٣ ، ٥٢١ .

(٢) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ١١٥/٤ .

منهم جماعة . وما أحدث بمكة سوءا ولا من معه ، ثم خرجوا منها لتخوفهم من قصد حسن لهم .

وكان من خبر حسن أنه أُخْبِر بقصدهم لمكة فشَقَّ ذلك عليه ، لتخيله أنهم ينهبونها ويتَقَوَّوْنَ بذلك ، ويتحصنون فيها . فلما انتهى إلى الزاهر أتاه بعض أصحابه من مكة فأخبره بخروجهم منها ، وعدم إفسادهم . وقصدهم إلى الأبطح ، فنزل على الأبطح من ثَنِيّة المقبرة ، ورأى سوابقُ عسكرِهِ رميثةَ ومن معه ، فاتبعوهم وتلاهم الباقون . ثم إن السيد حسن سئل في الرجوع عنهم رحمةً لهم ، فرحمهم وعاد / إلى مكة ، ثم بلغه أنهم مقيمون بنخلة ، فتوجّه إليهم ١٥٥و
حتى انتهى إلى نخلة ، ففارقوها وقصدوا الطائف ، فبعث بعض خواص حسن إلى أهل الطائف بالإعراض عن المذكورين ، فأعرض عنهم ناسٌ ، وأكرمهم ناس بما ليس فيه كبير جَدْوَى . فقصدوا نعمان(١) ليتوصلوا منه إلى اليمن ، فسلكوا طريق النقب حتى بلغوه ، وانتهوا إلى عرب اليمن ، فحاربوهم وكَسَبُوا منهم ما تجمّل به حالُهم . وبدا من رُمَيْثَة في هذا اليوم ما يدل على كثرة شجاعته ، وأقاموا باليمن مدة ، ثم عادوا وقصدوا جُدَّة ، وخفي مسيرهم إليها على السيد حسن . ولما وصلوا جدة نهبوها وأخربوا بيت الصبحيّ ، وذلك في

---

(١) نعمان هو واد من أكبر أودية مكة المكرمة ، يستمد ماءه من بعض جبال الحجاز ، وله روافد كبار أثناء مسيرته ، ويسكنه قبائل هذيل اليمن ، وينحدر نعمان فيمر جنوب عرفة ، ثم يجتمع بوادي عرنة ، ومن عيونه : عين زبيدة والعابدية وسمار . وقد حفرت في نعمان آبار كثيرة زرع بمائها زراعات طيبة ، وقديماً تغزل فيه الشعراء لما لمسوا فيه من جمال . (معالم مكة التاريخية ٣٠٤ ، ٣٠٥) .

العشر الأوسط من رمضان سنة ست عشرة . وبلغ خبرهم السيد حسناً فبادر إليهم ، ولقوه قرب جدة متأهبين للقائه ، فمنعه من محاربتهم القوادُ ، فلم يمكنه المخالفة ، وطيَّبُوا نفسه بإخراج رُمَيْثَة ومَن معه من جدّة ومَكَّنُوه منها ، ثم قطعوا بين الفريقين حَسَبًا ، وسعوا فى الصلح بين الفريقين ، فلم يتفق ذلك ، لأن حسنا لم يوافق على دخول مَن ٱلْتَفَّ على رُمَيْثَة من العبيد والمولدين فى الصلح ، وأبى رُمَيْثَة إلا دخولهم . وعرف كل من حسن ورُمَيْثَة أن القواد لاتمكن أحدا منهما من الآخر ، فتسالموا من القتال حتى انقضى الحج من هذه السنة .

وبعد الحج توجّه السيد حسن إلى العُدّ بعسكره ، ومعه مُقْبِل بن مِخْبَار وجماعة من أصحابه — وكانوا قدموا فى هذه السنة للحج ولنصر حسن — وعرف رُمَيْثَة وأصحابه أنهم لا قدرة لهم على المذكورين ، وأن من يتخيلون منه النصر من ذوى عمر الملايمين لحسن لايمكنهم النصر في هذا الوقت . فقصد رُمَيْثَة والأقوياء من أصحابه إلى جهة اليمن فى البر ، وركب الضعفاء منهم البحر ، واجتمعوا بحَلْي .

وكان السيد حسن بعد دخول رُمَيْثَة إلى مكة أمر بعمارة سور باب المعلاة ، وباب الماجن لتخلل البناء فيهما ، وقصر جدريهما ، فعمرا حتى كملا بالبناء ، غير موضع فى سور باب المعلاة ، فإنه متخلل من البناء ، ولكن الذى تحته مهواة ، وارتفع جدرانها .

وكان الحجاج من اليمن فى هذه السنة كثيرين ، ومعهم متاجر

كثيرة ، ومقدمهم القاضى أمين الدين مفلح ، فجباهم غلمانُ السيد حسن ، وعنفوا بهم ، وكانوا يتوسَّلُون فى التخفيف عنهم بالقاضى أمين الدين ، فيتكلّم لهم ولايجدى كلامُه ، فتأثر لذلك ، ومَضَى على ذلك إلى اليمن ، فلقى رُمَيْثَة بحَلْي ، فأكرمه ، وأزال كثيرا من ضروراته ، وكتب إلى مولاه الملك الناصر يخبره [بخبره][(١)] وسأله في كرامته . فَسُرَّ الملكُ الناصر بقدوم رُمَيْثَة ، وأمر بتلقِّيه وإكرامه حتى انتهى إليه ، فرأى من السلطان ما سَرَّه ـــ وكان قد تجدد في نفس السلطان حنق على السيد حسن وشُكر ؛ لكونه لم تصله العشرةُ الآلاف المثقال المقررة له فى كل سنة عن مال ابن جميع ، ولاقيمة ما بعث به من الطعام إلى مكة مع شُكْر ـــ وكان ما قرره لرُمَيْثَة مُدّ طعام فى كل يوم ـــ وهو أربع غرائر مكية ـــ وخمسين دينارا جددا ، غير المقرر لهم من التمر فى أيام النخل . وهو قلَّ أن ينفصل عن السلطان وقت الأكل ، وطلع مع السلطان إلى تَعِز ، ونزل / معه إلى زَبِيد ، وتوجّه منها إلى مكة بعد أن أحسن له ١٥٥ظ
السلطانُ بذهب جيد ، وإبل وطعام وكسوة ، فوصل فى رمضان من سنة سبع عشرة إلى وادى الأبيار ، ونزل بها على ذوى حُمَيْضَة ، وما سهل ذلك بعمه [السيد حسن][(٢)] وهمَّ بمحاربتهم . ثم سعى الناسُ فى الصلح بينهم على مائتي ألف درهم يسلمها حسن لرميثة ، ويكون لحسن جبا الجلاب الواصلة فى هذه السنة ، وأن يكون الفريقان سِلْماً إلى انقضاء العشر الأول من المحرم سنة ثمانى عشرة وثمانمائة ، فرضيا

(١) إضافة عن العقد الثمين ١١٧/٤ .

(٢) إضافة عن إتحاف الورى ٥١٥/٣ .

بذلك ، وضمن على كلٍّ منهما جماعةُ أصحابِه . فما حصل فى ذلك خلل منهما .

وكان السيد حسن ــ بعد توجّه ابن أخيه إلى اليمن ــ عاد إلى مكة بعد مقامه مُدَّة بالعدّ وجُدَّة ، وتوجّه إلى الشرق ، وتلاه بنو حسن يرجون المنافع منه ، فتعذَّر منهم ، وراحوا بغير طائل . فشقّ عليهم ذلك ، وأخذ من أهل الطائف ولِيَّة القُطْعَة التى قررها عليهم ، وعاد إلى مكة بعد أن أقام بالشرق مدّة ، وأتاه ــ وهو بمكة ــ كتابُ السلطان المؤيّد صاحب مصر يخبره فيه بقتله لأعدائه : نَوْرُوز الحافظي ومن تبعه ، وعوده إلى مصر منصورا . وفى الكتاب بيتان من نظم الأديب الكبير تقي الدين أبى بكر بن حِجَّة الحموي . وهما :

أيا ملكا بالله أُضْحَى مؤيَّدَا
ومنتصبا فى مُلْكِهِ نصبَ تَمْيِيزِ
كَسَرْتَ بِمِسْرَى نيلَ مِصْرَ وتنقضي
وَحَقِّكَ بَعْدَ الكَسْرِ أَيَّامُ نَوْرُوزِ

وفى هذين البيتين من الكياسة التورية بالنوروز الذى يكون بإثر كسر النيل ، وهو يوم مشهور عند المصريين ؛ لما يقع فيه من المجون ، ونوروز الذى كان أميرا بالشام ، وقَتَلَهُ السلطانُ ، (ويقال له نوروز[1]) ، وفيهما من الكياسة أيضا صحة الاتفاق المقول ، فإنه قد

---

(١) يبدو أن هذه العبارة زائدة ، ولذلك أهملها النجم بن فهد فى إتحاف الورى ٥١٦/٣ .

لايتم الظفر بنوروز فَتَمَّ .

وكان السيد حسن فى موسم سنة سبع عشرة تَخَوَّفَ من أمير الحاج المصري ، وتوقف عن ملاقاة المحمل بنفسه ، فما قنع منه أميرُ الحاج بغيرِ حضورهِ بنفسه ، فوافق على ذلك لَمّا لم يجد منه بُدّاً ، بعد أن توثَّق من أمير الحاج ، والتزم له بما يَحْسُنُ من الخدمة ، وللسلطان بثمن ما أخذه من الغَلَّة التى بعثها السلطان للبيع ، وخلع عليه الأميرُ وعلَى ولديه لَمَّا خدموا على العادة .

ثم حصل بينهما نفرة ؛ لأن أمير الحاج أدّبَ بعضَ غلمان القوّاد العمرة على حَمْلِهِ السلاحَ بمكة ، لنهيه عن ذلك ، وتشفَّع مواليه فى إطلاقه بالسيد حسن عند أمير الحاج ، فأبى أن يطلقه . فهجَمَ جماعةٌ منهم المسجد الحرامَ راكبين خيولهم ، لابسين سلاحهم ، فقاتلهم الحاجُّ حتى أخرجوهم من المسجد ، وظنَّ أمير الحاج أن الشريف حسنا ينضمُّ إليه . فَقُدِّرَ أنه انضمَّ إلى المذكورين بالطنبداوية(١) ، ولكنه منعهم من التعرّض للحاج ، ولولا ذلك لتمَّ على الحاج بلاءٌ عظيم . فسبحان المُسَلِّم . وأدخلَ الأميرُ خيلَه إلى المسجد ، فباتت به حتى الصباح ، وسمّر أبوابه خلا باب بنى

(١) الطنبداوية : هي من أحياء مكة ، يقع خلف جبل عمر ، وجبل الحفاير ، ويمتد من هناك إلى جرول ، ومن الجنوب يمتد إلى قوز النكاسة ، سمي ببئر فيه يسمى الطنبداوي . (هامش شفاء الغرام ٣٤٦/١) .

١٥٦و شيبةَ ، والدريبة[١] ، وباب / المجاهدية [٢] . وأوقدت فيه المشاعل ، ثم فتحت ؛لأن السيد حسن بعث ولده السيد أحمد إلى أمير الحاج مطمئنا له ، فخلع عليه وأطلق مولى القواد .

وأعرض السيد حسن عن الحج فى هذه السنة بغالب عسكره ، وكذا القواد ؛ فقام بحفظ الحاج من أهل مكة وغيرهم أمراءُ الحاج . وأصابَ بعض الحجاج نهبٌ فى توجههم إلى عرفة ، وغالب المنهوبين من أهل مكة واليمن ؛ لتخلفهم بمكة إلى الظهر ، وكان الحجاج توجهوا منها بعد طلوع الشمس . ولما نفر الحاج من منى ، وطافوا للوداع لم يتمكنوا من الخروج من أسفل مكة بإغلاق باب الشبيكة دونهم ، فخرجوا من باب المعلاة ، وتأثر أعيان الحجاج لذلك . فكان لذلك من الأثر ما يأتي ذكره .

وفى ليلة رابع عشر المحرم سنة ثماني عشرة وثمانمائة : قبض السيد حسن على القاضى كمال الدين موسى بن جميع ، والخواجا بدر الدين المزلق ، والشهاب أحمد العيني وكيل الخواجا برهان الدين بن

(١) باب الدريبة : ويعرف بهذا الاسم من قديم ، ويقع فى الطرف الشمالي الشرقي من المسجد الحرام ، أي فى ركن المسجد الحرام قبل باب السلام من الجهة الشمالية الشرقية . ولم يعرف سبب لهذه التسمية فيما تيسر من مراجع . (أخبار مكة للأزرقي ٢/٩٤ هامش ، وتاريخ عمارة المسجد الحرام ١٣٣) .

(٢) باب المجاهدية : أحد أبواب المسجد الحرام ، وهو الباب الخامس للمتجه من الصفا إلى أجياد ، وكانت عنده مدرسة المجاهد صاحب اليمن ، ويقع في الجهة الجنوبية من المسجد ، ويقال له باب الرحمة ، وسماه الأزرقي باب بنى مخزوم . (أخبار مكة للأزرقي ٢/٩ ، وشفاء الغرام ١/٢٣٨ ، وتاريخ عمارة المسجد الحرام ١٢٣) .

مبارك شاه ، وضيّق عليهم حتى أرضوه بما شرط من المال ، فأخذ من ابن جميع مايساوى سبعة آلاف مثقال ، ومن ابن المزلق ما يساوي ثلاثة وثلاثين ألف إفْرَنْتِي(١) ، ومن العيني ماظهر من مال موكله ، ثم أطلقهم متعاقبين ، ابن جميع أولاً في أول صفر ، وابن المزلق فى آخره ، وتلاه العيني .

وفى آخر المحرم — أو فى صفر — من السنة المذكورة : ورد إلى جدة القاضى مفلح بما فى صحبته من المراكب ، والطراريد(٢) ، والولقات(٣) ، والجلاب ، فاستقوا من جدة بمعاونة رُمَيْثَة ، وأخذ

(١) الإفرنتي : هو دينار من الذهب من ضرب الإفرنج ، وقد تعامل الناس به في أكثر مدائن الدنيا من بلاد الروم ، وبلاد الشرق والحجاز ، ومصر والبلاد الشامية ، واليمن ، وأصبح النقد الرائج والمطلوب فى المعاملات ، ويقال له الدوكات أو المشخص ، وعليه شعار الفرنج ، وقد حاول الأشرف برسباي إبطال المعاملة به في بلاد مصر والشام والحجاز ، وألزم الناس التعامل بالدينار الأشرفي . وانظر السلوك للمقريزي ٢/٤ : ٧٠٩ ، والنجوم الزاهرة ٢٨٣/١٤ ، ٢٨٤ ، والنقود العربية للدكتور عبد الرحمن فهمي ٩٥ ، ٩٦ ، وهامش إتحاف الورى ٥٣٥/٣ .

(٢) الطراريد : جمع طرادة ، وهي السفينة الصغيرة السريعة السير ، ويقال إنها برسم الخيل ، وكثير منها يحمل أربعين فرساً . (البحرية في مصر الإسلامية ٣٥٣ ، ٣٥٤) .

(٣) الولقات : في الأصل ، والعقد الثمين ١٢٠/٤ « المؤلفات »وفي إتحاف الورى ٥٢٥/٣ « المولبات » . ولم نهتد لتعريف بأي منهما فى البحرية فى مصر الإسلامية للدكتورة سعاد ماهر ، أو غيره من المراجع المتيسرة . والمثبت عن الخبر نفسه في ترجمة رميثة بن محمد الآتية برقم ٢٠٠ ص ٤٧٩ . والولقات : هي المسرعات من السفن المتتابعة ، أخذ من ولق بمعنى أسرع ، وقولهم : ناقة ولقى أي سريعة ، وقولهم : الولق إسراعك بالشيء فى إثر الشيء ، وكعدو فى إثر عدو ، وكلام فى إثر كلام . (تاج العروس) .

منهم الزالّـة(١) ، ومضوا إلى ينبـع ــ وكان حسن يرغب في أن يعينـه بنو حسن على منع المراكب من السقية بجُـدّة فمـا أعانـوه ــ وعـاد رُمَيْثَة بعد سفر الجلاب من جُدَّة إلى الجديـد ، وأقـام به إلى شعبـان من سنة ثماني عشرة .

وفى سادس عشر ربيـع الأول منها : وصل إليـه الخبر بولايتــه لإمـرة مكـة ، عوض عمـه وابنيـه ، وكان عمـه بمكـة ، فرغـب فى أن يعينه بنو حسن على حرب رُمَيْثَة قبل أن يصل إليه المدد من مصر ، فما أعانوه ، فمضى إلى الشرق ، وترك ابنيه فى البلد ، وشُكْرًا مولاه ، وجماعـة من أصحابـه . ثم إن القـواد [العمـرة](٢) استدعــوه من الشرق ، وأطمعوه بنيل أربه من محاربة ابن أخيه ومن معه ، ومضى إليه بعض كبارهـم لإحضاره إليهم ، فوصل إلى مكـة فى سلــخ جمادى الأولى ، وهَمَّ بالمسير من فوره إلى الـوادى ، لأن ابـن أخيـه كان نازلا بالجديد من الوادى ، فماطله الذين استدعـوه ، وآخـر الأمـر أنهم لم يوافقوه على المسير إلا بشيء جَيِّد يأخذونـه منـه ، فلـم يسمـح به ، فعـاد إلى الشرق ثانيـا فى أول الـعشر الـوسط من رجب من السنــة المذكورة ، وأقام بـه مُدَّة ، وذهـب من هناك إلى المدينة النبويـة ، فزار جَده المصطفى صلى الله عليـه وسلـم ، وعـاد إلى مكـة ، وتوجـه إلى جُدَّة ، فأزال منها رُمَيْثَة وأصحابه . وكانوا قد أقاموا بها بعـد رحيلهـم

(١) الزالة : لعلها تعنى فى اصطلاح ذلك العصر المكس أو الضريبـة على المرور والتزود بالزاد والمياه العذبة . أو لعلها الزلة بمعنى العطية كما في تاج العروس .

(٢) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٤/١٢١ .

من الوادى ، واندفع رُمَيْثَة إلى جهة الشام .

ووصل الحجاج بإثر ذلك ، فلايم رُمَيْثَة الحجـاج ، ووصل معهم مكة ، لتقرير السلطان الملك المؤيد له على ولايته وهـو بحلب . وكان خرج إليها لقتال بعض أعدائه ، فظفر بهم / غير واحد أو ١٥٦ظ اثنين ، فأقام لتحصيل عدوّه ، وبعث مبشرا بالنصر إلى رميثة ، فوصله فى شوال من السنة المذكورة وهو بجدة ، واستمر الدعاء للسيد حسن وابنيه فى الخطبة وعلى زمزم إلى استهلال ذى الحجة منها ؛ لاستيلاء حسن على مكة إلى هذا التاريخ ، ثم فارقها فى هذا التاريخ ، وقصد الشُّقَّان [وتعرّف ما فى الجلاب](١) فجباه ، وأمرهم بالتدبير أو المُضِيِّ إلى ينبع . وكان بعضهم نفر منه لما سمع باستيلائه على الجلاب ودَبَر إلى اليمن قبل أن يصل إليه .

فلما كان فى صفر سنة تسع عشرة وثمانمائة : وصلت المراكب الكَارِمِيَّة ، والجلاب اليَنْبُعَيّة إلى الشُّقَّان ، فأخذ منها زالّة له ولخواصه ـــ ثلاثة عشر ألف مثقال ومائتي مثقال ـــ ومكنهم من السّقْية من جدة ، ومضوا إلى ينبع . وكان قبل وصولهم إلى جدّة قد نزل بالجديد من وادى مَرّ ، واستولى على غلال أصحاب رميثة ، وما قَدَرُوا على أخذها منه ، وهو بالجديد ساكن إلى آخر جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وثمانمائة .

---

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ١٢١/٤ . وانظر إتحاف الورى ٥٢٦/٣ .

عشرى شوال من الزاهـر ، وخيّـم بقـرب العُسَيْلـة[١] أعلى الأبطـح ، وأتى بعض أصحابه إلى رءوس القواد المعروفين بالحـميضات ـــ وكانـوا مع رُمَيْثَـة ـــ فثبَّطَهـم عن القتـال ، وخوفهـم غائلتـه ، فلـم يصغـوا لذلك . فلما كان بكرة يوم الثلاثاء خامس عشرى شوال ركب السيد حسن فى عسكره ، وكانوا ـــ فيما قيل ـــ ثلاثمائة فارس ، وأزيـد من نحو ألف راجـل ، وكان الذيـن بمكـة على نحو الثـلث من ذلك . ولما انتهى إلى المعابدة بعث إلى الذين بمكة يحذرهم عاقبة القتال ؛ لرغبتـه فى الإبقاء على أكثرهم ، فلم يقبلوا نُصْحَـه ، ومثلـه ومثلهـم فى ذلك كما قيل : /

بذلتُ لَهُمْ نُصْحِى بمُنْعَرِجِ اللِّوَى
فلم يَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إلا ضُحَى الغَدِ ١٥٧و

وسار بمن معه حتـى دنـوا من باب المعـلاة [فأزالـوا مَنْ كان على باب المعـلاة وقُرْبـه ، من أصحـاب رُمَيْثَـة بالرمـي بالـنشاب والأحـجار ، وعمد بعضهم إلى باب المعـلاة][٢] فدهنـه وأوقـد تحتـه

(١) العسيلة : عبارة عن أربعة آبار تعرف بالعسيلة تقع بظاهـر مكـة من أعلاهـا بين بئر ميمـون بن الحضرمـي ، والأعـلام التـى هي حد الحرم فى طريـق وادى نخلـة ، وفي رأس طي بعضها ما يقتضي أن المقتدر العباسي أمر بحفر بئرين منها . وفى طي بعضها ما يقتضى أن العجوز والدة المقتدر عمرتها مع سقايات هناك ، ومسجد لا يعـرف الآن منـه شيء . والبئر الرابعة من آبـار العسيلـة جددهـا بعـد دثورهـا بعض الأمـراء المصريين سنـة ٧٩٢ هـ . (شفاء الغرام ١/٣٤٥ ، ٣٤٦) .

(٢) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٤/١٢٣ . وانظر إتحاف الـورى ٣/٥٣٢ .

وفى شهر رجب منها : بعث ولده السيد بركات ، ومولاه القائد زين الدين شكرا ، لاستعطاف مولانا السلطان الملك المؤيد ـــ نصره الله ـــ فأنعم على السيد حسن بإمرة مكة ، وكُتِب له بذلك توقيع ومثال شريف مؤرخ بثامن عشر رمضان سنة تسع عشرة ، وجهز مع ذلك خلعة شريفة مع بعض الخاصكية المؤيدية ، والنجابة السلطانية ، وانتهوا إلى السيد حسن وهو فى ناحية جُدَّة فى أوائل العشر الوسط من شوال . وبعث إلى القواد العمرة ـــ وكانوا قد بانوا عنه فى شعبان وانضموا إلى السيد رُمَيْثة بمكة ـــ يأمرهم بالخروج من مكة . فتوقفوا فى ذلك .

ولما تحقّق أنهم ورُمَيْثة ، ومن انضم إليهم مجمعون على المقام بمكة قصدهم ، وانتهى إلى وادي الزاهر ظاهر مكة فى بكرة يوم السبت ثانى عشرى شوال ، فخيَّم بوادى الزاهر ، ومعه الأشراف آل أبى نمي ، وذوو علي ، وذوو عبدالكريم ، والأدارسة ، وصاحب ينبع الشريف مُقْبِل بن مِخْبَار في عسكر جاء به معه من ينبع ، غير من فى خدمته من عبيده ، ومن الترك ، وكان الترك مائة وعشرين ـــ فيما قيل ـــ وأرسل إلى مشايخ القواد العمرة ، وحضر إليه منهم ثلاثة نفر ، فخوفهم من داهية الحرب ، فسألوه أن يمهلهم هذا اليوم والذي يليه ؛ ليلزموا أصحابهم بالخروج من مكة . فأتوا أصحابهم فعرفوهم الخبرَ ، فصمَّمَ أكثرهُمُ على عدم الخروج ، فلم يسع الراغبون فى ذلك إلا الموافقة .

ولما تحقق ذلك للسيد حسن رحل فى بكرة يوم الاثنين رابع

النارَ فاحترق حتى سقط إلى الأرض . وقصد بعضُهم طرفَ السورِ الذي يَلِي الجبل الشاميّ مما يلى المقبرة ، فدخل منه جماعةٌ من الترك وغيرهم ورقوا موضعا مرتفعا من الجبل المشار إليه ، ورموا منه بالنشاب والأحجار من كان داخل الدرب من أصحاب رُمَيْثَة ، فتعبوا لذلك كثيرا ، ونقب بعضهُم مما يلى الجبل الذى هم فيه من السور نقبا متسعا حتى اتصل بالأرض ؛ فدخل منه جماعةٌ من الفرسان من عَسْكَر حسن . ولقيهم جماعةٌ من أصحاب رُمَيْثَة وقاتلوهم حتى أخرجوهم من السور ، وحصل فى الفريقين جراح ، وهى فى أصحاب رميثة أكثر . وقصد بعض أصحاب حسن — وهم عسكر صاحب ينبع — السورَ مما يلى بركة الصارم[1] ، فنقبوه نقبا متسعا ، ولم يتمكنوا من الدخول منه ؛ لأجل البركة فإنها مهواة . فنقبوا موضعا آخر فوقه .

ثم إن بعض الأعيان من أصحاب السيد حسن أجار من القتال ؛ لرغبة بعض القواد فى ذلك — على ما قيل — وكان السيد حسن كارها للقتال ، ولو أراد الدخول إلى مكة بكل عسكره [من الموضع الذى دخل منه بعض عسكره][2] لقدر على ذلك ،

(١) بركة الصارم : هي إحدى بركتين متلاصقتين وكانتا بلصق سور باب المعلاة ببستان الصارم . وكانتا معطلتين . فعمرت إحداهما فى النصف الثانى من سنة ٨١٣ هـ ، وملئت من عين بازان بعد جريها ، والذى أمر بعمارتها هو الشهاب بركوت المكين . (شفاء الغرام ١/٣٣٩) .

(٢) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٤/١٢٤ .

وأمضى الجيَرة بتَرْكِ القتال ، وبإثر ذلك وصل إليه جماعة من القضاة والفقهاء والصالحين بمكة ، ومعهم ربعات شريفة ، وسألوه فى كفّ عسكره عن القتال ، فأجاب إلى ذلك ، على أن يخرج مَنْ عَانَدَه مِنْ مكة . فمضى الفقهاء إليهم وأخبروهم بذلك ، فتأخروا عنه إلى جوف مكة ، بعد أن توَثَّقُوا ممن أجار فى كَفِّ القتال . فدخل السيد حسن من السور بجميع عسكره ، وخيم حول بركتي المعلاة ، وأقام هناك حتى أصبح فدخل مكة فى بكرة يوم الأربعاء سادس عشرى شوال ، لابسا للخلعة الشريفة ، والعسكر فى خدمته ، فطاف بالكعبة الشريفة سبعا ، والمؤذن يدعو له على زمزم ، وبعد فراغه من الطواف وركعتيه أتى إلى جهة باب الصفا . فقرىء هناك توقيعه بإمرة مكة ؛ وكتاب السلطان بذلك ، فحضر القضاة والأعيان ، وخلق لايحصون كثرة ، وركب بعد ذلك فدار البلد ونادى بالعدل والأمان — وكان قد أَمَّن المعاندين له خمسة أيام ، فتوجهوا إلى جهة اليمن — وبعث لابن أخيه رُمَيْثَة بزوّادة ومركوب — فيما بلغني — وانتهى رُمَيْثَة ومن معه إلى قرب حَلْي .

وأمر السيد حسن بعمل باب لباب(١) المعلاة عوض الباب المحرق ، فعمل ، وعمر من هذا السور ما كان قد أُخْرِب فى وقت الحرب ، وبعث إلى القواد العمرة يستميلهم ، فقدم عليه منهم جماعة أيام الحج ، وسألوه فى مصافاتهم والإحسان إليهم ، فأجابهم إلى ذلك ، بشرط أن يبينوا عن ابن أخيه ، ويلجئوه للسفر إلى اليمن .

---

(١) وانظر فى عمل هذا الباب وصفته إتحاف الورى ٣/٥٣٤ .

فإذا فارق حَلْيَ مسافرا لليمن قدموا عليه فأنالهم قصدهم ، فأظهروا له الموافقة على ذلك . وبعث إلى خواص ابن أخيه تستميله بالدخول فى طاعته . فمال إلى ذلك ابن أخيه لما بلغه عن القواد ، ولتقصير
مَنْ معه من موالى عجلان ، وابنه / أحمد بن عجلان في حقه ؛ لقلة ١٥٧ظ
طواعيتهم له ، ولإمساك سعد الدين سعيد جَبْرُوَة يده عن إعطائه ما ظَنَّ رُمَيْثَة أنّ صاحب اليمن بعث به إليه [من النقد والكسوة والطعام على يد سعد الدين ، فإن صاحب اليمن كان استدعى سعيدا][(١)] ليوصله برًّا لنفسه ولرمَيْثَة . .

وقدم رُمَيْثَة إلى مكة بإخوته وزوجته ــ وهي أعظم مَنْ حَمَلَهُ على ملائمة عمه ــ وكان عمه قد توجه من مكة لقصد الشرق ، ولما أتاه الخبرُ بإقبال ابن أخيه إليه ، أمر خواص غلمانه بتلقيه وكرامته ، فخرجوا للقائه موكِّبين له ، ودخل معهم مكة ، فأنزلوه بمكان أعدوه له ، وكسوه وضيَّفُوه وخدموه ، واستحلفوه على إخلاص الود منه لعمه ، وحلفوا له كذلك عن أنفسهم وعن عمه ، واستحلفوا إخوته كذلك لعمهم ، وحَلَفُوا لهم . فكان هذا الحلف فى يوم الجمعة العشرين من صفر سنة عشرين وثمانمائة فى جوف الكعبة .

وفى يوم الخميس قبله قدم مكة رُمَيْثَة ومن معه ، ومضى بعد ذلك بأيام قليله ومعه إخوته لعمهم ، فأكرم ملاقاتهم وأحسن إليهم ،

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ١٢٥/٤ .

وبالغ فى الإحسان إلى رميثة ، وأظهر للنـاس الاغتبـاط به كثيرا . ومـا سهل ذلك بأكثر بنى حسن ؛ لتخيّلهـم أن حالهم لايـروج كثيرا إلا فى زمن الفتنة .

ورام الشريف حسن خفض القواد العمرة والحُمَيْضَات وأَخْـذَ ما معهم من الخيل والدروع ، وألزمهم بذلك بعد عوده إلى مكة من الشرق فى جمادى الأولى سنـة عشريـن وثمانمائـة ، أو الجلاء من بلاده ومحل ولايته ، وأجَّلَهُم للجـلاء نحو نصف شهـر . وعـاد إلى الشرق ، وأمـر بَعْضَ خوَاصِّهِ بأخـذ المطلـوب من القـــواد أو إخراجهـــم من البلاد . وظَنّ أنه لابـد من حصول أحـد[1] الأمريـن لإطمـاع الشرفـاء ذوى أبى نمي له بالموافقـة على ذلك ، والمساعـدة له عليـه . فتلطَّـفَ القوادُ بالشرفاء وخضعوا لهم ، وخوفوهم من غائلة هذا الأمر ؛ لما فيـه من إضعاف الفريقين . فإن الشرفـاء كانـوا وافقـوه على تسليم خيلهـم ودروعهم إذا فعـل ذلك مع القـواد ، وقصد الشرفـاء بذلك إضعـاف القواد ، فمال الشرفاء لقول القواد ، وأعطوا الشرفاء دية قتيـل شريـف قتله بعض القواد فى دولـة رُمَيْثَـة ـــ وكان القـواد ممتنـعين من دِيَتـه ، ويقولون : نحاسبكم به مما لنا عنـدكم من القـتلى ـــ وتحالـف الفريقـان على كَفِّ الأذى ، واستعطـف القـوادُ ذَوِى رُمَيْثَـــة : أولادَ أحمد بن ثَقَبَة بن رميثة وأولادَ على بن مبارك ولَفِيفَهـم ، فعطفـوا على القـواد ،

(١) فى الأصل « أي » ، والمثبت عن العقـد الثـمين ٤/١٢٦ ، وإتحاف الـورى ٣/٥٤٢ .

ومالوا لما مال إليه ذوو أبي نميّ ، وحلفوا عليه . وبلغ ذلك الشريف حسنا ، فعاد من الشرق [إلى مكة ، في أول النصف الثاني من رجب ، ولم يجد أكثر الشرفاء عَلَى ما كان يعهد منهم][1] وهم مع ذلك يظهرون له الطاعة ، والموافقة على قصده ، ويشرطون عليه فى ذلك أن يجزل الإحسان إليهم بالمال والخيل والدروع . وتوقَّف هو فى ذلك ، لما عهد من الفريقين من الأخذ وعدم الإسعاف بالقصد ، كعادة أسلافهم مع أسلافه .

وبعد قدومه إلى مكة بأيام قليلة استولى على جُدَّة الشرفاءُ من بني ثَقَبَة ، ومبارك ، والقوادُ ولفيفهُمُ ، وأعلنوا بالسلطنة لثَقَبَة بن أحمد بن ثَقَبَة ، ومَيْلَب بن على بن مبارك ، وجعلوا لكل منهما فى جُدَّة نُوَّابًا ، وأخذوا طعاما كثيرا بجدة ، وجبوا[2] بعض الجلاب الواصلة إليها ، فشَقّ ذلك على الشريف . / وحمله الشرفاء على النزول ١٥٨و عندهم بالدكناء ففعل ، ثم رحل منها إلى الجديد ، ثم إلى حَدًّا . وأشار عليه جماعة من الشرفاء أن يذهبوا عنه إلى القواد ـــ وكانوا نزولا بالعد مع جماعة من آل أبي نميّ ، ومع ذوى ثَقَبَة ، وذوى مبارك ـــ ليأمروا المشار إليهم بالدخول فى طاعته ، ويخوفوهم من غائلته ، فمضى جماعةٌ من الشرفاء الذين فى خدمة الشريف إلى الذين بالعُدّ ، وغابوا عندهم مُدَّةً ، وعادوا إلى الشريف بما لم يعجبه ،

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ١٢٦/٤ .

(٢) فى الأصل ، والمرجع السابق « وجبى » . والمثبت عن إتحاف الورى ٥٤٣/٣ .

وحَضُّوه على الإحسان إلى الذين بالعد ، وأن يلين لهم جانبه ، فلم يمل لذلك ؛ لما غَلَب على ظنه ــ وهو الواقع ــ أن الإحسان إليهم لاينال به منهم قصدا .

وبعث خيلا ورجلا إلى جدة فاستولى عليها ــ وكانت خالية من أكثر المباينين له ــ وتواطأ الأشراف والقواد على أن يرحل جماعةٌ من القواد من العُدّ ، حتى ينزلوا فى حلة الأشراف بالدكناء بوادي مرّ ؛ للاستنصار بالأشراف . ففعل القوادُ ذلك ، وذلك لحزمهم ، فأكرمهم الأشراف . وقصد المريدون لذلك من الأشراف أن الشريف إذا أمرهم بقتال القواد ومن انضم إليهم ، قال له الأشراف : كيف نقاتل من استجار بنا ، ونزل بحلتنا ؟! لكون ذلك لايحسن عند العرب . ولما اتفق ذلك خرج جماعةٌ من آل أبي نميّ وذوى مبارك وغيرهم من الدكناء لقصد مكة ، فخرج إليهم منها نائبها مفتاح الزفتاوي[1] فتى الشريف حسن بن عجلان فى خيل ورجل ، فالتقوا مع القواد والشرفاء ، فكان النصر للشرفاء ومن انضم إليهم ، وخفروا جماعة من عسكر مكة ، وأخذوا خيلهم وسلاحهم . ولجأ الزفتاوي إلى جبل قرب المعركة ، ومازال به حتى قُتِلَ ، وقُتِلَ غيره من جماعته ، وقتل [من][2] الشرفاء فواز بن عقيل بن

(١) هو القائد مفتاح الزفتاوي الحسني ، له ترجمة في العقد الثمين ٢٦٤/٧ برقم ٢٥١٢ ، والضوء اللامع ١٦٦/١٠ برقم ٦٧٩ .

(٢) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ١٢٧/٤ .

مبارك(١) . وكانت هذه الوقعة فى يوم السبت ثانى عشر رمضان سنة عشرين وثمانمائة . ورجع الشرفاء ومن انضم إليهم إلى العد ، وشقّ [على](٢) الشريف كثيرا ماصدر منهم ، وقتلهم لنائبه . ثم سعى جماعةٌ من الشرفاء من ذوي أبى نميّ وغيرهم فى الصلح بينه وبين الذين بالعد ، على مال يبذله لهم الشريف ، ولايُحْدِثُونَ حدثا فى طريق من طرق مكة إلى انقضاء هذه السنة ، وعشرة أيام من المحرم سنة إحدى وعشرين وثمانمائة . فرضى بذلك الفريقان ، وتعاقدوا عليه وتواثقوا ، وأحسن إليهم الشريف بتسليم ما وقع الاتفاق على تسليمه معجلا ، واطمأن الناسُ . وقدم التجارُ من اليمن أكثر من كل سنة ، من غير توقف فى الدخول إلى جدة ؛ لإذن السلطان لهم فى ذلك . وكان دخول التجار إلى جدة فى صفر من هذه السنة ، بغير إذن من السلطان باليمن ، وإنما ذلك باختيار المتقدمين فى أمر المراكب ؛ لعدم قدرتهم على التجوير على جدة إلى ينبع ، لكون تجويرهم عليها يوافق اختيار صاحب اليمن . ولما دخلوا إلى جدة لم يُشَوِّشْ عليهم نوابُ الشريف ، وساهلهم الشريفُ فى المكس المتعلق بحمل السلطان ، وأسقط عنهم بَعْضَه واعتذر مما أخذه بالحاجة إليه ، فأعجب ذلك السلطان ، وأمر التجار بقصد جدة / فقصدوها ثانيا ١٥٨ظ
كما ذكرنا ، ومضوا إلى بلادهم بعد الحج وهم سالمون من النهب . ولله الحمد .

---

(١) هو فواز بن عقيل بن مبارك بن رميثة بن أبى نمي الحسني . له ترجمة فى العقد الثمين ٧/ ٢٠ برقم ٢٣١٢ .

(٢) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٤/ ١٢٧ .

وفى النصف الثاني من شوال سنة عشرين وثمانمائة : قدم من مصر على الشريف ابنهُ السيد بركات ، فَسُرَّ به ، ولما طاف بركات بالكعبة دُعي له على زمزم كعادة أمراء مكة ، وصار أبوه ينوّه له بالإمرة ، ويقول لبنى حسن وغيرهم : هو سلطانكم .

وفى شهر ربيع الأول من سنه إحدى وعشرين وثمانمائة : أظهر للناس أنه تخلّى عن إمرة مكة لابنه السيد بركات ، بحيث أجلسه على المفرشة بالمسجد الحرام ، وجلس هو على مفرشة عنده ، وأمر من فى خدمته بالحَلِف له ، فحلفوا له ، وأمرهم بالخروج فى خدمته والنزول بالركاني بوادى مَرّ ففعلوا ؛ لأن أكثر الذين بالعد من ذوى رُمَيْثَة ، وذوى أبي نميّ والقواد رحلوا من العد حتى نزلوا حَدًّا(١) . ولم يسهل بالشريف نزولهم بحَدًّا ، لأن جماعة من وجوه القواد كانوا ذكروا للشريف أن الذين بالعد. لايرحلون منه إلى غيره إلا بإخباره . ولما نزل السيد بركات ومن معه بالركاني لم يسهل ذلك بالذين نزلوا بحَدًّا ، ورغبوا فى أن الشريف يأمر ولده بالرحيل عنهم إلى الجديد ونحوه من وادى مرّ ، ويدخلون بأجمعهم فى طاعته ، ويمضى إلى الشرق ؛ فإنه يختار ذلك ، ولايحدثون حدثا إلى انقضاء سنة إحدى وعشرين وثمانمائة ، وعشرة أيام من التى بعدها . فوافق الشريفُ على ذلك ، وأجابهم إلى ما سألوه من الإحسان إليهم بما عودهم به فى كل سنة قبل هذه الفتنة ، على عادتهم فى أخذ ذلك منجما ،

---

(١) حدا : بفتح الحاء : مدينة على الطريق بين مكة وجدة فى منتصف الطريق تقريباً . وقد تهمز فيقال حداء كما يقال حدة. وانظر معجم البلدان لياقوت .

وأعطى ذوى مبارك(١) دية رضوها فى فَوَّاز بن عقيل بن مبارك ــ مع كونه يرى أنها لاتلزمه ــ وحمله على ذلك حبه لحسم مواد الشر ، وما انطوى عليه من الصفح والحلم ، ولذلك حلم على الذين خرجوا عن طاعته ، ولايموا ابن أخيه رُمَيْثَة وقاتلوه ، من عبيد أبيه وأخيه وأولادهم ، واستدعاهم من حَلْي ، ومن اليمن ، وأجراهم على رسومهم التى كانوا عليها قبل جموحهم عن طاعته . فالله تعالى يزيده توفيقا ، ويسهل له إلى كل خير طريقا . وكان وصول أكثرهم إليه فى أخريات ذى القعدة من سنة عشرين وثمانمائة .

وفى ربيع الأول من سنة إحدى وعشرين وثمانمائة : جَمَح الشريف أحمد [بن الشريف حسن](٢) عن طاعة أبيه ؛ لكونه قَدَّمَ أخاه بركات عليه فى الإمرة ، وأرسل إليه أبوه من يستعطفه ، ويعده عنه بذهب ومركوب ، فلم يمل أحمد لذلك . واجتمع إليه جماعة الطماعة ، ومضوا لجدة ، وتخطفوا منها أشياء . ولم يسهل ذلك بأبيه . ثم إن كثيرا من الذين كانوا مع أحمد تخلوا عنه لملامة أقاربهم لهم على ملايمته ؛ لكون ذلك لايُرْضِى أباه ــ ولما عرف هو ذلك حَضَرَ إلى حَدًّا ، ونزل بها ــ والله يصلح أحوالهم ــ ثم دخل فى الطاعة ، وأقام على ذلك وقتا ، ثم خالف ومضى إلى ينبع ، وأتى منها مع الحجاج فى سنة إحدى وعشرين إلى أبيه بمكة ، فلم ير ما

(١) فى الأصل « بنى مالك » ، والتصويب عن العقد الثمين ١٢٩/٤ ، وإتحاف الورى ٥٥٦/٣ .

(٢) إضافة عن العقد الثمين ١٢٩/٤ .

يعجبه ، فعاد مع الحجاج إلى صوب ينبع بعد الحج من هذه السنة .

وفيها بعث أبوه ولَدَه السيد إبراهيم إلى بلاد اليمن مستعطفا / ١٥٩و لصاحبها الملك الناصر ، فعطف عليه كثيرا بعد أشهر كثيرة ، وجهزه إلى مكة بعد أن أمر له بصلة متوسطة .

وفيها كتب الملكُ الناصر إلى صاحب مصر الملك المؤيّد [كتابا][١] يذكر فيه شيئا من حال السيد حسن بن عجلان ؛ لأن الملك المؤيد [كان][٢] كتب إلى الملك الناصر على يد سفيره القاضي أمين الدين مُفْلِح التركي كتابا يستعطفه على السيد حسن ، وذكر فيه شيئا من حاله .

وأما ما ذكره الملك المؤيد فهو :

وأما الشريف حسن بن عجلان ، فإنه بلغنا أنه طابق تسميته بالعكس ، فرسمنا بطرده ، و [قلنا][٣] هذا الكدر لايليق عند سكان الصفا ، فقربنا إليهم المسرَّة ببعده ، وعلمت أهلُ مكة منا بذلك ، فأنكرت مشاركته فى البيت ، وأخرجته من الحرم الشريف ، وأغلقت الأبواب ، وقالت : هَيْت . وانقطع أمله من ورود زمزم ، وقد جرّعته كئوس البين مرارة الإصدار ، وتيقن قتل نفسه عند

---

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ١٣٠/٤ .

(٢) إضافة على الأصل .

(٣) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ١٣٠/٤ ، وإتحاف الورى ٥٤٦/٣ .

خروجه من الديار ، ولم تتعرف به عرفات لما طرد منكرا على وجل ، ولا أمكنه أن يقول بعدها : سآوى إلى جبل ، وأيقن أن يصاب من كنانة مصر بسهام يبلغ بها المقامُ الغرضَ ، ويقول ببلاغة وإيجاز : سهم أصاب وراميه بذى سلم من الحجاز ، وعلمنا أن سيفنا المؤيدي لابد أن [يسبق][1] فيه العزل ، ويدخله فى خبر كان ، وتتنغَّص حياته ، ويأتيه الموت كأبيه عجلان .

ويُمْسِي اليَمَاني نائِمًا مِلْءَ جَفْنِهِ
وَمِنْ كَثْرَةِ التَّطْوِيلِ يُخْتَصَرُ الرُّمْحُ
كَذَاكَ مَدِيدُ البَحْرِ يَمْضِى زِحَافُهُ
بتَقْطِيعِهِ قَهْراً ويَتَّضِحُ الشَّرْحُ
وَفِى خَدِّهِ يُمْسِى السُّرُورُ مُجَدَّدًا
ولِلطَّيْرِ فى أفْنَانِها بالهَنَا صَدْحُ
ويَعْذُبُ مِنْ عَيْذَابَ أرْيَاقُ ثَغْرِها
وشامٌ بها من لَذَّةِ الشُّرْبِ مايَصْحُو
وأعْدَاؤُنا أَعْدَاؤُكُمْ غَيْرَ أنَّهُمْ
ظلامٌ محاهُ مِنْ صَدَاقَتِهِ الصُّبْحُ

ونزل بعد ذلك على الطور ، فقال له لسان الحال ﴿ وَٱلْبَحْرِ

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن المرجع السابق ، وإتحاف الورى ٥٤٧/٣ .

ٱلْمَسْجُورِ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴾(١) وفَهِـمَ(٢) إغـراب سيفنـا عن صرفه ، فصرف نفسه ، ولم يتقو على الصرف بمانع . وتحقَّق أنـه فعـل فاحشة وظلم نفسه ، فذكر الله تعالى واستغفر لذنبه ، واستجار بقوله تعالى ﴿ وإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُـوا وَتَغْفِرُوا ﴾ (٣)إلى آخـر الآية . فرأينـا العفـو أليـق به ، وعلى كل حال فهـو شريـف ، ورتبتـــه فى الشرف رفيعـة ، وقـد تاب من ذنبـه ، وطمـع فى أن يكـون المقـام الأحمدي شفيعـه ، والتـزم بالتـوصل إلى رضا الخواطـر الكـريمة عليـه ، وبـــرَدِّ الأمانات إلى أهلها ؛ ليفوز بالتفات العواطف الناصرية إليـه ، وأَقْسَمَ بالبيتِ العتيق أن يتقرّب إلى المقام بإخلاص جديد ، وقـال : إن كل أحد يعرف أن الحنوّ الأحمدي على الحسن غير بعيد . انتهى .

وأما ما كتب به الملك الناصر فى هذا المعنى فهو :

وأما الإيماء إلى الصفـح عن الشريـف بدر الديـن ، فمـا كان إلا صديقـا صدوقـا ، ورفيقـا / رفيقـا ، ثم بدا له فى ذلك ؛ فأخـذ ١٥٩ظ
ينقض غزل تلك الصداقة بعد القوة ، ويَحُـلُّ عُرَى ذلك الرفـق عروة عروة ، ويُحـدِثُ على التجـار كل عام حادثـة ، وكلمـا تضجـروا من واحدة أتبعها بثانية وثالثة ، حتى تواصلت بشكواه الألسنـة ، فأردنـا إيقاظـه من هذه السنَّـة ، بأن نَنْقُـلَ موسم التجـار إلى ينبـــع ، وأن

(١) سورة الطور الآيتان ٦ ، ٧ .

(٢) فى الأصل « وفيه » ، وفي العقد الثمين ١٣١/٤ « وفيهم » ، والتصويب عن إتحاف الورى ٥٤٧/٣ .

(٣) سورة التغابن آية ١٤ .

تشحن المراكب بالمقاتلة صيانة [لها][1] عن التتبُّع ؛ ليعلم أن العدل هدى وعمارة ، وأن الجور خراب وخسارة .

ولما حصلت الإشارة الشريفة بتلافى ما فرط منه ، وتدارك ماصدر عنه ، أرسل وَلَده ، وشرط على نفسه هذه الشروط الصادرة ، وقد تحاملنا له فيها على التجار لنطيِّبَ خاطره ؛ فإن زيادتها على ما كان يأخذه سلفه منهم ظاهرة ، وأردنا أن يكون تمام ما بدا به المقام الشريف على يديه ، ويعرف ما شرط على نفسه لينفذه ويقضى به عليه ، فقد رضينا جميعا بأن يكون هو الحاكم ، والآخذ على يد الظالم ، وحتى يعلم من يَحُورُ بعد الكَوْر[2] ، ويركب مطِيّة الخُلْف والجَوْر ، ويسأله كَتْب منشور عن المرسوم الشريف ، يَسْتَعْصِمُ به السُّفَرَاء والتجار عند الحاجة إليه . ويشار فيه إلى أمير الحاج أن يكون فى الوفاء به شاهدا وحاكما عليه ، فما ينتقض امرٌ أبْرَمَتْهُ عنايته ، ولايضلّ سالك أرشدته هدايته . انتهى .

وكتاب صاحب اليمن من إنشاء أديب اليمن وفاضله : القاضى شرف الدين إسماعيل ابن أبي بكر ، المعروف بابن المقرى ، وهو مؤرخ برمضان ـــ أو شوال ـــ من سنة إحدى وعشرين وثمانمائة .

وكتاب صاحب مصر من إنشاء الأديب البارع : تقي الدين

---

(١) إضافة على الأصل .

. ١٣٢/٤

(٢) أي من ينقص بعد الزيادة ، ومنه قولهم : نعوذ بالله من الحور بعد الكور . أي من النقص بعد الزيادة . (المعجم الوسيط) .

أبي بكر بن علي بن حِجَّة الحموي ، وهو مؤرخ بالمحرم سنة عشرين وثمانمائة .

وفى اليوم الأول من ربيع الآخر من سنة إحدى وعشرين وثمانمائة : توجه السيد حسن من مكة قاصدا للشرق . وعَدَل إلى صوب الطائف ، فخرَّبَ أماكن بِلُقَيْم ، والعقيق ، ووَجّ ــ من وادى الطائف ــ خرابا كثيرا ، وهدَم حصنا لعوفٍ بِلِيَّة ؛ وسبب ذلك توقُّف أهلِ الأماكن المشار إليهم عن تسليم ما قرره عليهم من القُطْعَة ؛ لزيادتها على العادة ، مع ماهم فيه من ضيق الحال ؛ بسبب الجباية التى أخذها منهم فى العام الماضى ، ومع ذلك فما وسع أهل الأماكن المشار إليها إلا استعطافه ، وتسليم مارضيه ، واتهموا جُوَيْعَدَ بن نُمَيْرٍ صاحب أبى الأخيلة ، فإنه أغرى بهم فى ذلك الشريف حسن بن عجلان . فلما عاد الشريف حسن من الشرق [إلى مكة](1) خادعوا جويعداً واستحضروه إليهم بقرية السلامة(2) ، ومنعوه الخروج من المنزل الذى اجتمعوا فيه ، وقصد طائفةٌ كثيرةٌ منهم حصنَه أباالأخيلة ؛ فأخربوه خرابا فاحشا ، ثم أطلقوه سالما فى بدنه .

---

(١) سقط في الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٤/١٣٣ .

(٢) السلامة : من قرى الطائف كثيرة البيوت والبساتين وبها عين ، وكان ينزلها أعيان مكة وفضلاؤها بل غالب أهلها ، وضربت فى سنة ١٠٨٠ هـ وانهدمت بيوتها فى مدة يسيرة ، ولم يبق منها إلا القليل ، وأصبحت عبرة لمن يعتبر . (إهداء اللطائف من أخبار الطائف ٨٨) . وفى معجم معالم الحجاز أنها حي من أحياء الطائف حالياً وبه يقع مسجد ابن عباس رضي الله عنهما .

وفيها وصل من صاحب مصر إلى الشريف حسن عدة كتب ، منها كتاب فى حادى عشرى ربيع الأول ، فيه إعلامه بقوة عَزْم السلطان على الحج فى هذه السنة ، وأمره بتسلم(١) ما وصل من الغلال إلى جدة ، ونقل ذلك إلى مكة ، والاحتفاظ بذلك . وفيه مطالبة بعشرة آلاف / مثقال بقيت عنده من الثلاثين الألف ١٦٠و
المثقال ، التى التزم بها للخزانة الشريفة لما سأل العود إلى إمرة مكة .

ومنها كتاب آخر فيه إعلامه بتفويض [أمر](٢) بيع الغلة إلى علاء الدين القائد ؛ لإعراض السلطان عن الحج . وفيه العتب عليه لكونه لم يرسل مع علاء الدين بالعشرة الآلاف المثقال . وكان وصول ذلك إليه فى آخر ذى القعدة وهو بجدة ، وحضر إلى مكة قبل هلال الحجة بليلة أو ليلتين ، وحضر لخدمة المحمل المصري ، وتردَّد لأمراء الحاج والأعيان بمكة ومنى ، وأقام بمكة إلى تاسع عشرى ذى الحجة ، وتوجَّه إلى جدة عند توجُّه الناس إليها لليمن ، وأقام بجدة أياما كثيرة ، وتوجه منها بعد سفر أكثر الناس ، ووصول الطيب بن مكاوش سفير صاحب اليمن فى تابة(٣) فيها حمل للسلطان وغيره ، وقصد صوب اليمن ناحية الخريقين(٤) . وجاوز ذلك وراسل صاحب

(١) فى الأصل ، والعقد الثمين ١٣٣/٤ « بتسليم » ، والمثبت عن إتحاف الورى ٥٥٧/٣ .

(٢) إضافة عن العقد الثمين ١٣٤/٤ .

(٣) تابة: كذا فى الأصل ، والعقد الثمين ١٣٤/٤ ، ولعلها ثاية وهي السفينة الصغيرة ، ويقال إنها للسياحة أو الرياضة . (المعجم الوسيط) .

(٤) الخريقين : وتسمى حالياً الخرقان ، وهي قرب الليث . (معجم معالم الحجاز) .

حَلْي محمد بن موسى بن أحمد بن عيسى الحرامي فى أن يزوّجه أخته ، ورغب فى أن تُزّف إليه ، فأجابه إلى تزويجها بشرط حضوره إليهم . فأعرض عن الحضور إليهم ، ولم يأت مكة إلا فى الحادى عشر من ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة .

وفى آخر اليوم الثانى عشر منه توجّه لصوب الشرق ؛ لأنه بلغه أنه كثير المطر ، وليقوى به أَمْرُ من أرسلهم إلى الطائف ولِيَّة لقبض القُطْعَةِ التى قررها على أهل الطائف ولِيَّة — والله يُحمد العاقبة — وكان من خبره بعد ذلك أن عسكره أخربوا أماكن بِلُقَيْم والعقيق ووَجّ — من وادى الطائف — ثم أمر بإخراب حِصْنِ الطائف المعروف بحصن الهجوم ، بسعى جماعة من الحمدة [عنده فى ذلك ، فأخرب](١) جانب كبير منه ، وأعان المخربين له على إخرابه أن بعض أعيان عسكر الشريف استدعوا بعض أعيان [أصحاب](٢) الحصن ، فحضروا إليهم وهم لايشعرون بما يريده عسكر الشريف ، فلما أوثقهم(٣) عسكر الشريف ساروا لإخراب الحصن ، فرماهم منه بعض النسوة اللائي(٤) به ، وكادوا يحمونه ، ثم قيل لمن(٥) فيه : إما أن تُسَلِّمُوا الحصنَ وإلا ذبحنا الذين عندنا

(١) بياض فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ١٣٤/٤ ، وإتحاف الورى ٥٦٣/٣ .

(٢) فى الأصل « أمسكهم » ، والمثبت عن المرجعين السابقين .

(٣) فى الأصل ، والعقد الثمين ١٣٥/٤ « الذى » .

(٤) كذا فى الأصل بضمير جمع المذكر السالم .

(٥) في الأصل ، والعقد الثمين ١٣٥/٤ « لهم » ، والمثبت عن إتحاف الورى ٥٦٣/٣ .

منكم . فرق لهم الذين بالحصنِ فَسَلَّمُوه . فهدم . ثم سعى أصحابه عند الشريف فى أن يوقف عسكره عن هدمه ، وفى عمارته ؛ فأجابهم لقصدهم ، وأعادوا كثيرا مما هدم بالبناء ، وأمر بإخراب الموضع المعروف بأم السكارى[1] ـــ جبل السلامة من وادى الطائف ـــ لأن الذين بنوا فيه من الحمدة هم الذين قاموا فى هدم حصن أبى الأخيلة : حصن جُوَيْعِد ؛ لانتمائه للشريف . فهدم ذلك هدما دون هدمه الأول . وعاد الشريفُ إلى مكة بعد أن صارت إليه القطعة التى قررَّها على أهل الطائف ولِيَّة ، وسلك فى طريقه طريق نخلة اليمانية . فلما كان بالزيمة منها أمر بقطع نخيل فيها وبإخرابها ؛ لعَتْبِهِ أمرا على أهلها . فاستعطفوه وهادوه بخيل ، ومضى منها إلى سُولَة ، ثم إلى خيف بنى عُمَيْر ، ثم إلى المُبَارَك ، ثم إلى وادي مَرّ ، وأتى منه إلى مكة فى أثناء رجب سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة ،
١٦٠ظ وتردّد منه إلى مكة غير مرة ، وزوّج / بالوادي ابنه أبا القاسم فى شعبان .

وفيه ظهر منه ميلٌ إلى القواد العمرة على الشرفاء آل أبى نميّ ، ولفيفهم من القواد العمرة . وكان قد حصل بينهم ـــ فى غيبته بالشرق فى هذه السنة ـــ كَدَرٌ سببه أن مُقْبِل بن هبة بن أحمد بن سنان بن عبد الله بن عمر القائد العمري استغفل جُلْبَان بن أبى سويد بن أبى دعيج بن أبي نمي ، فضربه بالسيف ليلا وهو متوجه

(١) أم السكارى : هي الهضبة المنقادة فى الأرض ، المطلة على حي قروى من الجنوب فى الطائف . (معجم معالم الحجاز) .

إلى مكـة ؛ فحمـى لجلبـان قومُـه ، واحتـرز منهم القـواد العمـرة ، واستنصروا عليهم . وامتنعوا منهم إلى أن وصلَ الشريفُ من الشرق . فاستماله القـواد فمـال معهـم ، وأمـر الشُّرَفَ ولفيفهـم من القـواد ألا ينزلوا بحـدَّابطريق جدة ؛ فخالفـوه . فلـم يسهـل به ذلك وكثر ميلـه ونصرته للمعاندين للشرف من القواد ، فتعبـوا لذلك ورحلـوا من حدا بعد إقـامتهم بها شهـر رمضان وأيامـا من شوال ، بعـد أن صرف لهم نحو ألـف وخمسمائـة إفرنتـي ـــ وكان هو فى غالب شهـــر رمضان وشوال والقعدة بجدة ونـواحيها ـــ وأتـاه فى شوال جلاب من اليمن فيها ما خرج من حمل مراكب الكارم التـى انصلـحت برأس المخلاف فى شهر صفر من هذه السنة ، فحصل له منها نفـع جَيِّـد . ثم وصلت المراكب الكارمية إلى جدة ـــ وهو بها ـــ فى آخر القعـدة ، فصالحه التجار الذيـن بها على عشرة آلاف إفرنتـي ، بعـد وصوله إلى مكـة لملاقاة الحاج . وتردّدَ إلى أعيان الحجاج وخدمهم وهاداهـم وهـادوه ، وحج الناس مطمئنين فلله الحمد .

وحصل بجدة في أوائـل سنـة ثلاث وعشريـن خلـل في بعض مراكـب الكارم ، عندما عزموا من جدة إلى ينبع . فأمرهـم الشريـف بالتنجيـل ، فصالحوه عن ذلك بألفـي إفرنتـي ، وتوجّــه هذا المركب وغيره من مراكب الكارم وجلابهم إلى ينبع ونجلوا بها .

وفى الرابع عشر من صفر من هذه السنة ، وصل كتـاب من المؤيد صاحب مصر ـــ نصره الله ـــ إلى الشريـف يتضمـن : عتبـه عليه فى أمور . منها : أخذه الموجب من المتاجر السلطانية ، فإن فى

المراكب المشار إليها حملا منسوبا لصاحب مصر .

ومنها : لكونه كان في العام الماضى يشترى ما يرد بجدة من الحَبِّ والتمر ويخزنه ، ويبيعه للناس .

ومنها : لتأخره [عن][1] إرسال ما بقي عليه للخزانة الشريفة السلطانية المؤيدية ، مما التزمه لها حين ولي إمرة مكة في سنة تسع عشرة وثمانمائة ، وهي عشرة آلاف مثقال ؛ لأنه كان التزم بثلاثين ألف مثقال ، سلَّم عشرين وبقي عليه عشرة .

وفى الكتاب إليه عتب قوي لتأخيره إرسال هذا المبلغ ، وكلمات مزعجة للخاطر ، منها ما معناه : ولاتظن أن إهمالنا لك عجزٌ عن حصولك فى قبضتنا الشريفة ، وإنما لما حسنت منك السيرة فى بعض الأمور ، قلنا : لعل الله أن يحسن فى الباقى ، وقد انزعج خاطره لذلك كثيرا ، وحمله ذلك على التنصل من إمرة مكة ؛ فكتب يسأل فى تفويضها لولديه السيدين بركات وإبراهيم ، وذكر أنهما يقومان للخزانة الشريفة بالعشرة الآلاف المثقال المطلوبة منه عند ولايتهما ، / وأنهما أولى منه بالإمرة ؛ لقوتهما ولضعف بدنه ١٦١و وحبه للعبادة ، وذكر أنه لم يأخذ موجبا من المتاجر السلطانية ، وأنه لم يشتر ما اشتراه من الحب والتمر فى العام الماضى بقصد احتكاره ، وإنما اشتراه لحاجته إليه لنفقته ونفقة عسكره ، فلما رأى اضطرار الناس باعه عليهم ، فكان فى خزنه لذلك وبيعه نفع للناس .

---

(١) إضافة عن إتحاف الورى ٥٧١/٣ .

وإلى آخر السنة لم يأته جواب عن كتابه . وتوجّه عقيب كتابه فى آخر صفر لصوب حَلْي ، فبلغها ، وتَلَقَّاه صاحبها محمد ابن موسى إلى الحَسَبَة ، وبنى فى حَلْي بأخت محمد بن موسى المذكور ، وتوجّه بها معه إلى مكة فبلغها فى خامس رجب . وقد سبقه إليها ـــ فى مستهل رجب ـــ شيخنا العلامة المفنن عُمْدَة المقرئين شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري الدمشقي الشافعي ، قاضى القضاة بمملكة شيراز ، أدام الله به النفع ، وعامله باللطف ؛ فإنه توجه من شيراز مريدًا للحج فى العام الماضى ، فعرض له بنو لأم بقرب عُنَيْزَة ، فنهبوا ما معه من التحف التى استصحبها هدية لأعيان أهل الحرمين ، وتأخر بعنيزة لتحصيل كتبه وترقيع حاله . فلما ظفر بكتبه توجّه قاصدا للمدينة النبوية ، فنهبه بعض بنى حسين ثانيا ، وتوصل إلى المدينة النبوية فى صفر من هذه السنة ؛ فأقرأ بها القرآن والعلم ، وأسمع الحديث . وتوجّه منها فى جمادى الآخرة إلى ينبع ، وركب من هناك البحر إلى جُدَّة ، وتوصل منها إلى مكة ؛ ففعل بها ما فعله فى المدينة من إقراء القرآن والعلم والإسماع . وحضر إليه الشريف حسن بن عجلان وبعض أولاده ، وأعيان غلمانه ، وسمعوا على شيخنا المذكور شيئا من الحديث ، وقصيدة مدح بها السيد الشريف حسن بن عجلان ، أولها :

سَلَامٌ كَنَشْرِ المِسْكِ فى السِّرِّ والعَلَنْ
يَضُوعُ عَلَى مَنْ وَجْهُهُ كَاسْمِهِ الحَسَنْ

قلت(١) : وباقيها هو :

حَسِيبٌ نَسِيبٌ سَيِّـــدٌ مُتَـــوَاضِعٌ
شَرِيفٌ ظريفٌ كلُّ وَصْفٍ لَهُ حسَنْ
فَتًى حَازَ حُسْنَ الخُلْقِ مع حُسْنِ خَلْقِهِ
وبالجِدِّ نالَ الجَدَّ من جَدِّهِ الحسَنْ
فَبُشْرَاهُ إِنَّا قَدْ رَوَيْنَا مُسَلْسَلاً
عَنِ الحَسَنِ البَصْرِى عَنِ السيِّدِ الحَسَنْ
عَنِ الحَسَنَيْنِ الاسْمُ والوصفُ [قد](٢) أتَى
أَحْسَنُ الحَسَنِ الوَافِى هُوَ الخُلُق الحَسَنْ
كَذَلِكَ قَوْلُ المُصْطَفَى سَيِّدِ الوَرَى
حديثًا رَوَيْنَاهُ مُسَلْسَلُهُ حَسَنْ
إذا حَسَّنَ الرحمنُ خَلْقًا مِنَ آمْرِىءٍ
وخُلُقًا فليس النارُ مِنْ ذَاكَ تطْعَمَنْ
ألاَ يابنَ عجلانَ الذي عَمَّ عَدْلُه
حِجَازًا ونَجْدًا مَعْ تِهَامَةَ وَٱلْيَمَنْ
ومَنْ جُودُهُ أَحْيَا البِلَادَ فَمَا عَسَى
يُقَابِلُهُ جُودُ الغَمَامِ إِذَا هَتَنْ
ومَنْ صَوْتُه فِي الحَرْبِ أَعْظَمُ جُنَّة
فمِنْ ذَاكَ لا يُحْتَاجُ مَعْهُ إِلَى جُنَنْ/

(١) أي مؤلفنا العز بن فهد .

(٢) إضافة يستقيم بها الوزن .

وَمَنْ وَجْهُهُ فى السِّلْمِ يُشْرِقُ نُورُهُ ١٦١ظ
ولَكِنَّهُ إِذْ زِينَ بالحِلْمِ مَافتَنْ
مَلِيكٌ لِـمَنْ وَالاَهُ أَحْنَفُ فِيهِمُ
وَلَكِنْ عَلَى الأَعْدَاءِ سَيْفُ بنُ ذِى يَزَنْ
فيا أَيُّهَا الحَادِى تَرَنَّمْ بِذِكْرِهِ
وأَطْرِبْ وَرَجِّعْ فِي الحجازِ بِهِ وَغَنْ
وكرر على العشاق يحلُو وَطيِّبِ الـ
مَقامَ بعُودِ لا كمن جاء بير بن(١)
وفِي حَسَنٍ قُلْ فى الحُسَيْنِى وحَسِّنَن
وغَنِّ بهذا المَدْحِ لأَمْدح مَنْ لَحَنْ
إِليكَ قَطَعْتُ البِيدَ والحَجُّ مُنْيَتِي
وقَدْ نَالنَي كُلُّ المَخَاوِفِ والمِحَنْ
ولاَسِيَّمَا لَـمَّا عَبَرْتُ عُنَيْزَةً
وجَاءَتْنِيَ الأَعْرَابُ واللَّيْلُ قَدْ أَجَنْ
وفِي لَحْظَةٍ جَارُوا عَلَى كُلِّ مَامَعِى
وَحَازُوهُ حَتَّى عَرُّوا الرَّأْسَ والبَدَنْ
وأَصْبَحْتُ مُلْقَى وَسْطَ بَرِّيَّةٍ وَ لاَ
مُجِيبٌ وَلاَدَاعٍ سِوَى الوَحْشِ والدِّمَنْ
فَسُبْحَان مَعْبُودٍ يُعِينُ إِذَا قَضَى
ويعطف بالعبد الذى جا(٢) ليستكن

---
(١) كذا فى الأصل
(٢) فى الأصل « محوا » ، وعليها علامة خطأ (×) ولعل الصواب ما أثبته .

وَمَا أَسَفِي إلاَّ عَلَى الحجِّ فَاتَنِي
وَأَيْضًا عَلَى مَا كَانَ بِٱسْمِكَ مِنْ زَمَنْ
وَلَيْسَ بِخَافٍ عَنْكَ مَاهُوَ صُحْبَتِي
إِذَا رُمْتُ حَجًّا أَوْ خَرَجْتُ مِنَ الوَطَنْ
للاصْحَاب والأَهْلِينَ فِي مَكَّةٍ وَفِي الـ
شّآمِ وَمِصْرٍ وَالمدينةِ فَٱنْظُرَنْ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو كُرْبَتِي لِيُغِيثَنِي
وإنْ لَمْ تُغِثْنِي ياإِلَهَ ٱلْوَرَى فَمَنْ
وقَدَ تَحْسُنُ الشَّكْوَى إِلَى ذِي مُرُوءَةٍ
يُوَاسِيكَ أَوْيُسَلِّيكَ أَوْ يَتَوَجَّعَنْ
وَلَوْ أَنْ مَابِي مِنْ ضَنًى وصَبَابَةٍ
عَلَى جَبَلٍ لَمْ يَبْقَ فِي النَّارِ مِنْ سَكَنْ
لَعَلَّ إِلَهَ العَرْشِ يَرْحَمُ غُرْبَتِي
وَيَجْبُرُ كَسْرِي فَهْوَ مَازَالَ ذَا مِنَنْ
مُجَاوَرَتِي تَكْفِي ورُؤْيَةُ وَجْهِكُمْ
وَإِقْرَائِي القُرْآنَ وَٱلْعِلْمَ وَالسُّنَنْ
وإِسْنَادِيَ العَالِي الصَّحِيحَ عُشَارِيًا
إِلَى الـمُصْطَفَى لاَ بالأشجّ ولا رَتَنْ
وأَخذِىَ عُمْرَاتٍ مِنَ الحِلِّ قَانِعِي
وسَعْيِي وتَطْوَافِي لَدَى البَيْتِ تَكْفِيَنْ
وأَرْجُو مِنَ اللَّهِ الكَرِيم يُنِيلُنِي
لَدَىَ قَابِلٍ مَبْرُورَ حَجٍّ ويُبْقِيَنْ

فَيَـارَبِّ قَدِّرْنِـى عَلَـى ذَا وَقَوِّنِـــى
إلَهى فإنّ العظـمَ مِنِّـي قَدْ وَهَـنْ

فياليـت قَوْمِـى يَعْلَمُـــونَ بِأنَّنِـــى
بِخَبْــيرِ مَكَـانٍ عِنْدَ أكْرَمِ مُؤْتَمَنْ
فإنّ جِوَارَ البَـيْتِ طُهْــرُ قُلُوبِنَـــا
وغَاسِلُ أدْنَاسِ الذنوبِ مع البَـدَنْ
فياسعـدَهُ مَنْ كَانَ فِيـه مُجَـــاوِرًا
ويـا فَوْزَهُ إنْ مَاتَ فيـه أوِ انْدَفَـــنْ
ومَنْ لَمْ يُجَاوِرْ ابنَ عَجْــلَانَ حاكمًا
بمكـة يُحْيِـى العَـدْلَ فيها لَيَنْدَمَـنْ ١٦٢و
ولـو يَطْـلُبُ السلطـانُ لِي لَأُبَيِّنَـن
وفى ضِمْنِ نُصْحِى كيفَ أنتَ لَأُشْرَحَنْ
وأحكـى له عَنْ حَالِ مكـة قَبْـلَ ذا
بِستِّيــــنَ عامـــا ثُمّ مَا حالُها إذَنْ
فَــــتًى مَا رَأَيْنَـا قَبْلَـــهُ كَانَ مِثْلَـــه
ولاَ بَعْـدَه واللــهُ يُبْقِيـــه يُوَحّـــدَنْ
فَشكْـرِى له ياصاحِ يَحْلُـو مُكَـــرَّرًا
وفِكْرِى إذَا مَاحَارَ فِى مَدْحِهِ شَجَنْ
فيـا حَسَنًـا يافـارِسَ الخَيْـلِ يَافَتًـــى
أعِنِّـــى فَإنِّـــى فِى جِوَارِكَ مُرْتَهَـــنْ

وأَنْتَ مُرَادِى ياأُوَيس(١) زَمَانِـــــهِ
وَإِنِّى مُصِيبٌ لا انتجاحى فى قَرَنْ
وَإنَّ بَنِـيَّ النُّـجْبَ يَأْتُـونَ قَابِــــلاً
وَمِنْهُمْ وَزِيرُ الرُّومِ عَنِّـيَ قَدْ شَطَـنْ
لَهُ غَائِبٌ عَنِّـى سِنِيــــنَ مَدِيــــدَةَ
كَتَبْتُ إليـه أن يَجِـىءَ لِيــــنْصرَنْ
وَصَدْرُ صُدُورِ الـرُّومِ يَأْتِـى بِتُحْفَـةٍ
مَعَ ابـنِكَ إن شاءَ الإِلَـهُ لَيَأْتِيَــــنْ
كتبتُ إليـــه أن يجىءَ مُعَجِّــــلاً
بدَرْبِ القَطِيف أَوْيَجِىءَ عَلَى عَدَنْ
فلـو كان فى الدنيـا طريـقُ عُنَيْـزَةٍ
وأُخرَى بنى لَامٍ ومَنْ نَحْوَهُمْ سَكَنْ
وَأَبْقَـاكَ يَا بَدْرَ البُـدُورِ وَسَيِّـدَ الْـ
ـمُلُوكِ وَمُحْيِي الحقّ والعَدْلِ فى سَنَنْ
فَخُذْهَـا عَرُوسًا بِنْتَ فِكْـرٍ كَرِيَمـةً
عَلَى عَجَلٍ وَافَتْ مَع ٱلْهَمِّ وَٱلْحَزَنْ
وَلَـيْسَ لها كُفْـءٌ سِوَاكَ وَحُسْنُهَـــا
يَفُـوقُ فقابِلْهَـا بِالاحْسَان يَاحَسَنْ

---

(١) يشبه الشريف حسن بالعابد أويس بن عامر القرني ، من أوائل التابعين ، بَشَّر النبي ﷺ به ، وأوصى به أصحابه ، مات في ولاية عمر بن الخطاب رضي الله عنهما . (حلية الأولياء ٢/٧٩ ــ ٨٧) .

عَلَى أَنَّنِـي مَاكُنْتُ بِٱلشِّعْـرِ مَادِحًـا
لِغَيْرِكَ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ شِئْتَ فَاسْأَلَنْ
ولَكِنَّنِي لَمَّـا عَدِمْتُ هَدِيَّتِـي
أَتَيْتُ بِمَا يَبْقَى مَدَى الدَّهْرِ وَالزَّمَنْ
وإِنْ كُنْتُ قَدْ قَصَّرْتُ سَعْيًا بِمِدْحَتِي
فَمِنْ بَعْدِ سَعْيِ المَرْءِ يَقْضِينْ وَسَنْ(١)

فَدُمْ وَاسْمُ وَٱسْلَمْ وَٱغْنَ وَٱغْنَمْ وَجُدْ وَسُدْ
مَعَ أَوْلَادِكَ الغُرِّ الكِرَامِ أُولِي المِنَنْ
سِنِينَ أَعَـادَ اللَّـهُ مِنْ بَرَكَاتِهِـمْ
وَأَبْقَاكُـمُ تُحْيُوا ٱلْفَرَائِضَ والسُّنَـنْ
وَلَازِلْتُـمُ فِي نِعْمَـةٍ وَسَعَـادَةٍ
تَعِيشُونَ فِي عِزٍّ وَأَمْنٍ بِلاَ مِحَـنْ

انتهى .

وقال الفاسي(٢) : وصار السيد حسن يقيم وقتا بمكة ، ووقتا بأماكن من بَوَاديها . ولما حضر الحجاج المصريون إلى مكة وافاهم وخدَمَ المحمل المصري على العادة ، وراعى مصالح الحجاج بحراستهم .

(١) فى الأصل « وسين » ، وعليها علامة خطأ (×) ، والمثبت يستقيم وزناً ومعنىً .
(٢) العقد الثمين ٤/١٣٩ .

ولما بلغه موت الملك(١) إبراهيم ابن الملك المؤيد صاحب مصر أمر بالصلاة عليه والقراءة لأجله ، وكان ابتداء القراءة فى يوم الجمعة خامس شعبان ، وفيه صُلِّىَ عليه بعد الجمعة ، واستمرت القراءة عليه إلى صبيحة / يوم الجمعة الرابع عشر من شعبان ، وكان يحضر ١٦٢ظ للقراءة مع الناس مَرَّات كثيرة .

وفى ليلة منتصف شعبان حضر مع الناس بالمسجد الحرام وقرءوا ختمة للسلطان الملك المؤيد ، ودُعِىَ له عقيب ذلك ، وكُتِبَ بذلك مكتوبان .

ولما تكلّف لخدمة أمراء الحاج فى موسم هذه السنة استدان لأجل ذلك من التجار والمتسببين ، وبعث عقيب الحج رسولا وهدية ببعض الأشياء المباركة إلى صاحب الشرق الملك شاه رخ بن تيمور لنك ، وأوصى شيخنا العلامة شمس الدين بن الجزرى السابق ذكره برعايته فى ذلك كثيرا ؛ فأجابه لقصده . وكان ابنه السيد أحمد بن حسن قد توجّه فى آخر العام الماضى مع قافلة عقيل ، فبلغ هرموز ، وعاد بغير طائل مع قافلة عقيل قبل التروية من هذه السنة .

وفى يوم الاثنين ثانى عشر شهر ربيع الأول من سنة أربع وعشرين وثمانمائة : وصل إلى مكة تشريفان له ولابنه السيد زين الدين

---

(١) كذا فى الأصل ، والعقد الثمين ٤/١٣٩ . وهو الأمير صارم الدين إبراهيم ابن السلطان المؤيد شيخ المحمودي ، توفي فى خامس عشر جمادى الآخرة سنة ٨٢٣ هـ ، وسنه يزيد على العشرين قليلاً ، وكان شجاعاً نبيلاً ، قاد الجيوش ولازمه النصرُ ، وفرض سلطان الدولة فى شمال الشام . (النجوم الزاهرة ١٤/١٦٥ ، ١٦٦) .

بركات ، وعهدٌ يتضمن تفويض إمرة مكة إليهما . وتاريخ هذا العهد مستهل صفر سنة أربع وعشرين وثمانمائة ، وهذا العهد مكتوب عن الملك المظفر شهاب الدين أبي السعادات أحمد ابن الملك المؤيد[(١)] . والمنفذ له وللتشريفين مُدَبِّر دولتهِ المَقَرُّ الأشرفُ السَّيْفِي نظامُ الملك طَطَر ؛ لأن الملك المؤيد حصل له فى شوال من العام الماضى ضعف خيف عليه منه ، فعهد بالسلطنة لابنه المشار إليه ، وله دون سنتين ، وجعل الأمير أَلْطُنْبُغَا القَرْمَشِيّ[(٢)] أتابكه . وكان القَرْمَشِي مُجَرَّدًا فى جماعة من أعيان الأمراء والعساكر ببلاد الشام ؛ لحفظها من قَرَا يُوسُف[(٣)] التركماني ، والمُجَهِّز لهم الملك المؤيد فى رمضان من سنة ثلاث وعشرين ، وجعل — حين عهده لابنه — جماعة من الأمراء الحاضرين عنده بالقاهرة ، ينوبون عن القَرْمشيّ إلى حين حضوره . وحصل للسلطان بعد ذلك عافية فتوجّه للبُحَيْرَةِ[(٤)] ، وعاد منها عليلا . واستمرَّ حتى مات فى بكرة يوم الاثنين ، ثامن

---

(١) وانظر في سلطنة المظفر هذا : النجوم الزاهرة ١٦٧/١٤ — ١٩٧ .

(٢) هو الأمير سيف الدين ألطنبغا بن عبد اللهالقرمشي الظاهري أتابك العساكر بالديار المصرية ، وقد قتله الأمير ططر قبل ولايته للسلطنة فى منتصف جمادى الأولى سنة ٨٢٤ هـ بقلعة دمشق ، وكان من محاسن الدنيا . (النجوم الزاهرة ٢٣٦/١٤ ، ٢٣٧ ، والدليل الشافي ١٥١/١ برقم ٥٣٦) .

(٣) هو يوسف بن محمد بن بيرم خجا ، الأمير قرا يوسف التركاني ، صاحب بغداد والموصل . توفي فى ذى القعدة سنة ٨٢٣ هـ . (الدليل الشافي ٨٠٧/٢ برقم ٢٧١٦ ، والسلوك للمقريزي ١/٤ : ٥٤٥ ، والنجوم الزاهرة ١٦٣/١٤ ، ونزهة النفوس ٤٨٤/٢ برقم ٦٠٠ ، والضوء اللامع ٢١٦/٦ برقم ٧٢٣) .

(٤) هي محافظة البحيرة ، وتقع شمال غرب جمهورية مصر العربية .

المحرم من سنة أربع وعشرين وثمانمائة . وَٱتَّفَقَ أعيانُ أهل الدولة على أن يكون المقر الأشرف طَطَر مُدَبِّرًا للأمور ؛ لخصاله المشكورة ، وفوّض ذلك له الخليفةُ المعتضدُ داود بن المتوكل العباسي(١) ، أخو المستعين بالله أبى الفضل العباس بن المتوكل ؛ لأنه أقيم [فى الخلافة](٢) بعد اعتقال أخيه المستعين بالإسكندرية فى سنة سبع عشرة وثمانمائة ؛ فأخذ الأمير طَطَر عليهم وعلى كافة الأعيان من العلماء ، وقضاة القضاة البَيْعَةَ للملك المظفر عقيب موت والده ، وأحسن تدبير أمور الناس ، وجهَّز للسيد حسن وابنه التشريفين والعهد ، وجهز تشريفين لأميرى المدينة النبوية وينبع ، وقُرِئ العهدُ المشار إليه وكتابٌ عن السلطان المظفر ، مؤرخ برابع عشر صفر ، وذلك بالحطيم فى المسجد الحرام ، فى بُكْرَة يوم الأربعاء رابع عشر ربيع الأول . بحضرة السيد بركات وغيره من قضاة مكة والأعيان بها ، ولبس تشريفه ، وطاف عقيب ذلك سبعا بالكعبة المشرفة ، والمؤذن بأعلى قبة زمزم يدعو له جهرا ، على عادة أمراء مكة ، وركب من باب الصفا ودار فى شوارع مكة .

وفى الكتاب المشار إليه : الإعلام بوفاة الملك المؤيد / . ١٦٣و
ومبايعة أهل الحل والعقد من العلماء والعسكر للملك المظفر ،

---

(١) هو داود بن محمد بن أبي بكر بن سليمان ، الخليفة المعتضد بالله أبو الفتح ، تولى الخلافة بعد أخيه المستعين بالله العباس فى ذى الحجة سنة ٨١٦ هـ . وتوفي فى ربيع الأول سنة ٨٤٥ هـ . (الدليل الشافي ١/٢٩٦ برقم ١٠١٧ ، والنجوم الزاهرة ١٥/٤٨٩ ، والضوء اللامع ٣/٢١٥ برقم ٨٠٥) .

(٢) إضافة عن العقد الثمين ٤/١٤٠ .

وجلوسه على تخت الملك . وخدمه العسكر ، وعُمِلَ الموكب بين يديه ، وأُمِرَ فيه بمراعاة مصالح الناس بمكة ، وتعظيم أمر حكام الشرع ، وإعادة ما أخذ من التجار إليهم ، وإسقاط ما جدد من المكوسات . وأُعْفِى فيه السيد حَسَنًا من تكلف شيء لأمراء الحاج .

وفى العهد المتضمن لتفويض إمرة مكة إليه وإلى ابنه نحو من ذلك ، والأمر بمراعاة مصالح الرعية ، وغير ذلك من الوصايا النافعة . وكان السيد حسن فى هذا التاريخ غائباً عن مكة بناحية اليمن فى جهة الواديين ، أو قُرْب ذلك . ولما بلغه موت السلطان الملك المؤيد ـــ وذلك فى النصف الثانى من صفر ـــ رام أن يجعل ابنه السيد إبراهيم حاكما بمكة مع ابنه السيد بركات ، ويكون لكل منهما ثلث الحاصل لأمير مكة ، ويصرف كلٌّ منهما الثلثَ فى جماعته على ما يراه .. ويُبْطِل الرسومَ التى كان قررها للأشراف والقوّاد فى كل سنة ، وجعل الأشراف إلى ابنه السيد إبراهيم ، والقواد لابنه السيد بركات ، وجعل له الثلث الباقى من الحاصل لأمير مكة ، يصرفه فى مصالحه وخاصة نفسه ، فلم ينتظم هذا الأمر ؛ لكون القُوّاد لم يوافقوه على إبطال ما كان قرره لهم من الرسوم في كل سنة .

ومضى هو وابنه السيد إبراهيم بعد ذلك إلى صوب اليمن ، وجاء الخبر بعد ذلك من مصر بما ذكرناه ـــ والله يصلح الأحوال .

وفى هذه السنة : وصل ابنه إبراهيم من ناحية اليمن ، ومعه الأشراف ، فألزموا المؤذن بالدعاء لإبراهيم على زمزم وقت طوافه بالكعبة الشريفة ، ففعل ذلك ؛ فلم يسهل بأخيه بركات وجماعته ،

وتنافر الأخـوان وجماعتهمـا ، وقصد إبـراهيم دخـول جدة فعـورض ، وقصد بركات بعد ذلك دخول مكة فعـورض ، وصار يُخْـطَبُ بمكـة لإبـراهيم مع أبيـه وأخيـه . وذلك عقب وصولـــه من اليمن فى نصف هذه السنة ، وسأل والدُهُ من الدولة بمصر تقريـرَ ولديـه المذكوريـن فى الإمرة بمكة فلم يُجَبْ لقصده ، وكُتِبَ إليه بما معناه : لانثق فى أمـر مكة إلا بك ، ولكنك آستَنِبْ من شئت .

وهـذا الكتـاب وصل إليـه وقت الموسم من سنـــة أربـــع وعشرين من الملك الظاهر طَطَر[١]، بعد أن بويع بالسلطنـة بدمشق في تاسع عشرى شعبان من هذه السنة ، وأذعـنت له بالطاعـة ديـارُ مصر والشام ، وبدا منـه عدل كثير . وأرسل للشريـف حسن يأمـره بإسقاط المكس ، وألا يُكلِّف التجارَ بمكـة قرضا ، وكـتبَ بذلك فى سَوَارِى من المسجـد الحرام من ناحيـة باب بنـى شيبـة ، وفى جهـة الصفا ، وبعث للشريف حسن بألف أفلـورى أو نحوهـا ، كان خدم بها أمير الحاج المصرى فى العام الماضى .

وفى هذه السنة : نفـر كثيـرٌ من القـواد والأشراف عن طاعـة الشريف حسن ، وانضموا إلى ابن أخيـه السيـد رُمَيْثَـة بن محمـد بن عجلان ، واستولـوا على جُدَّة ، وانـتشروا فى الطرقـات ؛ فنجـل أكثر الـواصلين من اليمن ـمن غير جدة ، ووصلـوا إلى مكـة متحفزيـن ، ومـازال الشريـف حسن يسعـى حتـى بان عن رُمَيْثَـة أكثرُ مَنْ كان

(١) وانظر سلطنة الملك الظاهر ططر فى النجوم الزاهرة ١٤/٩٧ ـــ ٢١٠ .

معه ؛ فدخل فى / طاعة عمه وتوسّل إليه بابنه بركات فأكرمه ، ١٦٣ظ وذلك فى أوائل سنة خمس وعشرين وثمانمائة . وجاء فى هذا التاريخ من ينبع صاحبها الشريف مُقْبِل بن مِخْبَار نجدةً للشريف حسن ، ومضيا بعسكرهما ـــ ومعهما الأشراف آل أبى نُمَيٍّ ـــ خلف القواد العمرة وغيرهم ، حتى جاوزوا الواديين فى ناحية اليمن ، ثم نفر عن الشريف حسن ابن أخيه رُمَيْثَة وغيرُه من إخوته وبنى عمه أولاد على ابن مبارك ، وذوى ثَقَبَة ، ولايموا القوادَ العمرة ، وتنافر الشريفان حسن ومُقْبِل فى الباطن ؛ لشدة رغبة مُقْبِل فى مطاوعة الشريف حسن له فى قتال القواد ، ولم يجبه لذلك الشريف حسن ؛ لما بلغه من أنه المُجَرِّئ لابن أخيه وبنى عمه على مباينته والانضمام على القواد .ووصلا لمكة والودّ بينهما ظاهر . وأظهر مقبل عزما لينبع ، وسئل فى الإقامة بمكة على مال جزيل بذل له ، فلم يمل لذلك ، وما رحل من وادى مَرّ حتى وصل إليه رُمَيْثَة وأقاربهُ وكثير من القواد واستولوا على جُدَّة .

وتوجه عقيبَ ذلك الشريفُ حسن لنخلة ، وأقام بها أياما ، ثم للشرق ، واستفاد فيه خيلا كثيرة ، وإبلا وغنما ، وأتاه إلى هناك جماعة من القواد العمرة يسألونه فى المسير إلى مكة ، وتمكينه من جُدَّة ، فتوقَّف . ثم أتى مكة فى آخر شوال من هذه السنة . وكان وصوله إليها من صوب اليمن مع مُقْبِل فى آخر جمادى الأولى من هذه السنة ، وبعد ذلك بنحو جمعة كان توجُّهه لنخلة ، ووافاه بمكة وقت وصوله من اليمن كتاب من مصر ، من مولانا السلطان الملك

الأشرف بَرْسْبَاي[١] صاحب مصر والشام ، يخبر فيه بأنــه بويــع بالسلطنة بمصر ، فى ثامن ربيـع الآخر من هذه السنـة ؛ وهـى سنـة خمس وعشريـن وثمانمائـة ، وأنـه رسم بتـرك تقبيـل الأرض بين يديــه تعظيما لله تعالى . وكان مولانا السلطان المشار إليـه يُدبِّر قبـل ذلك دولة الملك الصالح محمد ابن[٢]الملك الظاهـر ططـر ، ولـه نحو عشر سنين ، وكان قد بويع بالسلطنة قبـل موت أبيـه ، وكان موت أبيـه فى رابع ذى الحجة سنة أربع وعشرين وثمانمائة بمصر بعد وصولـه إليها من البلاد الشامية ، وكانت مدة سلطنة الصالح أربعة أشهر وأربعـة أيـام ، ومدة سلطنة أبيه ثلاثة أشهر وخمسة أيام ، ومدة سلطنة المظفر أحمد ابن المؤيد سبعة أشهر واثنـان وعشرون يومـا ، وكان له من العمـر نحو سنتين وقت سلطنته ، وهو حي ، وكذلك الصالح .

ومازال الشريف حسن يسعـى حتـى بان عن رُمَيْثَـة أكثر من كان معـه ، وقصد[٣] رُمَيْثَةَ ومـن معـه لصوب جدة ، فهربـوا إلى مَرِّ الظهران ، ودخل فى طاعتـه ممن مع رُمَيْثَـة مَيْـلَب بن على بن مبـارك وغيره ، واستولى الشريـف حسن على جُدّة ،ومضى رُمَيْثَـة ومـن معـه من الأشراف آل أبى نميّ والمولديـن من أولاد عبيـد جده عجـلان إلى

---

(١) وانظر سلطنة الملك الأشرف برسباي الدقمـاقي الظاهـري فى النجـوم الزاهـرة ٢٤٢/١٤ ــ ١١١/١٥ .

(٢) وانظر سلطنة الملك الصالح محمد بن ططر فى النجـوم الزاهـرة ٢١١/١٤ ــ ٢٣٤ .

(٣) أي الشريف حسن .

ينبع ، وأعانوا صاحبها مُقْبلاً فى حروب بنى أخيه وُبَيْر بن مخبار ؛ فإن عقيل بن وُبَيْر مضى فى أثناء سنة خمس وعشرين لمصر ، وولى بها نصف إمرة ينبع ، وبدا من عمه تقصير فى حق صاحب مصر .

فلما وصل الحجاجُ من مصر لينبع فى ذى القعدة من هذه السنة / بان مُقْبِلُ عن ينبع ، وبعد رحيل الحجاج عن ينبع لمكة بأيام ١٦٤و جمع وحشد لحرب بنى أخيه ، وتكررت بينهم الوقعات ، ونالوا منه أكثر مما نال منهم ، وأعانهم فى بعضها الحجاجُ المصريون ، بعد عودهم من الحجّ والزيارة للمدينة النبوية . وكان مقبل في هذه الوقعة غافلا عنهم فبيَّتوه سحراً ، وبالجهد أن نجا ، ونهبت حِلَّتُه ، وفيها له نقد طائل — فيما قيل — وإبل كثيرة . وكان قبل ذلك قد ظفر ببعض بنى أخيه — بخديعة دَبَّرها — وقيدهم ، فوُجدوا بحلته فأطلقوا . وبعض الحروب بينهم وبين عمهم فى آخر سنة أربع وعشرين ، وأكثرها فى سنة خمس وعشرين .

وأنجد الشريفُ حسن أولادَ وُبَيْر بخيلٍ وسلاحٍ ورجال ،، وعزم على المسير إلى ينبع لنصرتهم ؛ فأتاه للفور مُقْبِلٌ خاضعا ، فأكرمه وأعرض عن توجهه لينبع . وسأله مقبل فى المسير معه لينبع فلم يفعل ، واعتذر له بوصول كتاب صاحب مصر إليه بأن يسعى فى تحصيل مقبل ، وشرط على مقبل أن يبين عنه رُمَيْثَة ومن معه .

ولما عرف رُمَيْثَة بذلك قصد عجلان بن نعير بن منصور بن جَمَّاز بن شيحة الحسيني أمير المدينة النبوية فى أن يشفع له إلى عمه فى الرضى عنه ، ويلزم طاعة عمه ؛ فأتى عجلان للشريف حسن

متشفعا ، فأجابه لقصده ، وحضر إليه ابن أخيه رُمَيْثَة فأكرمه ، وأمره بمباينة من كان معه من جماعة عجلان ، فرجعوا لينبع . وذلك فى ربيع الأول من سنة ست وعشرين وثمانمائة . ولم يقو بعد ذلك أحد من الأشراف ، ولا من القواد على معاندة الشريف حسن ، وتغيَّر خاطره على ابنه السيد إبراهيم ؛ لكونه آوى إليه الأشرافَ ذوى راجح ابن أبى نمَيّ ، وكان أبوه أمره بإبعادهم فلم يفعل ، ومضى بهم وبمن انضم إليهم من بقية آل أبى نميّ وغيرهم إلى صوب اليمن ، وانتهوا إلى الواديين باليمن ، وقُطِعَ ذِكْرُ إبراهيم فى الخطبة بمكة ، وفى الدعاء على زمزم بعد المغرب . وأتى إلى صوب مكة بمن معه فى شهر رجب من سنة ست وعشرين وثمانمائة ونزلوا بوادى مَرّ . وكان أبوه إذ ذاك بالشرق ، فقصده ، فلم ير منه إقبالا . وكان قد أعان أخاه السيد بركات بخيل ونفقة ، على أن يسيروا وراء الأشراف ، فساروا وراءهم إلى صوب اليمن ، ثم وصل الشريف حسن من الشرق إلى مكة فى رمضان من هذه السنة ، وسكنت الفتنة بين الأخوين وجماعتهم ؛ فاطمأنوا .

وأتاه كتابان من الملك الأشرف صاحب مصر : الأول يتضمن كثرة العتب عليه لأخذه فلفل التجار الواصلين إلى جُدّة من كَالِيكُوط[1] بالهند ، مجوريين على عدن ، وأمره بردّ ذلك إليهم ،

(١) كاليكوط = كليكوت : ولاية من ولايات الهند ، وحاضرة الولاية تأخذ اسمها ، حكامها سامريون كفار ، والمسلمون يعيشون فيها إلى جانب السامريين ، ويشتغلون بالتجارة ، ويجلب من هذه البلاد الفلفل والبهار . وفى الوقت الحاضر هي عاصمة البنغال الغربية ومرفؤها . (حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور ٢٨٧ ، والمنجد) .

بخطاب فيه عنف . والثانى يتضمن كثرة تعظيمه ، وفيه ما معناه : أنه بلغنا عنك تخيلك أنا نريد بك الاستبدال ، ولانفعل ذلك لمكانتك عندنا ، وإن غبت عن أعيننا فأنت فى القلب ، وما كنا نولِّى فى حرم الله تعالى أحدا من الترك ؛ فإن ينبع دون ذلك ، ولم نول فيها إلا شريفا ، ووصَلَنا كتابُك يتضمن طلبك منا خاتم الأمان ومنديل الرضا ، وقد جهَّزْنَا لك ذلك ؛ فطِبْ نفسا وقَرَّ عينا ، وسألتنا فى استنابة ابنك الشريف / ١٦٤ظ بركات فى إمرة مكة ، وما نثق في ذلك إلا بك ، وفى ذلك سبب للشحناء بين الإخوة ، فإن أردت ذلك فاستنبه ، وباشر خدمة المحمل الشريف والأمراء . انتهى .

وفيه سوى ذلك من تعظيمه وغيره . وأتاه هذا الكتاب فى أوائل ذى القعدة من هذه السنة .

وفى أوائل النصف الثانى من ذى القعدة : بان الشريف حسن عن مكة لصوب اليمن ، وقدمها فى أثناء العشر الأخير من ذى القعدة جماعةٌ من الأمراء المقدمين الألوف بمصر ، والطبلخانات وغيرهم من الترك ، مالايُعْهَدُ مثله فى الكثرة ، وراسلوا الشريفَ حسنًا فى الوصول إلى مكة ، فلم يصل واعتذر بالضعف ، ولايمهم ابنهُ السيدُ بركات أيَّاما . ولاقى أمير الركب الأول ، ثم أمير المحمل ، وخلع عليه من عنده ، ولم يمكنه من خلعة أمير مكة المجهزة لوالده . وشاع فى الناس أن الأمير قَرْقَمَاس أحدَ الأمراء الواصلين لمكة يقيم بها مع على بن عِنَان بن مُغَامِس بن رُمَيْثَة . وبلغ ذلك السيد حسنا فكثر تضرره . ولما أيسوا من وصوله بعثوا لرُمَيْثَة فى يوم عَرَفَة ،

وحرس الأمراءُ الحجاجَ حراسةً حسنة في توجههم لعرفة ورجوعهم إلى منى ، وباتوا بها فى ليلة التاسع إلى الفجر أو قربه ، وفى يوم النحر اجتمع السيد بركات ــ ببعض الأمراء بمكة ، وخدمهم عن أبيه بخمسة آلاف أفلورى ذهبا ــ أو ستة ، فيما قيل ــ وسافروا من مكة ، ولم يحدثوا بها حدثا ، وما تخلّف منهم أحد بمكة . وأقام منهم الأمير قَرْ قَمَاس بينبع بعد سفر الحجاج منها ، ينتظر ما يُؤْمَر به ، وجاءه الخبرُ أنه رسم بتَجَهُّزِ العسكر لمكة ، وبأمْرِ أهلِ ينبع والصفراء والمدينة بالمسير مع العسكر لمكة .

وكان الشريف مُقبل صاحب ينبع [توجّه](1) مع الأمراء بمصر ، فأكرمه السلطان ، وسَهَّلَ الأمرَ فى حصولِ غَرَضِ السلطان بمكة ، وكان وصوله لمصر بعد إطلاق ولده من السجن بمصر ، والإنعام عليه بنصف إمرة ينبع شريكا لابن عَمِّه عقيل بن وبير ــ أحْمَدَ اللهُ العاقبة ــ

وكان مما حدث بعد ذلك فى يومِ الجمعة نصف ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وثمانمائة وصلَ الخبرُ إلى مكة بأن الشريف على بن عِنَان بن مُغَامِس بن رُمَيْثَة الحسنى توجّه إلى مكة فى عسكر من مصر ، وبعد أيام قليلة فارَقَ مكة من كان بها من جماعة الشريف حسن بن عجلان ، وتوجهوا إليه بصوب اليمن .

وفى السابع والعشرين من هذا الشهر وصل الخبر لمكة

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن العقد الثمين ٤/١٤٧ .

بوصول ابن عِنَان والعسكر إلى ينبع .

وفى ثالث جمادى الأولى وصل الخبر بمسيرهم من ينبع .

وفى ليلة الخميس سادس جمادى الأولى من السنة المذكورة دخل إلى مكة كثير من العسكر المصري وغيرهم ، فطافوا بالبيت الحرام ، وخرجوا إلى ظاهر مكة ، ودخلها العسكر والشريف على بن عِنَان بمن انضم إليه من الأشراف والقواد العمرة والحميضات ، والمولدين المنسوبين لعجلان وابنه ، وهم فى تَجَمُّلٍ عظيم ، ضحوة يوم الخميس المذكور . وانتهى السيد على والأميران قَرْقَمَاس وطُوخ إلى المسجد الحرام ، فطاف السيد على بالكعبة المعظمة سبعا ــ والمؤذن يدعو له / على زمزم ــ وعليه خلعة الإمرة ، وقد لبسها قبل دخوله ١٦٥و إلى مكة ــ وقرئ توقيعه بولايته لإمرة مكة بظل زمزم ، بعد فراغه من الطواف ، وكان الجمع وافرا . وفى التوقيع : أنه ولي إمرة مكة عوض الشريف حسن بن عجلان ، وهو مؤرخ بنصف شهر ربيع الأول من السنة المذكورة . ونودى للناس بالأمان ، ولمن دَخَلَ فى طاعته من الأشراف والقواد والمولدين ، ومن لم يدخل فى طاعته فلا أمان له بعد شهر . وركب من باب الصفا ، ودار البلد بالخلعة ، ودعى له فى الخطبة يوم الجمعة سابع جمادى الأولى ، وفى ليلة الجمعة المذكورة على زمزم بعد المغرب ، وأعيد فيها الدعاء لصاحب اليمن الملك الناصر ، وفى الخطبة فى يوم الجمعة المذكورة . وكان ذلك قد ترك فى أوّل ذى الحجة من السنة الماضية .

وفى يوم السبت ثامن جمادى الأولى توجه السيد على بن عِنَان

والعسكر إلى جدة ؛ لتنجيل مركب وطرّاد وصلا إليها من كاليكوط بالهند مُجَوِّرَيْن على عدن ، فنجلا ذلك ، ورفقوا بالقادمين كثيرا ، وكان العسكر الواصل من مصر مائة وأربعة عشر فارساً ، وخيلهم كذلك ، وانضم إليهم من ينبع الأمير قَرْقَمَاس بمن معه من الترك ، وغيرهم ، وولاة ينبع ، وعادوا من جدة إلى مكة في سابع جمادى الآخرة . انتهى كلام الفاسى .

قلت[1] :

وفي اليوم الرابع عشر من ذى الحجة من السنة المذكورة : بعد أن تكاملت جميع الركوب فى المحطة ــ المصرى ، والشامي ، وغيرهما ــ توجه السيد على بن عِنَان وصحبته الأمير قَرْقَمَاس وأحمد الدوادار ، والمماليك السلطانية ، صوب الشريف حسن بن عجلان ؛ لأنه بلغهم أنه نازل بقرب مكة ينتظر توجه الركب ويدخل مكة ، فساروا جميعا فأدركوا ولده السيد بركات وجماعةً من الفرسان معه ؛ فانهزموا وأنذروا السيد حسنا فانهزم على الفور هو ومن معه ، وأدرك التركُ ولدًا للقائد [وُدَىّ][2] العمرى وقتلوه ورجعوا ، وسافر

(١) أي مؤلفنا عز الدين بن فهد ، والذي قاله مذكور فى إتحاف الورى ٣/٦٠٨ وما بعدها ، أضيف إلى العقد الثمين ٤/١٥٠ وما بعدها ؛ إكمالا لترجمة الشريف حسن لأن المؤلف كان قد انقطع عن إتمام الترجمة ، وترك وريقات ، بيضاء لإتمامها ، ولكنه لم يستدرك ذلك إلى أن مات .

(٢) إضافة عن إتحاف الورى ٣/٦٠٨

الحاج .

وسبب نزول السيد حسن قُرْبَ مكة أن الخواجا فخر الدين أبا بكر التُّوريزى(١) مشى في الباطن مع السيد مَيْلَب بن علي بن مبارك ، وأرسله إلى السيد حسن يبشره ـــ في الباطن ـــ بالبلاد ، وأن الخلعة وصلت مع الحاج ، وأن أمير الحاج ينتظر إلى وقت الرحيل ويبعث له بالتشريف يلبسه ويدخل مكة . فظن الشريف حسن وقوع هذه القضية على هذا الوجه ، وأن الأمر صحيح . وهو في الحقيقة خدعة ليحصل فى القبضة .

وفى جمادى الآخرة من سنة ثمان وعشرين وثمانمائة : خرج الأمير قرقماس [من مكة بمن معه في طلب السيد حسن بن عجلان ، حتى بلغوا حَلْي من أطراف اليمن ، فلم يقابلهم السيد حسن ـــ مع قوته وكثرة من معه ـــ بل تركهم وتوجّه نحو نجد ؛ تنزها عن الشر وكراهة للفتنة ، فعاد الأمير قرقماس](٢) ومن معه إلى مكة فى عشرين جمادى الآخرة .

وفى سنة ثمان وعشرين : عُزِل السيدُ على بن عِنَان عن إمرة مكة المشرفة ، ورسم السلطان الأشرف بطلب السيد حسن بن عجلان إلى الأبواب الشريفة ، وتقدم له بذلك القاضى نجم الدين بن

(١) هو أبو بكر بن محمد بن محمد بن يوسف بن حاجي التبريزي ـــ والعامة يقولون التوريزي ـــ الشهير بابن بعلبند ، تاجر السلطان . توفي سنة ٨٥٩ هـ . (الضوء اللامع ٩٣/١١ برقم ٢٤٤) .

(٢) سقط فى الأصل ، والمثبت عن إتحاف الورى ٦١٩/٣ ، وانظر السلوك للمقريزي ٢/٤ : ٦٨٧ .

ظهيرة من عقبة أيلة ، ومعه دوادار أمير المحمل في هذا العام الأمير تغرى بردى المحمودي ، فذهبا إلى السيد حسن بالليث وأخبراه برضى السلطان عنه ، وبشّراه بالبلاد إن قابل المحمل ووطىء البساط ، وطمأنا خاطره ؛ فبعث معهما ولده السيد بركات ، / ١٦٥ظ فاجتمع بأمير الحاج — وقد نزل بطن مَرّ — فى ثامن عشرى القعدة ؛ فسر بقدومه ودخل معه مكة أول ذى الحجة ، وحلف له بين الحجر الأسود والملتزم أن أباه لايناله مكروه من قبله ، ولا من قبل السلطان . فعاد إلى أبيه وقدم به معه مكة يوم الأربعاء رابع[١] ذى الحجة ، وخرج للقائه أمير الحاج ، والأمير قرقماس ، وأمير الأول ، وجماعة مَن فى الركب من أعيان المملكة ، ودخل مكة المشرفة — وفى خدمته الأمراء والأعيان — فابتدأ بالطواف ، وحلف له أمير الحاج ثانيا والتزم له رضى السلطان عليه ، وطمأن خاطره ، وألبسه التشريف السلطاني ، وقرره فى إمارة مكة على عادته . ثم خرج بعد الفراغ من الطواف الى صوب المدرسة المنصورية ، فسلم على خوند زوجة السلطان الأشرف ، وكانت ضعيفة ، وتوفيت بالمدينة الشريفة بعد الفراغ من الحج ورجوعها . ثم حج الشريف [حسن][٢] فى محفة أعطاها له أمير الحاج . وحج الناس وهم طيبون .

---

(١) في الأصل « ثامن » ، والمثبت عن إتحاف الورى ٦٢٣/٣ ، ويؤكد صوابه أن وقفة عرفات كانت يوم الاثنين كما فى المرجع نفسه ، والسلوك للمقريزي ٧٠٠:٢/٤ .

(٢) إضافة عن إتحاف الورى ٦٢٣/٣ .

وتوجه السيد حسن إلى القاهرة فى المحفة صحبة أمير الحاج ، وصحبته عتيقه شُكْر ، واستخلف ولده السيد بركات على مكة ، وتجهَّزَ الأمير قَرْقَمَاس وبعضُ الأتراك وصحبتهم السيد على بن عِنَان إلى القاهرة . وتخلّف الأمير أُرَنْبُغَا ـــ رأس نوبة ـــ الأشرفي ، ومعه مائتا مملوك بمكة المشرفة ، وهو باش[١] العسكر وحاكم عليهم .

وفى رابع عشرى المحرم سنة تسع وعشرين : وصل السيد حسن بن عجلان إلى القاهرة بعد أن أمر السلطان أعيان الدولة من أمرائه ومباشريه بتلقيه وإعزازه وإكرامه . فلما أن حضر بين يدي السلطان أنعم عليه بالخلع والإنعامات ، وقدم له كل واحد من أركان الدولة التقاديم[٢] والضيافات ، وأهدوا له الخيول المسومة ، والسروج المغرقة . وكان يوم دخوله يوما مشهودا ، وفرح به السلطان وأحبه وأكرمه ، وأقبل عليه إقبالا كليا .

فلما كان في سابع عشرى المحرم ـــ ويقال في العشرين من جمادى الأولى ـــ سنة تسع وعشرين وثمانمائة قرره السلطان فى إمرة مكة والتزم [الشريف حسن][٣] بثلاثين ألف دينار ، وبعث عَبْدَه زين الدين شكرا إلى مكة لحفظ ساحل جدة ومتحصلها ، ولتجهيز العسكر المقيم بها . فوصل شكر إلى مكة ، وجهز العسكر وباشهم الأمير أَرَنْبُغَا إلى الديار المصرية .

(١) باش العسكر : أي رئيسهم .

(٢) التقاديم : مصطلح في ذلك العصر ، يعني ما يقدم من الهدايا .

(٣) إضافة للتوضيح .

ولما سافر الشريف حسن إلى القاهرة نظم الأديب شهاب الدين أحمد بن سعد بن أحمد الخيفي(١) قصيدةً مخاطبا بها السلطان الأشرف على لسان مكة المشرفة ، وتشوّق فيها إلى السيد حسن ، أولها :

من البلدِ المخصَّصِ بالأمان ⁂ وكعبَتِهَا المشرفةِ المبانى
تُقَبِّلُ كَفَّ سلطانِ البَرَايَا ⁂ أبي النصر الموفق للأمانى
بِرِسْبَاي الذى ملكت يداه ⁂ جميعَ الخلقِ من قاصٍ ودَانِ /
١٦٦و وتنهى مابها من عُظْمِ شَوْقٍ ⁂ إلى سلطانها بدر الزمان
وتشكو ما بها من سوء حال ⁂ وَمِنْ ضُرٍّ تَرَاهُ ومِنْ هَوَانِ

ومنها :

فيا ملكَ الملوك ولا أحاشي ⁂ ويافردَ الزمان بغير ثان
ومن ذَلَّت له الإفرنجُ قهرا ⁂ بكل مهند عضبٍ يَمَانِى
أَجِرْنِي واحمِنِي من كل ضَيْمٍ ⁂ حماكَ اللهُ بالسبع المثانى
وصانَكَ من مُلِمَّاتِ الليالى ⁂ وزادَك رِفْعَةً وعُلُوَّ شان
وَرُدَّ إلىَّ سلطانى سريعا ⁂ فإنى كالجواد بلا عِنَانِ(٢)

ثم رسم السلطانُ للسيد حسن بالتوجّه لمكة وجهزه ؛ فبرز

---

(١) له ترجمة فى الضوء اللامع ٣٠٤/١ وفيها « له نظم كتب عنه النجم بن فهد » .

(٢) وهذا الشعر من قصيدة تبلغ ثلاثين بيتاً أوردها النجم بن فهد فى إتحاف الورى ٦٢٨/٣ ـــ ٦٣٠ . وتختلف بعض ألفاظها عما هنا .

ثَقَلُه خارج القاهرة ، فاعترض له الضعف فعاد إلى القاهرة ، ومكث بها أياما يسيرة ، ثم توفى فى ليلة الخميس سابع عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثمانمائة وصُلِّيَ عليه من الغَدِ ، ودفن بالصحراء بحوش تربة السلطان الملك الأشرف بَرْسْبَاي .

فأرسل السلطان نَجَّابَه بمراسيم إلى الشريف بركات وأخيه إبراهيم ابنى حسن بن عجلان تتضمن : الحضور إلى الأبواب ، والتأكيد في ذلك ، وأنهما إن لم يحضرا كلاهما أو أحدهما يُخْرِج عنهما السلطان البلدَ إلى غيرهما .. فتجهز السيد بركات وأخوه إبراهيم في أثناء السنة إلى القاهرة ، ومعهما السيد مبارك أبو عفيف ، وخَلَّفَا بمكة أخاهما أبا القاسم يحفظها ، وبجدة زين الدين شكرا يحفظ متحصلها . وسافرا إلى القاهرة . فعند سفرهما من البلد طمع الأشرافُ ذوو أبي نمي ، وتوجَّهُوا من اليمن إلى مكة قاصدين التشويش على أهلها ، ومعهم وُبَيْر بن محمد بن رشيد[(١)] وزير ابن عِنَان[(٢)] ، فوصلوا الجديد فى خامس عشرى شعبان وأقاموا به ، ثم توجهوا إلى خيف بنى شديد ، ونهبوا فى ليلتهم من الصيافة من أرض حسان إلى الخيف . فعند ذلك توجّه إليهم السيد أبو القاسم بن حسن ، ومن معه من القواد ذوى عمر ، وذوى حميضة ، وذوى عجلان ، وذوى حسن ، والتحقوا [بهم][(٣)] فى شعب يقال له الميثاه بقرب هدة

---

(١) له ترجمة فى الضوء اللامع ١٠/٢١٠ برقم ٩٠٦ .

(٢) المقصود هو وزير علي بن عنان بن مغامس بن رميثة . (المرجع السابق) .

(٣) إضافة عن إتحاف الورى ٣/٦٣١ .

بني جابر ، في تاسع عشرى شعبان ، فتقاتل الفريقان ؛ فانتصر الشريفُ أبو القاسم ، وقتلَ جماعةً من رؤساء الأشراف ، منهم : السيد على بن أبى سُوَيْد بن أبى دعيج ابن أبي نُمَيّ ، وابنه مبارك ، وأخوه جلبان بن أبى سُوَيد ، وابن عمه مَيْلَب بن محمد بن أبى سُوَيد ، والشريف على بن أحمد بن حمزة بن راجح بن أبى نُمَيّ ، وهَيَازِع ابن على بن مبارك بن رُمَيْثَة ، وقاسم بن أحمد الكُرْدِيّ ، والقائد وُبَيْر بن محمد بن رشيد نائب السيد على بن عِنَان بمكة . وكُسِروا كَسْرَةً شنيعة ، وتفرقوا وتشتتوا . ثم التحق عسكر السيد أبى القاسم بالأشراف طَرْدًا إلى الهدة ، فقُتِل محمد بن راجح بن جياش[1] ، ومبارك الدياصي ، وثلاثة مولدين : على بن قاسم بن مبارك السايس ، وحسب الله أبو ناجي ، وعلي الرمان . وهرب من / ١٦٦ظ بقي منهم إلى صوب ينبع ، وأقاموا بها عند عقيل صاحب ينبع . وصفت البلاد للسيد أبى القاسم ، وحفظها حفظا حسنا ، وكانت رخية .

ووصل الشريف بركات وأخوه إبراهيم إلى القاهرة فى ثالث عشرى رمضان ، وحضرا بين يدي السلطان ؛ فأكرمهما وخلع عليهما خلعتين ، وفوضت إمرة مكة إلى الشريف بركات فى سادس عشريه ، على أن يقوم بما تأخر على والده ، وهو مبلغ خمسة وعشرين ألف دينار ؛ فإنه كان قد حمل قبل موته ـــ من الثلاثين

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى المرجع السابق « محجة بن راجح بن حناش » . ولم نعثر على ترجمة لأي من الاسمين فيما تيسر من المراجع .

الألف التي التزم بها ـــ مبلغ خمسة آلاف دينار . وألزم الشريف أيضاً بحمل عشرة آلاف دينار فى كل سنة، وألَّا يتعرض لما يؤخذ بجدة من عشور بضائع التجار الواصلة من الهند وغيره(١) .

وألزم السلطانُ الشريفَ إبراهيم بموافقة أخيه بركات ، وعاهد بينهما ، وأخذ على إبراهيم العهود والمواثيق : أن يكون طائعاً أخاه ، ولا يخالف فى البلاد ، وحلف إبراهيم له على ذلك ، وخلع عليهما خلعة السفر ، وتجهزا إلى مكة ؛ فسافرا فى حادى عشر شوال ، فوصلا إلى مكة فى أول العشر الأوسط من القعدة ، وقرىء عهد الولاية للشريف بركات ، وطاف بالكعبة ، ونودي له على زمزم ، وأُلْبِسَ التشريف فى المسجد الحرام .

وحج فى هذه السنة من الأعيان الطواشي ياقوت مقدم المماليك(٢) ، وتأخر بمكة بعد الحج حتى قبض من الشريف بركات مبلغ ثلاثة عشر ألف دينار مما أُلْزِم به الشريف بركات .

---

(١) كذا فى الأصل ، وإتحاف الورى ٦٣٢/٣ ، والسلوك للمقريزي ٢/٤ : ٧٢٣ . وفى النجوم الزاهرة ٢٩٨/١٤ « وألا يتعرض السلطان لما يؤخذ من بندر جدة من عشور بضائع التجار الواصلة من الهند وغيره ، وأن يكون ذلك جميعه لبركات المذكور » . وفى بدائع الزهور ١٠٧/٢ « وأن السلطان لا يتعرض إلى بندر جدة ولا يأخذ من العشور شيئاً » .

(٢) هو ياقوت بن عبد الله الأزغون شاوي الطواشي الحبشي ، افتخار الدين مقدم المماليك السلطانية فى الدولة الأشرفية برسباي . توفي بالطاعون فى رجب سنة ٨٣٣ هـ . (الدليل الشافي ٧٧٣/٢ برقم ٢٦١٥ ، والنجوم الزاهرة ١٦٤/١٥ ، ونزهة النفوس ٢١١/٣ برقم ٦٩٦ ، والضوء اللامع ٢١٣/١٠ برقم ٩٢٢) .

وقد استجيز لصاحب الترجمة السيد حسن فى سنة خمس وثمانمائة وما بعدها عدة من الشيوخ منهم : البرهان [ابن][1] صديق ، وأبو بكر بن الحسين المراغي ، وعائشة بنت محمد بن عبد الهادي ، والعراقي ، والهيثمي ، ومحمد بن حسن الفرسيسي ، وأحمد بن عمر بن أبى البدر الجوهري ، وأحمد بن محمد بن غالب الماكسيني ، وأحمد بن أبى بكر بن يوسف الخليلي ، وعبد الرحمن بن حيدر الدهقلي ، وعبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الحلبي ، وعلاء الدين الجزري ، وأبو الطيب السحولي ، وأبو اليمن الطبري ، وأحمد بن محمد بن مثبّت ، وشمس الدين العراقي ، خَرَّج له جدي الحافظ تقي الدين محمد بن فهد الهاشمي المكي رحمه الله تعالى ــ عن جماعة منهم ــ أربعين حديثاً عن أربعين صحابياً ، فى بعض معجزات المصطفى ، وفضائل أهل البيت ، سماها « المصابيح المشرقة الزاهرة فى معجزات المصطفى ومناقب عترته الطاهرة » .

قال الوالد فى معجمه : سمعت عليه ثلاثة أحاديث من أولها بقراءة والدى فى أوائل سنة ست وعشرين وثمانمائة بالدار المعروفة بدار المكين بمكة . قال : وعندى شك هل أجاز لنا أم لا . انتهى .

وقال الفاسي أيضاً[1] : ولم يكن لأحد من أمراء مكة ــ بعد

---

(١) إضافة على الأصل ، وانظر العقد الثمين ٣/٢٥٠ برقم ٧٢٢ ، والضوء اللامع ١/١٤٧ .

(٢) أي فى العقد الثمين ٤/١٥٤ .

أحمد بن عجلان ــ من الحشمة مثل ما للسيد حسن بن عجلان . وله من العقار بمكة أكثر مما كان لأخيه أحمد ، وملك من العقار بوادي مر قريباً مما ملك أخوه أحمد . وملك من العبيد نحو خمسمائة فيما قيل ، ولم يكن لأخيه عليّ من العقار ولا من العبيد مثل ما له ، ولا قاربه عليٌّ فى ذلك ولا فى السلاح ــ وقد رزق حسن منه أشياء حسنة ــ وأشك فى تساويهما فيما ملكاه من / الخيل . وأما عِنَان ١٦٧و فلعله ملك من الخيل مثلهما ، أو قريباً مما ملكاه ، ولم يكن له كثير شيء من العقار ، ولا من العبيد .

واتفق للسيد حسن مع بنى حسن من القوة [عليهم][1] ما لم يتفق لأحد ممن تقدمه من أمراء مكة الأشراف من آل أبى نمي فيما علمناه ؛ لأنه أمرهم بترك معارضته فى عناياهم . وذلك أن لكل من بنى حسن ــ أو أكثرهم ــ صاحباً من تجار مكة وغيرهم ، وله على التاجر نفع يأخذه منه فى كل سنة ، فإذا أراد صاحب مكة أو أحد من بنى حسن التعرض للتاجر المذكور بطمع ، منعه صاحِبُه من ذلك ، وما استطاع أحد من القواد [أن][2] يخالف ما أمر به حسن فى ترك العنايا . وأمرهم أيضاً ألا يجيروا فى أمر يريده إلا برضاه ، فما خالف أحد أمره ، وكان الذين أمرهم بترك العنايا والجيرة القواد العمرة ، والحميضات دون

(١) إضافة عن العقد الثمين ٤/١٥٤ .

(٢) إضافة على الأصل .

الأشراف ؛ لأن الأشراف لم يكونوا يطمعون بذلك معه ، وكانوا يقنعون منه بالمسالمة وتمكينه لهم من سكن البلاد . بخلاف القواد فإنهم كانوا متمكنين من السكنى معه ، ومشاركين له فى أمره ، ولكنهم قل أن يخالفوه فى أمر ، إلى أن حصل التنافر بينه وبين ابن أخيه ، فكان يقع من بعضهم ما يخالف هواه .

ومما يحمد له من خصاله أنه كان لمصالح الحجاج والمجاورين يرعى ؛ فوجدوا بولايته راحة ونفعاً .

ومنها : أنه فى آخر سنة سبع عشرة وثمانمائة تطوع بمائتي مثقال لعمارة رباط رَامُشْت ؛ فأزيل بذلك غالب ما كان فيه من الشعث وصار حسناً .

وللسيد حسن صدقات أخر ، وصِلَاتٌ تشكر ، وفيه صبر كثير ، واحتمال وحياء ومروءة عظيمة — فالله تعالى يزيده فضلاً ويسدده ، وإلى الخير يرشده . — وللشعراء فيه مدائح كثيرة حسنة ، وممن أكثر في مدحه الوالدُ رحمه الله [تعالى] وله فيه قصائد . انتهى كلام الفاسي .

قلت : وسنذكر بعض قصائده . وللشريف حسن بن عجلان نظمٌ سنذكر بعضه .

قال الوالد في كتابه « الإشعار بما أنشد من الأشعار »[1] :

---

(١) كذا فى الأصل . وعنوان الكتاب « الإشعار بما أنشدت من الأشعار » .

أنشدني ـــ للسيد حسن ـــ أبو الخير محمد بن ريحان المريسي[١] ، أحد المباشرين بجُدَّة ، بها في يوم السبت حادي عشر رجب سنة أربع وستين وثمانمائة قوله :

بهذا الفُتُور وهذا الهَيَفْ ... يهون على عَاشِقِيكَ التَّلَفْ
أسرت القلوب بهذا الجمال ... وأوقعتها في الأسى والأَسَفْ
تكلَّف بدرُ الدجى أن حكى ... محياه لو لم يُشِنْهُ الكَلَفْ
وقالوا به صلف زائد ... فقلت رَضِيتُ بهذا الصلف

فعارض الشريفَ جماعةٌ ، وهم : شيخنا الحافظ جمال الدين محمد بن موسى المراكشي[٢] ، والجمال بن بَرَكُوت المَكِين ، والجمال محمد بن عبد الوهاب اليافعي .

فقال المراكشي فيما أنشدنيه أبو الخير المريسي المذكور ، في التاريخ [المذكور][٣] :

لِمَا أَبْدَعَ اللهُ مِنْ ذا التَّرَفْ ... تلاف مُحِبِّكَ قبلَ التَّلَفْ /
وما ضمه العِطْفُ مِنْ لِينِهِ ... عَسى عطفه لِيَ فيمَنْ عَطَفْ ١٦٧ظ
فوا خَجْلَةَ البدرِ لَمَّا ادَّعى ... سَنَاكَ وَكُذِّبَ لَما انْكَسَفْ[٤]

---

(١) له ترجمة في الضوء اللامع ١١/١١٠ برقم ٣٣٦ ، وفيها « مات في ربيع الأول سنة ٨٧١ هـ » .

(٢) له ترجمة في العقد الثمين٢/٤٦٤ برقم٤٦٥ ، والضوء اللامع ١٠/٥٦ برقم ٢٠٠ ، وفيهما « مات سنة ٦٢٨ هـ » .

(٣) إضافة على الأصل .

(٤) كذا في الأصل ، والمعروف أن الكسوف للشمس ، أما القمر أو البدر فله الخسوف . وكان الأولى بالشاعر أن يقول : وكذب لما انخسف .

فمذ زعم البدرُ يحكيكَ ماتَ　　مَحَاقاً وَمِنْ غيرةٍ ما آنْتَصَفْ
ومُـذْ قالَ غصنُ النقـا إنـــه　　كَقَـدِّكَ كَذَّبْتَـهُ بالهَيَـــفْ
بنَفْسِي بَدْرٌ حكـــى كثبها　　بردْفٍ وَمَا عَنْـهُ لِى مُنْصَرَفْ
مُحَيَّـــاهُ فى حَرَمٍ آمِــــنٍ　　وَكَمْ مُهْجَة حَوْلَـهُ تُخْتَطَفْ
أما والنقَى من منى والعذيب　　من الرّيـــــق لم يُرتَشَفْ(١)
لئـن لم يجئنـى بشير الـــرضا　　يقـول عفـا الله عمـا سَلَـفْ
لأستخلفَنْ مُهْجَتى فى الوَرَى　　وفِى اللهِ يَا ذَا الغَزَال الخَلَفْ

وقـال الفقيـه جمال الديـــن محمـــد بن الخواجـــا بَرَكُـــوت المَكِين(٢) ، وأنشدنيه أبو الخير المريسي فى التاريخ المذكور ، وهو :

بِهٰـذِى العُيُـونِ وَهَـذَا القَـوَامْ　　تَهُونُ الحَيَاةُ وَيَحْلُـو الحِمَـامْ
رَشِيـــقُ القَـــوَامِ إذَا مَا بَدَا　　يُحَاكِى الغُصُونَ وَبَدْرَ التَّمَامْ
بَديعُ الجمـالِ عَذِيبُ اللَّمَـى　　وَحُلْوُ الشَّمَائِلِ حَالِى الوِشَامْ
أَمَـاتَ النفـوسَ وأَحْيَـا القُلُـو　　بَ بِسَيْفِ اللّحَاظِ وَلِينِ الكَلَامْ
أَقَـامَ الدَّلِيـلَ عَلَـى قِتْلَتِـــى　　بِوَجْـهٍ صَحِيـحٍ وَهَـــذَا حَرَامْ
تَعمَّـدَ قَتْلِـيَ سَاجِـى الرَّنَـــا　　فَيَا لَلرِّجَالِ آنْجِدُوا المُسْتَهَامْ
أَلَـحَّ العَـوَاذِلُ فِى عَذْلِهِـــمْ　　فَقُلْتُ آعْذُرُونِى وَكُفُّوا آلْمَلَامْ
فَخَلْـعُ العِـــذَارِ بِهِ لَذَّتِـــى　　وَقَدْ طَابَ فِى ذَا المَلِيحِ الْهُيَامْ

وقال الشيخ جمال الدين محمد بن عبـد الوهـاب بن عبـد الله

---

(١) كذا في الأصل . ولعله « من الريق [ما طاب] لم يرتشف».

(٢) له ترجمة في الضوء اللامع ١٥٤/٧ برقـم ٣٨٠ وفيها « مات في شوال سنـة ٨٤٥ هـ بمكة » .

ابن أسعد اليافعي[١] ، وأنشدنيه أبو الخير المريسي فى التاريخ المذكور أيضاً وهو :

بِمَافِيكَ يا خِلُّ مِنْ ذَا ٱلْهَيَفْ وَمَعْلُول ثَغْـرِكَ لَمْ يُرْتَشَفْ
تَرَفَّقْ بِى يَا بَدِيعَ الجَمَال وَرَاقِبْ بِى مَنْ عَلَيْهِ الحَلِفْ

انتهى كلام الوالد .

قلت[٢] : وقد امتدحه الأدباء والشعراء والفضلاء وأكثروا . فمنهم : قاضي المسلمين شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسني الفاسي المكي ، والد قاضى القضاة تقي الدين ، قال فيه بعد أخذه لبلاد حَلْي :

عَدَلْتَ فَما تُورِى الهلالَ المشارِقُ
لتنظرَهُ بالمَغْرِبَيْنِ الخَلَائِقُ /
فَمَا رَامِحٌ إلّا بخوفِكَ أَعْزَلُ ١٦٨و
وَلَا صَامِتٌ إلّا بِفَضْلِكَ نَاطِقُ
فليس لكيدِ الخائنينَ هِدَايَةٌ
وَبَيْنَ الوَفَا والنصرِ حَقًّا عَلَائِقُ
إذا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فكُنْ ذَا عَزِيمَةٍ
فإنَّ خِيَارَ الرَّأْيِ بالعَزْمِ سَابِقُ

---

(١) له ترجمة فى الضوء اللامع ١٣٤/٨ برقم ٣١٠ . وفيها « مات فى شعبان سنة ٨٥٨ هـ » .

(٢) أي مؤلفنا العز بن فهد .

وَرُدّ مَجَازَاتِ الظنـون حقائقـا
فإنَّ مَجَازَاتِ المُلُـوكِ حَقَائِـقُ
فَإنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فاجْنَحْ لَهَا وَإنْ
يُرِيـدُوا خِدَاعـاً فأَنْتَ باللهِ وَاثِـقُ
وإنْ ضَرَبَتْ لِلْغَدْرِ فى الأرضِ أَرْجُلٌ
فَلَا سَلِـمَتْ لِلغَادِرِيـنَ مَرَافِـقُ
مَتَى وَصَلَ المِخلافَ سَيْـلُ جِيَادِهِ
رَأَيْتَ به القـاعاتِ وَهْيَ حَدَائِـقُ
وَإنْ فَسَخَتْ عَقْدَ الوِلَايَاتِ عَازِبٌ
فَكَمْ رَجَعَتْ بعد[1] التَّفَرُّقِ طَالِقُ
خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بالأمَـانِ لِخَائِـفٍ
فَإنَّكَ بِالضُّعَفَـا رَءُوفٌ وَرَافِـقُ

ومنها :

بِلَا حَسَنٍ شَرْطُ الإمَامَـةِ سَاقِـطٌ
وَلَـوْ حَضَرَ المأمُـون أَوْ قَامَ وَاثِـقُ
لَهُ سَلَّمُوهَـا عَالِمِيـنَ بأَنَّهُـم
وَإنْ سَبَقُوا فى الوقت فالحَقُّ سَابِقُ
جَرَوْا فَمَشَى عِنْدَ السُّبَّـاقِ فَفَاتَهُـمْ
فَيَـا سَيْـرَهُ بالحَقِّ مَالَكَ لَاحِـقُ

---

(١) في الأصل « بين » ولعل الصواب ما أثبته .

كَتَائِبُـهُ كُتْبٌ تُجِـيبُ بِفَتْحِهَـا
وَتُغْنِيهِ عَنْ بَعْثِ الجُيُـوشِ البَطَائِـقُ
دَرَسْنَـا قِرَاءَاتِ المَـوَدَّةِ قُرْبَـهُ
وَقَدْ دَرَسْتَ بَيـنَ النُّجُـودِ العَمَالِـقُ
مَحَـاسِنُ دُنْيَانَـا عَلَـيْكَ وَقَـفْتها
ومَالِكُهَـا والشَّرْطُ فِيـهِ مُطَابِـقُ
إذَا طَلَـعَتْ شَمْسٌ تُضِيءُ بِأُفْقِهَـا
أَبَى غَيْمُهَـا والغَيْـمُ لِلشَّمْسِ عَائِـقُ
وَنَجْمُ صُعُودِى فى البُرُوجِ كَرَاجِـعٍ
وَفِى دَرَجِى مِنْ كَيْدِ نَجْمِى دَقَائِقُ
فَقَابِلْ بِوَجْـهِ الحَـقِّ إشْرَاقَ طَالِعِـى
تَدُورُ بِأَفْـلَاكِ الحُظُـوظِ المَنَاطِـقُ
تَهَنَّا بِكَ العِيـدُ الَّـذِى أَنْتَ عِيـدُهُ
لِتَسْتَرَّ بالرُّؤْيَـا إلَـيْكَ الخَلَائِـقُ
فَلَا زَالَ تَكْبِيـرَ المَنَابِـرِ ذِكْـره
وأَعْلَامُـه فَوْقَ الـرُّءُوسِ خَوَافِـقُ

وقال يمدحه أيضاً :

سَافَرْتَ عَنَّا فَكَانَ الـفَضْلُ لِلسَّفَـرِ
وَقَدْ رَجَعْتَ فَكَانَ الفَضْلُ لِلحَضَرِ
وحـرَّكَ البـيتُ أَشْوَاقـاً إلَـيكَ بِهِ
لَوْلَا قُدُومُكَ هَمَّ البَيْتُ بِالسَّفَـرِ

وَكَادَ يَبْكِيكَ المَسْعَى وَمَوْقِفُهُ
فَيَجْمَعَانِ لِفَضْلِ العَيْنِ والأَثَرِ
وَأَوْحَشَ الحِجْرَ دَوْرَاتُ الوُقُوفِ بِهِ
وَفَاقِدُ الأُنْسِ يَحْكِي فَاقِدَ العُمْرِ /
١٦٨ظ وأنْطَقَ اللهُ رُكْنَيْهِ : بَقِيتَ لَنَا
كَلَثْمِكَ الرُّكْنَ أَوْ تَقْبِيلكَ الحجرِ(١)
عَلَى المَقَامِ يَمِيناً لَا مُقَامَ لَهُ
حَتَّى تُرى فِيهِ فِي الآصَالِ والبُكَرِ
يَا قَاسِمَ الرِّزْقِ بَيْنَ الخَلْقِ كَيْفَ رَأَى
كَقِسْمَةِ اللهِ بَيْنَ الأَرْضِ لِلمَطَرِ(٢)
وَافَقْتَ رَبَّكَ فِيمَا قَدْ رَضِيهُ لَنَا
فَطَاوَعَتْكَ يَدُ المَكْنُونِ والقَدَرِ(٣)
خَلِيفَةَ الأَرْضِ هَلْ فِي ذَا السَّمَا مَلَكٌ
يَأْتِيكَ بِالعِلْمِ أَوْ يَأْتِيكَ بالخَبَرِ(٣)

---

(١) عدل الشاعر عن فتح الراء علامة النصب في الكلمة إلى كسرها مراعاة لحركة الروي فى القصيدة ، وهو الراء المكسورة .

(٢) كذا أغرى الإغراق فى المدح شاعرنا فأخرجه عما يلتزم به خالصُ الإيمان ، صادقُ العقيدة من عدم إسناد ما هو لله تعالى لأحد من عباده مهما كان قدره . فالله يغفر له ؛ فقد كان من العلماء والأفاضل بمكة المكرمة ؛ ناب فى القضاء وتولى شئون الحرم . وانظر ترجمته فى العقد الثمين ١٠٩/٣ برقم ٦٠٥ ، والضوء اللامع ٣٥/٢ برقم ١٠٣ .

(٣) هذان البيتان قبيحان مستنكران دفع إليهما الغلو المذموم في المديح . وليس هناك بشر تطاوعه يد القدر ! .

فإنّ عِنْـدَكَ مِنْ عِلْـمِ السَّمَـا نَبَــأٌ
وَأَنْتَ وَارِثُ مُوسَى صَاحِبِ الخَضِرِ[١]
أَنْتَ الـذِى قَسَّمَ الأَزْمَـانَ أَرْبَعَــةً
لِلرَّأْيِ وَالحَرْبِ والمِحْـرَابِ والنَّظَـرِ
للأولان جديـــدان الصبـــــاح به
وللآخِران جنح الليـل والسحـر[٢]
مَا قَارَنَ المُلْكَ إِلَّا كَانَ فى شَرَفٍ
مَا لِلـدَّرَارِى وَمَـا لِلنَّجْـمِ مِنْ أَثَــرِ
إِنْ كَانَ لِلنَّاسِ ملْكٌ نَجْمُـهُ زُحَـلٌ
فَإِنَّ مُلْكَكَ نَجْـمُ الشَّمْسِ والقَمَـرِ
ومنها :
بَيْـنَ النَّبِـيِّ وَهَذَا ابن النَّبِي عُلَقٌ
عَلَاقَـةُ الفَـرْعِ والأَغْصَانِ والشَّجَـرِ
إن تَسْتَوِى الذَّاتُ فِى أَصْلٍ وَفِى نَسَبٍ
فَبِالصِّفَاتِ يَزِيدُ الفَضْلُ فِى البَشَرِ
إِنَّ الزَّمَـــانَ بِلَا عَيْـــنٍ بِهِ عَوَرٌ
لَمَّـــا رَآكَ رَأَيْنَـــاهُ بِلَا عَوَرِ
إِنْ يَعْـجَبِ النَّاسُ مِنْ هَذَا فَلَا عَجَبٌ
فى رَدِّكَ العَيْنَ أَوْ فى رَدِّكَ البَصَرِ[٣]/

(١) وهذا أيضاً مديح كاذب لاحقيقة له فلا نبوة بعد محمد ﷺ .
(٢) كذا في الأصل ، ولعل الشاعر تابع من ألزموا المثنى الألف .
(٣) وانظر تعليقنا رقم ١ ص ٣٦٠ .

وَكَمْ رَدَدْتَ عَنِ الأَعْمَارِ مِنْ أَجَلٍ
فَزَادَكَ اللهُ فِي الآجَالِ والعُمُـــــرِ
كَسَا الخلافـةَ مَنْ هَيَّأْتَـــهُ خَلَفــاً
لَمَّا كَسَا المُلْكَ أَثْوَاباً مِنَ الخُضُرِ
نَفَـى الظَّـلَامَ عَنِ الدُّنْيـا وَسَاكِنِهَـا
وَقَـالَ لِلَّيْـلِ إنْ تَأْتِـى[1] فَبِٱلْقَـدَرِ
فَفَـرَّقَ اللَّيْـــلُ ظَلْمَـــاهُ وَجَزَّأَهَـــا
بَيْـنَ الأَوَائِـــلِ وَالأَوْسَاطِ والغُـــرَرِ
فَزُرْتُهَـا وبيـاضُ الصُّبْـحِ يُظْهِرُنِـى
وَلَا خَشِيتُ وَلَا مِنْ نَخْشَةِ الإِبَـرِ
وَلَـمْ أَزُرْ وَسَوَادُ اللَّيْـلِ يَشْفَــعُ لِي
وَمَا أَتَيْتُ وَظَلْمَـاهُ[2] كَمَـا الأُزُرِ
فَٱكْتُبْ بِخَطِّكَ إنَّ الدَّهْرَ يَقْسِمُ لِى
مِنَ الحُظُوظِ كَحَظِّ العَاضِبِ الذَّكَرِ
فإنْ وُصِفْتُ فإنَّ العِلْمَ مِنْ صِفَتِـى
وَإنْ نُسِبْتُ فَلِـــــلآبَاءِ مِنْ مُضَرِ
أَيَـا جَرِيـرُ فَلَا تَجْـرِ وَقِـفْ أَدَبــاً
وَٱمْشِ كَمَشْيِ أَبِـى تَمَّـامَ فى الأَثَرِ

(١) كذا فى الأصل .

(٢) فى الأصل « ظلماها » ولعل الصواب ما أثبته .

سَبَقْتُمَانِى وَلَكِــنْ لَا إلى حَسَنٍ
الْعَيْـنُ أَصْدَقُ إِنْبَــاءً مِنَ الخَبَــرِ
رَبْـعُ البَلَاغَـةِ لَمْ تَخْــرَبْ أَوَائِلُــهُ
وَالكَنْزُ وَسْطَ أَسَاسِ الدَّارِ والجُدُرِ
اَللهُ يَحْــرُسَ أَيَّــامَ الكَمَـــالِ بِهِ
مِنَ العُيُـونِ وَمِـنْ أَيَّامِهَـــا الْأُخَرِ ١٦٩و

وقال أيضاً من قصيدة فى مدحه :

لَوْلَا اتِّبَـــــاعُ رَسُولِ اللهِ فِى عَدَدٍ
رُحْنَا إِلَى حَسَنٍ فِى سَعْيِنَا شَوْطَا

ومنها :

فَارْحَلْ إِلَى مَلِكٍ يُكْنَـى أَبَـا هِمَـمٍ
يُرِيكَ هَمَّكَ مِنْ رَاحَا[ته](١) خَطَّا

ومنها فى المطلع والاستهلال براعة :

مَا مَهَّدَ المُلْكَ فِى الدُّنْيَـا وَلَا وَطَّـا
إِلَّا الذِى كَالسَّمَا لِلأَرْضِ قَدْ غَطَّى

* *

ومنهم الأديب العلامة بدر الدين حسين بن محمد بن العُلَيف المكي . قال يمدحه بقصيدة وسماها « الدرة الثمينة » وذلك لما أعيد

(١) إضافة يستقيم بها الوزن والمعنى .

إلى سلطنة مكة ، فى سنة تسع عشرة وثمانمائة ، بعد عزل ابـن أخيـه رُمَيْثَة بن محمـد بن عجـلان ، وأنشدهـا للوالـد فى يوم الجمعـة ثانى عشر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وثمانمائة ، بالمسجد الحرام :

هَاتَـا أَحَـادِيثَ العَقِيـقِ وَحَاجِـــرِ
مَا فِى الحَدِيثِ عَلَيْكُمَا مِنْ حَاجِرِ
وَٱسْتَسْقِيَـا دَمْعِـى إذَا كُفَّ الحَيَـا
عَنْهَا وَكَفَّ وَكُفَّ وَكْفُ مَحَاجِرِي(١)
وَسَلَا رُبَــا يَبْرِيــنَ عَنْ آرَامِــــهِ
وَالجَهْلَتَيْـنِ عَنِ الغَــزَالِ النَّافِـــرِ
إنْ تَخْتَبِرْنِـــى بالزَّمَـــانِ وَأَهْلِــهِ
إنِّـى لَعَمْـرُ أَبِيكَ أَخْبَــرُ خَابِــرِ
جَمَـدَتْ أَكُـفُّ أُهَيْلِهِ فَكأَنَّمَـــا
يُعْطُـونَ سَائِلَهُـــمْ بِكَفَّـــيْ مَاذِرِ
حَسْبِـى مُجَـاوَرَةُ المشَاعِـرِ والصَّفَـا
وَالمَرْوَتَيْـنِ وتـلك خَيْـرُ شَعَائِـــرِى
وَجَنَـابِ مَلْكِ الأَبْطَحَيْـنِ بِمَكَّـــةٍ
بَدْرِ الهُـدَى القَمَـرِ المنيـرِ الزَّاهِـرِ
السيِّدِ المُتَفَضِّلِ المُتَلَيِّنِ المُتَخَشِـ
ـنِ المُتَطَـــاوِلِ المُتَقَــــاصِرِ

(١) كذا بضبطه بالشكل فى الأصل .

الفارسِ البطلِ الهُمَامِ الأَرْوَعِ آلْـ
ـمَلِكُ الحُسَامِ المَشْرَفيِّ البَاتِرِ
الطَّاعِنِ النَّجْلَاءَ فِي يَوْمِ الوَغَى
والضَّارِبِ الفوعِيَّ ضَرْبَ الثَّائِرِ

ومنها :

مُحْيِى شَجَاعَةِ حَيْدَرٍ يَوْمَ الوَغَى
وَسَخَاءِ سِبْطَيْهِ وَعِلْمِ البَاقِرِ
والعَادِلِ الأَحْكَامَ إِلَّا أَنَّهُ
فِي بَذْلِهِ لِلمَالِ أَجْوَرُ جَائِرِ
حَرُمَ السؤالُ عَلَيَّ غَيْرَ سُؤَالِهِ
فى مكةٍ تحريمها للكافرِ
عَقُمَ الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ وَبِمِثْلِهِ
راحت به دنياه أعقر عاقرِ
سُلْطَانِ مَكَّةَ والمَشَاعِرِ كُلِّهَا
وإِمَامِهَا النَّاهِى المُطَاعِ الآمِرِ
ومُجَدِّدِ الفَتْحِ المُبِينِ بِهَا وَمَنْ
أَحْيَا بِهَا فَتْحَ النَّبِيِّ الحَاشِرِ
لَمَّا تَقَلَّلَ فِى الأَبَاطِحِ سَائِراً
خِلْتَ الجَبَالَ مِنَ الخَمِيسِ السَّائِرِ /
وَغَدَتْ شِعَابُ الأَبْطَحَيْنِ كَأَنَّمَا ١٦٩ظ
سَالَتْ بِسَيْلِ أَسِنَّةٍ وَبَوَاتِرِ

وَمَقَانِبٍ وَكَتَائِبٍ وَمَوَاكِبٍ
وَنَجَائِبٍ وَسَلَاهِبٍ وَعَسَاكِرِ
لَا الوَحْشُ فِي دَوِّ الفَلَاةِ[1] بِسَالِمٍ
مِنْهَا وَلَا الطَّيْرُ المُثَارُ بِثَائِرِ
وَفَوَارِسٍ لَوْ أَنَّ عَنْتَرَةَ اللِّقَا
لَاقَى لَلَاقَاهَا بِمُهْجَةِ صَافِرِ
وَلَكَانَ أَرْوَغَ فِي الوَغَى مِنْ ثَعْلَبٍ
عَنْهَا وَأَطْيَشَ فِي اللِّقَا مِنْ طَامِرِ[2]
وَقِسِيِّ نَصْرِكَ لَمْ يَزَلْنَ سِهَامُهَا
تُصْمِي القُلُوبَ وَكُلَّ ذَاتِ حَوَافِرِ

ومنها :

فكأنَّما هِيَ فِي إِصَابَتِهَا العِدَى
شُهُبٌ تَقَضُّ عَلَى مَرِيدٍ فَاجِرِ
فَحَلُمْتَ عَنْهُمْ حِلْمَ رَعْوَى فِيهِمُ
وَعَفَوْتَ عَنْهُمْ عَفْوَ مَلْكٍ قَادِرِ
وَرَضِيتَ مِنْ حَمْلِ المَصَاحِفِ مَا رَضِي الْـ
كَرَّارُ فِي حَرْبِ ابْنِ هَنْدَ الثَّائِرِ
وَدَخَلْتَ فِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ مَكَّةً
يَوْماً عَلَى الأَعْدَاءِ مِنْكَ قُمَاطِرِي

(١) الدو : المفازة . والفلاة : بمعناها فهي من إضافة الشيء إلى مرادفه .
(٢) طامر : يقال طامر بن طامر : أي المجهول هو وأبوه . (المعجم الوسيط) .

وَتَطَهَّرَتْ بِكَ مَكَّةٌ مِنْ رِجْسِهَا
تَطْهِيرَ مُغْتَسِلٍ بماءٍ طَاهِرِ
وَٱخْتَارَكَ اللهُ العَظِيمُ لِبَيْتِهِ
وَلِسَاكِنِ البَيْتِ العَتِيقِ وَحَاضِرِ
فَٱشْكُرْ لِرَبِّكَ كلّ مَا أُعْطِيتَهُ
شُكْراً يَفُوقُ [مقام](١) شكر الشَّاكِرِ

ومنها :

حَقُّ الثَّنَاءِ عَلَى الكَرِيمِ فَرِيضَةٌ
لَوْ بَاعَ فِيهِ إِزَارَهُ لِلشَّاعِرِ
أَعْطَى النَّبِيُّ رِدَاهُ كَعْباً(٢) فِي الثَّنَا
وَعَلِيٌّ جَادَ بِذِي الفقَارِ البَاتِرِ
وَأَنَا أَدِيبُكَ وابْنُ شَاعِرِكَ الذِى
فَاقَ الوَرَى مِنْ نَاظِمٍ أَوْ نَاثِرِ
وَلِسَانُ عَدْنَانٍ وَقُسٌّ فِي الوَرَى
وَنِزَارُهَا لِقَيَاصِرٍ وَأَكَاسِرِ

* *

ومنهم أخوه الأديب نور الدين علي بن العُلَيف ، [فلـه

(١) إضافة يستقيم بها الوزن .

(٢) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى ، مدح النبي ﷺ بقصيدته « بانت سعاد »فكساه بردته (سيرة النبي لابن هشام ٩٣٧/٤ ــ ٩٤٣ ، والوفا بأحوال المصطفى ٤٦٠/٢) .

قصيدة فى مدح الشريف حسن][١] وأنشدها للوالد أخوه الشيخ بدر الدين حسين فى التاريخ المتقدم[٢] ، وقال : أنشدنى أخى لنفسه قوله يمدح صاحب مكة السيد حسن بن عجلان :

إنْ نَامَ بَعْدَ فِرَاقِ الحَيِّ إنْسَانِي
فَمَا أقَلَّ مُرَاعَاتِي وأَنْسَانِي
أَوْ غَيَّرَ البُعْدُ بَعْدِى وُدَّهُمْ فَلَقَدْ
كَذَّبْتُ دَعْوَايَ فِي سِرِّى وَإعْلَانِي

***

تَاللهِ مَا رُمْتُ سُلْوَاناً وَلَا خَمَدَتْ
مِنْ بَعْدِهِمْ نَارُ أَشْوَاقِى وأَحْزَانِى
وَلَا رَأَتْ بَعْدَهُمْ عَيْنِى وَلا هَجَعَتْ
وَلَا تَلَاقَتْ بِطَيْفِ النَّوْمِ أَجْفَانِى
وَكَيْفَ تَهْجَعُ مِنْ بَعْدِ الفِرَاقِ وَقَدْ
بَانَ الكَرَى عِنْدَمَا بَانُوا عَنِ البَانِ
يَا سَعْدُ دَعْ ذِكْرَ مَنْ لَمْ يَشْفِ ذِكْرُهُمُ
وَهَاتِ عَنْ جِيْرَةٍ فِي سَفْحِ نَعْمَانِ /

***

١٧٠و لَمْ يَبْلُ وُدِّي عَلَى مَرِّ الجَدِيدِ لَهُمْ
وَالحُبُّ مَا لَيْسَ يُبْلِيهِ الجَدِيدَانِ

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) أي فى يوم الجمعة ثانى عشر ربيع الأول من سنة ٨٤٩ هـ . وانظر تقديم القصيدة السابقة .

إنِّي لَأَعْشَقُ فِي أَخْدَارِهِمْ قَمَراً
تَمَّتْ مَحَاسِنُهُ مِنْ غَيْرِ إحْسَانِ
عَبْلُ الرَّوَادِفِ مَسْحُورٌ نَوَاظِرُهُ
كَأَنَّمَا أَفْلَتَتْهُ كَفُّ رِضْوَانِ

***

إذَا مَشَى فِي نَفِيسِ الحَلْيِ مَالَ بِهِ
فَى حِقْبِ رَمْلِيَّةٍ غُصْنٌ مِنَ البَانِ
يَا لَائِمِى فِى هَوَاهُ لَوْ عَلِمْتَ بِمَنْ
تَلُومُ فِي حُبِّهِ مَا كُنْتَ تَنْهَانِى
لَكِنَّ أَحْسَنَ مِنْ حُبِّ المِلَاحِ وَمِنْ
طَرْدِ الهَوَى بَيْنَ قَيْنَاتٍ وعِيدَانِ

طَيُّ الفَيَافِى وَتَأْدِيبُ السُّرى وَقِرًى
أُمُونُهُ مِنْ بَنَاتِ العِيسِ مِقْرَانِ
حَتَّى إذَا مَا أَنَاخَتْ فِى فِنَا مَلِكٍ
حُلْوِ الشَّمَائِلِ مِطْعَامٍ وَمِطْعَانِ
سَبَّاقِ غَايَاتٍ آبْنِ المُصْطَفَى حَسَنٍ
وَخَيْر مَنْ سَوَّدَتْ سَادَاتُ عَدْنَانِ

***

بِرَأْسِهَا رَاسَهَا يَعْسُوب مَفْخَرِهَا
صِمْصَامِهَا تَاجِهَا مَهْدِيِّها المَانِّ

تُتَوَّجُ الشَّمْسُ وَالبَدْرُ المُنِيرُ بِهِ
وَتَسْتَوِى نَعْلُـهُ تَاجـاً لِكِيـوَانِ
ابـن النَّبِـيِّ وَسِبْطَيْـهِ وَحَيْـدَرَةٍ
وَفَاطِـمٍ لَيْسَ مِنْ لَخْـمٍ وَغَسَّانِ

***

وَسَادَةٍ جَاءَ فِي التَّوْرَاةِ فَضْلُهُـمُ
وَفِـي زَبُـورٍ وَإِنْجِيـلٍ وَفُرْقَـانِ
إِنْ عُدَّ فَخْراً وَفَضْلاً فَهْوَ أَكْرَمُ مَنْ
مَشَى عَلَى الأَرْضِ مِنْ شِيبٍ وشُبَّانِ
تَرَاهُ إِذْ يُسْأَلُ المَعْرُوفَ مُبْتَسِمـاً
مُسْتَبْشِراً بالعَطَايا غَيْرَ غَضْبَـانِ

***

أَنْدَى وأَكْرَمُ مِنْ أَوْسِ بنِ حَارِثَةٍ(١)
وَمِن يَزِيـد(٢) العطايـا فى خراسانِ
ومِنْ سَمَوْءَلِ(٣) غَسَّانٍ ومِنْ هَرِمٍ(٤)
وَطَلْحَـةَ(٥) المُتَوَفَّـى فى سِجِسْتَـانِ

---

(١) هو أوس بن حارثة بن لأم ، أخو بنى جديلة من طيىء اليمن ، جاهلي ، وبه وبحاتم الطائي يضرب المثل فى الجود (المحبر ١٤٥ ، ١٤٦) .

(٢) هو يزيد بن المهلب بن أبى صفرة ، أبو خالـد . اشتهر بالجود وكثرة العطـاء ، وقيل فى عطائه كثير من القصص والأشعار ، مات قتيلاً سنة ١٠٢ هـ (وفيات الأعيـان ٢٧٨/٦ ـــ ٣٠٩ ، والعقد الفريد ٣٥٠/١) .

(٣) هو السموأل بن حيا بن عادياً الغساني ، يضرب بوفائه المثل ، شاعـر جاهلي= (المحبر ٣٤٩) .

وَلَا يُقَاسُ بِهِ الطَّائِي(١) إِذَا وَفَدَتْ
غِيرُ السِّنِينَ وَلَا مَعْنُ بنُ شَيْبَانِ(٢)

***

فِي الحَرْبِ أَسْفَرُ مِنْ عَمْرٍو(٣) وَعَنْتَرَةٍ(٤)
لَكِنَّ فِي السِّلْمِ يَعْلُو حُكْمَ لُقْمَانِ(٥)

= (٤) هو هرم بن سنان بن حارثة بن قيس ، جاهلي ، أكثر الشعراء في مدح جوده ، وضرب به المثل (المحبر ١٤٣) .

(٥) هو طلحة الطلحات بن عبد الله بن خلف الخزاعي ، كان والياً على سجستان من قبل مسلم بن زياد بن أبيه والي خراسان ، مات في فتنة عبد الله بن الزبير (وفيات الأعيان ٨٨/٣ ، والمحبر ١٥٦) .

(١) هو حاتم الطائي بن عبد الله بن سعد بن الحشرج ، جاهلي يضرب به المثل في الجود . أو ابنه عديّ بن حاتم الطائي ، وكان من أجواد الإسلام (المحبر ١٤٥ ، ١٥٦ ، والعقد الفريد ٣٥٧/١) .

(٢) هو معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة الشيباني ، كان جواداً شجاعاً ممدحاً مقصوداً كثير المعروف ، تنقل في الولايات أيام بني أمية . أمنه المنصور العباسي وأكرمه وولاه سجستان ، قتله بعض الخوارج في سنة ١٥١ هـ — على الخلاف — (وفيات الأعيان ٢٤٤/٥ ، والعقد الفريد ٣٥٦/١) .

(٣) هو عمرو بن معديكرب ، وقد كتب الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى النعمان بن مقرن — وهو على الصائفة — : أن استعن في حربك بعمرو بن معديكرب ، وطليحة الأزدي ، ولا توهما من الأمر شيئاً ؛ فإن كل صانع أعلم بصناعته . وانظر : العقد الفريد ١٤١/١ ، ٦٥/٢ ، ٦٦ .

(٤) هو عنترة بن شداد العبسي وهو أشهر من أن أعرف به .

(٥) هو لقمان الحكيم بن عنقاء بن مربد بن صاوون ، كان نوبياً مولى للقين بن جسر ، ولد في عهد داود عليه السلام ، وكان عبداً صالحاً . ورد ذكره في القرآن الكريم سورة لقمان الآيتين ١٢ ، ١٣ ، وانظر مروج الذهبي ٥٧/١ .

١ أَوْ قَالَ أَفْصَحُ مِنْ قُسٍّ(١) وَقَيْسٍ(٢) مَعاً
وَمُصْعَبٍ(٣) وأبي ذَرٍّ(٤) وسَحْبَانِ(٥)
مَكَارِمٌ مِنْ عَلِيٍّ أَصْلُ دَوْحَتِهِ
وَفَرْعُهَا مِنْ أَبِي سَعْدٍ وَعَجْلَانِ

---

(١) هو قس بن ساعدة الإيادي ، كان حكيم العرب فى الجاهلية ، وضرب بحكمته المثل ، وكان يقر بالبعث ، وروى أن النبي ﷺ سأل عنه أهله . فقالوا : هلك ؛ فترحم عليه ، وذكر رؤيته له فى سوق عكاظ وهو يخطب الناس (مروج الذهب ٦٩/١ ، ٧٠) .

(٢) قيس : لعله قيس بن عاصم المنقري ، الوافد على رسول الله ﷺ ، فبسط له رداءه وقال : هذا سيد الوبر (العقد الفريد ٣/٢ ، ٤ ، والمعارف لابن قتيبة ١٣٠) ، أو قيس بن مسعود البكري أحد وفد النعمان إلى كسرى (العقد الفريد ٩/٢ ، ١٦) . أو قيس بن سعد بن عبادة ، وكان قد وصف مع جماعة بأنهم بذوا الناس طولاً وجمالاً ، وكتب إلى معاوية كتاباً جمع فيه فصاحة العربي (الكامل للمبرد ٣٠٩/١) . أو قيس ابن رفاعة ، وانظر بعض أخباره فى (الأمالي لأبي علي القالي ٢٥٧/١) .

(٣) هو مصعب بن الزبير بن العوام ، واشتهر بأنه أشد العرب والعجم والإنس والجن (المحبر ٢٢٢) . وقالوا : كان أجل الناس ، وأسخى الناس ، وأشجع الناس ، وكان تحته عقيلتا قريش عائشة بنت طلحة ، وسكينة بنت الحسين (العقد الفريد ٤١٢/٤) . وقال فيه أخوه عبد الله بن الزبير : هو المحبوب فى خاصته ، المحمود فى عامته ؛ بما أطلق الله به لسانه من الخير ، وبسط به يده من البذل (الأمالي ١٨٣/١) .

(٤) هو أبو ذر الغفاري صاحب رسول الله ﷺ ، واسمه جندب بن السكن ، وقيل جندب بن جنادة ، من غفار ، مات سنة ٣٠ هـ فى عهد عثمان رضي الله عنهما (المعارف لابن قتيبة ١١٠ ، ١١١) .

(٥) هو سحبان وائل ، منسوب إلى وائل باهلة ، وهو وائل بن معن بن أعصر ، وكان خطيباً ، ضرب به المثل . (المعارف ٢٦٤) .

إنَّ الخِلَافَةَ مَا مَنْ رَامَ يَسْلَمُهَــــا
مِنْ بَعْـدِ دَاوُدَ جَاءَتْ فِى سُلَيْمَـانِ

***

إنِّى مَدَحْتُكَ يا بنَ الشُّمِّ مِنْ مُضَرٍ
وَقَدْ رَضِيتُكَ عَنْ قَاصٍ وَعَـنْ دَانِ
أَرْجُوكَ لِى يابْنَ خَيْرِ العَالَمِينَ كَمَا
قَدْ كَانَ جَدُّكَ فِى الدنيـا لِحَسَّانِ
إنِّي وإنْ عِشْتُ لَا أُثْنِي عَلَيْكَ كَمَا
أَثْنَى الوَلِيدُ[1] عَلَى الفَتْحِ بنِ خَاقَانِ[2]/
إنْ نَعَّـلَ المُتَنَبِّي خَيْلَــهُ ذَهَبَــا
إنِّـى لأَرْجُـوكَ تَحْبُوهَــا بِتِيجَــانِ
فَاسْلَـمْ وَدُم فِي نَعِيـمٍ لَا نَفَـادَ لَهُ
وكُـلُّ حَيٍّ وإنْ طَالَ المَـدَى فَانِ

* *

ومنهم شيخنا الإمام الأديب قطب الديـن أبـو الخير محمـد بن

---

(١) هو الوليـد بن عبيـد بن يحيى بن عبيـد بن شملال . أبـو عبادة البحتـري الطـائي ، الشاعـر المشهـور ، مات بمنبـج بمرض السكتـة سنـة ٢٨٤ هـ ، له مدائـح فى الفتح بن خاقان وزير المتوكل العباسي ، بلغت تسعاً وعشريـن قصيـدة (ديـوان البحتـري ـ تحقيق حسن كامل الصيرفي ١/١٤٩ ، ١٥٦) .

(٢) هو الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج ، وزير المتوكل العبـاسي ، قتـل معـه سنة ٢٤٧ هـ (فوات الوفيات ٣/١٧٧ برقم ٣٨٩) .

الشيخ قوي الدين عبد القوي بن محمد بن عبد القوي المكي[(١)] المالكي ، قال يمدحه لما ولي مكة بعد عزل ابن أخيه السيد رُمَيْثَة بن محمد بن عجلان الحسني في شوال سنة تسع عشرة وثمانمائة ، أولها :

وَافَتْ بِدَوْلَتِكَ السَّعَادَةُ لِلْمَـــلَا
وَاليَـــوْمَ نَالَ مُؤَمِّلٌ مَا أَمَّـــلَا
مَنْ كَانَ مِنَّا مُذْ نَأَيْتَ مُحَسبِلًا
فَاليَـوْمَ يَتْرُكُـهُ السُّرُورُ مُحَمْـدِلًا
وَمَنْ اخْتَفَى مُتَوَارِياً خَوْفَ الرَّدَى
نَادَى الأَمَـانُ بِهِ هَلُـمَّ مُبَسْمِـلًا

***

وَمَـنْ ٱبْتَغَى وَطَنـاً بأَقْصَى بَلْــدَةٍ
فَالعَـدْلُ يُسْكِنُـهُ بِمَكَّـةَ مَنْـزِلًا
رَدَّ الإِلَـهُ عَلَيْكَ مُلْكَكَ بَعْدَمَـا
ظَنَّ الحَسُـودُ بِأَنَّـهُ لَنْ يَفْعَـلَا
مَا كَانَ نَقْلُكَ عَنْ مَكَانِكَ مُوجِباً
نَقْصَ المَكَانَــةِ لَا وَلَا كَلَّا وَلَا

***

(١) هو محمد بن عبد القوي بن أحمد بن محمد بن علي المكي ، كان بارعاً في نظم الشعر ، وأكثر مطالعة التاريخ وبخاصة تاريخ الحجاز ، توفي سنة ٨٥٢ هـ (الضوء اللامع ٧١/٨ برقم ١٣٠ ، والتبر المسبوك ٢٤٥ ، ومعجم الشيوخ ٢٣٣ ، وشذرات الذهب ٢٧٥/٧) .

لَكِنَّكَ البَدْرُ المُنِيرُ رَقِيتَ فِي
رُتَبِ الكَمَالِ فَحُزْتَهَا مُتَنَقِّلَا
رُدَّتْ إلى أمِّ القُرَى أيَّامُهَا
فِيهَا بِعَدْلِكَ يَصْحَبُ الذِّئْبُ الطَّلَا

ومنها :

لِلَّهِ دَرُّكَ مِنْ مُبَارَكِ طَلْعَةٍ
نَشَأَتْ بِمَيْمُونِ السَّعَادَةِ مَعْقِلَا
أَوَلَمْ تَكُنْ فِيهَا خَلِيقاً بالعُلَى
وَمُدَافِعاً عَنْهَا بِهَا عِظَمَ البَلَا
وَلَقَدْ دَرَأْتَ عَنِ الأنَامِ نَوَائِباً
لَوْ رَامَ طَوْدٌ دَرْأَهَا لَتَزَلْزَلَا

***

حُمِدَتْ بِحِلْمِكَ فِتْنَةٌ حَسَنِيَّةٌ
لَا تَنْطَفِي وَسَعِيرُهَا لَا يُصْطَلَى
أَطْفَأْتَ سَوْرَتَهَا بِصَبْرِكَ عَنْهُمُ
وَالصَّبْرُ إنْ تُطْعَمْ مَرَارَتُه حَلَا
لَكَ فِي رِقَابِ بَنِي الزَّمَانِ صَنَائِعٌ
حَكَمَتْ عَلَى مَجْمُوعِهِم لَكَ بِالْوَلَا

ومنها :

وأَرَادَ سَبْقَكَ لِلْمَعَالِي مَعْشَرٌ
فَتَأَخَّرُوا عَنْهَا وَكُنْتَ الأَوَّلَا

وَرَآكَ أَرْبَــابُ المَعَالِــى غَايَــةً
فِيهَـا فَلَا يَتطَلَّعُـونَ إِلَــى العُلَــى

ومنها :

يَابْـنَ النَّبِــيِّ وَسِبْطِــهِ وَوَصِيِّـــهِ
نَسَبٌ نَمَـاهُ المُصْطَفَـى فَتَــأَصَّلَا
نَسبٌ أضاءَ الكَــونُ من لألائِـــهِ
حَتَّى لَقَدْ فَضَحَ الشُّمُوسَ الكُمَّـلَا
يهنيك فَتْـحٌ فِي ثُلَاثَـا خَامِس آلْــ
ـعِشْرِيــــنَ مِنْ شَوَّالَ جَاء مبشَرَا
أَيْضاً وَأَيَّـــدَكَ الإِلَـــــهُ بِنَصْرِهِ
وَاللّٰهُ مَنْ يُنْصَرْ بِهِ لَنْ يُخْـــذَلَا /

***

١٧١و فَاسْعَـدْ بِمُلْكِكَ مَا حَيِيتَ فإِنَّـهُ
قُطْبُ الـمَسَرَّةِ عَنْـهُ لَنْ تَتَحَـــوَّلَا
وَأَصِخْ لِمَـدْحٍ فِي عُلَاكَ نَظَمْتُــهُ
فَبِهِ وَجَدتُّ إِلَى المَكَـارِمِ مَدْخَـلَا
يُثْنِي عَلَيْكَ بِهِ القَرِيضُ وَلَـمْ يُطِـلْ
والنَّظْـم اِسْمٌ مَا تَرَاهُ مُطَــــوَّلَا

***

فَلَقَـدْ عَلِـمْتَ لِعُظْـمِ قَدْرِكَ أَنَّــهُ
أَعْيَـتْ مَدَائِـحُكَ البَلِيـغَ المِقْـوَلَا

لَكِنَّنِي لَمَّـا عَلِمْـتُكَ رَاضِيـاً
وَافَيْتُ بالمَـيْسُورِ مِنْـهُ لِيُقْبَـلَا
تَبْقَـى لِمَـنْ يَرْجُـو نَوَالَكَ مُنْعِمـاً
وَلِمَـنْ يُعَانِـي قَرْعَ بَابِكَ مَوْئِـلَا

وقال يمدحه من قصيدة طويلة أزيد من مائة وستين بيتاً ، أنشدها للوالد فى سنة أربع وأربعين وثمانمائة ، أولها :

مَا إنْ سَرَى رَيَّـاكَ فِي الأَرْجَـاءِ
إلَّا وَسَارَ هَوَاكَ فِي أَحْشَائِـي
يَا مُغْرَمًا بِتَـلَافِ مُهْجَـةِ مُغْـرَمٍ
حَسْبِـي غَرَامِـي فِيكَ مِنْ غُرَمَائِـي
أَسَرَتْ لِحَاظُكَ مُهْجَـةً لَمْ تَدْرِ مَا
كَانَ الهَـوَى مِنْ سَائِرِ الأَشْيَـاءِ
يَا أَيُّهَـا الرَّشَأُ الـمُصِيبُ مَقَاتِلِـى
بِسِهَامِـهِ اللّٰهَ فِي إبْقَائِـي

ومنها :

وَإِذَا الزَّمَـانُ كَسَاكَ حُلَّـةَ مُعْـدِمٍ
فَالْبَسْ لَهَـا حُلَـلَ الغَـرِيبِ النَّائِـى
وَاحْلُلْ بِسَاحَةِ خَيْرِ مَنْ أَوْلَى القِرَى
وَأَجَـلِّ مَوْلًـى مِنْ بَنِـي الزَّهْـرَاءِ
تَظْفَـرْ بِكُـلِّ كَرِيمَـةٍ وَكَرَامَـةٍ
وَتَفُـزْ بِكُـلِّ غَنِيمَـةٍ وَغَنَـاءِ

فَجَنَابُـهُ الـحِصْنُ المَنِيـعُ لِمُلْتَـجٍ
وَجِـــوَارُهُ أَمْـــنٌ مِنَ الــــلأْوَاءِ
وَأَجِدْ مَدِيحَكَ فِي عُلَاهُ فَطَـالَ مَا
مَدَحَتْهُ مِثْلَكَ سَائِـرُ الشُّعَـرَاءِ

ومنها :

مَلِكٌ تَرَى العَافِيـــنَ مُحْدِقَـــةً بِهِ
زُمَـــراً مِنَ الفُقَــــرَاءِ وَالأُمَرَاءِ
هَذَا يَرُومُ الأَمْـــنَ مِنْ سَطَوَاتِـــهِ
وَلِـذَاكَ فِي نَادِيهِ حُسْنُ عَطَـــاءِ
مُسْدِي النَّفَـــائِسَ للمُؤَمِّـــلِ بِرَّهُ
مُرْدِي العَنَابِسَ فِي وَغَـى الهَيْجَـاءِ

***

مَا جُودُ مَعْـنٍ أَوْ سَمَاحَـةُ جَعْفَـرٍ
مَا طَلْحَةُ الطلْحَاتِ أَوْ مَا الطَّائِـي
مَا مَالِكٌ فِي بَأْسِهِ مَا عَنْتَـــــرٌ
مَا حَارِثٌ مَا عَمْـــرٌو يَوْمَ لِقَـــاءِ
أَبِـهِ يُقَـاسُ النَّـاسُ وَهْـوَ إِمَامُهُـــمْ
فِي حَالَـــةِ النَّعْمَــــاءِ وَالبَـــأْسَاءِ
تَخْشَى مُلُـوكُ الأَرْضِ سَوْرَةَ بَأْسِهِ
وَتَهَابُـهُ فِي الغَـــابِ أُسْدُ وَغَـــاءِ

ومنها :

مِلِكٌ تَخِرُّ لَهُ الجِبَـــالُ مَهَابَـــةً
وَتَطُـولُ فِيــهِ أَلْسُنُ الفُصَحَـــاءِ /
بَدْرُ المَعَالِى وَابْـنُ بَجْدَتِهَـا الـذِى ١٧١ظ
يُدْعَى لِدَفْعِ الخَطْبِ : يَابْنَ جَلَاءِ
مِنْ جَدِّهِ وَرِثَ الشَّجَاعَـةَ وَالتُّقَـى
مَا أَشْبَـــهَ النُّجَبَـــاءَ بالنُّجَبَـــاءِ

ومنها :

كُلُّ افْتِخَـارٍ دُونَ فَخْـــرِكَ آخِـــرٌ
وَهُـوَ المَقَـــدَّمُ حَالَـــةَ الإِبْـــدَاءِ
وَلَأَنْتَ فِيمَـنْ لَاذَ جِبْرِيـلٌ بِهِـــمْ
تَحْتَ الـكِسَا إِذْ ذَاكَ خَيْـرُ عَطَـاءِ[1]
شَيَّـدْتَ أَرْكَـانَ الخِلَافَـةِ بَعْدَمَـــا
خَرَّتْ لِمَـــوْتِ السَّادَةِ الحُنَفَـــاءِ
حَصَّنْتَهَـا بالعَـدْلِ فِي أُمِّ القُـــرَى
حَتَّـى تَحَامَـى الـذِّئْبُ صِرْمَ الشَّاءِ

ومنها :

يَابْـنَ الإِمَامَـةِ وَالسِّيَـــادَةِ وَاللِّـــوَا
وَالحَـــوْضِ وَالمِعْـــرَاجِ والإِسْرَاءِ
شَرَّفْتَ دَسْتـاً لِلخِلَافَــةِ سَامِيـــاً
وَحَبَوْتَـــهُ بِمَحَـــاسِنِ العَلْيَـــاءِ

(١) لايظهر لهذا البيت معنى صحيح فإن كان المقصود جبريل أمين الوحي فلايجوز نسبة ذلك إليه . « المراجع »

وَقَصَدْتَ نَاصِرَهُ بِنَصْرِكَ نَلْتَقِـــي
وَهُدِى بِكَ الهَادِى إِلَى الأَهْدَاءِ[١]
وَافَيْتَ مُقْتَفِيـــاً بِرَبِّكَ مُقْتَــدٍ[٢]
وَسَمَـــوْتَ مُقْتَـــدِراً بِغَيْـــرِ مِرَاءِ
وَأَتَـــيْتَ مُعْتَصِمـــاً بِرَبِّكَ وَاثِقـــاً
بِاللهِ مُنْـــتَصِراً عَلَـــى الأَعْدَاءِ

***

يَا خَاتِمَ الخُلَفَــاءِ يَا مَهْدِيَّهُـــم
أَنْتَ الرَّشِيــــــــدُ وَرَاشِدُ الآرَاءِ
شَأْنُ الخِلَافَــةِ لَا نَظِيــرَ لَهُ وَلَا
لَكَ مُشْبِـــهٌ مِنْ سَائِـــرِ النُّظَـــرَاءِ
حَسُنَتْ بِكَ الدُّنْيَا وَأَشْرَقَ كَوْنُهَا
يَا بَدْرَ دِيـــــــنِ اللهِ ذِى الآلَاءِ
وسَمَتْ بعجـلانٍ صنائِعُكَ التـى
ملأت محاسنهن كل فضاءِ
وغـدا رميثـةُ فاخـراً بك فى الـذُّرَى
يَزْهُـــو على الآتين والقُدمـــــاءِ

---

(١) الأهداء : جمع هَدْيَة ، بمعنى القصد والوجهة (المعجم الوسيط) .
(٢) كذا فى الأصل .

وَنَمَتْ فُروعُ أبي نُمَيٍّ في العُلَى
كَنُمُوِّهَــا بك في أعَــزِّ نَمَــاءِ
ومنها :
وَكَسَرْتَ كِسْرَى عَنْ تَعَاطِي تِيهِهِ
وَقَصَرْتَ قَيْصَرَ عَنْ مَدَى الأكْفَاءِ
وَسَلَبْتَ عَنْ نُعْمَانَ نِعْمَةَ مُلْكِهِ
لَمَّا بَغَى فِي الحِيــرَةِ الفَيْحَــاءِ
إذْ بِالخَوَرْنَقِ وَالسَّدِيــرِ مُقَامُــهُ
مُتَبَخْتِراً يُدْعَى ابْنَ مَاءِ سَمَاءِ(١)
عَصَفَتْ ذَوَارِي الرِّيحِ فِي عَرَصَاتِهِ
فَطَمَسْــنَ مُعْلَمَــهُ خَلَا أشْلَاءِ
خَفَقَتْ عَلَى خَاقَانَ مِنْكَ صَوَارِمٌ
أوْدَعْنَــهُ رَمْساً مِنَ البَيْــدَاءِ
لَكَ تُبَّعٌ فِيمَــا تَمَــلَّكَ تَابِــعٌ
وَكَذَلِكَ المَاضِي مِنَ العُظَمَــاءِ

ومنها :
وَاخْتَــارَكَ اللهُ الكَرِيــمُ خَلِيفَــةً
فِي مَكَّــةٍ وَبِطَيْبَــةَ الغَــرَّاءِ

(١) يلاحظ أن الذى يدعى ابن ماء السماء هو المنذر بن الأسود بن النعمان ؛ فقد كانت أمه ماء السماء بنت عوف بن النمر بن قاسط ، وإنما سميت بماء السماء لحسنها وجمالها (مروج الذهب ٢/٩٨) .

وَخُصِصْتَ مِنْ بَيْنِ المُلُوكِ عِنَايَةً
بِأَعَــزِّ بَيْتٍ طَاهِــرِ الأَرْجَــاءِ /
١٧٢و بَيْتٌ هُدًى لِلعَالَمِيــنَ وَمَأْمَــنٌ
لِلّائِذِيــــــنَ بِهِ مِنَ الضَّرَّاءِ
بَيْتُ الإلَـهِ وَمَهْبِطُ الوَحْيِ الـذِى
قَدْ كَانَ مِنْــهُ مَبْــدَأُ الإِسْرَاءِ

ومنها :

يَابْنَ المَنَاسِكِ وَالمَشَاعِرِ وَالصَّفَـا
وَابْنَ الحَطِيــمِ وَسُرَّةِ البَطْحَــاءِ
اِسْمَـعْ لِمَـدْحٍ فِى عُلَاكَ كَأَنَّــهُ
دُرٌّ نُظِمْــنَ بِلَبَّــةِ الحَسْنَــاءِ
يَزْهُـو بِهِ جِيـدُ الزَّمَـانِ كَمَـا زَهَـا
أُفْـقُ السَّمَـاءِ بِأَنْجُـمِ الجَـوْزَاءِ
إِدْرَاكُ وَصْفِكَ لَا يُرَامُ نِطَاقُــــهُ
وَتَكِــلُّ عَنْــهُ بَلَاغَــةُ البُلْغَــاءِ
أَنَّـى يَفِـى مَدْحٌ بِقَــدْرِ مُمَــدَّحٍ
بِصَوَادِقِ الأَخبَــارِ وَالأَنْبَــاءِ
لَكِنَّنِى لَمَّــا عَلِمْتُــكَ رَاضِيــاً
وَافَـيْتُ بالمَــيْسُورِ مِنْ إِنْشَاءِ

ومنها :

فَبِوَجْهِكَ الأَسْنَى أُعِيذُ مَطَامِعِي
أَنْ يَصْرِفَ الحرمانَ وَجْهُ رَجَاءِ

وله فيه غير ذلك .

وقد رثاه غير واحد ، منهم : الإمام الأديب المُفَنِّنُ شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر المقرئ اليمني ، فأحسن ما شاء وأجاد ، وعَزَّى وَمَدَحَ وأَوْصَى وأفاد ، فقال : ـ وأنشدني الوالد ذلك إجازة عنه ـ .

أَبَى الدَّهْرُ إِلَّا أَنْ يُكَدِّرَ وِرْدَهُ
وَيَبْلُغَ فِي تَنْغِيصِ مَرْعَاهُ جُهْدَهُ
بَقَاءٌ وَمِنْهُ الهُلْكُ يَأْتِي بِصِحَّةٍ
عَلَى الجِسْمِ مِنْهَا السُّقْمُ يَنْشُرُ بُرْدَهُ
وَمَا المَرْءُ إِلّا لِلْخُطُوبِ دَرِيَّةً
تَرَاهَا تُوَلِّي وَهْيَ تَأْخُذُ قَصْدَهُ

ومنها :

وَقَدْ طَبَّقَ الدُّنْيَا وَرَوَّعَ أَهْلَهَا
وَزَعْزَعَ مِنْهَا كُلَّ طَوْدٍ وَهَدَّهُ
وَنَادَى المنادِي : مَاتَ مَنْ كُلُّ مَنْ تَرَى
وَإِنْ كَانَ فِيهِ الرُّوحُ قَدْ مَاتَ(١)
فَلَا تَعْجَبُوا مِنْ كَثْرَةِ الحُزْنِ والأَسَى
عَلَى سَيِّدٍ مَا مَاتَ إِذْ مَاتَ وَحْدَهُ

(١) بياض في الأصل بمقدار كلمة كتب فوقه كلمة « كذا » .

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا فَإِنَّكَ رُوحُهَا
تَوَلَّتْ وَأَبْقَتْ عَظْمَ جِسْمٍ وَجِلْدَهُ
وَلَوْ قَبِلَ المَوْتُ الفِدَا لَتَبَادَرُوا
وَكَانَ فِدَاهُ مَال كُلٌ وَوُلْدَهُ
فَمَنْ شَاءَ مِنْ بَعْدِ ابنِ عَجْلَانَ فَلْيَمُتْ
فَقَدْ مَاتَ مَنْ كُنَّا نُحَاذِرُ فَقْدَهُ

***

فَيَا مَوْتُ مَا أَبْقَيْتَ لِلصُّلْحِ مَوْضِعاً
لَقَدْ جُرْتَ بالإِفْرَاطِ فِي الخَطْبِ وَحْدَهُ
دَفَنْتَ المعالِي والشَّجَاعَةَ والنَّدَى
أَتَعْرِفُ مَا أَوْدَعْتَ يَا مَوْتُ لَحْدَهُ
عَمَدْتَ إلى بَيْتٍ لِآلِ مُحَمَّدٍ
رَفِيعٍ فأَهْوَى حِينَ قَوَّضْتَ عُمْدَهُ

ومنها :

فَيَا أَيُّهَا البَاكُونَ بالأَعْيُنِ الدِّمَا
لِيَقْضُوهُ حَقًّا أَوْ لِيُوفُوهُ عَهْدَهُ /
عَلَيْكُمْ وَرَاهُ لَا عَلَيْهِ تَأَسَّفُوا
١٧٢ظ لَقَدْ ظَلَّ فِي الفِرْدَوْسِ يَسْحَبُ بُرْدَهُ
وَأَمْسَى لَدَى البَارِي بِدَارِ كَرَامَةٍ
يَفِيضُ إليه نَحْوَكُمْ لَنْ يَرُدَّهُ

وَمَا رَاعَ فِيهِ الخَلْقَ إِلَّا لِعِلْمِهِ
بأنّ وَرَاهُ مَنْ يَسُدُّ مَسَدَّهُ

***

فَمَا حَسَنٌ مَوْلَى مُضِيعاً لِرَبِّهِ
وَلَا رَبُّهُ مَوْلَى يُضَيِّعُ عَبْدَهُ
لَقَدْ كَانَ قَوَّاماً كَمَا قِيلَ فِي الدُّجَى
إِذَا قَامَ رَوَّى بالمِدَامِعِ خَدَّهُ
وَكَانَ يُبَارِى الريح(١) جُوداً بِمَالِهِ
إذا ضَنَّ بالماءِ الغَمَامُ وَحَدَّهُ

***

فَوَا أَسَفاً لِلوَافِدِينَ بِمَكَّةٍ
لَقَدْ كَانَ وَفْدُ اللهِ وَالبَيْتِ وَفْدَهُ
كَمَا كَانَ لِي أهْلاً وَعَوْناً بِمَكَّةٍ
وَإِنِّي لَأَرْجُو حِفْظَ ذَلِكَ بَعْدَهُ
وَأَشْبَالُهُ أُسْدٌ تَهَادَى بِهَدْيِهِ
وَتَحْفَظُ فِي أَهْلِ المَوَدَّةِ وُدَّهُ

ومنها :

وَمَنْ سَوَّدُوهُ سَادَ غَيْرَ مُنَازَعٍ
وَهُمْ سَيْفُهُ المَاضِي الذِى قَدْ أَعَدَّهُ

---

(١) في الأصل « الرُّوح » ، ولعل الصواب ما أثبته .

وَأَضْحَى لَهُمْ بَعْدَ ابنِ عَجْلَانَ وَالِداً
وَأَضْحُوا وَهُمْ كَالجِسْمِ وَالرُّوحِ أُسْدَهُ
أَلَا لَا تَكُونُوا كَالذِينَ تَفَرَّقُوا
وَأَوْهَنَ هَذَا عِزَّ هَذَا وَهَدَّهُ
وَكُونُوا مَعاً فَالقِدْحُ يَمْنَعُ نَفْسَهُ
إِذَا كَانَ مَضْمُوماً وَيُكْسَرُ وَحْدَهُ

ومنها :

فَمَا المُلْكُ إِلَّا لِلإِلَهِ وَإِنَّهُ
لَيُؤْتِيهِ مَنْ شَا لأَمْرٍ حَدٌّ حَدَّهُ
وَأَنْتُمْ بِحَمْدِ اللهِ لِلسَّعْدِ مَوْئِلٌ
إِذَا مَاتَ شِبْلٌ أَوْرَثَ الشِّبْلَ بَعْدَهُ

ومنهم شيخنا الفريد بدر الدين حسين بن العليف المكي ، وأنشدها للوالد فى يوم الأحد تاسع شوال سنة أربع وخمسين وثمانمائة بمنزله بأسفل مكة ، أولها :

إِنْ لَمْ تَجُدْ بِدمُوعِهَا أَجْفَانِي
لِفِرَاقِ مَنْ أَهْوَى فَمَا أَجْفَانِي
وَلَئِنْ رَقَا دَمْعِي الهَتُونُ فَإِنَّنِي
شَانٍ وَلَا تَرْقَا مَدَامِعُ شَانِي
اللهُ يَعْلَمُ أَنَّ فَيْضَ مَدَامِعِي
هُوَ كُلَّ يَوْمٍ بَعْدَهُمْ فِي شَانِ

***

أَغْرَى البُكَاءُ بِنَاظِرِى حَتَّى لَقَدْ
فِى مَدْمَعِى القَانِى لَقَدْ أَلْقَانِى
لَمَّا أَتَانِى عِلْمُ مَن أَعْدَدْتُهُ
ذُخْراً لِدَفْعِ نَوَائِبِ الحَدَثَانِ
حَسَنُ الذى عَقَمَ النِّسَاءُ بِمِثْلِهِ
وَلِذَاكَ لَمْ يَأْتِ الزَّمَانُ بِثَانِ
أَبَداً وَلَمْ يَحْمِلْ نَظِيراً فِي الوَرَى
بَطْنُ الحَصَانِ لَهُ وَظَهْرُ حِصَانِ
وَلَقَدْ ظَنَنْتُ الأَرْضَ بَعْدَ وَفَاتِهِ
مَادَتْ بِمَنْ فِيهَا مِنَ السُّكَّانِ /
وَتَزَلْزَلَتْ أَطْوَادُهَا وَسَمَاؤُهَا انْـ ١٧٣و
ـشَقَّتْ فَكَانَت وَرْدَةً كَدِهَانِ

ومنها :

مَاتَ الحِجَى وَالعَزْمُ وَالرَّأْيُ الذِى
قَدْ قِيلَ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ
مَاتَ الذَّكَا وَالفَهْمُ وَالفِطَنُ الذِى
أَرْبَى فَصَاحَتُهُ عَلَى سَحْبَانِ

ومنها :

مَاتَ الذى يُعْطِى الوِجَابَ بِنَخْلِهَا
وَيجود جُرْدَ الخَيْلِ بالأَرْسَانِ

ومنها :

مَاتَ الـذى كُنَّـا نَعِــيشُ بِظِلِّــهِ
وَبِــــهِ تُرَدُّ حَوَادِثُ الأزْمَـــانِ
مَاتَ الذِى أعْطَـى وَأَمْضَانِـى بِمَـا
أَقْنَـى وأَغْنَانِـــى بِمَـــا أَقْنَانِــــى
مَاتَ الـذِى أَتْقَـى وَأَوْفَـــى ذِمَّــةً
هُوَ مِنْ سَمَـوْأَلِ عَادِيَـا الغَسَّانِــى
مَاتَ الذِى لَوْ جِئْتُ أَطْلُبُ كُلَّ مَا
قَدْ حَلَّ فِى أَعْطَانِــهِ أَعْطَانِـــى
مَاتَ الذِى أَعْلَى عَلَى هَامِ السُّهَى
قَدْرِى وَفَـوْقَ النَّيِّرَيْــنِ مَكَانِـــى

ومنها :

تَبْكِـى عَلَيْكَ أَبَـا عَلِيٍّ مَكَّـةُ آلْـ
ـغَرَّا وَيَبْكِـى البَـيْتُ ذُو الأَرْكَـانِ
يَبْكِـى المُصَلَّى وَالحَطِيـمُ وَزَمْـزَمٌ
وَالحِجْـرُ وَالحَجَـرُ العَظِيـمُ الشَّانِ
يَبْكِى الصَّفَا وَالمَرْوَتَانِ وَمَنْ سَعَى
فِيهِـنَّ مِنْ مَاشٍ وَمِـــنْ رُكْبَـــانِ

ومنها :

تَبْكِـى المَشَاعِرُ وَالمَنَابِرُ كُلُّهَـــا
وَالخَاطِبُـونَ بِهَـــا مَدَى الأَزْمَـــانِ

يَبْكِـــيكَ وَادِى مَرٍّ مِنْ حَذَّائِــــهِ
حُزْنــاً وَزِيمَتــــه إلى البَــــرَدَانِ
يَبْكِـيكَ مِنْ قَرْنِ المَنَـازِلِ مُحْرِمٌ
كَمْ ظَلَّ يُحْـــرِمُ فِيـــهِ مِنْ إِنْسَانِ
تَبْكِيكَ رُكْبَةُ بَغْثُهَـا وَكِلَاخُهَـا(١)
وَالحِنْــــوُ مِنْ حَضَنٍ إلى قُرَّانِ(٢)

---

(١) في معجم ما استجمع للبكـري : « قال أبـو داود في كتـاب الشهـادات : ركبة موضع بالطائف . قال غيره على طريق الناس من مكـة إلى الطائـف . وروى مالك في الموطأ أن عمـر بن الخطـاب رضي اللـه عنـه قال : لبيت بركبـة أحب إلى من عشرة أبيات بالشام .

وروى الحربي أن رسول الله ﷺ بعث جيشاً إلى بنى العنبر فوجدهـم بركبـة من ناحية الطائف .

معجم ما استعجم للبكري ١ /٦٦٩ .

ومن هنا فإن البغث والكلاخ موضعان بركبة إذهما بدل منها .

« المراجع »

(٢) الحنو : كل شيء فيه اعوجاج ، ويجمع على أحناء ، تقول : حنـو الحجـاج ، وحنو الأضلاع . وكـذلك فى الإكاف والقتب والسرج ، والجبـال والأوديـة ، وكل منعـرج فهو حنو . (معجم البلدان) وقد ذكر البـلادي فى معجـم معـالم الحجازثمانيـة أحنـاء ، أكثرها وديان ، وبعضها أماكن ، تكون فى الشمال ؛ قرب المدينة وتبوك وينبـع ، ونواحـي الطائف قرب حضن . وقرب سراة بجيلة ، وفى وادي الضريبة الذي يدفـع سيلـه فى ذات عرق .

حضن : بالتحريك ، وهو فى اللغـة العـاج . وهـو جبـل بأعلى نجد ، وفى المثـل : أنجد من رأى حضنـاً . وقالـوا فيـه : يشرف على السيّ إلى جانب ديـار سليم ، ووصفـوه بجبل ضخم بناحية نجد بينه وبين تهامة مرحلة ، تبيض فيه النسور ، ويسكنه بنو جشم .=

تَبْكِى سُبَيْعٌ بَلْ مُطَيْرٌ بَعْدَهَـــا
وَالغَامِدِى يَبْكِــيكَ وَالعُدْوَانِـــى
تَبْكِــيكَ طَيٌّ ثُمّ زُغْبٌ بَعْدَهـــا
تَبْكِـــى بَنُـــو لَامٍ بِدَمْـــعٍ قَانِ

ومنها :

تَبْكِيكَ صَعْـدَةُ ثُمّ صَنْعَا بَعْدَهَا
وَذَمَـــارُ ثمّ إِمَامُهَـــا الرَّبَّانِـــى
تَبْكِـى التَّهَائِـمُ وَالنُّجُـودُ لِفَقْـدِ مَنْ
كَالغَيْثِ نَفعـاً إنْ ثَوَى بِمَكَـــانِ

ومنها :

تَبْكِى عَلَيْكَ قَبَائِـلُ اليَمَـنِ الـذِى
أَغْنَيْتَ قَاصِيهَـا مَعـــاً وَالدَّانِـــى

= وجبل ضخم شرقي الطائف ، يُرَى من تربة ، ويـراه من يسير فى الطريـق من الطائـف إلى نجد ، تسيل منه فى أكثر الاتجاهات أودية عظيمة فيها آبار ومياه ، وكانت تتحرز فيه قبيلة البقوم عند قيام حرب بينها وبين جيرانها (معجم البلدان لياقوت ، ومعجم معـالم الحجـاز للبلادي) .

قران : واد قرب الطائـف ، وقرية بين مكـة والمدينـة بلصق أبلى ، وقريـــة بمر الظهران بينها وبين مكة يوم (معجم البلدان لياقوت) .

أما بقية البلدان والأماكن والقبائل فى هذا الشعر ، فقد مرّ فى كتابنا هذا أكثرها ، وهي معروفة ، ويمكن الرجوع إلى كتب البلدان والقبائل ببلاد الحجاز ، والمملكـة العربيـة السعودية ، وجزيرة العرب بوجه عام ، وذلك لتصورها واستحضار التعريف بها وبمعالمها .

تَبْكِي بَنُو سَامٍ وَحَامٍ فِي الوَرَى
يَبْكِي لَكَ الإِنْسِيُّ ثم الجَانّي
تَبْكِي عَلَيْكَ أَبَا عَلِيٍّ سُبَّقٌ
قُبُّ البَطُونِ طَوِيلَةُ الأَرْسَانِ
تَبْكِي الهِجَانُ الخُورُ يَابْنَ مُحَمَّدٍ
حُزْناً عَلَيْكَ غَزِيرَة الأَلْبَانِ /
تَبْكِي خُيُولُكَ فِي الرُّبَى بِسُرُوجِهَا ١٧٣ظ
تَبْكِي الرِّكَابُ عَلَيْكَ بالكِيرَانِ
تَبْكِي السُّيُوفُ عَلَيْكَ يَابْنَ مُحَمَّدٍ
تَبْكِي عَلَيْكَ عَوَائِلُ المَرَّانِ
تَبْكِي الدُّرُوعُ عَلَيْكَ مَعْ رَايَاتِهَا
حُزْناً وَكُلُّ حَنِيَّةٍ مِرْنَانِ
يَبْكِي عَلَيْكَ حَجِيجُ مَكَّةَ فِي الوَرَى
يَبْكِي جَمِيعُ الوَفْدِ ،والضِّيفَانِ
تَبْكِي عَلَيْكَ أَبَا عَلِيٍّ طَيْبَةٌ
وَبَقِيعُهَا وَنَخِيلُهَا المُتَدَانِي
يَبْكِي لَهَا حَرَمٌ عَلَيْكَ وَإِنَّمَا
لَا غَرْوَ أَنْ يَبْكِي لَكَ الحَرَمَانِ
تَبْكِيكَ مِصْرٌ فِي البِلَادِ وَإِنَّهَا
بِكَ كَمْ مُنىً قَدْ أُعْطِيتْ وَأَمَانِي
لَمَّا دُفِنْتَ بِهَا وَأَيَّةُ بَلْدَةٍ
ضَمَّتْكَ قَدْ شَرُفَتْ عَلَى البُلْدَانِ

***

١٩٧ ـــ بركات بن حسن بن عجلان بن رُمَيْثَة بن أبي نُمَيّ محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قَتَادَة الحسني المكي . أمير مكة زين الدين أبو زهير بن أمير مكة ، ونائب السلطنة بالأقطار الحجازية ، بدر الدين أبي المعالي .

ولي إمرة مكة من غير شريك بعد والده ستاً وعشرين سنة ، وفى حياته بتخليتها له نحو أربع سنين أو خمس ، وفى بعضها [شاركه][١] أخوه إبراهيم . وشريكاً لأخيه أحمد نحو ثمان سنين كما سيأتي بيانه .

وذلك أنه ولد فى سنة إحدى وثمانمائة ـــ وقيل فى التى بعدها ـــ بالخُشَّافة[٢] بالقرب من جدة ، ونشأ بمكة فى كنف والده ، وقرأ القرآن ، وكتب الخط الحسن ، ونشأ شريف الهمة ، سنيّ الأفعال ، جميل الأخلاق .

ذكره الوالد في مشايخه[٣] ، وأجاز له فى سنة خمس وثمانمائة وما بعدها البرهان بن صديق ، والقاضى زين الدين أبو بكر بن الحسين العثماني المراغي ، وعائشة ابنة محمد بن عبد الهادى ، والحفاظ الثمانية : زين الدين العراقى ، وولده أبو زرعة ، ونور الدين

---

(١) أضافة يقتضيها السياق .

(٢) الخشافة : كذا بالأصل والدر الكمين . ويقول السخاوي : بضم المهملة وتشديد المعجمة ، ثم فاء . (الضوء اللامع ١٣/٣) .

(٣) معجم الشيوخ ٣٥٢ ترجمة بركات بن حسن ، وفيها إحالة على ترجمة أحمد ابن عبد القوي ص ٦١ من المعجم .

الهيثمى ، وشهاب الدين بن حجى ، وشهاب الدين الحسبانى ، وجمال الدين بن الشرائحى ، وجمال الدين بن ظهيرة ، وشهاب الدين بن حجر . والمسندون : محمد بن حسن الفرسيسى ، وأحمد ابن عمر بن أبى البدر الجوهرى ، وأحمد بن محمد بن مُثَبِّت ، وأحمد ابن محمد بن عبد الغالب الماكسينى . وأحمد بن أبى بكر بن يوسف الخليلى ، وأحمد بن على بن إسماعيل بن الظريف ، وأحمد بن محمد بن عماد بن الهائم ، وعبد الرحمن بن حيدر الدهقلى ، وعبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الحلبي ، وعبد الله بن أحمد بن على العراقى[١] ، وعلاء الدين على بن إبراهيم الجزرى ، وشمس الدين العراقى ، وأبو اليمن الطبرى ، وأبو الطيب السحولى ، وشرف الدين ابن الكويك ، وفتح الدين المخزومي ، ومجد الدين الشيرازى[٢] ، وخلق . وحدث بالقاهرة ، ثم بمكة بالإجازة عن بعض شيوخه المجيزين له . سمع منه / الطلبة ، ولم يقدر لى السماع منه لكنه أجاز ١٧٤و
[لي][٣] فى الاستدعاءات .

قلت[٤] : خرج له الجَدُّ الحافظ تقى الدين بن فهد

(١) كذا فى الأصل ، وفى الدر الكمين « الغرياني » .

(٢) فى الضوء اللامع ١٣/٣ « المجد اللغوي » ، وهو مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي الشيرازي ، المتوفى سنة ٨١٧ هـ . (الضوء اللامع ٧٩/١٠ برقم ٢٧٤ ، وكشف الظنون ١٣٠٦/٢ ، ١٣٠٧) .

(٣) إضافة عن الدر الكمين .

(٤) أي مؤلفنا العز بن فهد .

الهاشمي[٥] المكي رحمه الله تعالى كتاباً من مروياته فى بعض شرف المصطفى وفضائل الحسن والحسين ووالديهما ، وفضائل قريش وبني هاشم ، مع حكايات وإنشادات ، سَمَّاه « الدرر الفائقة والأخبار الرائقة »فرغ من تسويده فى سنة إحدى وأربعين وثمانمائة . انتهى .

وقال الوالد أيضاً : سعي له والده السيد حسن فى أن يكون شريكه فى إمرة مكة ؛ فأجيب سؤاله ، ووصل إليه تقليدٌ مؤرخ بشعبان سنة تسع وثمانمائة ـــ ويقال إنه مؤرخ فى النصف الثانى من شعبان سنة عشر وثمانمائة[٢] ـــ . ثم فى المحرم سنة إحدى عشرة نَدَب والدُه القائدَ سعد الدين جبروه إلى مصر بهدية طائلة ليسعى له فى أن يكون ولده السيد أحمد شريكاً لأخيه بركات فى إمرة مكة ؛ فأجيب إلى ذلك . وولي السيد حسن نيابة السلطنة بالأقطار الحجازية ، ووصل إليه رسولُه فى النصف الثانى من ربيع الآخر ، ووصل معه ثلاث خلع : واحدة له ، واثنتان لولديه ، وكتاب من السلطان يشهد بولايتهم لما ذكر[٣] .

ثم فى أثناء سنة اثنتي عشرة تغير صاحب مصر على السيد حسن ، فرسم بالقبض عليه وعلى ابنيه والاحتفاظ بهم ، وأَسَرَّ ذلك

---

(١) هو محمد بن محمد بن عبد الله بن فهد الهاشمي المكي ـــ تقي الدين . توفي سنة ٨٧١ هـ . (الدر الكمين) .

(٢) إتحاف الورى ٣/٤٥٣ .

(٣) إتحاف الورى ٣/٤٦٢ ، ٤٦٣

إلى أمير الحاج المصري الأمير بَيْسَق(١) ، فاستعد لحرب المذكور ، وحَصَّل مدافع وسلاحاً كثيراً ، ثم سُعِيَ عند السلطان فى تقرير المذكورين فى ولايتهم ، على أن يخدمه السيد حسن بما يليق بمقامه ؛ فأجاب إلى ذلك ، وبعث إليهم بالعهد والخلع مع خادمه الخاص فيروز الساقي ، وكتب إلى أمير الحاج المذكور بالكف عن محاربتهم . فوصل فيروز إلى مكة ، فألبس المذكورين الخلع السلطانية ، وقرئ عهدهم بالولاية(٢) ، واستمروا على ولايتهم إلى سادس عشر ربيع الأول سنة ثمان عشرة ، فوصل العلم إلى مكة بولاية السيد رُمَيْثَة بن محمد ابن عجلان عوضاً عن الشريف حسن وابنيه ، واستمر الدعاء للسيد حسن وابنيه فى الخطبة وعلى زمزم إلى هلال ذى الحجة من السنة ؛ لاستيلاء السيد حسن على مكة إلى هذا التاريخ . ثم فارقها السيد حسن فى هذا التاريخ ، وقصد اليمن(٣) .

ثم فى شهر رجب سنة تسع عشرة أرسل السيد حسن ولده السيد بركات ، ومولاه القائد شكراً [إلى](٤) مصر لاستعطاف الملك المؤيد . فأنعم على السيد حسن بإمرة مكة ، وكُتِب له بذلك عنه توقيع ومثال مؤرخ بثامن عشر رمضان سنة تسع عشرة ، وجهز

---

(١) فى الأصل « بيبرس » ، والتصويب عما سبق ص ٢٨١ ، وإتحاف الورى ٣/٤٧٠ .

(٢) إتحاف الورى ٣/٤٧١ .

(٣) إتحاف الورى ٣/٥٢٦ .

(٤) إضافة على الأصل .

له مع ذلك خلعة شريفة مع بعض الخاصكية والنجابة السلطانية ، ووصلوا إلى السيد حسن في أوائل العشر الأوسط من شوال من السنة . وأقام السيد بركات بالقاهرة إلى شوال من سنة عشرين ، فقدم مكة فى النصف الثانى من شوال ، وطاف بالكعبة الشريفة ، ودعي له على زمزم كعادة أمراء مكة ، وصار أبوه يُنَوِّهُ له بالإمرة ، ويقول لبنى حسن وغيرهم : هو سلطانكم(١) .

١٧٤ظ وفى شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين / أظهر السيد حسن أنه تخلَّى عن إمرة مكة لابنه السيد بركات بحيث أجلسه على المفرشة بالمسجد الحرام ، وجلس هو على مفرشة عنده ، وأمر مَنْ فى خدمته بالحَلِف له ، وأمرهم بالخروج فى خدمته والنزول بالركاني بوادى مَرّ ؛ ففعلوا لأن الذين بالعد من ذوى رُمَيْثَة وذوى أبى نُمَيّ والقواد رحلوا من العد حتى نزلوا حَدّا(٢) . ولما نزل السيد بركات ومن معه بالركاني لم يسهل ذلك على الذين نزلوا بحدا ، ورغبوا فى أن الشريف [حسناً](٣) يأمر ولده بالرحيل عنهم إلى الجديد من وادى مرّ ، ويدخلون بأجمعهم فى طاعته ، ويمضى إلى الشرق فإنه يختار ذلك ، ولا يحدثون حدثاً إلى انقضاء سنة إحدى وعشرين وثمانمائة ،

---

(١) إتحاف الورى ٥٤٨/٣ .

(٢) أضاف إتحاف الورى ٥٥٥/٣ « ولم يسهل بالسيد حسن نزولهم بحدا ؛ لأن جماعة من وجوه القواد كانوا ذكروا للشريف أن الذين بالعد لا يرحلون عنه إلى غيره إلا بإخباره » .

(٣) إضافة للتوضيح .

وعشرة أيام من التى بعدها . فوافق الشريف على ذلك ، وأجابهم إلى ما سألوه من الإحسان إليهم بما عودهم به فى كل سنة قبل هذه الفتنة ، على عادتهم فى أخذ ذلك منجماً .

وفى النصف الثانى من صفر سنة أربع وعشرين لما بلغ السيد حسن موتُ الملك المؤيد رام أن يجعل ابنه السيد إبراهيم حاكماً بمكة مع ابنه السيد بركات ، ويكون لكل منهما ثلث الحاصل لأمير مكة ، ويصرف كل منهما الثلث فى جماعته على ما يراه ، ويُبْطِل الرسومَ التى كان قررها للأشراف والقواد فى كل سنة ، وجعل الأشراف إلى ابنه السيد إبراهيم والقواد لابنه السيد بركات ، وجعل لنفسه الثلثَ الباقى من الحاصل لأمير مكة ، يصرفه فى مصالحه وخاصة نفسه . فلم يستقم هذا الأمر ؛ لكون القواد لم يوافقوه على إبطال ما كان قرره لهم من الرسوم فى كل سنة . ومضى هو وابنه السيد إبراهيم بعد ذلك إلى صوب اليمن(١) .

ثم لما كان يوم الاثنين ثانى عشر شهر ربيع الأول وصل إلى مكة تشريفان للسيد حسن وابنه السيد بركات ، وعهد يتضمن : تفويض إمرة مكة إليهما ، وتاريخ العهد مستهل صفر سنة أربع وعشرين(٢) .

---

(١) إتحاف الورى ٥٧٨/٣ ، ٥٧٩ .

(٢) أضاف إتحاف الورى ٥٧٩/٣ « أن هذا العهد مكتوب عن المظفر أحمد بن المؤيد ، والمنفذ له للشريفين مدبر دولته المقر السيفي ططر » .

وفى النصف الثانى من هذه السنة وصل السيد إبراهيم من ناحية اليمن ، ومعه الأشراف فألزموا المؤذن بالدعاء لإبراهيم على زمزم وقت طوافه بالكعبة الشريفة ؛ ففعل ذلك ، ولم يسهل ذلك بالسيد بركات وجماعته ، وتنافر الأخوان وجماعتهما ، وقصد إبراهيم دخول جدة فعُورِضَ ، وقصد بعد ذلك السيد بركات دخول مكة فَعُورِضَ ، وصار يخطب بمكة لإبراهيم مع أبيه وأخيه . انتهى كلام الوالد[1] .

وفى سنة ست وعشرين قطع ذكر إبراهيم فى الخطبة بمكة ، وفى الدعاء على زمزم بعد المغرب ؛ لكونه آوى إليه الأشراف ذوى راجح بن أبى نُمَيّ ، وكان أبوه أمره بإبعادهم . فلم يفعل .

وفى رمضان وصل الشريف حسن إلى مكة من الشرق ، وسكنت الفتنة بين الأخوين وجماعتهم ، فاطمأنوا[2] .

ووصل للسيد حسن كتابان من السلطان ، فى أحدهما : العتب عليه ، وفى الثانى ، تعظيم كثير ، وأنك سألتنا فى استنابة ابنك الشريف بركات فى إمرة مكة ، وما نثق إلا بك ، وفى ذلك سبب للشحناء بين الأخوين ، فإن أردت ذلك فاستنبه[3].

ولما وصل الحجاج إلى مكة فى أواخر ذى القعدة وصل معهم جماعة كثيرون من المقدمين والأمراء ، وكان السيد حسن / بَانّ ١٧٥و

(١) إتحاف الورى ٥٨٠/٣ .
(٢) إتحاف الورى ٥٩٣/٣ .
(٣) وانظر إتحاف الورى ٥٩٣/٣ ، ٥٩٤ .

عن مكة ، فلايمهم السيد بركات أياماً ، ولاقى أمير الركب الأول ، ثم أمير المحمل ، وخلع عليه من عنده ، ولم يمكنه من خلعة أمير مكة المجهزة لوالده . ولما أيسوا من وصوله بعثوا لرُمَيْثَة فى يوم عرفة فلم يصل(١) .

وفى يوم النحر اجتمع السيد بركات ببعض الأمراء بمكة ، وخدمهم عن أبيه بخمسة آلاف أفلوري ذهباً ــ أو ستة فيما قيل ــ وسافروا من مكة ولم يحدثوا بها حدثاً(٢) .

وفى يوم الخميس سادس جمادى الأولى من سنة سبع وعشرين دخل مكة السيد علي بن عِنَان متولياً مكة من مصر ، ومعه عسكر ، وفى توقيعه : أنه ولي إمرة مكة عن السيد حسن بن عجلان(٣) .

ثم فى موسم سنة ثمان وعشرين جاء الخبر بولاية السيد حسن ابن عجلان إن قابَلَ الحاج ووطئ البساط . فأرسل ولده السيد بركات لأمير الحاج إلى الوادي ، ودخل معه مكة ، وحلف له بين الحَجَر الأسود والملتزم أنه لا يصيب والده سوء إن قابَلَ [الحاج](٤) ، ووطئ البساط ؛ فتوجه إلى أبيه وجاء به ، وحلف له أمير الحاج ثانية ، وخلع عليه بالبلاد ، وتوجّه مع الحاج واستخلف ولده السيد

(١) إتحاف الورى ٣/٥٩٥ .
(٢) إتحاف الورى ٣/٥٩٦ .
(٣) إتحاف الورى ٣/٦٠٥ .
(٤) إضافة على الأصل .

بركات على مكة(١) .

واتفق مَوْتُ السيد حسن بالقاهرة بعد ولايته ــ على ثلاثين ألفاً فوزن خمسةً ــ فطُلِبَ السيد بركات ، وأخوه إبراهيم إلى القاهرة وأكد عليهما فى ذلك ، وأنهما إن لم يحضرا كلاهما أو أحدهما يُخْرِج عنهما السلطان البلادَ إلى غيرهما . فتوجَّهَا إليها ، وتخلّف بمكة أخوهما السيد أبو القاسم ، وبجدة زين الدين شُكْر ، فأكرم السلطانُ السيد بركات وأخاه إبراهيم ، وخلع عليهما ، وولّى مكة السيد بركات ، على أن يقوم بما تأخر على والده ؛ وهو مبلغ خمسة وعشرين ألف دينار ، وأُلْزِمَ أيضاً بحمل عشرة آلاف دينار فى كل سنة ، وأن يكون ما جَرَت به العادةُ من مكس جُدَّة يكون له(٢) ، وما يجدد(٣) من مراكب الهند يكون للسلطان خاصة .

وحلّف إبراهيم على طاعة أخيه ، وخلع عليهما وسافرا فى حادى عشر شوال ، فوصلا مكة فى أول العشر الأوسط من القعدة ، وقرئ عهد الولاية للسيد بركات وطاف بالكعبة ، ونودي له على زمزم ، وألبس التشريف بالمسجد الحرام(٤) .

وحج فى هذه السنة من الأعيان الطواشي ياقوت مقدم المماليك ، وتأخر بمكة بعد الحج حتى قبض من السيد بركات مبلغ

(١) إتحاف الورى ٦٢٢/٣ ، ٦٢٣ .
(٢) انظر تعليق رقم (١) ص ٣٥١ .
(٣) كذا فى الأصل ، والدر الكمين ترجمة بركات بن حسن .
(٤) إتحاف الورى ٦٣٢/٣ .

ثلاثة عشر ألف دينار مما التزم به السيد بركات(١) .

وفى سنة إحدى وثلاثين بعث السيد بركات الشريف مباركاً أبا عفيف(٢) إلى السلطان ، يطلب منه عسكراً ، نصرة له على أخويه إبراهيم وأبي القاسم ، فوصل العسكرُ قدر خمسين فارساً ، مقدمهم الأمير أَرْنبُغَا(٣) ، فلما وصلوا إلى مكة توجهت الجمال إلى القاهرة ، ولما سمع الشريفان أبو القاسم وإبراهيم بوصولهم إلى مكة لم يدخلا مكة خوفاً منهم(٤) .

وفيها — بعد سفر الحاج — دخل السيد أبو القاسم بن حسن ساحِلَ جدة ، وأخذ منه قدر عشرة أحمال دقيق للأمير مُقْبِل القُدَيْدِي ، والتاجر علي السملوطي ، ثم لحقَ الركبَ المصريَّ بالينبع . وكان أخوه إبراهيم بن حسن بن عجلان إذ ذاك بمكة عند أخيه السيد بركات ، فبلغه أن أخاه / السيد أبا القاسم قصد التوجُّهَ ١٧٥ظ
إلى القاهرة بحاشيته وخيله وقوده معه ، فلم يعجبه ذلك وذهب إليه

(١) السلوك للمقريزي ٢/٤ ، وإتحاف الورى ٦٣٢/٣ ، ٦٣٣ .

(٢) هو أبو عفيف مبارك بن عبد الكريم بن عبد الله بن حسن بن أبي عفيف الحسني . مات بمكة سنة ٨٣٧ هـ . (الضوء اللامع ٢٣٨/٦ برقم ٨٢٧ ، والدر الكمين ، وإتحاف الورى ورقة ٤١٦) .

(٣) هو الأمير أرنبغا اليونسي الناصري فرج بن برقوق ، توفي سنة ٨٥٧ هـ . (النجوم الزاهرة ١٦٣/١٦ ، والدليل الشافي ١١١/١ برقم ٣٨٤ ، والضوء اللامع ٢٦٩/٢ برقم ٨٤٢) .

(٤) إتحاف الورى ورقة ٣٩٦ ، والسلوك للمقريزي ٢/٤ : ٧٨١ ، وإنباء الغمر ٤٠٤/٣ ، ونزهة النفوس ١٣٣/٣ .

لقصد تبطيله من السفر . ويقال : (١إن السيد إبراهيم خرج من مكة مغاضباً أخاه السيد بركات١)، ولحق بأخيه السيد أبي القاسم واجتمعا بينبع .

وفى أول التى تليها توجّه السيد أبو القاسم بن حسن ، وأخوه السيد إبراهيم من الينبع إلى المدينة الشريفة لزيارة النبي ﷺ ، ثم عادا إلى ينبع ، فبذل لهما ذوو مُقْبِل بن مِخْبَار ، وبنو إبراهيم مالاً جزيلاً على أن يوصلاهم بلادهم السويق(٢) بالقرب من ينبع ، ويمكنوهم من بلادهم ؛ ففعل الشريفان إبراهيم وأبو القاسم [ذلك ، وساروا معهم إلى أن أدخلوهم بلادهم ومكنوهم مدة يسيرة ، فخرج من عندهم الشريفان إبراهيم وأبو القاسم](٣) واصطلحا مع عقيل(٤) صاحب ينبع ، وبعثا محمد بن سعيد المصرى قاصداً إلى القاهرة يشكوان ضرورتهما ويشتكيان أخاهما السيد بركات . وٱلْتَفَّ عليهما الشرفاء ذوو أبي نُمَيّ وحالفوهما ، وساروا معهما قاصدين مكة ، فبلغوا عُسْفَان ؛ فسمع بوصولهما السيد بركات ــ وكان بصوب اليمن ــ فتوجَّه إلى وادى مَرّ فى جماعة من ذوى عمر وعبيد

(١) عبارة الأصل مضطربة بالتقديم والتأخير . والمثبت عن إتحاف الورى ورقة ٤٠٠ .

(٢) السويق : كانت من بلاد ينبع النخل ، وأصبحت أعمر مكان فيه ، بها منشآت حكومية وسوق عامرة ، وتعتبر قاعدة ينبع النخل . (على طريق الهجرة ١٩٩) وهي منازل بنى إبراهيم أخى النفس الزكية (وفاء الوفا ٢/٣٢٦) .

(٣) إضافة عن إتحاف الورى ورقة ٤٠٢ .

(٤) هو عقيل بن وبير بن مخبار بن مقبل الحسني ، أمير ينبع ، وقد صرف عنها فى سنة ٨٤٢ هـ ، ومات سنة ٨٤٤ هـ . (الضوء اللامع ٥/١٤٩ برقم ٥٢٠) .

حسن ، وأمرَ الأميـرَ أَرَنْبُغَا ومـن معه من الأتـراك بأن يتوجهـوا إليـه ليسير على أخويه . فدخـل مكـة من أصحـاب الشريـفين إبـــراهيم وأبي القـاسم ، قاسم بن جَسَّار التموي(١) ، وعبـــد الحميـــد بن محمد بن إبراهيم الموغـاني(٢) المدني يتـجسَّسَان الأخبـار ، وكان بمكـة نائبها علي بن كُبَـيْش(٣) فأخبر الأمير أَرَنْبُغَـا أنهمـــا من جهـــة الشريفين ؛ فقبض عليهما وبَوَّشَهما ، ووضع فى أرجلهمـا القيـد . ثم تجهز الأتراك ، والأمير أَرَنْبُغَا فتوجهوا إلى السيد بركات بواسط(٤) من وادى مَرّ ، فلما أن وصل الأتراك إلى السيـد بركات سَارَ هو وإيّاهـم إلى عُسْفَان ، وكان الشريفان بغزان(٥) علـو ثنية عسفـان ، فعقبهم الشريف أبو القاسم إلى مكة المشرفة ؛ فدخلها فى ضحوة يوم الأحد ثامن عشر ربيع الأول فى اثني عشر فارساً(٦) ـــ ويقال ستة عشر ـــ منهم : وُبَيْـر بن عاطــف(٧) ، وولـــد جسَّار ، وعلي بن مفتـــاح

(١) له ترجمة في الدر الكمين ، والضوء اللامع ١٨٠/٦ برقـم ٦١٢ ، وفيها توفي سنة ٨٣٩ هـ .

(٢) له ترجمة فى الضوء اللامع ٣٩/٤ برقم ١٢١ ، ولم يذكر وفاته .

(٣) هو علي بن كبيش بن عجلان بن رميثة الحسنـي المكـي ، كان حاكمـاً على مكـة ، وتـوفي في سنـة ٨٣٨ هـ . (الـدر الكـمين ، والضوء اللامـــع ٢٧٦/٥ برقـــم ٩٣٨) .

(٤) واسط : عين جارية كانت فى وادى مر . (معجم معالم الحجاز) .

(٥) كذا فى الأصل . وفى إتحاف الورى ورقة ٤٠٢ « غزال » .

(٦) فى الأصل « فرساً » ، والمثبت عن المرجع السابق .

(٧) هو الشريف وبير بن محمد بن عاطـف بن أبي دعيـج بن أبي نمي الحسنـي ، توفي سنة ٨٦٠ هـ (الضوء اللامع ٢١٠/١٠ برقـم ٩٠٧ ، والـدر الكـمين ، وإتحاف الورى ورقة ٥٣٣) .

القائد [(١)] . وكان دخولهم من الثنية السفلى : ثنية كُدًى ، المعروفة الآن بباب الشبيكة ، وشقّ من باب إبراهيم [(٢)] ، ودخل علي بن مفتاح الحرمَ الشريف بفرسه من باب المجاهدية وخرج من باب أجياد [(٣)] . وجاء السيد أبو القاسم إلى أن وقف على مدرسة عَجْلَان ، بقصد إطلاق قاسم بن جَسَّار ، وعبد الحميد ، فرشقه مماليك الأمير أَرَنْبُغَا الذين كانوا تأخروا عن العسكر بالنشاب ، فلم يستطع السيد أبو القاسم الوصولَ إلى المدرسة ؛ فخرج هو ومن دخل معه مكة على الفور ، وشقّ إلى المسعى ، ثم إلى الردم [(٤)] ، ثم إلى باب المعلاة ، ثم توجّه إلى منى ، ثم إلى صوب اليمن . فأدرك إبلاً للقائد جُوَيْعِد بن بريم [(٥)] وللشرفاء أولاد علي بن مبارك ، وللربايع

---

(١) هو علي بن أحمد بن مفتاح القفيلي ، توفي سنة ٨٣٧ هـ . (الضوء اللامع ١٩٠/٥ برقم ٦٤٤ ، والدر الكمين ، وإتحاف الورى ورقة ٥١٧) .

(٢) باب إبراهيم : أحد أبواب المسجد الحرام ، ويقع بالجانب الشمالى منه ، ينسب إلى خياط يدعى إبراهيم كان عنده ، وليس لإبراهيم الخليل عليه السلام كما ذهب إلى ذلك ابن عساكر ، وابن جبير وغيرهما . (شفاء الغرام ٢٣٨/١) .

(٣) هو باب أجياد الصغير ، وسماه الأزرقي باب بنى مخزوم فى أخبار مكة ٩٠/٢ . ويقع فى الجانب الجنوبي من المسجد الحرام . (شفاء الغرام ٢٣٨/١ ، وتاريخ عمارة المسجد الحرام ١٢٢) .

(٤) هو ردم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأعلى مكة ، عمله سنة ١٧ هـ لما بلغه خبر سيل أم نهشل ، (أخبار مكة للأزرقي ١٦٦/٢ ، وإتحاف الورى ٨/٢) .

(٥) هو جويعد بن بريم بن صبيحة بن عمر العمري ، القائد . مات بمكة فى ذى الحجة سنة ٨٤٣ هـ . (الضوء اللامع ٨٦/٣ برقم ٣٣٤ ، والدر الكمين ، وإتحاف الورى ورقة ٤٤٤) .

غلمانهم ؛ فأخذها كلها ، ثم علم بها وبملاكها ، فأعاد إبل أولاد علي بن مبارك ، وإبل بعض الربايع ، واستولى على إبل القائد جُوَيْعِد ، وسار بها معه إلى صوب الجحاجحة[1] من بني شعبة وأوراها عندهم .

هذا ما كان من خبر السيد أبي القاسم . وأما خبر السيد بركات / فإنه توجّه من عُسْفَان إلى أن طلع إلى غران ، فسمع به ١٧٦و
السيد إبراهيم ومن معه ؛ فلم يقفوا للعسكر وهربوا ؛ فطلعوا إلى ساية [2] وحورة[3] ، ومكث بها أياماً يسيرة ، ثم توجه إلى

---

(١) الجحاجحة : جمع جحجاح ، وهو السيد السمح ، وقيل الكريم (تاج العروس) . وبنو شعبة : بطن من كنانة . (معجم قبائل العرب) .

(٢) ساية : واد من أعمال المدينة ، فيه نخل ومزارع وفواكه ، وأصله لولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وفيه من أفناء الناس ، ويشرف عليه جبل السراة دون عسفان . (وفاء الوفا ٢/٣٢٠ ، ٣٢١) .

(٣) حورة : وتذكر معها حويرة ، فيقال الحورتان ، وهما من أودية الأشعر ، وبحورة اليمانية منهما واد يقال له ذو الهدى ، ويُحْمَل العسل والحنطة منها إلى المدينة . وبحورة الشمالية اتخذ عبد الملك بن مروان بقاعاً ومنزلاً يقال له ذو الحماط . (وفاء الوفا ٢/٢٩٦) . وفي معجم معالم الحجاز : الحورة : واد لهذيل يصب في وادي الزبارة من شمال طريقه إلى مكة على وادي نبع الجعرانة .

المضيق[(١)] ؛ فأواه أهل المضيق : عاترة[(٢)] ونباتة[(٣)] وأضافوه ، وأظهروا له المساعدة .

ورجع السيد بركات إلى مكة ، ثم تجهز إلى البرود[(٤)] هو والأمير أَرْنُبُغَا والأجناد ، وسارت الرسل بين السيد بركات وأخيه السيد إبراهيم بالصلح . وتوجّه الشريف رُمَيْثَة إلى إبراهيم لأجل الصلح إلى أن تقرّرَ الحال أن يجعل له الشريفُ بركات رُسُوماً بمكة جَيِّدة ، فخرج له الشريف بركات وجماعة ذوى عمر لأجل الاجتماع والصلح ، فزحف إليه السيد إبراهيم من المضيق مع من كان معه من الأشراف ذوى أبي نميّ إلى أن اجتمع السيد بركات وإبراهيم عند الشجرة بالبرود[(٥)] ؛ فحصل بينهما عتاب ، ثم سأل الشريف بركات

(١) المضيق : يطلق على وادى الليمون الذى هو جزء من وادى نخلة الشمالية قرب التقائه بوادي نخلة اليمانية ، ثم يجتمع الواديان فيسميان وادى الزبارة ، ثم وادي الريان ، ثم وادي القشاشية ، ثم وادى فاطمة فوق الجموم إلى حدا . (على طريق الهجرة ١٣) وكان يسمى البردان ، وهو علو وادى نخلة الشمالية من نواحي مكة (حسن القرى بأودية أم القرى) .

(٢) عاترة : بطن من هذيل كانوا يسكنون نخلة الشمالية . (حسن القرى بأودية أم القرى) .

(٣) نباتة : بطن من هذيل أيضاً وكانوا يسكنون نخلة الشمالية (معجم قبائل الحجاز) .

(٤) البرود : بئر مطوية بالحجارة ، حفرها خراش بن أمية الخزاعي الكعبي ، مكانها فخ ــ حي الشهداء حالياً بالزاهر من مكة المكرمة ــ (أخبار مكة للأزرقي ٢٢٦/٢ ، ومعجم معالم الحجاز) .

(٥) في الأصل « بالبردان » ، والمثبت عما سبق وعليه التعليق السابق ، وإتحاف الورى ورقة ٤٠٣ .

أخاه إبراهيم أن يتوجّه معه إلى مكة ، ويكون الصلح على يدي الأمير أَرْنْبُغَا مقدم العسكر . فامتنع إبراهيم من ذلك ؛ خوفاً من وقوع القبض[(١)] عليه ، ولم يتم بينهما صلح ، وافترقا متباينين ، فركب الشريفُ إبراهيم ومن تبعه من الأشراف إلىٰ وادى الطائف ، ثم إلى بجيلة ، ليدور إلى أخيه باليمن . ورجع عن إبراهيم جماعةٌ من القواد[(٢)] إلى مكة ، وجماعة من الأشراف إلى خيف بنى شديد . وسار السيد بركات بمن معه إلى نخلة ، وأخربها وسبى أهلها وأخذهم . وكانت طائفة يقال لها نباتة ساروا مع الشريف إبراهيم ، فلما أن فرغ من أمر نُبَاتَة صَاحت عَاتِرَةُ على الشريف بركات ، ووقع بينهم قتال ، فظفر عليهم السيد بركات ، ولزم منهم عشرين نفساً ، ونهَبَ محلتهم ، وجاء بهم إلى مكة مسلسلين فى الحديد . ثم بعد ذلك وصلت عاترة إلى السيد بركات . وأعطوه رهائن : ثلاثة من أولاد كبرائهم ، على أن يسلموا له ألف دينار ذهباً ، ويعودوا إلى بلادهم ؛ فعفا عنهم وقبل ذلك .

ثم بعد ذلك التأم الشريفان إبراهيم وأبو القاسم نحو اليمن بالواديين والليث ، فأقاما به بعض أشهر . وكان السيد رُمَيْثَة توجّه بإبل السيد بركات إلى صوب اليمن ، وصحبته بعض عسكر من القواد العمرة وذوى عجلان ، فهم الشريفان بأخذ إبل السيد

(١) فى الأصل « الفتنة » ، والمثبت عن المرجع السابق .

(٢) فى الأصل « القعوة » ، والمثبت عن المرجع السابق .

بركات ، فلم يقدروا على شيء(١) .

فلما كان بعد وصول الشريف بركات من نخلة ، توجّه بحلته إلى جدة وأقام بها ، ومعه قاسم بن جَسَّار ، وعبد الحميد محتفظاً بهما في بيت سعد الدوادار المشرف على الفرضة ، فأقاما به أياماً ، فدخل لهما بعضُ النساء بمبارد ، فبردوا عنهما القَيْدَ والباشَة ، وخرجا مع النساء متنكرين . فدخل قاسم بن جَسَّار على عُوَيِّد بن منصور(٢) في نصف الليل في بيته ؛ فشدّ له فرسَه وأركبه عليها وتوجّه إلى الخيف : خيف بني شديد . وأما عبد الحميد فدخل على السيد مَيْلَب بن علي بن مبارك بن رميثة(٣) فأجاره .

ثم إن الشريف بركات اصطلح مع أخيه إبراهيم ، وقرر له السيد بركات / رسماً على البلاد يقوم بأوده ، ودخل السيد إبراهيم ١٧٦ظ
مكة . وأقام السيد أبو القاسم باليمن بمفرده ، يأخذ ما قدر عليه من الجلاب والمراكب الواصلة إلى مكة .

فلما كان في شوال جاود السيد بركات السيد أبا القاسم بألفين ومائة ، على أن يَسْلَمَ الواردون إلى مكة والصادرون منها إلى

---

(١) إتحاف الورى ورقة ٤٠٤ .

(٢) هو عويد بن منصور بن راجح ، أحد قواد مكة ، مات مقتولاً في صفر سنة ٨٤٦ هـ . (الضوء اللامع ٦/١٥٠ برقم ٤٧٥) .

(٣) ومات قتيلاً بخليص في حرب بين أتباع السيد بركات وآخرين عند ثنية عسفان سنة ٨٣٩ هـ (الضوء اللامع ١٠/١٩٤ برقم ٨٢٣ ، والدر الكمين ، وإتحاف الورى الورقة ٤٠٤ ، وورقة ٤٢٣) .

عاشر المحرم من السنة بعد هذه[١] .

وفيها ــ فى أواخــــر جمادى الآخرة ، وأول رجب ــ قدمت رجبية من القاهرة مقدمها مباشر جدة سعد الدين بن المرة[٢] ، وورد صحبتهم أن السلطان الأشرف بَرْسْبَاي أنعم على صاحب مكــــة السيد بركات بثلث المتحصل من عشور تجار الهند الواصلين إلى جدة ، وأن يُلْزِمَ التجارَ فى أيام الحج بأن يحضروا من مكة ببضائعهم صحبة الركب . فَأَمَرَهُم بذلك ، وتُتُبِّعُوا بحيث لم يقدر أحد منهم أن يتأخر بمكـة ، ولا يتوجّـــه إلى الشام ، بل سافــروا بأجمعهــم إلى القاهـرة ، وأقيـمت عليهم الأعـوان طول الطريـق يتفقـدونهم ويعـدون أحمالهم ، حتى قدموا القاهرة بصحبة الحاج ؛ فحلّ بهم من البلاء ما لا يوصف[٣] .

(١) إتحاف الورى ورقة ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

(٢) هو سعد الدين إبراهيم القبطي الأصل المصري ، المعروف بابن المرة ــ أو **المرأة** ــ ناظر جدة ، توفي في سنة ٨٤٤ هـ . (السلوك للمقريزي ٣/٤ : ١٢٣٨ ، والدليل الشافي ٣٢/١ برقم ٩٥ ، والضوء اللامع ١٨٤/١) .

(٣) يقول المقريزي فى السلوك ٢/٤ : ٧٦٨ ــ فى أخبار سنة ٨٣١ هـ « وفى هذه الأيام تشكى التجار الشاميون من حملهم البضائع التي يشترونها من جدة إلى القاهرة ، فوقع الاتفاق على أن يؤخذ بمكة ، عن كل حمل ــ قل ثمنه أو كثر ــ ثلاثة دنانير ونصف ، ويعفوا من حمل ما يتبضعونه من جدة إلى مصر ، فإذا حملوا ذلك إلى دمشق أخذ منهم مكسها هناك على ما جرت به العادة » . ثم يقول فى أخبار سنة ٨٣٢ هـ ص ٧٩١ من الجزء نفسه ، في حديثه عن عودة الحاج « وحــدث فى هذا الشهر ثلاث مظالم ، إحداها : أنه كان قد تقرر فى العام الماضى مع القاضي عبد الكريم ابن بركة ناظر الخاص أن تعفى تجار الشام ، ومشهد علي ، والكوفة والبصرة ، الذين يتبضعون من متاجر الهند ، من القدوم من مكة إلى القاهرة ببضاعاتهم ، وأن يقوموا عن =

وفى سنة ثلاث وثلاثين تجاود الشريفان بركات وأخوه السيد أبو القاسم على أن يعطي السيدُ بركات أخاه أبا القاسم ألفين وخمسمائة إلى آخر سنة ست وثلاثين ، فأقام أبو القاسم باليمن(١) .

وفى سنة سبع وثلاثين وصل السيد أبو القاسم إلى حادثة(٢) ، وتواجه مع أخيه السيد بركات واصطلحا صلحاً شافياً .

وفى سنة تسع وثلاثين ، فى ليلة الأربعاء ثالث عشر رجب ، بعث السيد بركات بعثاً لمُحَارَبَة بشر من بطون حرب ـــ إحدى قبائل مذحج ، ومنازلهم حول عسفان ، نزلوها من سنة عشر وثمانمائة ، وقد أخرجهم بنو لأم من أعمال المدينة النبوية ، فكثر عبثهم وأخذهم السابلة من المارة إلى مكة بالميرة ـــ وجعل على هذا البعث أخاه السيد علي [بن حسن](٣) بن عجلان ، ومعه من [بني](٣) حسن السيد مَيِّلَب بن رميثة وغيره ، والوزير شُكْر ، فى

= كل حمل بثلاثة دنانير ونصف . فانتقض ذلك فى الموسم بمكة ، وألزم سائر التجار أن يحضروا من مكة ببضائعهم صحبة الركب . وتتبعوا بحيث لم يقدر أحد منهم أن يتأخر بمكة ، ولا يتوجه إلى الشام ، بل حضروا بأجمعهم ، وأقيمت عليهم الأعوان فى الطريق ، يتفقدونهم ويعدون أحمالهم .. إلخ » . ومعنى ذلك أن ما تقرر فى العام الماضي نقض فى هذا العام ، وانظر أيضاً إنباء الغمر ٣٢٤/٣ ، ونزهة النفوس ١٤٥/٣ .

(١) إتحاف الورى ورقة ٤٠٧ .

(٢) حادثة : جاء فى حسن القرى « الحادثة وتعرفها العرب الآن بالجديدة ، وقديماً بالمباركة ، تقع قبلي البرابر ، فيها مزارع للحب والفواكه ، وبها عين عذبة » . وانظر فى الخبر إتحاف الورى ورقة ٤١٤ .

(٣) سقط فى الأصل ، والمثبت عن إتحاف الورى ورقة ٤٢٠ .

عدة من وجوه أهل مكة ، ومعهم الأمير أَرْنْبُغَا أمير الخمسين
الراكزين [١] من المماليك السلطانية ، وصحبته منهم عشرون مملوكاً ،
فنزلوا عُسْفَان يوم الخميس رابع عشر رجب ، وقطعوا الثنية التي
تعرف اليوم بمدرج علي [٢] ، حتى أتوا القوم — وقد أنذروا بهم —
فتنحوا عن الأرض ، وتركوا بها إبلاً مع خمسة رجال . فأول ما بدءُوا
به أن قتلوا الخمسة الرجال ، وامرأة حاملاً كانت معهم ، وما في
بطنها أيضاً ، واستاقوا الإبل حتى [إذا] [٣] كانوا في النصف من
الثنية المذكورة ركب القومُ عليهم الجبالَ يرمونهم بالحراب والحجارة ؛
فانهزم الأمير أُرَنْبُغَا في عدة من المماليك ، وقد قتل منهم ثمانية ، ومن
أهل مكة وغيرهم زيادة على أربعين رجلاً ، وجرح كثير ممن بقي ،
وغنم القوم منهم اثنين وثلاثين فرساً ، وعشرين درعاً ، ومن السيوف
والرماح ، والتجافيف ونحو ذلك من الأسلحة ، ومن الأَسْلَاب
والأمتعة ما قيل إنه بلغ قيمته خمسة آلاف دينار وأكثر . فلما طلعت
الشمس يوم الجمعة النصف من رجب دخل أُرَنْبُغَا بمن مضى معه /
من المماليك مكة ، وأقبل المنهزمون إلى مكة شيئاً بعد شيء ، في ١٧٧و
عدة أيام ، وحُمِلَ السيد مَيْلَب في يوم السبت ميتاً ، ومات بعده
بأيام الشريف قاسم بن جَسَّار من جراحة شوَّهَت وجهه بحيث

(١) في الأصل « المذكورين » ، والتصويب عن المرجع السابق .

(٢) مدرج علي : محطة في طريق الحاج المصري ، تلي عسفان ، وتكون قبل مر الظهران . (صبح الأعشى ١٤/٣٨٧) .

(٣) إضافة على الأصل .

لَفَّتْهُ[١] كله من أعلى جبهته إلى أسفل ذقنه .

وفى سنة أربعين ــ فى عشرى جمادى الآخرة ــ وصلت الرجبية إلى مكة ، وصحبتهم قاصد السيد بركات أحمد بن حُنَيْش ومعه كتاب من السلطان للسيد بركات ، يخبره بأنه شملته الصدقاتُ الشريفة بنصف عشور مراكب الهنود[٢] .

وفيها ــ فى شوال أيضاً ــ وقع بين القواد العمرة والترك بجدة نترة[٣] بدكة يجلس عليها القواد ذوو عمر بالقرب من الفرضة . وكان ذوو عمر يجلسون بهذه الدكة ، فإذا استجار بهم أحد من الناس لا يمكنون منه أحداً ؛ فحصل بينهم وبين بعض الأتراك بهذه الحيثية نترة ، وركب فيها الأمير ، ووقع بينهم هدة كبيرة ، إلا أن الله درأها عن المسلمين ، وأمسك الأتراك القائد أحمد بن علي بن سِنَان ، وسحبوه على وجهه ، وجاءوا به إلى الأمير بعد إهانة عظيمة ، وتفرق عنه جماعة ثم ٱلْتَأَمُوا وهَمُّوا بقتال الترك ، فخوف الأمير عاقبة ذلك فأُطلِق القائد أحمد بن علي بن سنان . وكان السيد بركات غائباً عن جدة ، فقدم إلى جدة فأخربَ الدكة التى يجلس عليها القواد ، وساس الأمر حتى سكنت الفتنة [٤].

---

(١) فى الأصل « ألقته » .

(٢) إتحاف الورى ورقة ٤٢٣ ــ ٤٢٥ .

(٣) النترة : التجاذب ، أو القذف بالأيدي ، ومنه نتر الكلام أي غلظه وشدته . (المعجم الوسيط) .

(٤) إتحاف الورى ورقة ٤٢٣ ــ ٤٢٥ .

وفى سنة إحدى وأربعين ــ فى جمادى الأولى ــ قَتَلَ السيدُ علي بن [حسن بن][1] عجلان خمسةً من كبار حرب ، وتوجّه خوفاً من أخيه السيد بركات إلى القواد العمرة بالعد ، فحَمَّلُوا معه بعض خيل من أولادهم إلى أن توجّه إلى نحو بنى شعبة ببلاد اليمن . فركب السيد بركات على إثره لما علم بالقضية ، ودخل السيد بركات في بني شعبة ، فقبل[2] وصول الشريف بركات إلى بني شعبة أخرجوا عنهم السيد علي [بن حسن][1] ؛ فخرج شارداً إلى جهة اليمن بعد تعب كثير ، وأقام بالواديين[3] إلى بعد سفر الحاج ، ثم اصطلح هو وأخوه السيد بركات .

وفيها قدم مع الحاج الأمير أَرَنْبُغَا وصحبته مماليك مستخدمين[4] للسيد بركات ، وأرسل هو للسلطان الأشرف صحبة الحاج عَلَى يَدِ قاصده ابن فلاح قوداً ، فوافق موت الأشرف ، فَقُدِّمَ لولده العزيز[5] .

---

(١) إضافة عن إتحاف الورى ورقة ٤٢٨ .

(٢) فى الأصل « فبعد » ، والمثبت عن المرجع السابق .

(٣) الواديان : هما حُلَيّة وعُلَيْب من أودية الحجاز التهامية ، يفرعْ حلية فى السرين ، وعليب يصب جنوبها . وانظر بين مكة واليمن ٥٦ ، ٥٩ ، ٦١ .

(٤) كذا بالأصل ، وإتحاف الورى ورقة ٤٣٠ .

(٥) إتحاف الورى ورقة ٤٣٠ . والعزيز هو السلطان الملك العزيز يوسف بن الأشرف برسباي الدقماقي ، تولى سلطنة مصر بعهد من أبيه إليه بعد موته فى ١٣ ذي الحجة سنة ٨٤١ هـ ، وخلع من السلطنة فى تاسع عشر ربيع الأول سنة ٨٤٢ هـ . (النجوم الزاهرة ١٥/٢٢٢ ــ ٢٥٥) .

وفى سنة اثنتين وأربعين — فى أحد الربيعين — زار جَدَّة المصطفى ﷺ على الركائب ، وجعل نائبه بوادى الآبار أخاه السيد أبا القاسم ، وجعل معه القواد ذوى عمر . وبجدة أخاه علياً ، وجعل معه الأشراف ، وبعض قواد . ووقع من أخيه السيد إبراهيم بعض تعسّف على الرعية ، إلى أن قدم السيد بركات فى جمادى الأولى ، فتوجه نحو أخيه السيد إبراهيم وصحبته أخواه السيد أبو القاسم ، وعلي . فلما علم السيد إبراهيم بذلك توجّه إلى بلاد اليمن ، فتبعه السيد بركات . وكان مع السيد إبراهيم بعض جماعة من ذوى حميضة ، فاصطلحوا مع الشريف ، وأقام السيد إبراهيم منفرداً ببلاد اليمن . ثم وقع الصلح بينه وبين أخيه بعد سفر الحاج من / ١٧٧ظ هذه السنة(١) .

وفى رمضان منها أرسل السيد بركات قوداً إلى صاحب مصر الظاهر(٢) ، وهو خمسة أفراس وطواشيان ، وجاريتان ، ومائتا شاش ، وقطعة ياقوت أحمر ، وزنها خمسة عشر قيراطاً ، وقطعة ماس ، زنتها تسعة عشر قيراطاً ونصف ، وذلك صحبة القائد نعمان (٣) .

---

(١) إتحاف الورى ورقة ٤٣٢ ، ٤٣٣ .

(٢) هو الملك الظاهر أبو سعيد جقمق العلائي الظاهري ، تولى سلطنة مصر بعد خلع العزيز يوسف ابن الأشرف برسباي فى ١٩ ربيع الأول سنة ٨٤٢ هـ ، وتوفي فى صفر سنة ٨٥٧ هـ ، وكان خلع نفسه لولده، الأمير عثمان فى ٢١ المحرم سنة ٨٥٧ هـ . (النجوم الزاهرة ٢٥٦/١٥ — ٤٦٤) .

(٣) إتحاف الورى ورقة ٤٣٤ .

وفى سنة ثلاث وأربعين أرسَلَ يسأَلُ السلطانَ أن يَطَأَ البساط ؛ فأجابه السلطان بأن يصل ، وأمره أن يُخْرِجَ شكراً وولديه بُدَيْداً وعلياً ، وكاتبهم شُمَيْلَةَ من مكة إلى المدينة ؛ فأخرجهم إلى صوب اليمن . وأرسل قوداً إلى السلطان مع قاصده القائد نعمان صحبة الأمير يَشْبك ، وكُتُباً ذكر فيها أنه أخرج شُكْراً وذويه إلى ناحية اليمن ، وأنه يسأل السلطان أن يعفيه ؛ فإن عليه ضرائر[1] .

وفى رمضان منها وصلت الرجيبية إلى مكة ، وكان السيد فى صوب اليمن ، فأرسل إليه ابنُ أخيه شرعان ، فوصل فى يوم الجمعة ثامن رمضان . ثم فى يوم السبت تاسع رمضان قُرِئَت المراسيم ، وهي تتضمن : أن جميع الجلاب الواصلة من البحر إلى جدة من سائر البلاد ليس لصاحب مكة منها إلا الربع ، وأن الثلاثة الأرباع لصاحب مصر . وأن جميع مَنْ يَمُوت بمكة من غير أهلها ليس لصاحب مكة من ميراثه شيء ، وإنما ميراثه لصاحب مصر ، وأن صاحب مكة ليس له ميراث إلا من مات من أهل مكة[2] .

ووصل مع الحاج فى هذه السنة مرسوم يتضمن : إعفاء السيد بركات من تقبيل خُفِّ جمل المحمل ، فشكر هذا من فعل السلطان . وألَّا يؤخذ من التجار الواردين فى البحر إلى جُدَّة سوى العشر فقط . ويؤخذ صنف المال من كل عشرة واحد ، وأن يبطل ما

(١) إتحاف الورى ورقة ٤٣٨ .

(٢) المرجع السابق .

كان يؤخذ سوى العشر من رسوم المباشرين ونحوهم ؛ فكان هذا من جميل ما فعل . وأن يمنع الباعة من المصريين الذين سكنوا مكة وجلسوا بالحوانيت [فى المسعى][1] وحَكَّرُوا المعاش وتلقوا الجلب من ذلك ، وأن يخرجوا من مكة ؛ فشكر ذلك أيضاً ؛ لأن هؤلاء البياعين كثر ضُرُّهم وتَقَوَّوا بحماية المماليك المجردين لهم ؛ لما يأخذونه منهم من المال .

ووصل صحبة الحاج أيضاً فتاوي بسبب أخذ العشور من التجار بجدة ، وهو أن بعض الفقهاء نَمَّقَ سؤالاً يتضمن : أن التجار الواردين إلى مكة من الهند والصين وهُرْمُز كانوا يَرِدُونَ إلى عدن من بلاد اليمن ، فيظلمون بأخذ أكثر أموالهم ، وأنهم رغبوا فى القدوم إلى جدة ليحتموا بالسلطان ، وسألوا أن يدفعوا عُشْرَ أموالهم . فهل يجوز أخذ ذلك منهم ؟ فإن السلطان يحتاج إلى صرف مال كثير فى عسكر يبعثه إلى مكة . فكتب القضاة الأربعة بالقاهرة بجواز أخذه ، وصرفه فى المصالح ، وتمحَّلُوا لذلك ما قَوَّوْا به فتواهم . فقرئت الفتاوي فى الحرم الشريف بحضور القضاة والأعيان على رءوس الأشهاد ؛ فانطلقت الألسن بالوقيعة فى القضاة ، وأنهم اعتادوا
١٧٨و اتّبَاع أهواء الملوك ، خوفاً على مناصبهم أن يُعْزَلُوا منها . / وأي فرق بين ما يؤخذ من أموال التجار الواردين إلى جدة ، وبين ما يؤخذ بالإسكندرية من التجار ، وما يؤخذ بالقاهرة ومصر ودمشق وسائر

(١) إضافة عن إتحاف الورى ورقة ٤٣٩ .

بلاد الشام من الناس ، عند بيعهم العبيد والإماء ، والخيل والبغال ، والحمير والجمال ، وما يؤخذ بقَطْيا(١) من التجار الواردين من بلاد الشام والعراق ، فكل أحد يعلم أن هذا كله مكس لا يحل تناوله ولا الأكل منه ، وأن الآكل منه فاسِقٌ لا تُقْبَلُ شهادته ؛ لسقوط عدالته . ولكن الهوى يُعْمِي ويُصِمّ ، وما كفاهم ولا أغناهم هذه الفتاوي حتى بعثوا بها فقرئت بالحرم الشريف على رءوس الأشهاد ، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً .

والعجب من الظاهر ، كيف أحدث هذا الحدث الشنيع ، وهو يريد أن تكون تصرفاته على مقتضى فتاوي أهل العلم ، وهو يعلم أن شاه رخ(٢) ملك الشرق كان يبعث بالإنكار على الأشرف بَرْسْبَاي لأخذ العشور بساحل جدة(٣) !!

وفى سنة أربع وأربعين ورد كتابُ السلطان إلى السيد بركات

---

(١) قطيا : قرية فى الطريق بين مصر والشام ، فى وسط الرمل قرب الفرما ، وكانت المكوس تؤخذ بها من القادمين إلى مصر ، وبها والٍ برتبة أمير طلبخاناه ، مهمته أخذ العشور من التجار ، وبها قاض وناظر وشهود ومباشرون ، وبها مرافق عامة كالمسجد والبيمارستان . وقد اندثرت ولم يبق منها إلا أطلالها فى الطريق بين القنطرة والعريش جنوب شرقي محطة الرمانة ، على عشرة كيلومترات منها . (النجوم الزاهرة ٦١/١٤ تعليق الأستاذ محمد رمزي) .

(٢) شاه رخ : هو معين الدين شاه رخ بن تيمور ، ملك الشرق وسلطان ما وراء النهر ، توفي سنة ٨٥١ هـ . (الدليل الشافي ٣٤٠/١ برقم ١١٧١ ، والضوء اللامع ٢٩٢/٣ برقم ١١١٩) .

(٣) إتحاف الورى ورقة ٤٣٩ ، ٤٤٠ .

بأن يحضر إلى الأبواب الشريفة . فأراد السفرَ ؛ فاجتمع به التجار والمجاورون وأهل مكة ، فسألوه ورَغَّبُوه فى أن يقيم ولا يسافر ؛ فإنه متى سافر لا يأمنون على أنفسهم ، وأنه يعرض ذلك على الآراء الشريفة ، فإن اقتضت أن يحضر حضر ، أو أن يقيم أقام . وكتب بذلك محضر ، وكتب الأمير سودون كتاباً بذلك إلى السلطان ، ويشير بأن المصلحة فى إقامة السيد بركات بمكة وعدم سفره . وكتب السيدُ بركات بأن يحمل إلى الخزانة الشريفة من صلب ماله عشرة آلاف دينار عن نفسه ، وخمسة آلاف عن ذوى شُكْر وشُمَيْلَة . فوصلَ ذلك إلى السلطان فى يوم السبت خامس عشرى جمادى الأولى ؛ فأذن السلطان للسيد بركات فى الإقامة بمكة ، وأعفي من الحضور ، وجُهِّزَ له تشريف ، وإذْنٌ لذوى شكر بأن يدخلوا مكة وجُدَّة على جارى عادتهم . ووصل القاصدُ إلى مكة فى رجب بهذا الخبر ؛ فجهَّزَ الشريفُ بركات للسلطان فلفلاً بخمسة عشر ألف دينار فى البحر المالِح إلى الطور(١) .

ولما طلبه الظاهر جَقْمَق فى هذه السنة وعَزَمَ على السفرِ وَلَمْ يسافر كتب له شيخنا الإمام الأديب أبو الخير بن عبد القوي المكي يخاطبه ، وأنشد الوالدَ ذلك فى شهر ربيع الأول من السنة المذكورة :

يَا بَا زُهَيْرِ آسْتَعِنْ بِاللهِ فِي الطَّلَبِ
فإنّ مَنْ يَسْتَعِنْ باللهِ لَمْ يَخِبِ

---

(١) إتحاف الورى ورقة ٤٤٤ ، وانظر السلوك للمقريزي ٤/٣: ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢٢٤ .

أَهْلُ الكسا حِزْبُكَ المَنْصُورُ فَٱدْعُهُم
إِنْ نَابَ أَمْرٌ وَلُذْ مِنْهُـمْ بِخَيْـرِ أَبِ
محمَّد المُصْطَفَى وَالمُرْتَضَى شِيَمـاً
والمُجْتَبَى حَسَباً نَاهِيكَ مِنْ حَسَبِ
هُمُ حُمَاتُكَ والحِصْنُ الحَصِينُ هُمُ
هُمُ نَجَـاتُكَ هُمْ فَرَّاجَـةُ الكُـرَبِ
فَٱعْـزِمْ عَلَـى بَرَكَـاتِ اللهِ مُدَّرِعـاً
سِتْراً مِنَ اللهِ مَسْبُولاً مِنَ الحُجُبِ /
وَاقْصِدْ زِيَـارَةَ قَبْـرِ المُصْطَفَـى فَبِـهِ ١٧٨ظ
تَنَالُ كُلَّ الـذِى تَرْجُـو مِنَ الأَرَبِ(١)
وَٱبْشِرْ بِعَوْدِكَ لِلبَيْتِ العَتِيـقِ عَلَـى
أَسَرِّ حَالِكَ(٢) تَسْمُو أَرْفَعَ الـرُّتَبِ
لَا تَخْشَ مِنْ سَفَرٍ تُنْشِيهِ فِى ظَفَرٍ
وَفِى سُرُورٍ وَفِى أَمْـنٍ مِنَ النُّـوَبِ
فَفِـى نُزُوحِكَ حُسْبَـانٌ لَهُ شَرَفٌ
وَافَى بِنُصْرَةِ سَعْدِ الحَظِّ فِي الغَلَبِ
هذَا تَفَـاؤُلُ تَرْتَـاحُ النُّفُـوسُ لَهُ
وَالعِلْـمُ لِلَّـهِ لَا لِلسَّبْعَـةِ الشُّهُبِ

(١) هذا مخالف لآداب الشرع فإن الذي يقصد هو المسجد النبوي كما جاء في الحديث الشريف : « لاتشد الرحال إلا لثلاثة المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدى هذا» . « المراجع » .

(٢) في الأصل « حال » ، والمثبت يستقيم به الوزن .

فَثِـقْ بِرَبِّكَ وَٱلْجَـأْ فِى الأُمُورِ لَهُ
يَكْفِيكَ مَا تَخْشَ مِنْ سُوءٍ وَمِنْ وَصَبِ
هَذِى نَصِيحَـةُ مَنْ أَنْتُـمْ وَسِيلَتُـهُ
وَحُبُّكُـمْ عِنْـدَهُ مِنْ أَفْضَلِ القُـرَبِ
وَافَـى بِهَـا نُبْـذَةً يَرْجُـو مَحُوزَتَهَـا
إِذَا وَصَلْتُـمْ بِعَيْـنِ اللهِ فِى رَحَبِ
وَمَـا مَجُوزَتُهَـا إِلَّا سَلَامَتُكُـمْ
فَأَنْتُـمُ كَنْـزُ أَهْلِ العِلْـمِ وَٱلأَدَبِ

وفى هذه السنة كتب السلطان له ولأمراء الحجاز بإعفائهم مما كانوا يقومون به من المال لأمير الركب فى كل سنة ، وأكَّد السلطان على الأمراء ألا يأخذوا منهم شيئاً . فما أجمل هذا وأحسنه لو عمل به .

وبلغ السيد بركات أن السلطان أمر أمراء الحج بالقبض عليه ؛ فجمع وحشد ، ولاقى الحاج الأول والمحمل والشامي(١) واحترز منهم بحرز الله ولم يجتمع بأحد من الأمراء فى منزله بعد وصول المحمل ، غير أنه اجتمع فى اليوم الأول بالأمراء الواصلين أمام الركب الأول ، وكان الأمراء الحاجون فى هذه السنة أربعة عشر أميراً ، منهم : أمير السلاح تِمْرَاز(٢) .

(١) كذا في الأصل ، وفي إتحاف الورى ورقة ٤٤٦ « ولاقى الحاج الأول والمحمل الثاني » .

(٢) هو الأمير تمراز القرمشي الظاهري برقوق ، أمير سلاح الظاهر جقمق ، توفي مطعوناً فى صفر ٨٥٣ هـ . (النجوم الزاهرة ٥٣٦/١٥ ، والدليل الشافي ٢٢٥/١ برقم ٧٩٠ ، والضوء اللامع ٣٨/٣ برقم ١٥٣) .

وفى يوم عرفة حصل جفلة سلّم الله الحاج منها ، سببها أن الأمراء والأتراك توجهوا للصلاة بمسجد نَمِرَة ، فظنَّ بنو حسن أن الأمراء والأتراك هَمُّوا بالسيدبركات ، فلبس بنو حسن الزانة[(١)] ، وألبسوا خيلهم [واجتمعوا][(٢)] فسلَّمَ الله تعالى من ذلك الحاجَّ والناسَ ، ولم يقف السيد بركات فى الموقف صحبة الأمراء على جارى عادة أمراء مكة ؛ فرقاً من الأمراء ، لكن وقف بأطراف الموقف فى طرف الناس ، ولم يخالف على الحاج بشيءٍ ، ولله الحمد والشكر .

وفى سنة خمس وأربعين آخر ربيع الأول وصل قاصد من القاهرة إلى السيد بركات أن يحضر إلى القاهرة ؛ فاستعفى عن الحضور مع قاصد له يسمى السكيكي ، وأرسل معه عدّة أوراق ، فخامر عليه القاصدُ ولم يوصِّلْها ، وأرسل السيد بركات عَيْناً لينبع سعيداً[(٣)] وعلياً ابني محمد بن مفلح البُلَيْنِي يتجسّسَانِ له أخبار مصر ، وهما مقيمان عند صاحب ينبع السيد صخرة[(٤)] يظهران أنهما وافدان عليه ؛ لأنه كان بينه وبين أبيهما صحبة . فلما تحقق السيد صخرة أنهما عينان للشريف بركات أخرجهما عن بلده ، فأقاما عند ابن دُوَيْعِر بقرب بدر ، فبعد أيام ورَدَ عليهم مَزْرُوع

(١) كذا في الأصل ، ويراد بالزانة الرماح . وفى إتحاف الورى ورقة ٤٤٦ « الزرد » .

(٢) إضافة عن المرجع السابق .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى إتحاف الورى ورقة ٤٤٨ « محمداً وعلياً » .

(٤) هو صخرة بن مقبل بن مخبار ، توفي سنة ٨٤٦ هـ . (الضوء اللامع ٣١٧/٣ برقم ١٢٠٩) .

١٧٩و ــ من مولدى ذوى عجلان ــ وأخبرهم بولاية السيد عَلِيّ / بن حسن لإمرة مكة ؛ فتوجها إلى السيد بركات ، فوصلا إليه فى رابع رجب ــ وكان مقيمــاً بوادى الآبار من الموسم ــ وأخبراه بذلك ، فتوجّه إلى صوبِ اليمن .

ووصل مزروع إلى مكة المشرفة فى ضحى يوم الأربعاء فى رابع عشر رجب ، وأخبر بولاية السيد علي بن حسن لإمرة مكة عوضاً عن أخيه بركات ، وقطع الدعاء للسيد بركات من يوم الخميس خامس عشر الشهر ، ودُعِيَ لصاحب مكة ولم يُعَيَّن اسمه ، ثم في ليلة الجمعة سلخ رجب دُعِيَ للسيد علي بن حسن .

ثم فى يوم السبت مستهل شعبان دخل السيد علي بن حسن مكة المشرفة محرماً ، وطاف وسعى وعاد إلى الزاهر ، ودخل مكة ثانياً لابساً الخلعة ، وقرئ توقيعه بالمسجد الحرام ، وهو مؤرخ بسادس عشر[1] جمادى الأولى .

وفى سنة ست وأربعين جمع السيد بركات جموعاً وعزم على التوجه لحرب أخيه علي ، ونزل العدّ ، وكان أخوه بجُدَّة ، فعاد إلى حَدًّا ، وأخذ مباشروا جُدَّة المتحصل للسلطان ، وتحصنوا به فى المراكب المسمارية[2] فى البحر . فلما كان صبح يوم الأحد ثامن

(١) في الأصل « عشرى » ، والمثبت عن إتحاف الورى ورقة ٤٤٩ ، والنجوم الزاهرة ١٥/٣٤٩ .

(٢) المراكب المسمارية : هي التي تستعمل فيها المسامير الحديدية لربط ألواحها بعضها ببعض ، بخلاف السفن التي تربط ألواحها بالألياف . (البحرية فى مصر الإسلامية ٣٦٨) .

عشر صفر دخل السيد بركات جدة ومن معه ، ولاقاه عبيد أبيه وعسكر المراكب ، وكانت ،دخلة عظيمة ، قطع كُلُّ مَنْ رأى تلك الدخلة بأنه لا يخرج من جُدَّة . ونادى بالأمان والاطمئنان والبيع والشراء ، وأرسل إلى المباشرين بأن ينزلوا إليه فامتنعوا . فلما كان صبح يوم الاثنين طلبَ السيد بركات التجارَ والنواخيذ الهنود وغيرهم ، وطلبَ منهم عن كل مركب أربعة آلاف دينار ، فأجابوه : أن المراكب مختلفة ، فيها كبير وفيها صغير ، ومن المراكب لا تساوى شحنته خمسمائة دينار . فاتفق رأيُ التجار على أن يعطوه نصف العشر نظير ما أخذ الشريف علي ، وكان نحواً من أربعين ألف دينار ، فلم يرض السيد بركات بذلك ، وقال : إن أقل ما يأخذ مائة ألف . فبينما هم كذلك وإذا بالبلد قد ٱرْتَجَّتْ والناسُ على صوت واحد بأن الشريف علياً والأمراء والعساكر قد أقبلوا ، فعند ذلك أطلق السيد بركات التجار والنواخيذ ، ولبست عساكره وخرجوا إلى ظاهر البلد ؛ ليحوزوا(١) الماء عن العساكر ، فأقاموا خارج البلد ساعة إلى قرب الظهر ، فلم يكن الصياح عن حقيقة ، فرجعوا إلى مساكنهم .

فلما كان صبح اليوم الثالث حادى عشر الشهر وصل السيد علي والترك والعسكرُ ، والتقى الجمعان فخامر من أصحاب السيد بركات الأشراف ذوو أبي نميّ ، والقواد ذوو حميضة ، ووقع بين الطرفين حرب عظيم كان النصر فيه لأصحاب علي ، وَفَرَّ عسكر

(١) كذا فى الأصل ، وفى إتحاف الورى ورقة ٤٥٣ « ليحجزوا » .

السيد بركات إلى جهة اليمن ، وثبت السيد بركات وقاتل هو وعبيده وأبدوا الجهد ، ولكن الكثرة تغلب الشجاعة ، وتوجه السيد بركات ومن فَرَّ من جماعته إلى العُدّ ، وأقام به إلى صبح يوم السبت رابع عشرى صفر ، ثم ساروا إلى صوب اليمن . وجاود السيد إبراهيم بين الشريفين بقيَّة صفر وشهر ربيع الأول . وأقام أهل جُدَّة على وَجَلٍ
١٧٩ظ وخوف / بعد ذلك . وتوجهت المراكب الهندية من البندر وارتفعوا إلى ما بين العلمين وأقاموا به قريب الشهر ، ثم سافروا فى أوائل ربيع الأول[١] .

ولما تولَّى[٢] السيد أبو القاسم بن حسن بعد أخيه علي ، وغار عليه ولده زاهر وتوجه إلى الصفراء إلى الأشراف ذوى أبي نميّ والقواد ذوى عجلان ، وعاد هو وهم ونزلوا بأم الدمن طَرَفَ خُلَيْص ، وجاء إلى مكة ليلاً وأخذ أحمد البوني ، وتوجَّه به إلى أمّ الدِّمَن ، وطلبوا منه مالاً . فسمع السيد أبو القاسم فسار بجماعة من أصحابه نحو أم الدمن ، فنزل بأم حَبْلَيْن[٣] ، وكان السيد بركات نازلاً بمكان

(١) إتحاف الورى ورقة ٤٥١ ــ ٤٥٥ .

(٢) انظر قصة تولية أبي القاسم لإمرة مكة ، والقبض على أخويه علي وإبراهيم فى إتحاف الورى ورقة ٤٥٦ ــ ٤٥٨ .

(٣) أم حبلين : واد من أودية الخشاش جنوب عُسْفَان ، يسيل من جبل قمط ، ويصب قرب الكُرَاع شمالي جدة . (معجم معالم الحجاز) .

يقال له أَمَج[١] بالقرب من جدة . فعيَّن مِنْ خيله ثلاثين فرساً ملبسة لتسير مع السيد أبي القاسم . فلما كان فى بعض الليالى ركب السيد أبو القاسم ووزيرُه علي بن محمد الشبيكي[٢] ، ووردا على السيد بركات فى محلته وسألاه في المسير معهم بنفسه ؛ فأجاب سؤالهم وسار معهم فى ثمانين فارساً مُلَبَّسِين ، فتوجهوا أجمعين إلى أن نزلوا حلَّة بين عُسْفَان ، فتقدم جماعة من خيل السيد بركات لكشف الطريق ، فوجدوا بعض ظعون وعشرة[٣] رجال من غلمان الأشراف ، فقتل عسكرُ السيد بركات منهم اثنين ، وأرسلوهما إلى مكة ، فوصلا فى يوم الخميس عِشْرِي شعبان من سنة سبع وأربعين ، فعُلِّقَا فى درب المعلاة .

ثم إن جماعة من زبيد ذوى مالك وردوا على السيدين بركات وأخيه أبي القاسم ، يريدون تثبيطهم من التقدم إليهم ، وسألوهم فى

(١) أَمَج : فى الأصل « وَمَج » ، وأمج واد يأخذ من حرة بني سليم ويفرع فى البحر (معجم البلدان لياقوت) وأمج بعد خليص بجهة مكة بميلين وبعده بميل وادى غران ، وأمج لخزاعة بين عسفان وقديد (وفاء الوفا ٢٤٨/٢ ، ٢٤٩) وانظر معجم معالم الحجاز ١٣٨/١ ــ ١٤١ .

(٢) هو علي بن محمد بن بركوت الشبيكي ، وزر هو وولده للسيد أبي القاسم صاحب الحجاز ، وتوفي سنة ٨٥٢ هـ . (الدر الكمين ، والضوء اللامع ٢٩٣/٥ برقم ٩٨٨) .

(٣) كذا في الأصل ، وفي إتحاف الورى ورقة ٤٧١ « عدة » .

الوقوف ، وأنهم يدفعون الأشراف وذوى عجلان إلى الشام[١] . فقال الشريفان : لا يقع اتفاق إلا بعد وصول البُونِيّ إلى عندنا ، فأُحْضِرَ البونى إلى الشريفين فى يوم الجمعة سابع عشرى شعبان ، ثم وقع التجوُّد بين الفريقين سبعة أشهر ، وألا يدخل مكة من الأشراف وذوى عجلان غير خمسة أنفس لقضاء الحوائج ، لا يزاد على ذلك .

ثم توجه السيد بركات نحو جدة ، ثم إلى الفَالِق[٢] من ناحية اليمن وأقام به .

وفى صفر توجه من اليمن على طريق الحسا[٣] إلى الشرق ونزل بالقرب من وادى لِيَّة ، وأمر له أخوه السيد أبو القاسم بقطعة الحجاز ، وهي ألف وتسعمائة أفلوري ، وضيَّفه أهل الواديين بثمانمائة أفلوري ، وأرسل له أخوه السيد أبو القاسم أيضاً بثلاثمائة أفلوري من مكة ، وأقام بها إلى ثانى جمادى الآخرة ، ورحل منها ووصل إلى

---

(١) بعد هذا فى إتحاف الورى ورقة ٤٧١ « فقال الشريفان لا يقع اتفاق إلا فى خليص . وشدوا ونزلوا بودَّان بالقرب من أم الدمن . فتكلمت زبيد على مجود بين الشريفين والأشراف وذوى عجلان ، وأن يطلقوا البوني بغير فداء » . وبعد ذلك يتصل الكلام بما هنا .

(٢) الفالق : من ديار حرب ، فى جنوب المملكة العربية السعودية ، ويتبع إمارة القنفذة ، ويبعد عنها بحوالي ٦٠ كيلاً بجنوب شرق ، وبينه وبين القوز نحو ثلاثة وثلاثين كيلاً شرقاً ، والفالق على طريق القوافل بين القنفذة والقوز . (عن تعليق الدكتور عبد الكريم الباز على إتحاف الورى ورقة ٤٧١ .

(٣) الحسا : لبني عجلان ، يقع فى جوب جبل يسمى دفاقا . (معجم البلدان لياقوت) ودقاق واد لهذيل يسيل من السراة قرب شفا بنى سفيان ، ينحدر غرباً مع ميل تدريجي إلى الشمال . وانظر معجم معالم الحجاز ٣/٢٢٤ ـــ ٢٢٦ . ولم يذكر فيه أنه جبل .

نخلة ، ثم إلى عرفة فى عصر يوم الأربعاء ثامن جمادى الآخرة ، وأقام بها يوم الخميس ، ورحل فى عصر الخميس متوجهاً إلى اليمن ، وأقام بالأطوى ، وبعث إلى مكة وأخذ منها بناة وفعلة ، وعمَّر البئر التي بالأطوى المعروفة قديماً بمياه مَجَنَّة[1] . ثم توجّه السيد بركات فى أواخر ذى الحجة إلى العُدّ بالقرب من جُدّة ، وأقام به بأهله وجماعته[2] .

وفى يوم الجمعة سلخ القعدة أرسل أمير الحاج المصري شَادِي بَك[3] مُوَقِّعَهُ إلى السيد بركات بن حسن بن عجلان بمنديل الأمان ، وخاتم الأمان ، وكتابٍ ذكر له فيه أنه يريد الاجتمع / [به][4] وصحبته أمير الأول[5]، والأمير تَنَم ناظر الحرم[6] ونخبره ١٨٠و

---

(١) وانظر التعريف بمجنة ، وقول بلال رضي الله عنه :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بوادٍ وحولى إذْخَرٌ وجَلِيلُ
وهل أرِدَنْ يوماً مياهَ مجنة وهل يَبدُوَن لِى شامةٌ وطَفِيلُ

في معجم البلدان لياقوت .

(٢) إتحاف الورى ورقة ٤٧٢ .

(٣) هو شادي بك بن عبد الله الجكمي ، ترقى حتى صار أمير مائة ومقدم ألف ، وتوفي سنة ٨٥٤ هـ . (الدليل الشافي ٣٣٩/١ برقم ١١٦٨ ، والضوء اللامع ٢٨٩/٣ برقم ١١٠٥) .

(٤) إضافة عن إتحاف الورى ورقة ٤٧٣ .

(٥) أمير الأول : أي أمير الركب الأول ، وهو الأمير سونج بغا اليونسي ، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ، قتل سنة ٨٥٧ هـ . (الدليل الشافي ٣٣٧/١ برقم ١١٦٢ ، والضوء اللامع ٢٨٧/٣ برقم ١٠٩٣) .

(٦) هو تنم بن عبد الله من عبد الرزاق المؤيدي شيخ ، توفي سنة ٨٦٨ هـ . (الدليل الشافي ٢٢٩/١ برقم ٧٩٩ ، والضوء اللامع ٤٤/٣ برقم ١٨٢) .

بِسيرٍّ ، فتوجّه القاصد ؛ فأجابه إلى ذلك بشرط أن يتوجّـه إليـه الثلاثـة الأمـراء فى عشر ركائب ، ولا يكـون صحـبتهم من التـرك غير ثلاثـة أنفس فى خدمة كل أمير مملوك ، ولا يكـون معهـم شيء من الخيـل والسلاح ، فإن أحبّ الأمراء ذلك فليرسلـوا إلـيّ قاصداً بذلك حتـى أقـرب إلى مكـة . فوصلَ القـاصدُ إلى مكـة فى عصر يوم الاثـنين ، فأخـبر الأمـراءَ بذلك ؛ فأجابـوا إلى هذا الشرط ، وأرسلـوا له قاصداً بذلك فى صبح الثلاثاء ، فرجع القـاصد إلى مكـة فى ليلـة الخميس خامس الحجـة ، وأخبر بأن الشريـف وصل إلى المكـان المواعـــد فيه . فلما كان يوم الخميس توجّه الأمـراء الثلاثـة المذكـورون فى عدة من الـركائب ، وتوجـه معهـم جماعـــةٌ من عسكـــر السيـــد بركات وتواجهوا ، وما يُعْلَمُ ما اتَّفق بينهم .

وفى سنـة ثمان وأربـعين ـــ فى ليلـة السبت خامس عشر ربيـع الآخر ـــ قدم السيد بركات بن حسن بن عجـلان ومعـه من الخيـل سبعـون ، منها ستـون ملبسة ، ومعـه جماعـــة من ذوي حُمَـــيْضَة وغيرهـم ، نحو ثلاثين فارساً ، من ثنيـة كداء من أعلى مكة ، وانحدر بالأبطح ، وسار نحو الشرق ، فوجد بمكـان يقـال له البوبـاه(١) عربـاً من بنـي سعـد يقـال لهم يَمَـن ، فأخـذ لهم خمسين بعيراً وعـدة من

(١) البوباه : اسم لصحراء بأرض تهامة إذا خرجت من أعالي وادي نخلة اليمانية ، وهي بلاد بني سعد بن بكر بن هوازن . (معجم معالم الحجاز) .

الغنم . فلما كان صبح يوم الثلاثاء أغار على عَرَب مطير(١) ، وأخذ منهم عدة من الإبل نحو سبعمائة ، وأربعة أفراس قلايع(٢) ، وقتل ثلاثة أنفس من عرب مطير ، فولّت مطير الدبر عن أموالهم وبيوتهم . فأجار السيد بركات على الحلة ، وقسَّم الغنيمة على رُفْقَتِه : جعل للراكب ناقتين ، ولكل اثنين من الرجالة ناقة ، وأخذ لنفسه المتبقي من ذلك ، وهو خمسمائة ، فاشترى بها خيلاً وركاباً ودروعاً ، وأقام بالشرق ، وأمر بعض صبيانه إلى الواديين فأخذ له ضيفة ألف أفلورى (٣) . فوصل العلم بذلك إلى أمير مكة السيد أبي القاسم ؛ فأرسل إلى أخيه بعضَ الأعراب بأوراق مضمونها : إن عرب مطير فى نزلتى(٤) . فرد الجواب : إنى تجهزت من العُدّ ، والعلمُ عندك ، فلم يأتني منك خبر عنهم ولا عن غيرهم ، والفرض بينى وبينك . فأرسل ثانياً الشريفُ أبو القاسم القائدين مُطَيْرِق بن منصور بن

---

(١) عرب مطير : من كبريات قبائل جزيرة العرب ، كانت منازلهم بين المدينة وعقيق العشيرة ، فضايقها جيرانها من حرب وعتبة ، فاضطر معظمها إلى الجلاء شرقاً . (معجم قبائل العرب ، ومعجم قبائل الحجاز) .

(٢) كذا فى الأصل ، ولعلها التي اقتلعت من تحت فرسانها فى الحرب . وقد جاء في بلوغ القرى لوحة ٢٤٣ ط « واقتلع بعض خيلهم »وجاء فى بغية المستفيد لابن الديبع ١٤٢ « واستقلع خمس رءوس من الخيل » وفى ص ١٩٢ « وأخذ ثلاثين فرساً قلائع » وفى ص ١٩٦ « وقتل الشريف محمد بن الحسن واستقلع فرسه » وفى ص ٢٠٢ « قتلوا جماعة واستقلعوا خيلهم » .

(٣) وفي إتحاف الورى ورقة ٤٧٦ ، ٤٧٧ « ألف أفلوري ومائتي أفلوري » .

(٤) كذا فى الأصل ، وفى المرجع السابق « ذمتي » .

راجح[١] ، وسِنَان بن علي بن سنان[٢] العمريين [بأن][٣] يتوجَّهـا عنده برد الأموال على عرب مطير . فتوجها إلى السيد بركات ، وأقاما عنـده مدة من الأيـام ، وصمَّـمَ السيـد بركات ، وقـال : ما أعطـى السيد أبـا القـاسم إلا الفـرض ، وأعطـى القائدين فرسين وعـدة من الـركاب . ثم قدمـا على الشريـف أبي القـاسم وأخبراه بتصميم السيـد بركات على ما قالـه . فأرسل السيـد أبـو القـاسم إلى ولـده السيـــد زاهـر ، والأشراف ذوى أبي نمى ، والقـواد ذوى عجـلان ـــ وكانـــوا نازلين بخيف بنى شديد ـــ يأمرهم بالنزول عنده بوادى الآبار .

ثم إن السيد بركات توجّه نحو مكة بعـد أن حصَّل من الشرق عدةً من الخيل والغنم من رجال العرب ، وتقدّم عنه صبيانُه نحو نخلة لأن يأخذوا له منهم ضيفةً وعليقـة ، فجمعـوا له . ثم / وصل السيـد ١٨٠ظ بركات إلى الزُّيمَـة ، ثم توجـه إلى المُبَـارَك ، ثم إلى الجمـوم من وادي مَرّ ؛ فعلِمَ به أن أخاه الشريفَ أبـا القـاسم جمع له عسكـراً ، فسارَ إلى العُدّ ـــ وهو منزل أهله المقيـمين به ـــ فوشي الـواشون بينـه وبين أخيه بأقاويـل كثيرة ، فحمـل السيـد أبـو القـاسم جماعـةً من القـواد

---

(١) هو مطيرق بن منصور بن راجح العمري ، أحد أعيـان القـواد العمـرة . توفي سنة ٨٥٦ هـ . (الدر الكمين ، وإتحاف الورى ورقة ٥١٥ ، والضوء اللامع ١٠/١٦٠ برقم ٦٥٤) .

(٢) هو سنـان بن علي بن سنـان بن عبـد الله العمـري ، توفي سنـة ٨٥٣ هـ . (الدر الكمين ، والتبر المسبـوك فى الذيـل على السلـوك ٢٨٠ ، والضوء اللامـع ٣/٢٧٢ برقم ١٠٣٣) .

(٣) إضافة عن إتحاف الورى ورقة ٤٧٧ .

العمرة إلى السيد بركات بأن يرد عليه الإبِلَ . فامتنع السيد بركات ، فرجع القواد إلى الشريف أبي القاسم وأخبروه ؛ فركب هو وهم إلى نحو السيد بركات ، ولم يعلم بهم السيد بركات إلى عند منزلـه ، فتواجَه الشريفان وتعاتبا ، فقال له السيد بركات : لو جئتنى هذا المجيء بغير عسكر فعلتُ كل ما تطلبه ، ولو طلبت مالي . وأما هذا المال المأخوذ فلا أرده إلا بالفرض . فتنافسرا ، فركب الشريف أبو القاسم (١) وعجّل فى المداف (١) وأصبح بوادى الآبار ، وأرسل رسولاً يستعجل الأشراف والقواد ذوى عجلان — وكانوا بمكة وصلوا من الخيف — وتوجّه من أصحاب السيد أبى القاسم إلى السيد بركات جماعةٌ من الأشراف والقواد الحمضيات . ثم إن القواد العمرة ركب منهم جماعةٌ نحو السيد بركات ، وأخذوا منه مُهْلَةً لدرء الفتنة ستة أيام ، ورجع القوادُ إلى السيد أبى القاسم . وجاود الشريف أبو القاسم بين لأشراف ذوى أبى نمى ، والقواد ذوى عمر ، وذوى عجلان ، وذوى حسن سنة كاملة ، ورد الشريف أبو القاسم على ذوى عجلان رسومهم .

ثم إن الشريف أبا القاسم جهَّزَ ولدَه وجماعةً من الأشراف ذوى أبى نمي ، وجماعة من القواد ذوى عجلان نحو جُدَّة لحفظها . وأرسل السيد بركات لجماعة الأشراف والقواد ذوى حُمَيْضَة وبِشْر وزُبَيْد وغيرهم من الأعراب ؛ فالتأم عنده خلقٌ كثير .

---

(١) فى الأصل « وعجل عن المداق » ، والمثبت عن إتحاف الورى ورقة ٤٧٨ .

ثم إن السيد أبا القاسم أرسل إلى الشيخ عبد الكبير الحَضْرَمِيّ(١) ـــ وكان مجاوراً بمكة فى هذه السنة ـــ أن يصل إليه . فوصلَ إليه نحوَ وادى الآبار ؛ فأرسله إلى السيد بركات ، فتواجه الشيخ عبد الكبير والسيد بركات ، ثم عاد إلى السيد أبى القاسم ، ثم سار الشريف أبو القاسم والشيخ عبد الكبير نحو السيد بركات ، وسار السيد بركات نحوهما ، فاجتمعوا بموضع يقال له عَمِق(٢) ، ثم اختلى الشريفان والشيخ عبد الكبير فقط ، واتفق الحال بينهم على أن يُعْطَى السيدُ بركات ألف أفلوري حاضرةً ، وألفا أخرى على نقدتين : خمسمائة فى شوال ، وخمسمائة فى القعدة ، وثمانية آلاف مرهون عنده ، فيها(٣) ثلث المتحصل من جباء جدة ، وأن يقيم بعضَ من يثق به يَجْبِى له ثُلُثَ المتحصل ، وأن القائد بديداً الحسني ، وعَبِيدَ السيد بركات على رسومهم ، وأن جَلْبَة القائد على بن شُكْر الحسني مُطْلَقَةٌ من العشور ، وأن ذلك يكون لسنة كاملة . وكتب كل منهم

(١) هو الشيخ عبد الكبير محمد بن أحمد الأنصاري من ذرية أبى حميد الأنصاري الصحابي ـــ الحضرمي اليماني ، نزيل مكة ؛ قدم إليها حاجاً فى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة ، ثم فى سنة تسع وأربعين ، ثم فى سنة اثنتين وخمسين ، فاستوطن مكة ، وابتنى بها زاوية ، وصار له وجاهة عند صاحبها وقاضيها فمن دونهما ، ومات فى شعبان سنة ٨٦٩ هـ ودفن بباب الشبيكة . (الدر الكمين ، وإتحاف الورى ورقة ٥٧١ ، والضوء اللامع ٤/٣٠٤ برقم ٨٢١) .

(٢) عَمِق : كذا جاء مضبوطاً فى الأصل . وضبط فى معجم معالم الحجاز بضم العين وفتح الميم ، وقال : علم مرتجل على جادة الطريق إلى مكة بين معدن بني سليم وذات عرق .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى إتحاف الورى ورقة ٤٧٩ « فى ثلث المتحصل » .

خطَّه بذلك ، وأن المال الذي أخذه الشريف بركات من عَرَب مَطير يكون بينهم فيه الفرض ، فأرسل الشريفان نحو الينبوع إلى الغريض الجهني أبي جبتين ، فوصل الغريض إلى القُفَّين[1] ، فأرسل كلٌّ من الشريفين نحوه قاصداً يواعدانه المُرَّة بقرب / جُدَّة . فاجتمعوا ١٨١و
به في أوائل رجب ، وكان حاضراً معهما الشيخ عبد الكبير ، وكان متوجهاً إلى زيارة النبيِّ ﷺ ، فَنَدَبَهُمَا الغريضُ إلى الصلح . فتكلّم الشيخ عبد الكبير بأن يكون المال أثلاثاً : الثلث على الشريف بركات ، والثلث على السيد أبي القاسم ، والثلث تتركه العرب ، فسلَّم كُلٌّ من الشريف ما اتُّفِقَ عليه .

وفي سنة خمسين — في يوم الأحد ثالث عشر المحرم — وصل قُصَّادٌ من مصر إلى جدة ، ثم توجهوا في يوم الاثنين إلى السيد

---

(١) القفين : كذا في الأصل ، وهو تثنية قف بضم القاف وتشديد الفاء ، وهو ما ارتفع من الأرض وغلظ ، ولم يبلغ أن يكون جبلاً ، وقيل هو جبل غير أنه ليس بطويل في السماء ، فيه إشراف على ما حوله ، وما أشرف منه على الأرض حجارة تحتها حجارة بعضها كبير وبعضها صغير ، ويكون في القف رياض وقيعان . والقف علم لوادٍ من أودية المدينة ، عليه مال لأهلها ، وقد جاء مثنى في شعر زهير حيث قال :

كم للمنازل من عام ومن زمن   لآل سلماء بالقفين فالركن

(معجم البلدان لياقوت) .

وفي إتحاف الورى ورقة ٤٧٩ « الفقير »وهو واد ومحطة في واسط بين الحرار وينبع . (معجم معالم الحجاز) وقيل عين في متسع وادى الفرع وهي اليوم قاعدته نقلت إليها الإمارة من المضيق ، وتتبع إمارة المدينة المنورة . (على طريق الهجرة ٩٥) .

وفي معجم البلدان لياقوت : فقير — على التكبير — : ركن بعينه ، وقيل بئر بعينها ، ومفازة بين الحجاز والشام .

أبى القاسم ــ وكان نازلاً بوادى الآبار ــ وأقاموا عنده إلى ليلة الأربعاء ، وتوجَّهُوا صوب السيد بركات بن حسن ــ وكان نازلاً بالليث ــ فلما كان ضحى يوم الاثنين حادى عشرى المحرم وصل قاصدٌ من عند السيد بركات إلى مكة المشرفة يطلب بعضَ غلمانه ، وكانوا بمكة . وأخبر القاصد أنه لَمَّا كان يوم الخميس سابع عشر المحرم وصلَ إلى السيد بركات مُبَشِّرٌ ، وأخبره بالولاية ، فلما كان يوم الجُمْعَة وصلَ إلى السيد بركات القصادُ ــ وكانوا تلاقوا فى الطريق بالشيخ عبد الكبير الحضرمي ، وكان متوجهاً من مكة إلى صوب السيد بركات ــ فلما كان يوم السبت وصل قاصدٌ من جدة ، صحبته المراسيم ، لأنَّ القُصَّادَ كانوا أودعوها بجدّة خوفاً من السيد أبي القاسم .

فلما كان فى ليلة الأربعاء ثالث عشرى المحرم وصل القُصَّاد الذين كانوا توجهوا إلى السيد بركات إلى مكة المشرفة ، وأخبروا أنهم توجهوا إلى السيد بركات بكتاب السلطان له بالأمان(١) بأن يطأ البساط هوأو وَلَدُه . فاعتلَّ الشريفُ بركات بأنه صار كبيراً ، وأنه ضعيف ، وذكر لهم أنه يجهِّزُ ابنه إلى الأبواب السلطانية ، وأقاموا بمكة يوم الأربعاء ، ثم توجهوا فى يوم الخميس إلى صوب السيد أبى القاسم .

(١) فى الأصل « بالولاية » ،والمثبت عن إتحاف الورى ورقة ٤٨٩ .

فلما كان فى يوم الأحد وصل دوادار الأمير جَانِبَك[١] مشد جدة يطلب الأمير والترك المقيمين بمكة ، فلما كان مغرب ليلة الاثنين سابع عشرى المحرم وصل الشريف محمد بن السيد بركات إلى مكة وطاف واجتمع بأمير الرتبة[٢] المقيمين بمكة ، وأقام بمكة يوم الاثنين ، وتوجه فى ليلة الثلاثاء إلى جدة ، فدخل جُدَّة فى صبح يوم الأربعاء تاسع عشرى المحرم ، ودخل فى خدمته أمير الرتبة المقيمين بمكة ، ومشد جدة ، وأقام بجدة إلى يوم الأحد رابع صفر وتوجّه إلى القاهرة[٣] .

فلما كان صبح يوم الخميس سابع عشرى ربيع الأول وصل مخبر من جدة وأخبر أن أحمد بن مُصَاوِن الحَسَّاني قدم جدة فى ليلة الأربعاء سادس عشرى ربيع الأول ، وتوجه نحو السيد بركات ؛ فتوجه السيد أبو القاسم نحو وادى الآبار . فلما كان فى ظهر يوم السبت تاسع عشرى ربيع الأول وصل قاصدٌ من وادى الآبار ، وأخبر أن السيد بركات نزل بالعدّ فى خيل مُجَرَّدَة ، وكان بالعد ــ نازلاً ــ القوادُ ذوو عمر .

فلما كان بعد العصر من يوم السبت المذكور وصل القائد

(١) هو جانبك بن عبد الله الظاهري جقمق ، ناظر جدة ، قتل فى سنة ٨٦٧ هـ . (الدليل الشافي ٢٣٩/١ برقم ٨٢٧ ، والضوء اللامع ٥٧/٣ برقم ٢٣٥) .

(٢) أمير الرتبة : أي أمير الأجناد المرتبين بمكة المكرمة من قبل سلطان مصر . ويسمى أيضاً : الأمير باش الأتراك ، والأمير الباش ، وباش الترك بمكة .

(٣) إتحاف الورى ورقة ٤٨٨ ، ٤٨٩ .

محمد بن عبد الكريم العمري رسولاً من السيد بركات بمثال من ١٨١ظ السلطان إلى الأمير / الراكز بمكة ، يخبره أن الصدقات السلطانية شملت السيد بركات باستقراره فى إمرة مكة عوضاً عمن بها ، وأن الأمير يحتفظ بمكة حتى يصل التشريف للشريف بركات ويلبسه ، وأن يكون الأمير فى خدمته . والمثال مؤرخ بثامن ربيع الأول . وأخبر القائد محمد بن عبد الكريم أن القاصدَ وصلَ إلى السيد بركات بمنزله فى الليث ، فى يوم الخميس سابع عشرى ربيع الأول ، وأن الشريف [بركات](١) توجّه من فوره إلى العُدّ فنزله صبح يوم السبت ، وأخبر أيضاً أنه وصل مثالٌ إلى الأمير المشد بجدة يخبره بذلك ، وبتوقيع للسيد بركات .

فلما كان فى ليلة الأحد سلخ ربيع الأول توجه من كان بمكة من ذوى عجلان وغيرهم من أتباع السيد أبى القاسم نحو وادى الآبار . وفى هذه الليلة [رَتَّبَ](١) الأمير كُزُل(٢) أجناداً يعسّون بمكة ، فلما كان صبح يوم الأحد أمر الأمير كُزُل منادياً ينادى بالأمان والاطمئنان ، وأن البلاد للسيد بركات . فلما كان عصر يوم الأحد نادى الأمير : ألّا يخرج أحدٌ من بيته بعد صلاة العشاء ،

---

(١) إضافة عن إتحاف الورى ورقة ٤٩٠ .

(٢) هو كزل السودوني ، ويعرف بالمعلم ، ولّاه الظاهر جقمق أميراً على الترك الراكزين بمكة ، فقدم إليها فى شعبان سنة ٨٤٨ هـ ، واستمر على وظيفته هذه حتى سنة ٨٥١ هـ فعاد إلى القاهرة . ومات بها سنة ٨٦٥ هـ . (الدليل الشافي ٥٥٧/٢ برقم ١٩١٢ ، والضوء اللامع ٢٢٧/٦ برقم ٧٧٨) .

ودُعِيَ للسيد بركات بعد صلاة المغرب على زمزم فى ليلة الاثنين ثانى ربيع الآخر . فلما كان صبح يوم الثلاثاء نزل السيد بركات بمن معه من القواد ذوى عمر جُدَّة ، ووصل العلمُ بذلك إلى مكة ضحى يوم الأربعاء ، وتوجّه جَانِبَك مشد جدّة إلى القاهرة فى ربيع الأول . ولما كان يوم السبت حادى عشر ربيع الآخر وصل قاصدٌ من جُدّة إلى الأمير الراكز بمكة يأمره بالتوجه إلى جُدّة هو ومن صحبته من الأتراك ؛ فتوجهوا إلى جدة فى عصر يوم الأحد .

فلما كان فى صبح يوم الخميس سادس عشرى ربيع الآخر وصل كتاب من السيد بركات إلى قاضى القضاة جلال الدين بن ظهيرة(١) يخبره بأنه وصل من اليَنْبُع متقدم عن قُنَيْدِ بن مثقال الحسني ، وأن قُنَيْداً متقدم على السيد محمد بن بركات من وادى نخل . فلما كان فى عشاء ليلة الجمعة وصل قاصد من جدة وأخبر أن القائد قُنَيْداً وصلَ إلى جدة فى عصر يوم الأربعاء . فلما كان فى صبح يوم الجمعة نودي بلبس الأشراف(٢) ، وكنس الأزقة ، وضربت الطبلخانات ببيت السيد بركات بأجياد ، وبأبواب أعيان البلد .

فلما كان يوم السبت ثامن عشرى ربيع الآخر توجّه السيد

---

(١) هو القاضي جلال الدين أبو السعادات محمد بن أبي البركات محمد بن أبي السعود محمد بن ظهيرة ، توفي فى صفر سنة ٨٦١ هـ . (النجوم الزاهرة ١٨٦/١٦ ، والدر الكمين ، وإتحاف الورى ورقة ٥٣٥ ، والضوء اللامع ٢١٤/٩ برقم ٥٢٧) .

(٢) فى الأصل « الأسواق » ، والمثبت عن إتحاف الورى ورقة ٤٩١ .

بركات هو ومن معه من القواد ذوى عمر والأعراب والترك ، والأمير الراكز بمكة إلى العُدّ فنزلوا به يوم الأحد ، فلما كان عصر يوم الاثنين سلخ ربيع الآخر وصل السيد محمد بن بركات إلى جدة ، ووصل العلم بوصوله إلى مكة فى عصر يوم الثلاثاء مستهل جمادى الأولى . ثم توجّه السيد محمد نحو والده السيد بركات إلى العُدّ ، فوصل إليه في يوم الأربعاء ، فلما كان ظهر يوم الخميس ثالث جمادى الأولى وصل القائد قُنَيْد إلى مكة ، وأخبر أن الشريف بركات وأخاه السيد أبا القاسم تجاودا شهراً ، وأن الشريف أبا القاسم رَحَلَ فى صبح يوم الأربعاء هو ومَنْ معه من الأشراف ذوى أبى نميّ ، والقواد ذوى عمر صوب اليمن ، وأن السيد بركات ينزل وادى الآبار يوم الجمعة ، ويصل إلى مكة يوم / السبت . ١٨٢و

فلما كان فى عشاء ليلة السبت خامس جمادى الأولى وصل السيد بركات إلى الزاهر ، فلما كان نصف الليل دخل مكة المشرفة محرماً بعمرة ، وطاف وسعى وعاد إلى الزاهر فبات به . فلما كان صبح يوم السبت دخل مكة المشرفة لابساً التشريف ، وصحبته ولده السيد ناصر الدين محمد لابساً خلعة ، ودخل المسجد الحرام ، وقرئ توقيعه ، وهو مؤرخ [بحادى عشرى ربيع الأول ، ثم قرئ مثال إلى الأعيان من الناس يُخبَرون فيه بولاية السيد بركات ، مؤرخ][(١)] بثانى عشرى ربيع الآخر . ثم طاف السيد بركات عقيب ذلك ، ونودي له بالدعاء على زمزم .

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن إتحاف الورى ورقة ٤٩٢ .

وفى اليوم الخامس عشر من شهر رمضان توجه الأتراك المقيمون مع الأمير الراكز بمكة نحو وادى الآبار إلى السيد بركات — وكان أرسل إليهم — وسار بهم نحو أخيه إلى القاسم إلى الليث[٢] .

وفى سنة إحدى وخمسين — فى يوم السبت عاشر ربيع الآخر — توجه السيد بركات بن حسن بن عجلان إلى بلاد الشرق ، ثم عاد إلى مكة فى ليلة الجمعة رابع عشر جمادى الأولى ، ثم توجّه من مكة إلى العُدّ فى يوم الجمعة المذكور ، ثم عاد فى يوم الأحد سلخ جمادى الأولى إلى مكة ، وأقام بها إلى عصر يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة فطاف للوداع ، وخرج مسافراً إلى القاهرة ، وأقام بالطنبداوي إلى عصر يوم الثلاثاء ، وسافر نحو العد ، ثم توجه إلى جدة فى يوم الاثنين ثامن جمادى الآخرة ، ثم سافر من جدة عصر يوم السبت ثالث عشر جمادى الآخرة ، وتوجه إلى المدينة الشريفة ، فزار النبيَّ ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما . ثم توجه إلى القاهرة فدخلها في يوم الخميس مستهل شعبان ، ونزل له الملك الظاهر إلى المطعم[١] ببركة الحاج ، ولاقاه ملاقاة حسنة ، وبالغ فى إكرامه ، ومشى له

(٢) وانظر التبر المسبوك ١٤٣ ، ١٤٤ .

(١) المطعم : ويقال له مطعم الطير ، وكان مخصصاً لطيور الصيد ، ويقع فى الريدانية التى كانت تطلق على البستان الذى أنشأه ريدان الصقلي — أحد خدام العزيز بالله الفاطمي — شمال شرق القاهرة والصحراء التي تمتد شرقه إلى ما بعد حي مصر الجديدة . وفى أطرافها تقع بركة الحاج ، وكانت تسمى جب عميرة وبسبب نزول الحاج عنده فى أول مرحلة من مراحل السفر أطلق عليه اسم بركة الحاج . (الخطط للمقريزي ٢/١٣٩ ، ١٧٤) .

خطوات ، واحتضنه وأجلسه إلى جانبه بحيث لم يجلس إلا معه خارجاً عن مقعده ، وخلع عليه ، وقُيِّد له فرس بسرج ذهب مزركش ، وركب معه[1] حتى رسم له بالتوجّه إلى المكان الذى أُنزل فيه ، بالقرب من سويقة الصاحب ، فرتب له الرواتب السنية ، وأكرمه غاية الإكرام ، وارتجت القاهرة لدخوله ، وخرجت العذارى للتفرج عليه ، وكان يوماً مشهوداً .

ولما وصل إلى منزله جاءه للسلام عليه القضاةُ والأمراءُ والأعيان ، ووصل العلم إلى مكة بذلك فى يوم الخميس ثانى عشرى شعبان . وحَدَّثَ بالقاهرة ، فسمع منه بعض الطلبة ، وأجاز لهم . ثم توجّه السيد بركات إلى مكة فى يوم الخميس خامس عشر شعبان .

فلما كان فى صبح يوم الاثنين حادى عشر رمضان وصل قاصدٌ من جدة ، وأخبر أن القائد أحمد بن فرج الحسني وصل إلى جدة فى ظهر يوم الأحد متقدماً عن السيد بركات من عَقَبَة أَيْلَة . فلما كان آخر يوم الأحد سابع عشر شهر رمضان وصل قاصد وأخبر أن السيد بركات بوادى مَرّ . فلما كان بعد العشاء دخل الشريف وطاف وسعى ، ثم عاد إلى الزاهر ، وبات به ولبس خلعته ، ثم دخل إلى مكة فى صبح يوم الاثنين ، وقرئ مرسومه بالمسجد الحرام بحضرة القضاة ، والأمير الباش ، وطاف ، / ودعا له ١٨٢ظ الريسُ على ظُلَّة زمزم .

(١) أي مع السلطان ، كما جاء فى التبر المسبوك ١٨٤ .

وحصل فى ضحى يوم عرفة جفلةٌ ، سببها أن الأتراك تعدوا على غنم عرب بني سعد[١] وأخذوها ، فحصل بينهم قتال ، فسمع الشريف فجاء ومعه عسكره وطردوا العرب ، ونَهَبَ الغوغاءُ أيضاً كثيراً من إبلهم وغنمهم وأثاثهم ، وسكن الأمر ، ونودي بالأمان والبيع والشراء .

وفى سنة ثلاث وخمسين ، فى عصر يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الآخرة توجه السيد بركات نحو الشرق لغزو عربٍ نهبوا حاج عقيل فى السنة التى قبل هذه ، ثم وصل العلم إلى مكة المشرفة فى عصر يوم السبت سادس عشري الشهر بأنه ظفر بهم ، وغنم أموالهم . ثم عاد إلى مكة فى رجب[٢] .

وفى سنة أربع وخمسين ـــ فى شهر رجب ـــ توجّه السيد بركات إلى المدينة الشريفة لزيارة جده المصطفى ﷺ ، وصحبته قافلة كبيرة خرجت من مكة يوم الاثنين خامس عشر شهر رجب ، وفيها قاضي مكة جلال الدين أبو السعادات بن ظهيرة ، وجماعةٌ من أعيان التجار ، وخلقٌ من أهل مكة والمجاورين ، وأقامت بوادى مَرّ إلى ضحى يوم الأربعاء تاسع عشر رجب ، وتوجهت إلى المدينة ، والتقت القافلةُ هي والسيد بركات وجماعته من الأشراف والقواد بطريق البرقاء[٣] ، وتوجهوا إلى المدينة الشريفة . وكانت قافلة عظيمة

(١) كذا فى الأصل ، وفى إتحاف الورى ورقة ٥٠٠ « بني سعيد » .

(٢) إتحاف الورى ورقة ٥٠٤ .

(٣) البرقاء : وتقع جنوب عسفان بستة عشر كيلاً ، وتعرف ببرقاء العميم ، وهي على جادة الطريق من مكة إلى المدينة على بعد ٦٤ كيلاً من مكة . (تعليق الدكتور عبد الكريم الباز على إتحاف الورى ورقة ٥٠٧) .

يُضْرَبُ بها المثل ، عدة الشقادف[١] نحو أربعمائة وخمسة وثلاثين ، وعدة الشُّجُر[٢] نحو مائتين ، والزوامل[٣] نحو ثمانمائة ، والخيل نحو الخمسين ، والرواحل نحو المائتين ، والحمير نحو الثلاثمائة ، والبغال نحو الخمسة عشر . ودخلوا المدينة يوم الثلاثاء سلخ رجب ، وأقاموا بالمدينة نحو خمسة أيام ، وخرجوا منها يوم السبت رابع شعبان ، وعادوا إلى مكة فوصلوها فى يوم الجمعة سابع عشر شهر شعبان[٤] .

وفى سنة ست وخمسين ، فى ليلة السبت ثانى عشرى ربيع الآخر ، قدم السيد بركات إلى مكة المشرفة من وادى الآبار متوجهاً إلى الشرق ، وخرج بثقله إلى العُسَيْلَة بأعلى مكة ، وأقام هو بمكة بنفسه ، ثم توجّه إلى بلاد الشرق ، فى عصر يوم الاثنين رابع عشرى

---

(١) الشقادف : جمع شقدف ، وهو كسريرين من الخشب قاعدتهما من الحبال ، وعلى حافة كل سرير من الجانب الخارجي والخلفي شبكة من العيدان ، يوضع على ظهر بعير وغيره ، ويسع راكبين ويمكنهما أن يناما فيه . (الرحلة الحجازية للبتانوني ٢٠٧) .

(٢) الشُّجُر : جمع شِجَار ، ويكون من أعواد ، ولا يغطى بأي نسيج ، فإذا غطي صار هودجاً . ويقال هو الهودج الصغير الذي يكفي واحداً . (تاج العروس) . وفى إتحاف الورى ورقة ٥٠٧ « وعدة الشباري نحو مائتين » ، والشباري : جمع شبرية ، وهي سرير من الخشب والحبال له جوانب تمنع من السقوط ، يستعمل لحمل العجزة فى الطواف أو غيره ، ويحمله شخصان ، أو تحمله الدواب فى المسافات الطويلة . (مصطلح مكي) .

(٣) الزوامل : جمع زاملة ، وهي البعير الذى يحمل عليه الطعام والمتاع ، (لسان العرب ، وتاج العروس) .

(٤) إتحاف الورى ورقة ٥٠٧ ، ٥٠٨ .

ربيع الآخر ، وعاد إلى مكة(٥) .

وفى شعبان توجه السيد بركات إلى حَلْي ابن يعقوب ، يريد أن يولي حَلْيَ للسهيمي موسى بن محمد بن موسى ، عوض أخيه دُرَيْب . فَفَرَّ دُرَيْب وأَخْلَى لهم البلاد . فولّى السهيمي ، وأقام السيدُ بركات هناك مدة ، ثم توجه إلى مكة ، فجاء دُرَيْب إلى المنيرة(٦) ونزل بها ، وأراد دخول القوز(٧) ، فدخل الصوفيّةُ بنو الطواشي وغيرهم بينهم على الصلح ــ أو مهلة مدة ــ فما رضي دُرَيْب ، وحرَّضَتْهُ والدتُه على القتال ، فسار السهيمي إليه بعسكره وتقاتلوا قُبَيْل العصر ، فى أوائل العشر الأخير من ذى القعدة ، فوقعت الكسرة على دُرَيْب وجماعته ؛ فقُتِلَ دُرَيْب ، وقُبِضَ على والدته حَبَتَّا بنت مُجَيْرِد ، وأخواته الثلاثة . وخُشِّبَ على يَدِ والدته ورِجْلِهَا إلى أن سَلَّمَت للسهيمي مالاً كان مودعاً لها عند الشيخ محمد السُّنِّيّ بن يحيى الطواشي ، وهو عشرون ألف أفلوري فى

(٥) إتحاف الورى ورقة ٥١٣ .

(٦) المنيرة ، كذا فى الأصل ، وإتحاف الورى ورقة ٥١٣ . ويقول الدكتور عبد الكريم الباز فى تعليقه على إتحاف الورى ورقة ٥١٣ : « لعلها أم النور ، وهي قرية بساحل يبة ، وكانت مقر شيوخ بنى يعلى الكنانين سابقاً ، وهي غرب القوز تبعد عنه بحوالي ١٢ كيلاً » .

(٧) القوز : هو قوز بلعير ، ويقع قرب شاطئ البحر الأحمر جنوب القنفذة ، على ٣٠ كيلاً منها ، وهو قاعدة يبة ، وبه إمارة تابعة للقنفذة ، وأقيمت به المرافق العامة . (بين مكة واليمن ١٦٢ ، ١٦٣) .

مَرْطَبَانين(١) .

وفى ثانى [يوم](٢) قَتْلِهِ وصلَ قُصَّادٌ من مصر بخلعة وكسوة لِدُرَيْب من السلطان الظاهر جَقْمَق ؛ لأن /دُرَيْباً كان كاتب مشدّ ١٨٣و جُدّة جَانِبَك بأن يأخذ خلعة من السلطان ويرسلها له .

وفى سنة سبع وخمسين — فى يوم السبت رابع ربيع الآخر — وردت الأخبار بأن الملك المنصور(٣) خُلِعَ وولي عوضه الأمير الكبير إينَال الأجرود(٤) ، ولُقِّبَ بالملك الأشرف أبى النصر . فلما كان فى ليلة الأحد دُعِيَ له على زمزم بعد صلاة المغرب . فلما كان فى ليلة الثلاثاء حادى عشرى ربيع الآخر قدم السيد بركات مكة المشرفة — وقدم معه قاصده إبراهيم الطوير(٥) .

---

(١) إتحاف الورى ورقة ٥١٣ ، ٥١٤ . والمرطبان : هو إناء من الفخار أو ما أشبه توضع به الأشياء كالبهار ، أو العسل أو نحوهما . (مصطلح مكي) .

(٢) إضافة عن إتحاف الورى ورقة ٥١٤ .

(٣) هو الملك المنصور أبو السعادات فخر الدين عثمان بن الظاهر جقمق العلائي ، تولى سلطنة مصر في ٢١ من المحرم سنة ٨٥٧ . بعد أن خلع والده نفسه من السلطنة لمرضه ، وولى ابنه هذا ، وخلع المنصور عثمان في ربيع الأول سنة ٨٥٧ هـ . (النجوم الزاهرة ١٦/٢٣ — ٤٦) .

(٤) هو السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر إينال بن عبد الله العلائي الظاهري ثم الناصري . تولى السلطنة بعد خلع السلطان عثمان بن جقمق في ربيع الأول سنة ٨٥٧ هـ ، ومات فى جمادى الأولى سنة ٨٦٥ هـ بعد خلعه لنفسه وتولية ولده أبى الفتح أحمد بن إينال بيوم واحد . (النجوم الزاهرة ١٦/٤٧ — ١٥١) .

(٥) إتحاف الورى ورقة ٥١٦ .

فلما كان ضحى[1] يوم الخمَيس ثالث عشرى ربيع الآخر قُرِئ مثالٌ من الملك الأشرف للسيد بركات بأن الخليفة [2] خلَعَ الملكَ المنصور عثمان ، وأنه ولي السلطنة عوضه ، ولُقِّبَ بالأشرف ، وكُنِّيَ بأبي النصر فى يوم الاثنين ثامن شهر تاريخه ، وأنه قد وصلت خلعة لك ، وخلعة لولدك . وهو مؤرخ بحادى عشر ربيع الأول ، فلبس السيد بركات وولده الخلعتين .

وفى رمضان منها وصل السيد علي بن أبي سعد الحجر من صوب اليمن ، ونزل على السيد بركات بوادى الآبار ، وسأل من السيد بركات السكنى بمكة وأعمالها . فامتنع السيد بركات من ذلك ، وأمره بالرجوع من حيث جاء . فسأل السيد بركات أن يرسل معه أحداً إلى مكان يأمن فيه على نفسه . فبعث معه بعض غلمانه إلى أن أوصلوه إلى مكان أمرهم فيه بالرجوع ، وقال : قد أَمِنْتُ فيه على نفسي . فرجعوا ، فلما أن فارقوه رجع الشريف علي ابن أبي سعد ، ونزل على جماعة القواد ذوى عمر بالعُدّ ، ونزل على امرأة فارس بن محمد بن علي بن سنان ــ وكان ذلك بمواطأة من الشريف علي بن أبي سعد والقواد ذوى عمر ــ فأرسلت إلى جماعة

(١) كذا في الأصل ، وفى المرجع السابق « صبح » .

(٢) هو القائم بأمر الله حمزة بن المتوكل العباسي ولي الخلافة بمصر سنة ٨٥٥ هـ ، وفى سنة ٨٥٩ هـ وقع بينه وبين الأشرف إينال خلاف ؛ فخلعه الأشرف من الخلافة ، وسيره إلى الإسكندرية واعتقله بها ، ثم أطلق واستمر إلى أن مات فى أواخر سنة ٨٦٢ هـ ، أو أوائل ٨٦٣ هـ (النجوم الزاهرة ٥٦٣/١٥ ، ٩٠/١٦ ، ٩٣ ، وتاريخ الخلفاء ٥١٣) .

من بني عَمّ زوجها ــ وكان زوجها غائباً ــ فتوجَّهوا إلى السيد بركات بوادى الآبار ، وتكلَّمُوا معه فى ذلك ، فامتنع أشد الامتناع ، فلما أن رَدَّهم السيد بركات أخذتهم الحمية فراسلوا الأشراف ذوى أبي نُمَيّ على الحلف على السيد بركات ، وأن يكونوا يَداً واحِدَة . فقال الأشراف : ما نفعل شيئاً من ذلك إلا أن يركب جماعةٌ من أعيانكم إلينا . فركبَ جماعةٌ من أعيان القواد إلى الأشراف بخيف بني شديد ، واتفقوا هم وإيَّاهم ، وقالوا : (١ما يكون مخالفة١) ، إلا بحضرة السيد علي بن غَضَنْفَر العرمطي(٢) ، بضيعة سَرْوَعَة . فركبوا جميعاً إلى السيد علي بن غضنفر ، وأرسلوا إلى ذوى حميضة ، واجتمعوا عند السيد علي بن غضنفر ، وتحالفوا وتعاقدوا على أن يكونوا يداً واحدة على السيد بركات . فلما كان فى اليوم الثامن عشر من شهر رمضان ، سمع السيد بركات بذلك ، وكان بمكة فخرج من فوره هو ومن كان معه ، من جماعته . وساروا إلى وادى الآبار ، ثم سار من فوره إلى جدة ونزلها ، وأرسل إلى عبيده وعبيد والده ؛ فاجتمعوا عنده بجدة ، واجتمع عند السيد بركات جماعةٌ من القواد ذوى عمر ممن لم يدخل فى الحِلْف ، منهم فارس بن محمد بن علي ابن سنان ، وابن عمه علي بن أحمد بن علي بن سنان ، وعبد الله بن محمد ، وولداه ، وهم مباطنون لأصحابهم . وأرسل القواد ذوو عمر

---

(١) تكررت هذه العبارة فى الأصل ، فأهملنا الثانية ؛ موافقة لما جاء بإتحاف الورى ورقة ٥١٧ .

(٢) فى الأصل « العُرْفُطي » ، والمثبت عن المرجع السابق .

إلى السيد أحمد بن إبراهيم بن حسن بن عجلان ــ وكان بأُمّ الدِّمَن من ناحية الشام مُغَاضِباً / لعمه ــ بأنه يصل إليهم ، فوصل ١٨٣ظ إليهم ، ونزل جميع عيال الأشراف ذوى أبى نُمَيّ والعرامطة(١) والقواد ذوى حُمَيْضَة على القواد ذوى عمر بالعد ، ومن انضم إليهم من أتباعهم ، وصاروا جيشاً كثيفاً . فأرسل السيد بركات إلى القواد ذوى عمر ، ومن معهم بأن يفترقوا . فامتنعوا وصَمَّمُوا ، وقالوا : لا نفترق إلا أن تفرق علينا القانون(٢) الذى كان والدك وأنت فى أول ولايتك تفرقانه علينا ، وأن يكون عنايانا(٣) على جارى العادة ، وأن مَنْ نزل علينا ــ قاتل نفس أو مجرماً ــ لا يكون لك عليه سلطان . فامتنع السيد من ذلك جميعه وأرسل إلى الأعراب ، وجمع العساكر ، وعزم على المسير إليهم . وجهَّزَ قاصداً إلى القاهرة يطلب زيادة مماليك يقيمون بمكة على من بها من المماليك . ثم حصل بين السيد بركات وبين القواد ومن معهم اتفاق . ثم نَكَثَ القوادُ ؛ فحصل عند السيد بركات شدة من الغضب ؛ فخرج هو وعساكره ونزلوا بالمُرَّة بالقرب من العُد . ثم إن السيد على بن غضنفر ، والقائد فارس دخلا بينهم ، فوقع الاتفاق على أن السيد بركات يدفع

(١) فى الأصل « العرافطة » ، والمثبت عن إتحاف الورى ورقة ٥١٨ . والعرامطة : بطن من الأشراف ، لهم شامة وطفيل ، ومعظم الخبت جنوب شرقي جدة . (معجم معالم الحجاز) .

(٢) كذا في الأصل ، وفي إتحاف الورى ورقة ٥١٨ « العائدة » .

(٣) كذا في الأصل ، وهو جمعٌ لعانٍ وعانية ــ وهو الخاضع كالأسير ــ على غير ما جاء في كتب اللغة فجمع العاني فيها على عناة والعانية على عوان .

للقواد ومَن معهم أ ربعة آلاف أشرفي ، وأن يكون بينهم مجود سنة كاملة ، وأن يعطى الشريف أحمد بن إبراهيم ثلاثمائة أشرفي ، وأن يكون بينه وبينه مجود على ثلاثة أشهر . فتوجّه السيد بركات إلى جُدَّة لتحصيل المال ، فخرجت قافلة كبيرة من حاج البحر إلى مكة ، فخرج عليها بعضُ جماعة من القواد ذوى عمر فنهبوا بعضها . فلما علم السيد بركات بذلك عَزَمَ على المسير إليهم وقتالهم . فلما سمع بذلك قاضى مكة المشرفة جلال الدين أبو السعادات بن ظهيرة توجّه هو والشيخُ عبد الكبير إلى السيد بركات بجُدَّة ، وتكلَّموا مع الشريف أن يسعوا فى الصلح بينهم ، فامتنع السيد بركات من ذلك ، وسار بعسكره إلى المُرَّة ، وسار معه القاضى جلال الدين ، والشيخ عبد الكبير ، ونزلوا على الماء . فلما علم القواد بذلك ساروا هم ومن انضم إليهم من الأشراف وغيرهم نحو السيد بركات . فلما علم السيد بركات أمر بالمسير ، فلبست العساكر وتوجهت نحو القواد ومن انضم إليهم ، فتوجّه القاضى جلال الدين ، والشيخ عبد الكبير ، والشيخ إسماعيل بن الشيخ محمد بن الشيخ الولي الكبير إسماعيل الجبرتي ــ وكان قدم من اليمن حاجاً فى البر ــ فسعوا بين الفريقين على أن يكون المجود بين الشريف بركات وبين القواد والأشراف سنة ، وبين السيد أحمد بن إبراهيم ثلاثة أشهر . وضَمِنَ ذلك على القواد فارسُ بن محمد بن علي بن سنان ، وعلى الأشراف ذوى أبي نُمَيّ بساط بن مبارك بن محمد بن عاطف الحسني ، وكتبت بينهم مكاتبة وشهود ، وتوجّه القاضى والمشايخ إلى مكة ، وتوجّه السيد بركات إلى جُدَّة ، وحصَّل المالَ ، وأرسل به

إلى القواد والأشراف[١] .

فلما كان فى العشر الأخير من ذى القعدة توجّه السيد بركات إلى مكة لملاقاة الحاج . فتوجّه بعضُ جُهَّال القواد إلى جُدَّة وكسروا فى بعض الليالى بعضَ البيوت ، وأخذوا شيئاً منها ، وسرَق جماعةٌ من صِبْيَان القواد القوافلَ الواصلة من جُدَّة إلى مكة . فلما علم السيد بركات بذلك شقّ عليه ، وأرسل إلى ابن أخيه / الشريف أحمد بن ١٨٤و
إبراهيم وأرضاه ، وأرسل إلى جماعة من الأشراف وأحسن إليهم بمال ؛ فتفرق جمعهم[١] .

فلما كان بعد سفر الحاج من مكة نزل جميع الأشراف بعيالهم على السيد بركات بوادى الآبار . ولم يتخلّف عند القواد إلا الشريف أحمد بن جلبان وبعض جماعته ، والشريف علي بن أحمد الحجر . ثم إن القواد عَذَرُوا الشريفَ أحمد بن جلبان ، وقالوا له : توجّه إلى أصحابك وأنت بريء من عتبنا . فتوجَّه إلى أصحابه . ثم إن السيد بركات أرسل إلى جماعة القواد ذوى عمر بأن يخرجوا عن بلده إلى صوب اليمن . فقالوا : نخرج صوب الشام ، فقال : إن عزمتم على الشام فأنتم مني في النقا[٢] . فخرجوا إلى صوب اليمن .

(١) إتحاف الورى ورقة ٥١٩ ، ٥٢٠ .

(٢) النقا : كذا في الأصل ، وسيرد منه مضارع ، واسم فاعل ، واسم مفعول ، وكلها تعني في اصطلاحهم : العداوة والخصومة .

فلما كان بعد أيام قلائل أرسل السيد بركات إلى مَن كان عنده من القواد ذوى عمر ، منهم فارس بن محمد ، وابن عمه علي ابن أحمد ، بأن يلحقوا بجماعتهم ، وأجَّل لهم أجلاً . فسأل علي بن أحمد بن سنان أن يتوجه إلى مكة . ويقيم بها يومين . فقال له الشريف بركات : أخاف عليك الترك . فجاء إلى مكة جماعة من صبيان القواد وتقاضوا حوائجهم ، وخرجوا من مكة ، وتوجهوا إلى العد ، ثم إن القواد ذوى عمر توجَّهوا إلى جماعتهم باليمن . وكان فى أثناء هذه القضية — فى أيام الموسم — قدم جماعة من ذوى عجلان بأهاليهم إلى السيد بركات ، وظنوا أنه يسكنهم مكة ،وأن يكونوا نصرة له ، فامتنع من ذلك ، ورضي عنهم فى الظاهر ، وأحسن إلى بعضهم ، وقال لهم : عودوا إلى مكانكم فإذا احتجتُ إليكم أرسلت لكم ، فرجعوا[١] .

وفى سنة ثمان وخمسين — فى يوم الثلاثاء ثامن جمادى الأولى — توجّه السيد بركات إلى الشرق ، ثم قدم إلى مكة [فى شهر رجب][٢] .

وفى سنة تسع وخمسين — فى اليوم الأول أو الثانى من شعبان — مَسَكَ القائدُ قُنَيْد الحسني سبعةَ عشر رجلاً من أعيان

---

(١) إتحاف الورى ورقة ٥٢٠ .

(٢) إضافة عن إتحاف الورى ورقة ٥٢٣ .

عرب الضَّهْوَان(١) ، ولم يتعرض لباقيهم ـــ وكان بمكة جماعة منهم يبلغون الخمسين ـــ وذلك بأمر السيد بركات ، وحبسهم فى دار الزباع بمكة بعد أن زنجرهم وكبلهم بالحديد ؛ وذلك لأنهم كانوا يفسدون فى الطرقات .

ولما كبرت سِنّ السيد بركات ووهن عظمه كلَّم مشدّ جدة الأمير جَانِبَك أن يرسل إلى السلطان ويسأله فى ولاية إمرة مكة لولده محمد ؛ فإنه ضعيف قليل الحركة . فأرسل جَانِبَك يسأل فى ذلك ، وأقام بجُدَّة إلى أن فرغ موسم الهندي (٢)، فأبطأ عليه القاصد ، فتوجّه الأمير جَانِبَك إلى وادي مَرّ للسلام على السيد بركات ـــ وكان نازلاً بأرض خالد منه ، ضعيفاً جداً ـــ فوصل إليه فى ضحى يوم الأحد ثامن عشر شعبان ، وأقام عنده إلى ظهر يوم الاثنين تاسع عشر شهر شعبان ، وتوجّه إلى القاهرة . فتوفي عقيب سفر جَانِبَك فى عصر يوم الاثنين المذكور ، وجاء العلم بذلك إلى مكة بعد صلاة العصر ، وحمل على أعناق الرجال فى سرير ودخل به مكة من أسفلها من باب الشبيكة من ثنية كُدى ـــ بضم الكاف والقصر ـــ وغسل بمنزله بأجياد ، وكُفِّنَ وطيف به حول الكعبة الشريفة أسبوعاً قبل الضحى ، وصلى عليه بعدها عند باب

---

(١) الضهوان : بطن من السراونة من هذيل ، ديارهم جنوب الحجاز من ناحية اليمن ، فى نواشع وادى نعمان . (قلب جزيرة العرب لفؤاد حمزة ٢١٠ ، ومعجم قبائل العرب ، ومعجم قبائل الحجاز) .

(٢) موسم الهندى : يقصد به الموسم الذى ترد فيه تجارة الهند وتحصل رسومها من المكس .

الكعبة ، ودفن بالمعلاة فى يوم الثلاثاء عشرى شعبان بالقرب من ١٨٤ظ قُبَّتَي جَدَّيْه عجلان وقتادة ، فى فسقية عملت له / ، وبنى على قبره قبة ، وبني إلى قربها سبيل ، وجعل فى القبة قراء يقرءون يوم الجمعة ، وأوقف على ذلك وقفاً ولَدُهُ السيد محمد الذى خلفه فى إمرة مكة . وكثر الأسف عليه لوفور محاسنه ــ رحمه الله وإيانا ــ ولم يتخلف عن مشهده أحد ، وكان ولده السيد محمد ببلاد اليمن أرسله والده صحبة ماله ، فأرسل الوزير بُدَيْد فى عصر يوم الاثنين المذكور قاصدين أحدهما إلى السيد محمد ، والثانى للأمير جَانِبَك يخبرهما بوفاة السيد بركات ، وأرسل أيضاً عِدَّةً من الخيل إلى جُدَّة ؛ لحفظ البلاد ، وأن يسيروا مع القافلة من جُدَّة إلى مكة[1] .

ولما كان عصر يوم الثلاثاء المذكور وصل قاصدٌ من الأمير جَانِبَك مشدّ جُدَّة ومعه مرسوم ، وخلعة للسيد محمد بن بركات ، وصلا مع القاصد الذى أرسله الأمير ؛ فإن الأمير لاقاه فى عُسْفَان ، ودُعِيَ للسيد محمد بن بركات على زَمْزَم بعد صلاة المغرب فى ليلة الأربعاء . ثم إن القائد شهاب الدين بديدا الحسني توجّه هو وجماعة من أصحابه إلى حَدًّا من وادى مَرّ ، وأقام بها وأرسل إلى الأعراب ، واستمر بها إلى آخر يوم الأربعاء خامس رمضان ، وتوجّه إلى مكة فوصلها فى آخر ليلة الخميس ، وأخبر أن السيد محمد بن بركات واصل إلى مكة .

(١) إتحاف الورى ورقة ٥٢٥ ، ٥٢٦ .

فلما كان فى أثناء ليلة الجمعة سابع رمضان قدم السيد محمد ابن بركات ، فلما كان الصبح توجّه إليه أمير الترك الراكز بمكة ، وبعض الأجناد إلى منزل والده ، فخرج معهم إلى المسجد الحرام ، واجتمع القضاة والتجار والأعيان ، وقرئ مرسوم إلى السيد بركات يتضمن : أنه وردت إلينا كتب الأمير جَانِبَك مشد جدة بالثناء على المخدوم ، وأنه بلغنا توهُّن المخدوم وضعفه وقلة حركته ، وقد أقمنا ولده جمال الدين محمداً فى إمرة مكة وأعمالها ، مؤرخ بسادس عشرى رجب(١) .

وكان السيد بركات ـــ رحمه الله ـــ شهماً ، عارفاً بالأمور ، فيه خير كثير ، واحتمال زائد ، وحياء ومروءة طائلة ، مع حسن الشكالة والسياسة ، والشجاعة المفرطة ، والسكينة والوقار ، والثروة الزائدة . وله بمكة مآثر وقُرب منها : أنه استأجر بمكة رباط بنت التاج(٢) [بأجياد](٣) من مكة فى سنة سبع وخمسين ، فعمره

---

(١) إتحاف الورى ورقة ٥٢٦ ، وقد أضاف « فلما كان يوم رابع شوال وصل قاصد من مصر ، ومعه كتاب من السلطان إلى السيد محمد بن بركات بالعزاء فى وفاة والده ، وتوقيعان . فلما كان فى صبح يوم الجمعة سادس شوال قرئ المرسومان ، أحدهما : بولاية السيد محمد بن بركات لإمرة مكة ، مؤرخ بسابع عشرى رمضان ، والثانى إلى القضاة والأمراء والتجار والأعيان بولاية السيد محمد بن بركات لإمرة مكة .

(٢) رباط بنت التاج : عده الفاسي فى شفاء الغرام ٣٣٥/١ من الأربطة التى فى أجياد ، وقال : لا أعرف واقفه فى الابتداء ، وله أزيد من مائتي سنة ، وعلى بابه حجر مكتوب فيه : أنه وقف على النساء الصوفيات الأخيار والمجاورات .

(٣) إضافة عن الدر الكمين .

عمارة متقنة فى سنة تسع وخمسين ، وأوقف منافعه على الفقراء . واشترى المَدَرَةَ[1] المعروفة بالنعيرية خارج أسفل مكة وسبَّلها . وجدَّد بئرين بوادى الآبار سنة اثنتين وأربعين ، وعمر البئر التى بالأطوى ، المعروفة قديماً بمياه مَجَنَّة . وزار المدينة الشريفة فى سنة أربع وخمسين فى قافلة عظيمة كما تقدم ، وله نظم ، فمنه من قصيدة طويلة ، هذا مختارها ، وعَزَاها له جماعةٌ من المحدثين :

يَا مَنْ بِذِكْرِهِـــمْ قَدْ زَادَ وَسْوَاسِى
وَقَدْ شُغِلْتُ بِهِمْ عَنْ سَائِرِ النَّاسِ
وَقَدْ تَقَرَّرَ فِى قَلْبِــى مَحَبَّتُهُـــمْ
وَجِئْتُهُمْ طَائِعاً أَسْعَى عَلَى رَاسِى /
١٨٥و سَأَلْتُكُمْ رَشْفَةً لِى مِنْ مَشَارِبِكُـمْ
تُغْنِى عَنِ الرَّاحِ إذْ مَا لَاحَ فِى الكَاسِ
لَا يَمْلِكُ السُّورَ مِنّى غيرُ مُنْخَمِلٍ
يُبْدِى الوِدَادَ لِوَسْوَاسٍ وَخَنَّـــاسِ

ومنها :

إنْ لَاحَ يَوْماً لَهُ عَنْ صَاحِبٍ طَمَعٌ
أَضْحَى يَبِيعُ له بَخْساً بأَوْكَاسِ
وَلَا تَرَانِى بِغَيْرِ الفَضْلِ مُنْتَجِحاً
وَلَا أُقَدِّمُ أَذْنَاباً عَلَــى الـــرَّاسِ

(١) المدرة : هي القرية المبنية من الطين واللبن . (المعجم الوسيط) .

فَتَّاقُ دِرْيَاق[١] مَا يَعْنِى الكَهَامُ بِهِ
أَرْعَى وَأَحْفَظَ مَا لَا يَحْفَظ النَّاسِى
إنْ قَلَّ دَرُّ البِكَارِ المُرْزِمَاتِ تَرَى
سُوحِى كَمَشْهَدِ أَعْيَادٍ وَأَعْرَاسِ

ومنها يعاتب أخاه أبا القاسم :

قد جِئْت مَا جَا كُلَيْباً فِي عَشِيرَتِهِ
لَوْ أَنَّ فِينَا غُلَاماً مِثْلَ جَسَّاسِ
ثُمّ الصَّلَاةُ عَلَى المُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ
مَا لَاحَ فِى كُلِّ لَيْلٍ ضَوْءُ مِقْبَاسِ

وله أيضاً ـــ ونقلته من خط الوالد ـــ رحمهما الله تعالى :

مَنْ لِصَبٍّ يَشْتَكِى فَرْطَ الجَوَى
ذَاكَ مِنْ أَسْبَابِ لَوْعَاتِ الهَوَى
لَيْسَ لِي مِنْهُمْ شِفَاءٌ أَوْ دَوَا
غَيْرِ صَبْرٍ وَٱسْتِعَانٍ بِاللّٰهِ

***

يَا مَلِيحَ الوَجْهِ كَمْ هَذَا الصُّدُودْ
مَا لِهَذَا الهَجْرِ عِنْدَكَ مِنْ حُدُودْ

(١) فى متن الأصل « رقاق » ، ومصوبة فوقها بكلمة « درياق » ، والدرياق : لغة فى الترياق بالتاء . (تاج العروس) . ولعلها « رتاق » وهى المناسبة لفتاق .

أَشْتَهِى يَا مَالِكاً رِقِّى تَجُودْ
وَٱغْتَنِمْ أَجْرِى كَرَامَة لِلَّهْ

***

زادت البلوى فهو منها سَقِيمْ
قد حُرِم فى الدهر لَذَّات النعيم
لَيْسَ يَعْلَمْ مَا بِهِ إِلَّا العَلِيمْ
عَالِمُ الأَسْرَارِ خَافِيه اللّٰهْ

***

كاتِمْ الوَجْهِ وَكَارِهْ أَنْ يُبِيحْ
حُقَّ لِى مِنْ فَقْدِ خِلِّى أَنْ أُبِيحْ
يُعْطِى ٱلْخِلَّانِ مِنْ غَيْرِ الصَّحِيحْ
فِى هَوَاهُ مُرْتَقِبْ أَمْرَ اللّٰهْ

***

إِنَّ مِثْلِى إِنْ تَجَنَّنْ لَا يُلَامْ
مِنْ عَوَزْ يَا سَادَتِى حَتَّى الكَلَامْ
كَيْفَ لا يَصْحُونَ(١) حَتَّى بِالسَّلَامْ
يَا لَهَا مِنْ قَتْلَةٍ يَاللَّهْ

***

بِالزُّمَرْ أَسْأَلْكَ ثُمَّ المُرْسَلَاتْ
وَبِنُونٍ وَالقَلَمْ والذَّارِيَاتْ

(١) فى الأصل « يصحو » .

مَا تَرَى خيلكْ عَلَيْنَــا غَايِــرَاتْ
نَاهِبَــاتِ القَــلْبِ مَعْ أَمْــرِ اللهْ

وله أيضاً فيما رأيته على ظهر كتاب ، وهو معزُوٌّ له :

وَقَائِلَــةٍ لِمْ نِمْتَ لَيْلَــةَ وَصْلِنَــا
فَقُـلْتُ لَهَــا لَا عِلْــمَ لِى بِسَوَاكِ
وَمَا نِمْتُ عَنْ كُرْهٍ وَلَا عَنْ مَلَالَـةٍ
وَلَكِـنْ لَعَلِّـى فِى المَنَــامِ أَرَاكِ /
فَبِعِــزِّ عِزِّكِ يَا سُعَــادُ بِذِلَّتِــى ١٨٥ظ
بِنُحُـولِ جِسْمِى الَّذِى عَافَــاكِ
لَا تَجْعَلِينِـى عُرْضَةً لِذَوِى الهَـوَى
وَتَرَفَّقِـــى يَا هَذِهِ بِفَتَــــاكِ
وَتَرَقَّبِـى فُرَصَ الزَّمَــانِ وَحَــاذِرِى
أَنَـا يَا سُعَـادُ وَمَـا مَلَــكْتُ فِدَاكِ

وقد مدحه الشعراء فأكثروا ، منهم القـاضى البـارع الرئيس ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الله القليوبى الأصل المكى ، الشهير بابن خَبَطَة[1] ، كتب إليه يستصرخ به فى أمر نزل به :

(١) ترجم له السخاوي فى الضوء اللامع ١٣٣/٢ برقم ٣٨٣ ، وقال : تولَّع بفـن الأدب وتدرب فيه يسيراً ، ورثى بعض أمراء مكـة ، فأنشأ الخطب ، وتـرسل عن سلاطين مكة وغيرهم ، وتأثل من صناعة التوقيـع وغيرهـا ، مات على إنابة وخير ، فى ذي القعـدة سنة ٨٧١ هـ .

أَدَامَ اللهُ عِزَّكَ وَالمَعَالِـــــى ... وَبَلَّغَكَ المَـرَامَ مَدَى اللَّيَالِـى
أَيُـهْضَمُ جَانِبِـى يَوْماً وَإِنِّـى ... بِجَانِبِكَ الكَرِيمِ نِظَامُ حَالِـى
فَيَــا مَنْ قَدْرُهُ قَدْرٌ رَفِيــعٌ ... عَظِيـمٌ شَامِـخٌ عَالٍ وَغَالِـــى
أَتِحْ نَظَراً إِلـيَّ وَجُـدْ بِنَصْرِى ... عَلَى الأَعْدَاءِ يَا مَوْلَى المَوَالِى
وَدُمْ وَٱسْلَمْ بِمَكَّـةَ فِى سُرُورٍ ... مَدَى الأَزْمَانِ مَحْمُودَ الخِصَالِ

ومنهم شيخنا الإمام الأديب قطب الدين أبو الخير محمد بن عبد القوي المكي المالكي ــ رحمه الله تعالى ــ فقال من قصيدة أوّلها :

عاصِ العَـزُولَ إِذَا نَهَـــاكَ وَقَالَــهِ
وَٱصْبِـر عَلَـى قِيلِ الغَـرَامِ وَقَالِــهِ
وَإِذَا الهَـوَى أَصْلَـى حَشَاكَ بِوَقْدِهِ
فَٱزْحَفْ بِجَيْشِ الِاصْطِبَـارِ وَصَالِـهِ
لَا تَجْزَعَـنَّ إِذَا بُلِــيتَ بِجَفْــوَةٍ
مِمَّـــن تُحِبُّ وَرَجِّ يَوْمَ وِصَالِـــهِ

ومنها :

وَٱسْأَلْ بُرُوقاً بِالحِمَـى هَلْ خَيَّمُـوا
بِالمُنْحَنَـــى وَبِشِيحِـهِ وَظِلَالِــهِ

ومنها :

قَسَمـاً بِشِعْبَيْـهِ وَبِالصُّحْــرَاتِ مِنْ
هَضَبَاتِـــهِ وَبِأَيْكِـــهِ وبِضَالِهِ[١]

(١) الضال : السدر البرى ، أو ما يسقيه المطر (المعجم الوسيط) .

وَبِسَادَةٍ شَرُفَتْ بِهِـــمْ أَرْجَــاؤُهُ
فَنَشَا غِرَاسُ العِـزِّ بَيْــنَ جِلَالِـــهِ
وَالبَيْتِ وَالحَـرَمِ الشَّرِيـفِ وَمَوْقِـفٍ
لِلْحَـجِّ بَيْــنَ حَرَامِـــهِ وَحَلَالِـــهِ
إنْ رُمْتُ عَنْكَ أَبَـا زُهَيْرٍ سَلْـــوَةً
كُنْتُ الذِى بَاعَ الهُـدَى بِضَلَالِهِ
أَمْ كَيْـفَ أَسْلُـو عَنْ وِدَادِ خَلِيفَـةٍ
مَا عِشْتُ إِلَّا [فى][1] وَرِيق ظِلالِهِ
مَلِكٌ إِذَا قُلْنَــــــا : جَوَادٌ بَاسِلٌ
فَكَأَنَّمَـا جِئْنَـا بِبَــعْضِ خِصَالِـــهِ

ومنها :

بَرَكَاتُ يَابْـنَ المُصْطَفَـى وَوَصِيِّـــهِ
هَذِى يَمِينِـــى بِالنَبِــىِّ وَآلِـــهِ[2]
مَا حُلْتُ عَنْ حُبِّـى مُحَيَّاكَ الـذِى
أَضْحَـى الوُجُـودُ مُبَرْقَعـاً بِجَمَالِـــهِ

ومنها :

لَا تُرْعِ سَمْـعكَ لِلمُـؤَنِّبِ وَاطَّـرِحْ
مَا عَدَّ عَنَّـا فِى جَمِيـعِ مَقَالِـــهِ /

(١) إضافة على الأصل يقتضيها الوزن .

(٢) من حلف بغير الله فقد أشرك وهذا الشعر وأمثاله دليل على ماخالط العقيدة في ذلك العصر من شوائب . « المراجع »

١٨٦و لَوْلَا نُهَاكَ وَفَيْضُ حِلْمِكَ مَا نَجَا
إِلَّا قَلِيـلٌ مِنْ وَبِيـلِ وَبَالِـهِ
يَابْنَ الذِى نَادَى الأَذَانُ بِفَضْلِـهِ
فِى الخَافِقَيْـنِ بأَوْسِهِ وَبِلَالِـهِ
فِي رَاحَتَيْكَ مِنَ الغَمَـامِ زِمَامُهَـا
يَابَـا زُهَيْـرٍ فَبُلَّنَـا بِبِلَالِـهِ
مَلْقَاكَ عِيدٌ قَبْلَ عِيدِ صيامِنَـا
وَجَبِينُ وَجْهِكَ هَلَّ قَبْلَ هِلَالِهِ
وَعَلَى الهَنَا بِالعِيدِ يَا عِيدَ الوَرَى
فِى نَعْمَـةٍ تَحْيَـا إِلى أَمْثَالِـهِ
وَٱسْلَمْ وَسُدْ مَا أَشْرَقَتْ بوح[١] ومَا
وَافَى قمير[٢] فِى بُرُوجِ كَمَالِـهِ

وقال يمدحه أيضاً ، وأنشده للوالد فى ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وثمانمائة :

أَيَا جِيرَتَيْنَا بِالحَدِيثِ الذى جَرَى
بِخَيْفِ مِنَى وَالمَشْعَرَيْن أَعِيدَاهُ
وَبِالبَيْتِ وَالبَطْحَاءِ وَالرُّكْنِ وَالصَّفَا
مُعَنَّاكُمَـا مِمَّـا أَلَـمَّ أَعِيـذَاهُ

(١) بوح ــ بالضم ــ اسم للشمس ، معرفة مؤنث (تاج العروس) .
(٢) فى الأصل « نمير » ، والصواب ما أثبتناه .

وَبِـالأَثْلَاثِ الـخُضْرِ حَيْثُ مَبِيتُنَـا
نُذِيقُ الهَوَى مِنَّا الـذِى مِنْـهُ ذُقْنَـاهُ
إِلَـى أنْ بَدَا وَجْـهُ الصَّبَاحِ كَأَنَّـهُ
سَنَـا وَجْـهِ مَوْلَانَـا وَنُـورِ مُحَيَّـــاهُ
خَلِيفَـــة رَبِّ العَالَمِيـــنَ بِمَكَّـــةٍ
بِذَاكَ عَلَى رَغْـمِ العَـدُوِّ قَضَى اللهُ
إِمَـام القَتِيــلِ الطَّالِبِــيِّ وَقَبْلَـــهُ
وَعِتْرَتِـهِ خَيْــر الأنـــامِ وَمَعْنَـــاهُ
حروفُ اسْمِـهِ يُمْـنٌ لِأَهْلِ زَمَانِـــهِ
فَذَا بَرَكَـاتٌ والمُهَيْمِــنُ سَمَّـــاهُ
عَلَـى ظَمَـإٍ مِنَّـا أَتَيْنَـاهُ، نَرْتَــوِى
فَرَاحَتُهُ تَسْقِـى الوِهَـــادَ وَتَــغْشَاهُ
بِجُـودٍ يَقُـولُ النِّيـلُ : إِنِّي دُونَـــهُ
وَلَكِنَّـنِى أُجْـرِيتُ عَذْباً بِيُمْنَـــاهُ
وَيَرْوِى أَحَادِيـثَ النَّدَى عَنْ سَمَاحَةٍ
عَنِ الغَيْثِ عَنْ كَفَّيْهِ عَنْ فَيْضِ جَدْوَاهُ
وَنُثْنِى عَلَيْـهِ بالـــذِى هُوَ أَهْلُـــهُ
فَحَـقَّ لَهُ حُسْنُ المَدِيـحِ وَأَسْنَـــاهُ
وحُسْنُ الثَّنَـا مَا أَوْجَـزَ القَـوْلَ رَبُّـهُ
وَضُمِّـنَ قَامُـوسُ المَحَـاسِنِ مَعْنَـاهُ
فَيَابَـا زُهَيْـرٍ دُمْتَ حِصْنـاً وَمَلْجَـأً
يَبُثُّكَ بَعْـدَ اللهِ ذُو الحُـزْنِ شَكْـوَاهُ

بَكَيْتُ وَمَا لِلمَـرْءِ بُدٌّ مِنَ البُكَـا
إذَا كُفَّتَـا فِى آخِـرِ العُمْـرِ عَيْنَـاهُ
وَمَـا بِيَ مِنْ حُزْنٍ وَلَسْتُ بِآسِفٍ
وَمَـا بِالفَتَـى إلَّا شَمَاتَــةُ أَعْــدَاهُ
فَيَابْـنَ عَلِــيٍّ وَالبَتُــولِ الْتِفَاتَــةً
يَفِـرّ بِها رَيْبُ الزَّمَــانِ فَنَكْفَــاهُ
تَفَضَّلْ بِنُــورَيْ عَزْمَــةٍ حَسَنِيَّــةٍ
أَرَى بِهِمَـا نَشْرَ القَبُـولِ وَأَهْنَــاهُ
وَصَلَّى إلَهُ العَـرْشِ مَا ذُكِـرَ اسْمُـهُ
عَلَى جَدِّكَ الهَادِي النَّبِيِّ وَأَرضَاهُ /

١٨٦ظ وقـال يمدحـه أيضاً ، وأنشده للوالـد فى شعبـان سنـة أربـع وأربعين :

مِنْ بُكَـا المُـزْنِ مُرْسَلاً كالجُمَـانِ
ضَحِكَ الزَّهْـرُ فِى رِيَـاضِ الجِنَـانِ
مَا تَرَى الـرَّوْضَ بَاسِمـاً عَنْ إقَـاحٍ
كَلآلٍ زُيِّــــــــنَ فِى نَيْسَانِ
وَبَهَــارٍ حَكَــى اصْفِــرَارَ نُضَارٍ
وَشَقِيــقٍ يَحْمَــرُّ كَالبَرْهَانِ(١)

***

(١) البهار : جنس زهر من المركبات الأنبوبيـة الزهـر ، طيب الريح ، ينبت أيام الربيع ، ويقال له : العرار (المعجم الوسيط) .

=

وَرَبِيــعٍ وَشَّى الثَّــرَى سُنْدُسِيًّــا
نَسَجَتْــهُ سَحَــائِبُ الهَتَّــانِ
وَتَغَــنَّتْ فَوَاخِتُ الــدَّوْحِ فِيــهِ
فَسَرَتْ بالحَيَــــاةِ فِي الأَغْصَانِ
تُسْقِطُ الطيرَ نَغْمَــةُ الصَّوْتِ حَسًّا
طَرَبــاً مِنْــهُ كَيْــفَ بِالإِنْسَانِ

***

ومنها :

قَالَ لِي صَاحِبِي وَأَعْـجَبَ مِنْــهُ
مَا دَرَى أَنَّنِــي مِنَ العُمْيَــانِ
لَكَ عَزْمٌ عَلَــى التَّفَــرُّجِ مَعْنــا
فِي عِلِيَّ أَوْ سَمَار مِنْ رَهَجَانِ(١)

= الشقيق : واحد الشقائق . وهي شقائق النعمان وتسمى الشُّقَّارى ، وهي نبات أحمر الزهر ، مبقع بنقط سوداء ، وله أنواع وضروب ، بعضها يزرع ، وبعضها ينبت بريا فى أواخر الشتاء ، وفى الربيع ، وهو عشب حولي من الفصيلة الشقيقية (المعجم الوسيط ش ق ر) .

البرهمان : كذا فى الأصل ، وصوابها « البَهْرَمَان » حصل إبدال بين حرفي الراء والهاء . وهو الحناء والعصفر ـــ أو نوع منه ـــ وانظر تاج العروس « بهرم » ويطلق على نوع من الياقوت الأحمر ، ويسمى بالرماني لمشابهته حب الرمان الرائق ، وهو أعلى أصناف الياقوت وأفضلها (النجوم الزاهرة ٩/٢١) .

(١) عِلِيّ : كذا فى الأصل ، وهي عَلْي بفتح أوله وسكون ثانيه . وينطقونها عِلِي بكسر العين واللام ، وهي من وادى رهجان (معالم مكة التاريخية ١١) .

سَمَار : جبال تُرى من عرفة جنوباً ، دونها وادى نعمان ، وشرقها طريق الأجانب =

قُلْتُ : لِلْبَرْدِ عِنْـدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْـ
ـلِ سُقُـــوطٌ يَضُرُّ بالأَبْـــــدَانِ
فَمُدَفَّـى بِثَــوْبِ صُوفٍ مُفَـــرَّى
وَيُغِيـــرُ الشِّتَّـــا عَلَـــى العُرْيَـــانِ

***

قِسْمَـــةٌ فِى الأَنَـــامِ قُدْرَةُ رَبٍّ
حَاكِـــمٍ بالمَزِيـــدِ وَالنُّـــقْصَانِ
جَلَّ مَنْ أَفْقَـرَ الفَقِيـــرَ وَأَعْطَـــى
مَنْ يَشَا مَا يَشَا مِنَ الإِمْكَـــــانِ
وَحَذَاهُ عَلَـى التَّصَدُّقِ(١) فَضْلاً
لِيَـرَى مَا يَكُـــونُ فِى الامْتَحَـــانِ

***

= يطيف بها من الشرق والجنوب ، كانت تحتها عين تسمى عين سمار ، فاندثرت ، وصارت أرضها تسقى حالياً بآلات الضخ ، وهي للأشراف ذوى زيد ، وتعد من وادى نعمان (معجم معالم الحجاز ٢٣٣/٤) .

رهجان : واد فحل من روافد نعمان ، يسيل من جبال سمار ، وجبال الخشاع ، يفترق رأسه إلى شعبتين كبيرتين : رهجان الأبيض من الشرق ، ورهجان الأسود من الغرب من جبل قُرظَة ، ويسكن رهجان وفروعه الجوابرة ، ودعد ، وبنو ندا ، وكلهم من هذيل ، وفيه بئر سقي ، وقرى ومدرسة ، ويصب رهجان فى نعمان على ٢٩ كيلاً من مكة يمين طريق الطائف ، وهو الطريق الذى يأخذ على جبل كرى (معجم معالم الحجاز ١٠٩/٤ ، ١١٠) .

(١) فى الأصل « التصديق » ولعل الصواب ما أثبته .

فَجَـــوَادٌ مُمَـــدَّحٌ مُستَجَـــادٌ
يَبْـذُلُ المَكْرُمَـاتِ سَمْـحُ المَبَانِـى
كَابْـنِ طَهَ أبى زُهَيْـرِ المُصَفَّـــى
زَيْـــن آلِ النَّبِـــى العَدْنَـــانِ
سِبْـطُ أَهْـلِ الـكِسَا مَلَاذِ البَرَايَـــا
شَرَف العَالَمِيـــنَ وَالأَكْـــوَانِ

***

نَطَـقَ الوَحْـــيُ بالثَّنَـــاءِ عَلَيْهِـــمْ
هَاؤُمُ اَقْـــرَءُوهُ فِى القُـــرْآنِ
بَرَكَاتِ المُصْطَفَى اِبْـنِ المُسَمَّـى
حَسَن المَحْضِ مِنْ ذَوِى عَجْـلَانِ

ومنها :

يَطْـرُقُ الخَـطْبُ إنْ أَشَارَ وَيَنْبُـــو
شُؤْمُـــهُ عَنْ هِشَامِ المَرْوَانِـــي

***

كَقُمَيْـرٍ تُقِلُّـهُ الخَيْـــلُ وَالنُّــجُب
فِى بُرُوجِ السُّرُوجِ وَالكِيـــــرَانِ
يَابْـنَ بِنْـتِ النَّبِـــيِّ وَآبْـــنَ عَلِـــيٍّ
شَرَفٌ دُونَ جَدِّهِ النَّيِّـــــرَانِ
هَاكَ مَا قَطْرَتِـــى عَلَـــيْكَ ثَنَـــاءٌ
أَنْتَ فَخْـــرٌ لَهُ مَدَى الأَزْمَـــانِ

***

عِقْد [مدح](١) طَوَّقْته جِيدَ مَلْكٍ
فِيـهِ فَضْلُ الحَطِيـمِ وَالأَرْكَـانِ
أَنْتَ فَوْقَ الثَّنَـا وَحَسْبُكَ مَدْحٌ
جَاءَ فِي «هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ»
١٨٧و بَيْدَ أَنِّـي اقْتَدَيْتُ كَعْباً وَكَعْباً(٢)
فِيكَ وَآسْتَـزَدْتُ مِنْ حَسَّانِ
مُوجَزُ المَدْحِ يَا شَرِيفُ شَهِـيٌّ
وَالتَّطَاوِيـلُ آفَـةُ الهَذَيَـانِ
فَاكْشِفِ الرَّمْزَ فِي الهُجُوسِ فَفِيهَا
فِطْنَـةٌ تَهْتَـدِى لِفَهْـمِ المَعَانِـى
كُلُّ يَوْمٍ عَلَـيْكَ عِيـدٌ مُعَـادٌ
فِى سُعُـودٍ سَنِيَّـةٍ وَتَمَانِـى
وَآبْـقَ فِى دَوْلَـةٍ وَعُمْـرٍ طَوِيـلِ
وَسُرُورٍ وَنِعْمَـةٍ وَأَمَانِـى
مَا تَنَـاغَتْ حَمَائِـمُ الأَيْكِ تَشْدُو
فَشَذَاهَـا تَرَنُّـمُ الأَلْحَـانِ

وقال يرثيه شيخنا الأديب شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي السلمي المنصوري القاهري الشهير بالهائم (٣)، أحد الشهب

(١) إضافة يستقيم بها الوزن .

(٢) هما كعب بن مالك الأنصاري السلمي ، أحد شعراء النبي ﷺ ، مات فى خلافة علي رضي الله عنه (شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٣٧٢/٣) وكعب بن زهير ابن أبي سلمى مادح رسول الله ﷺ بقصيدته « بانت سعاد » .

=

السبعة ، وأنشدنيه بقراءتى فى رحلتى الثانية في يوم الثلاثاء رابع عشر شوال سنة أربع وثمانين وثمانمائة بسكنه بِرَبْع شيخون من الصليبة خارج القاهرة المعزية :

قَالُوا قَضَى بَرَكَاتُ قُلْتُ فَحُقَّ لِى
أَنْ أُتْبِعَ العَبَرَاتِ بالزَّفَرَاتِ
يَا تَرْحَةَ الأَحْيَاءِ عِنْدَ فِرَاقِهِ
وَبِقُرْبِهِ يَا فَرْحَةَ الأَمْوَاتِ
وَالكَعْبَةُ الغَرَّاءُ قَالَتْ قَدْ غَدَا
لِبْسُ الحِدَادِ عَلَيْهِ مِنْ عَادَاتِى
فَانْظُر إِلَى آثَارِهِ فِى مَكَّةٍ
فَرِحَابُهَا لَمْ تَخْلُ مِنْ بَرَكَاتِ

* * *

١٩٨ ــ أحمد بن حسن بن عَجْلان بن رُمَيْثَة بن أبى نُمَيّ محمد بن أبى سعد حسن بن على بن قَتَادَة بن إدريس بن مُطَاعِن الحسني المكي .

إمير مكة المشرفة . شهاب الدين .

ولد بمكة ونشأ بها فى كنف أبيه . وأجاز له فى سنة خمس

= (٣) ترجم له السخاوي فى الضوء اللامع ٢/١٥٠ برقم ٤٢٧ ، وقال : يعرف بالهائم وبالمنصوري أكثر ، توفي سنة ٨٨٧ هـ .

وثمانمائة من أجاز للسيد بركات[١] .

قال الوالد[٢] : وفى المحرم سنة إحدى عشرة وثمانمائة ندب والدُه القائدَ سعد الدين جبروه إلى مصر بهدية طائلة ؛ ليسعى له فى أن يكون ولده السيد أحمد شريكا لأخيه بركات فى إمرة مكة ؛ فأجيب إلى ذلك ، وولى السيد حسن نيابة السلطنة بالأقطار الحجازية ، وذلك فى العشر الأوسط من ربيع الأول سنة إحدى عشرة ووصل إليه رسوله بغتةً فى النصف الثانى من ربيع الثانى من السنة المذكورة ، ووصل معه خلعة للمذكور ، وخلعتان لولديه ، وكتاب من السلطان يشهد بولايتهم لما ذكر . ثم فى أثناء سنة اثنتى عشرة تغيَّر صاحب مصر على السيد حسن ؛ فرسم بالقبض عليه وعلى ابنيه والاحتفاظ بهم .

ثم سُعِي عند السلطان فى تقرير المذكورين فى ولاياتهم ، فأجاب إلى ذلك ، وبعث إليهم بالعهد والخلع ، واستمروا على ولاياتهم إلى سادس عشر ربيع الأول سنة ثمانى عشرة ، فوصل العلم إلى مكة بولاية السيد رُمَيْثَة بن محمد بن عجلان / عوضا عن ١٨٧ظ الشريف حسن وابنيه ، واستمر الدعاء للسيد حسن وابنيه فى الخطبة وعلى زمزم إلى هلال ذى الحجة من السنة ؛ لاستيلاء حسن على مكة إلى هذا التاريخ . ثم فارقها فى هذا التاريخ وقصد صوب

---

(١) الدر الكمين .

(٢) أي فى إتحاف الورى ٣/٤٦٢ ، ٤٦٣ .

اليمن(١) .

ثم لما عاد والده [السيد حسن](٢) إلى مكة فى شوال سنة تسع عشرة عاد(٣) لمكة وأقام معه بمكة . ثم فى ربيع الأول سنة إحدى وعشرين جمح السيد أحمد عن طاعة أبيه السيد حسن ؛ لكونه قدّم أخاه بركات عليه فى الإِمْـرَةِ ،، وأرسل إليه أبوه من يستعطفه ، ويعده عنه بذهب ومركوب . فلم يمل أحمد لذلك ، واجتمع عليه جماعة من الطماعة ومضوا لجدة وخطفوا منها أشياء ، ولم يسهل ذلك بأبيه . ثم إن كثيرا من الذين كانوا مع أحمد تخلوا عنه ، لَـمَّا لامهم أقاربهُم على ملائمتهم له ؛ لكون ذلك لايرضى أباه.ولما عرف هو ذلك مضى إلى حدا ونزل بها ، ثم دخل فى الطاعة ، وأقام على ذلك وقتا ، ثم خالف ومضى إلى الينبع ، وأتى منها مع الحجاج فى سنة إحدى وعشرين إلى أبيه بمكة ، فلم يَرَما يعجبه ، فعاد مع الحجاج إلى صوب ينبع بعد الحج من هذه السنة ـــ انتهى كلام الوالد(٤) .

قلت :(٥) : ثم عاد لمكة وسافر فى آخر سنة اثنتين وعشرين

(١) إتحاف الورى ٣/٥٣١ ـــ ٥٣٤

(٢) إضافة للتوضيح .

(٣) أي السيد أحمد بن حسن .

(٤) إتحاف الورى ٣/٥٥٦ .

(٥) أي مؤلفنا العز بن فهد .

مع قافلة عقيل ، فبلغ هُرْمُوز (١) ، وعاد بغير طائل مع قافلة عقيل قبيل التروية من سنة ثلاث وعشرين ، ثم سافر قبل موت أبيه إلى العراق هو وأخوه علي ، وجلسا بها مدة ، وجاءوا بعد موته بمال جزيل مع قافلة عُقَيل فى سنة ثلاثين ، فنهب ما معهما ، ووصلا مكة وأدركا الحج ، ثم توجه إلى اليمن ، فاتفق أنه مات فى أوائل سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة بزبيد من بلاد ايمن ، ودُفِنَ هناك ، ووصل الخبرُ بذلك إلى مكة فى ليلة الأحد تاسع عشر جمادى الأولى من السنة (٢) .

* * *

١٩٩ ــ إبراهيم بن حسن بن عجلان بن رُمَيْثَة بن أبي نُمَيّ الحسني المكي . سيف الدين .

أمير مكة ــ كما ذكر الفاسي (٣) فى بعض كتبه بتجريد ولاة مكة ، وكما سيأتي .

---

(١) هرموز ــ ويقال هرمز ــ : مدينة ساحلية على البر الفارسي من الخليج العربي تصدر منها بضائع الهند إلى البلاد الأخرى . (معجم البلدان لياقوت) والمضيق عندها يسمى مضيق هرمز .

(٢) ومقولة العز هذه بنصها وردت في الدر الكمين ، وبعضها في إتحاف الورى ٦٤٢/٣ ، والورقة ٤٣٧ من مخطوطة تيمور .

(٣) والذي في شفاء الغرام ٢١١/٢ ، والعقد الثمين ١٨٢/١ « أن إمرة مكة فوضت للسيد بركات بن حسن فى ٢٠ رمضان سنة ٨٢٩ هـ ، واستقر أخوه السيد إبراهيم نائباً عنه فى الولاية » .

ولد بمكة ونشأ بها فى كنف والده ، واستجاز له الوالد فى سنة ست وثلاثين جماعة من مشايخ الرواية ، منهم : الزبير بن عبدالرحمن الزركشي ، والقاضيان بدر الدين بن الأمانة ، وعز الدين ابن أبي التائب . وتقي الدين المقريزي ، وشهاب الدين الرشيدي ، وأخوه جمال الدين ، وشهاب الدين بن الرسام ، وعز الدين بن بردس ، والقاضي شمس الدين محمد بن علي الصفدي ، وعائشة ابنة الشرائحي ، وجميعُ مَنْ أجازَ أخاه عليا الآتى(١) .

ولما كبر وترعرع ، ورأى والدُه فيه النجابةَ بعثه فى سنة إحدى وعشرين إلى صاحب اليمن يستعطفه على والده ، فعطف عليه كثيرا بعد أشهر كثيرة ، وجَهَّزَه إلى مكة بعد أن أمر له بصلة متوسطة(٢) .

ورام أبوه السيد حسن أن يُشْرِكَه مع أخيه بركات فى إمرة مكة ، وسأل السلطانَ فى ذلك فلم يجبه ، ومضى مع والده إلى اليمن ، ثم جاء وحده لمكة ومعه الأشراف ، وألزموا المؤذن بالدعاء / له ١٨٨و
على زمزم ، وإذا طاف ، ففعل ، وخطب له الخطيب مع أبيه وأخيه بركات فى سنة ثلاث وعشرين ، واستمر ذلك إلى أثناء سنة ست وعشرين ، فقطع ذلك لِتَغَيُّرِ خاطر أبيه عليه ؛ لكونه آوى الأشراف ذوى راجح بن أبي نمي ، فإنه كان أمره بإبعادهم فلم يفعل ، ثم

(١) وانظر ترجمة عَلِيٍّ برقم ٢٠٢ .

(٢) إتحاف الورى ٥٥٨/٣ .

جاء بهم معه فى رجب إلى وادى مَرّ ، وكان أبوه بالشرق ، فقصده فلم ير منه وجها(١) .

ولما مات أبوه بالقاهرة فى سنة تسع وعشرين طلبه هو وأخاه السيدَ بركات السلطانُ ، فتوجَّها إليه ؛ فخلع عليهما ، وولى السيد بركات ، وحَلَّف هذا على طاعة أخيه ، وخلع عليهما ثانيا للسفر ، وعادا إلى مكة ، ثم تنافرا ؛ فطلب السيد بركات عسكرا من السلطان للنصرة عليه ، وعلى أخيه أبى القاسم ، فى سنة إحدى وثلاثين ، فأرسل له عسكرا ، فلما وصل العسكر لم يدخل مكة هو ولا أخوه أبو القاسم . ثم التأم مع أخيه بركات ودخل مكة . ثم توجه بعد سفر الحاج إلى ينبع ؛ لِرَدِّ أَخِيهِ أبى القاسم عن الذهاب إلى مصر ، فردَّه . وزارا فى أول سنة اثنتين وثلاثين النبىّ ﷺ ، ثم عادا إلى ينبع ، فدخل عليهما ذوو مُقْبِل بن مخبار ، وبنو إبراهيم وبذلوا لهما مالاً على أن يوصلوهم لبلادهم السّويق ، ويمكنوهم منها ؛ ففعلا . وأرسلا قاصدا إلى صاحب مصر يشكيان أخاهما السيد بركات ، ويعرفانه ضرورتهما ، وعادا إلى مكة ، وَٱلْتَفَّ عليهما الشرفاء ذوو أبى نمي ، وحالفوهما ، وساروا معهما قاصدين مكة ، حتى بلغوا عُسْفَان ، فسمع بوصولهما السيد بركات ــ وكان صوب اليمن ــ فتوَجّه إلى وادى مَرّ فى جماعة من ذوى عمر وذوى حسن ، وأرسل للأمير أَرَنْبُغَا أن يسير معه ، فخرج . وبعد خروجهما دخل السيد أبو القاسم مكة . وخرج منها فى الحال إلى منى ثم إلى اليمن .

(١) إتحاف الورى ٣/٥٧٨ ــ ٥٨٠ ، ٥٩٣ .

وتوجّه السيد بركات والأمير إلى السيد إبراهيم ، فلما سمع بهما توجّه إلى سَايَة ، ثم إلى المضيق . فعاد الشريف بركات لمكة ، ثم إلى البَرُود . ودُخِلَ بينهما بالصلح على أن يُعْمَل للسيد إبراهيم ما يكفيه ، واجتمعا وأراد السيد بركات أن يكون الصلح بمكة على يد الأمير ، فخاف السيد إبراهيم أن يقع فى القبضة فما أجاب ، فانفصلا على غير شيء . ثم توجّه السيد إبرهيم إلى اليمن ، فالتأم هو وأخوه السيد أبو القاسم . ثم عاد السيد بركات لمكة ثم لجدّة ، واصطلح مع أخيه إبراهيم ، وقَرَّرَ له رسوما تقوم بأوده . ثم تجاود هو وأبو القاسم أيضا[1] .

ولما توجّه السيد بركات للزيارة سنة اثنتين وأربعين وقع منه[2] بعض تعسف ، فلما وصل السيد بركات قصده ومعه أخواه[3] على وأبو القاسم ؛ ففرّ إلى اليمن ، ثم وقع الصلح بينهما بعد سفر الحاج[4] .

ثم توجّه إلى القاهرة فى ذى القعدة سنة ثلاث وأربعين ، وعاد إلى مكة فى رمضان سنة أربع وأربعين صحبة الرَّجَبِيّة ، وكان مع أخيه عَلِيٍّ لما ولي مكة ، وتَلَبَّسَ الخلعة الثانية ، ومُسِكَ معه فى شوال سنة ست وأربعين بمكة ، بعد أن أُلْبِسَا خلعتين ، ثم حُمِلاَ إلى جُدَّة فى

---

(١) إتحاف الورى الورقات ٣٩٦ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ــ ٤٠٤ ، والدر الكمين .

(٢) أي من السيد إبراهيم .

(٣) في الأصل « أخوه » .

(٤) إتحاف الورى ورقة ٤٣١ ، ٤٣٢ ، والدر الكمين .

الحديد ، ثم إلى القاهرة بحرا كذلك ، فلما وصلاها حُبِسَا فى البُـرْجِ من القلعة ، ثم نُقِلاَ منه إلى الإسكندرية فى سنة تسع / وأربعين ، ١٨٨ظ ثم نقل هو إلى دمياط ، فمات بها فى رابع ذى الحجة سنة خمس وخمسين وثمانمائة . ورأيت منسوبا له قوله :

بِى سِقَامٌ مِنْ جُفُـونٍ ... قَدْ جَفَوْنِـى لَسْتُ أَبْـرَا
بِلِحَـاظٍ فَاتِكَـاتٍ ... مِنْ سُيُوفِ الهِنْـدِ أَبْـرَى
تَرَكَتْنِـى مُضْمَحِـلاًّ ... سَايِـلَ العَبـرَّاتِ عَبْـرَا
وَلِسَانُ الحَـالِ يَغْـدُو(١) ... بعـد سِرٍّ القَـوْلِ جَهْـرَا
يَاقَتِيـلَ الـحُبِّ صَبْـرًا ... إِنَّ بَعْـدَ الـعُسْرِ يُسْرًا(٢)

* * *

٢٠٠ ــ رُمَيْثَةُ بن محمد بن عَجْلان بن رُمَيْثَة بن أبى نُمَـيّ الحسني المكي .

أمير مكة المشرفة .

ولد بمكة ونشأ بها ، وكان فى طوع عَمِّه السيّد حسن ، ثم نَفَر عنه فى سنة خمس عشرة ؛ لأن أخاه أحمد بن محمد ضرب مَسْعُودًا الصُّبْحِيَّ نائب عمه بجُدَّة ، لكثرة مَطْلِهِ له فى بقيّة حوالة

(١) كذا فى الأصل والدر الكمين ، ولعلها « يشدو » .

(٢) الدر الكمين .

عليه ، فغضب لذلك عمُّه وأَمَرَ بإخراجه من البلـد ، فغضِبَ لأحمد أخوه رُمَيْثَةُ ، وأظهر التَّجَهُّز للخروج ، فما تَرَضَّاه عَمُّه ، فمضى على جهـازه حتـى كَمُـلَ ، وخـرج هو وأخوتـه صوبَ القُـوَّاد العمـرة ، فمكثوا عندهـم أيَّامـا ، وتكلمـوا مع عمهـم في تطييب خواطرهـم . فأعـرض ؛ فمضوا إلى ينبـع ، ثم إلى مصر ، فمـا وجـدوا بها كَبيِـرَ وَجْهٍ ، وحَسَّن لهم القاضى نور الدين بن الجلال الرجوعَ إلى عمهـم فإنـه يُرْضِيهـم . فمالـوا إلى ذلك ، وتوجهـوا مع الحاج حتـى بلغـوا ينبع . ولما سمع عَمُّهُم بوصولهم منع من دخولهم مكة ، فأقامـوا بينبـع إلى أثناء السنة الآتية[١] .

قال الوالـد[١] : وفى ليلـة سادس جمادى الأولى سنـة ست عشرة وثمانمائـة وصل إلـى حَدًّا من وادى مَرّ على غفلـةٍ من أهلهـا ؛ لأن عمه رَغِبَ فى إخراجه من ينبع ، وما وجد مذهبا غير هذا . ولما بلغ عمَّه خبرُه أمر بالمبادرة بإبعـاده ، وصمَّـمَ على ذلك ، وركب إلى جهته ؛ فمـا وسع الذيـن نزل عليهم إلا إبعـاده . فمضى إلى ينبـع ، وَٱلْتَحَق به فيها بعضُ القـواد العمـرة ، فعـادوا به إلى منـزلهم بالعُـدّ . وأُخْبِـرَ السيـد حسن بوصولـه فتوجّـه للعـد بعسكـره . وكان السيـد رُمَيْثَة قد توجّـه منـه مع بعض القـواد ، والشريـفين مَيْـلَب ، وشفيـع ابني علي بن مبارك ، وماشعر الناسُ به إلا وقد هَجَمَ مكةَ من دَرْبِ اليَمَـنِ . فى ضُحـى يوم الخمـيس رابـع عِشْرى جمادى الآخرة سنـة

(١) إتحاف الورى ٣/٤٩٣ ، ٤٩٤ .

(٢) إتحاف الورى ٣/٥٠٤ ، ٥٠٦ .

ست عشرة [والذى جَرَّأه على هَجْمِ مكـة القائـد محمـد بن عبـدالله ابن عمر بن عبدالله بن مسعود العمـري][١] ومـا قدر الذيـن بمكـة من جماعة السيد حسن على دفعهم ، وانضم إليـه[٢] منهم جماعـة ، وما أحدث فى مكة سوءا ولا من معه ، ثم خرجـوا منها لتخوفهـم من قصد السيـد حسن لهم[٣] . وكان من خبر السيـد حسن أنـه أُخْبِرَ بقصدهـم لمكـة فَشَقَّ ذلك عليـه ؛ لتخيُّلِهِ أنهم ينهبـونها ويتقـوَّوْنَ بذلك ، ويتحصنون فيها ، فلما انتهى إلى الزاهر أتـاه بعضُ أصحابـه من مكـة ، فأخبره بخروجهـم منها ، وعـدم إفسادهـم [فيهـا][٤] ،
١٨٩و وقصدهم إلى الأبطح . فنزل على / الأبطح مِن ثنِيَّـة المَقْبَـرَة ، ورأى سوابـقُ عسكـره رُمَيْثَـةَ ومَـن معـه [خارجيـن من مكـة][٤] فاتَّبَعُوهم ، وتلاهـم البَاقُون . ثم إن السيـد حسن سئـل فى الرجـوع عنهم رحمة لهم ، فرحمهـم وعـاد إلى مكـة . ثم بلغـه أنهم مقيمـون بنخلـة ، فتوجّـه إليهم حتـى انتهى إلى نخلـة ، ففارقوهـا ، وقصدوا الطائـف ؛ فبـعث السيـد حسن بعضَ خَوَاصِّهِ إلى أهـل الطائـف

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن إتحاف الورى ٣/٥٠٤ . وانظر ترجمة القائـد محمد بن عبد الله بن عمر العمري فى العقد الثمين ٢/٧٣ برقـم ٢٢٥ ، والضوء اللامع ٨/١٠٠ برقم ٢٠٩ .

(٢) وفى إتحاف الـورى ٣/٥٠٤ « وانضم إلى السيـد رميثـة من غلمـان السيـد حسن الذين بمكة جماعة » .

(٣) أضاف إتحاف الورى ٣/٥٠٤ ، ٥٠٥ « فيستأصلهـم لكثرة من معـه وقلتهـم . وكان مدة مكثهم بمكة ساعة فلكية أو أزيد ، ولما توجه رميثة لمكة لم يكن معهم به علم » .

(٤) إضافة عن المرجع السابق .

بالإعراض عن المذكورين ؛ فأعرض عنهم ناسٌ ، وأكرمهم ناسٌ بما ليس فيه كبير جَدْوَى ، فقصدوا نعمان فتوصَّلُوا منه إلى اليمن . فسلكوا طريق النَّقْبِ حتى بلغوه ، وانتهوا إلى عَرَبٍ باليمن ، فحاربوهم وكسبوا منهم ما تَجمَّل به حالهم ، وبَدَا مِن رُمَيْثَة فى هذا اليوم ما يدل على كثرة شجاعته ، وأقاموا باليمن مدة ، ثم عادوا فقصدوا جُدَّة ، وخفى مَسِيرهُمُ إليها على السيِّد حسن . ولما وصلوا جُدَّة نهبوها وأخربوا[1] بَيْتَ الصُّبْحِيّ ؛ وذلك فى العشر الأوسط من رمضان سنة ست عشرة . وبلغ خبرهم السيد حسنا فبادر إليهم ، ولقوه بقرب جدة متأهبين للقائه ، فمنعه مِنْ مُحَارَبتهم القوادُ . ولم يمكنه المخالفة ، وطَيَّبُوا نفسه بإخراج رُمَيْثَة ومن معه من جدة . ومَكَّنُوهُ منها ، ثم قَطَعُوا بَيْنَ الفريقين حَسَبًا ، وسعوا فى الصُّلْح بين الفريقين ، فلم يتفق ذلك ؛ لأن السيد حسنا لم يوافق على دخول مَن ٱلْتَفَّ على رُمَيْثَة من العبيد والمولدين فى الصلح ، وأبى رُمَيْثَةُ إلا دخولهم . وعَرَف كُلٌّ من السيدين حسن ورُمَيْثَة أنَّ القُوَّادَ لا تُمَكِّنُ أحدا منهما من الآخر ؛ فتسالموا من القتال حتى انقضى الحج من هذه السنة .

وبعد الحج توجّه السيد حسن إلى العد بعسكره ومعه مُقْبِل بن مِخْبَار وجماعة من أصحابه ، وكانوا قدموا فى هذه السنة للحج ولنصرة حسن ، وعرف رُمَيْثَة وأصحابه أنه لا قُدْرَةَ لهم على

---

(١) كذا فى الأصل ، والعقد الثمين ٤/١١٦ . وفى إتحاف الورى ٣/٥٠٦ « وأحرقو » .

المذكورين ، وأن من يتخيَّلُونَ مِنْهُ النصرَ من ذوى عمر الملايمين لحسن لايمكنهم النصر فى هذا الوقت ؛ فقصد رُمَيْثَةُ والأقوياءُ من أصحابه إلى جهة اليمن بالبَرِّ ، وركب الضعفاء منهم البحر ، واجتمعوا بِحَلْي .

ولما قدم القاضى أمين الدين مُفْلِح مِن مَكَّة فى سنة سبع عشرة إلى اليمن — وهو غير راض على السيد حسن — اجتمع هو ورُمَيْثَةُ بحَلْي فأكرم مُفْلح السيد رَمُيْثَة ، وأزال كثيرا من ضَرُورَاتِهِ ، وأمره بالتوجُّهِ إلى مولاه ، وكتب هو إلى مولاه الناصر[١] بخبره ، وسأله فى كرامته ، فَسُرَّ الناصرُ بقدوم رُمَيْثَة ، وأمر بِتَلَقِّيهِ وإكرامه حتى انتهى إليه ؛ فرأى من السلطان ما سرّه . وكان قد تجدَّدَ فى نفس السلطان حَنَقٌ على السيد حسن وشُكْرٍ ؛ لكونه لم يصله العشرة الآلاف المثقال المقررة [له][٢] فى كل سنة عن مال ابن جميع ، ولا قِيمَةُ ما بعث به من الطعام إلى مكة مع شُكْر . وكان ما قَرَّرَه لرِمُيْثَة مُدَّ طعام فى كل يوم — وهو أربع غرائر مكِّيَّة — وخمسين ديناراً جدداً غير المقرر له[٣] من التمر فى أيام النخل — وهو قل أن ينفصل عن السلطان وقت الأكل — وطلع مع السلطان إلى تَعِز ، ونزل معه إلى زَبِيد ، وتوجّه منها إلى مكة بعد أن أحسن له /

---

(١) هو الملك الناصر أحمد بن الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل عباس الرسولي ، تولى ملك اليمن بعد وفاة أبيه فى سنة ٨٠٣ هـ . (غاية الأماني ٢/٥٥٨) .

(٢) إضافة عن إتحاف الورى ٣/٥١٤ .

(٣) في الأصل « لهم » ، والمثبت عن المرجع السابق .

١٨٩ظ السلطانُ بذَهَبٍ جَيِّدٍ ، وإبِلٍ وطعـام وكسوة ؛ فوصل فى رمضان سنة سبع عشرة إلى وادى الآبار ، ونزل به على ذوى حُمَيْضَة . وما سَهُلَ ذلك بعمه ، وهَمَّ بمحاربتهم . ثم سَعَى الناسُ فى الصلح بينهم على مائتي ألف درهم يسلمها حسن لرُمَيْثَة ، ويكـون لحسن جباء الجلاب الواصلة فى هذه السنـة ، وأن يكـون الفريقـان سِلْمًـا إلى انـقضاء الـعشر الأول من المحرم سنـة ثمان عشرة وثمانمائـة ؛ فرضيـا بذلك ، وضَمِنَ عَلَى ذلك منهما جماعةٌ من أصحابهما ، فما حصل فى ذلك خلل منهما .

وفى أواخـر المحرم ـــ أو أوائـل صفـر ـــ من سنـة ثمان عشرة ورَدَ إلى جدة القـاضى مُفْلِح بما فى صحبتـه من المراكب والطَّراريـد وَٱلوَلَقَاتِ والجِلَابِ ، فاستَقَوْا مِن جُدَّة بمعاونة السيـد رُمَيْثَـة ، وأخـذ منهم الزَّالـة ، ومضوا إلى ينبـع ، ومـا قَدَرَ عمُّه على منعـه ، ثم عاد رُمَيْثَة ـــ بعد سفر الجِلَاب من جُدّة ـــ إلى الجَدِيـد ، وأقـامَ به إلى شعبان من هذه السنة[١] .

ثم وُلِّيَ نِيَابَة السَّلْطَنَةِ بالحجـازِ عن عَمِّـه ، وإمْـرَة مكـة عِوَضَ ابني عمه ، فى أوائل صفر من هذه السنة ، ووصل إليه الخبرُ بذلك فى سادس عشر ربيـع الأوّل ، فرَحَـلَ السيـد رُمَيْثَـةُ وأصحابـهُ من الوادى ، ونزلـوا بِجُـدَّة . ثم لما عادَ السيـد حسن من الشرق ـــ المرة الثانية ـــ فى هذه السنة توَجَّه إلى جُدَّة فأزال منها رُمَيْثَـة وأصحابـه .

(١) إتحاف الورى ٣/٥٢٥ .

واندفع رُمَيْثَةُ إلى جِهة الشامِ[١] .

ووصل الحاجُ بإثر ذلك ؛ فلايَمَ رُمَيْثَةُ الحجاجَ ، ووصل معهم لمكة ؛ لتقرير السلطان المؤيِّد له على ولايته ـــ وهو بحلب ـــ فدخلوا مكة فى هلال الحِجَّة ، وخُطِبَ له ، ودُعِيَ له على زمزم ، وضُرِبَت السِّكَّةُ باسمه[٢] .

واستمرَّ متوليا إلى أن عزل عنها ، ففارقها فى ليلة السادس والعشرين من شَوَّال سنة تسع عشرة ، بعد أن حصل بينه وبين عمّه السيد حسن قتالٌ فى يوم الأربعاء خامس عشر شوال ـــ كما هو مذكور فى ترجمة عمه ـــ ومضى السيد رُمَيْثَةُ إلى اليمن .[٣] .

ثم إن عمَّه بعث إلى بعض خَوَاصِّ ابنِ أخيه يَستَمِيلُه بالدخول فى طاعته ، فمالَ إلى ذلك ابنُ أخيه ، وقَدِمَ رُمَيْثَةُ إلى مكة بإخوته وزوجته ـــ وهي أعظم مَنْ حَمَلَهُ على مُلايَمة عَمِّه ـــ فلما بلغ السيدَ حَسنًا ـــ وكان قد توجّه من مكة لقصد الشرق ـــ إقبالُ ابنِ أخيه إليه أَمَرَ خَوَاصَّ غِلْمَانِهِ بتلَقِّيه وَكَرَامَتِهِ ، فخرجوا للقائه مُوَكِّبِينَ له ، ودخل معهم مكة فى يوم الخميس تاسع عشر صفر سنة عشرين وثمانمائة ؛ فأنزلوه بما كانوا[٤] أعَدُّوه له ، وكَسَوْه وضيَّفوه وخَدَمُوه ، واستحلفوه على إخلاص الوُدِّ لعمه ، وحَلَفُوا له .

(١) إتحاف الورى ٣/٥٢٥ ، ٥٢٦ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) إتحاف الورى ٣/٥٣٠ ـــ ٥٣٤ .

(٤) كذا فى الأصل ، وفى إتحاف الورى ٣/٥٤٢ « بمكان أعدوه له » .

وكان هذا الحَلِفُ فى يوم الجمعة العشرين من صفر المذكور ، فى جَوْف الكعبة .

ومضى السيد رُمَيْثَةُ بعد ذلك بأيام قلائل هو وإخوته لعمهم ؛ فأكرم ملاقاتهم وأحسن إليهم ، وبالغ فى الإحسان إلى رُمَيْثَة ، وأظهر للناسِ الاغتباطَ به كثيرا ، وما سهل ذلك بأكثر بنى حسن لِتَخَيُّلِهِم أن حَالَهُم لايَرُوجُ كثيراً إلا فى زمن الفتنة[١] ،

وأَقَام مُطِيعًا مع عمِّهِ مُدَّة إلى أثناء سنة أربع وعشرين ، فَبَانَ عن طاعة عمه مع نفرٍ كثير من القُوَّاد والأشراف ، واستولوا / على ١٩٠و
جُدَّة ، وانتشروا فى الطرقات فَنَجَّلَ أكثر الواصلين من اليمن فى غير جدة ، وَوَصَلُوا لمكة متحفزين[٢] .

وما زال السيد حسن يسعى حتى بَانَ عن السيد رُمَيْثَة أكثرُ من معه ، فدخل فى طاعة عمه ، وتوسل إليه بابنه السيِّد بركات فأكرمه . وذلك فى أوائل سنة خمس وعشرين [وثمانمائة][١] .

ثم نَفَرَ عن طاعة عمه مع أَخَوَيْه ، وبَنِى عَمِّه أولادِ عَلِيٍّ بنِ مُبَارَك ، وذوى ثَقَبَة ولايَموُا القوادَ العمرة ، واستولوا على جُدَّة فى آخر جُمَادَى الأولى . ومازال السيد حسن يسعى حتّى بانَ عن السيد رُمَيْثَة أكثرُ مَن كان معه ، وقصد السيد حسن رُمَيْثَة وَمَنَ

(١) المرجع السابق .

(٢) كذا فى الأصل ، والعقد الثمين ٤/١٤٣ ، وفى إتحاف الورى ٣/٥٧٨ « متخوفين » .

(٣) إضافة عن العقد الثمين ٤/١٤٣ ، وإتحاف الورى ٣/٥٨٦ .

معه لِصَوْبِ جُدَّة ؛ فهربوا إلى مَرِّ الظهران ، ودخل فى طاعته ممن مع رُمَيْثَة مَيْلَبُ بن على بن مُبَارك ، وغيرُه ، واستولى الشريفُ حسن عَلَى جُدَّة ، ومضى رُمَيْثَةُ ومَن معه من الأشراف آل أبي نُمَيّ ، والمولدين من أولاد عَبِيدِ جَدِّهِ عَجْلان إلى يَنْبُع ، وأعانوا صاحبها مُقْبِلاً فى حُرُوب بنى أخيه وُبَيْر بن مِخْبَار(١) .

وأرسل السيد حسن لأولاد وُبَيْر بِخَيْلٍ وسِلَاحٍ ورِجَالٍ ، وعَزَمَ على المَسِيرِ إلى يَنْبُع لنصرتهم ، فأتاهُ لِلْفَوْرِ مُقْبِلٌ خاضِعاً ، فأكرمه وأعرض عن توجهه لينبع . وسأله مُقْبِلٌ فى المَسِيرِ معه لينبع ، فاعتذر له بوصول كتاب صاحب مصر إليه بأن يسعى فى تحصيل مُقْبِل . وشرط على مُقْبِل أن يبين عنه رُمَيْثَة ومن معه .

ولما عرف رُمَيْثَةُ بذلك قصد أمير المدينة عجلان بن نُعَيْر ابن منصور بن شِيحَة الحسيني فى أن يشفع له إلى عمه فى الرضاء عنه ، ويلزم طاعة عمه ، فأتى عجلان للشريف حسن مُتَشَفِّعا فأجابه لقصده ، وحضر إليه ابن أخيه رميثة فى ربيع الأول سنة ست وعشرين ، فأكرمه وأمره بمباينة من كان معه من جماعة عجلان ، فرجعوا لينبع (٢). انتهى كلام الوالد .

قلت (٣) : وفي سنة ست وعشرين ، لما لم يقابل السيد حسن أمراء الحاج ، بعثوا إلى صاحب الترجمة يدعونه سِرًّا وأطمعوه بولاية

(١) وانظر المرجعين السابقين .

(٢) إتحاف الورى ٥٩٢/٣، وانظر العقد الثمين ١٤٤/٤ ، ١٤٥ .

(٣) أي مؤلفنا العز بن فهد .

مكة ، فلم يستطع الوصول إليهم ؛ لأنه كان مقيما عند عمه(١) .

وفى سنة سبع وعشرين قدم السيد رُمَيْثَة من اليمن فَقَبَضَ عليه الأمير قَرْقَمَاس ، واحتفظ به إلى وصول الحاج ؛ فجهَّزَه مع أمير الحاج قَرَا سُنْقُر كاشف الجيزة مُقَيَّدًا فى الحديد . فوصل إلى القاهرة ؛ فأُرْسِل إلى الإسكندرية هو والشريف مُقْبِل بن مِخْبَار فى رابع رجب من السنة بعد هذه(٢) .

ثم أفرج عن السيد رُمَيْثَة من السجن بالإسكندرية ، وحضر إلى القاهرة فى تاسع عشر المحرم سنة تسع وعشرين(٣) ، ثم وصل إلى مكة واستمر ملايما لابن عمه السيد بركات ، إلى أن أرسله فى ثامن عِشْرِى جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين مُقَدَّمَ جيشٍ إلى بلاد الشرق ، فغاروا على شهران(٤) وعرب كثيرة ، فانكسرَ جماعتُهُ وقُتِلَ هو وجماعةٌ من القواد والعبيد فى يوم الأربعاء سادس رجب سنة سبع وثلاثين وثمانمائة ببلاد الشرق ، ودفن فيه(٥) .

* * *

٢٠١ ــ على بن عِنَان بن مُغَامِس بن رُمَيْثَة بن أبى نُمَيّ

---

(١) وانظر ذلك في العقد الثمين ٤/١٤٦ ، ١٤٧ ، وإتحاف الورى ٣/٥٩٤، ٥٩٥ .

(٢) إتحاف الورى ٣/٦٠٦، وانظر السلوك للمقريزي ٤/٢ : ٦٧٨ ، ٦٨٧ .

(٣) إتحاف الورى ٣/٦٢٧ .

(٤) شهران : قبيلة كبيرة من قبائل الحجاز . (معجم قبائل العرب) .

(٥) إتحاف الورى ورقة ٤١٦ ، والضوء اللامع ٣/٢٣٠ برقم ٨٦٨ .

محمد بن أبى سعد حسن بن على بن قَتَادة الحسني المكي ، علاء الدين أبو الحسن .

أمير مكة المشرفة .

١٩٠ظ ولد بها ونشأ بها ، وقدم القاهرة / ودخل منها بلاد الغرب فأكرمه ملكها أبو فارس[1] وأنعم عليه بألف دينار وعاد لمكة ، وسمع بها عَلَى ابن الجزرى فى سنة ثمان وعشرين مَجْلِسَ الخَتْمِ من السنن لأبي داود . أوله باب ماجاء فى البناء .

وفى سنة ست وعشرين لما لم يقابل السيد حسن بن عجلان أمراء الحجّ تَخَوُّفًا على نفسه ، ولاقاهم ولدُه السيد بركات ، تحدَّثَ الناسُ أن الأمير قَرْقَمَاس أحدَ الأمراء الواصلين لمكة يُقِيمُ بها مع صاحب الترجمة ، وبلغ ذلك حسنا فكثر تَضَرُّرُه . ثم إن قَرْقَمَاس سافر ، وأقام بالينبع ، وتوجّه السيد على إلى القاهرة ؛ فولاّه السلطانُ إِمْرَة مكة فى المحرم من سنة سبع وعشرين ـــ وجَهَّزَ معه عسكراً من الترك عِدَّتُهُم مائة وأربعة عشر فارسا . وخَيْلُهم كذلك ، وأميرهم طُوخ ، وساروا فى ثامن عشر ربيع الأول ، وجاء الخبر إلى

---

(١) هو أبو فارس عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن أبى بكر بن يحيى بن إبراهيم بن وندوين ، السلطان أبو فارس الهنتانى المصمودى الحفصى ، سلطان تونس وعامة إفريقيا ، ملكها بعد موت والده فى شعبان سنة ٧٩٧ هـ باتفاق إخوته . وتوفى بنواحي تلمسان فى ذى الحجة ٨٣٧ هـ (الدليل الشافى ٨٣٢/٢ برقم ٢٧٩٩ ، والنجوم الزاهرة ١٩٢/١٥ ، والضوء اللامع ٢١٤/٤ برقم ٥٤٧) .

الينبع إلى الأميرِ قَرْقَمَاس فى ثامن عِشْرِى ربيع الأول بأنه رُسِمَ بتجهيز العَسْكَرِ لمكة ، وبأَمْرِ أَهْلِ ينبع والصَّفْراء والمدينة بالمسير مع العسكر إلى مكة ، ووصل الخبر بذلك كله إلى مكة فى يوم الجمعة نصف ربيع الآخر(١) .

وفى يوم الخميس ساس جمادى الأولى دخل إلى مكة كثير من العسكر المصريين ، وفى ضحوة يوم الخميس دخل السيد على بن عِنَان بمن انضم إليه من الأشراف ، والقواد العمرة ، والحميضات ، والمولدين المنسوبين لعجلان وابنه ، وهُم فى تجمُّلٍ عظيم ، ومعه الأميران قَرْقَمَاس وطُوخ ، وانتهوا إلى المسجد الحرام ، وعليه خلعة الإمرة ؛ فطاف بالبيت أسبوعا ، والمؤذن يدعو له على زمزم . وبعد فراغه قرئ مَرْسُومُه بظِلِّ زمزم بولايته لإمرة مكة ، عوض السيد حسن بن عجلان ، وهو مؤرخ بنصف ربيع الأول ، ودُعِىَ له فى الخطبة [يوم الجمعة سابع جمادى الأولى](٢) وعلى زمزم ، وأعاد الدعاء لصاحب اليمن الملك الناصر .

وفى اليوم الرابع عشر من ذى الحجة سنة سبع وعشرين توجَّه السيد على بن عِنان وصحبته الأمير قرقماس ، وأحمد الدوادار ، والمماليك السلطانية صوبَ الشريف حسن بن عجلان ؛ لأنه بلغهم أنه نازل بقُرْبِ مكة ينتظر تَوَجُّهَ الركب ويدخل مكة ؛ لأنه رُوسِلَ فى الباطن ــ ليحصل فى القبضة ــ أن الولاية له ، وبعد سفر الحاج

---

(١) إتحاف الورى٣/٥٩٥ . ٦٠٤ .

(٢) إضافة عن إتحاف الورى ٣/٦٠٥ .

يُوَلِّى . فأُنْذِر فانهزم على الفور ، فأدْرَكَ العسكرُ بعضَ جماعته من القواد العمرة فقتلوه(١) ورجعوا .

وفى سنة ثمان وعشرين عُزِلَ الشريفُ على بن عِنَان عن إمرة مكة ، وَرسَمَ السلطانُ مع أمراء الحاج بطلب حسن بن عجلان إلى الأبواب الشريفة ، فاجتمع بهم فى الموسم بعد حَلِفِهِمْ ، وأُلْبِس التشريفة ، وقُرِّرَ فى إمرة مكة على عادته . وتوجّه السيد على بن عِنَان صحبة الحاج إلى القاهرة ، ثم اعتقل بالقاهرة إلى أن مات . وكان حسن المحاضرة ، يذاكر بالشعر ونحوه ، لَيِّن الجانب . مات فى يوم الأحد ثالث جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة مسجوناً (٢) بقلعة الجبل فى طاعون كان بالقاهرة .

وذكره شيخ شيوخنا العلامة المؤرخ تقي الدين المقريزي فى تاريخه « درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة » وقال : الأمير
١٩١و الشريف علاء الدين الحسني / ، ولد بمكة ونشأ بها ، ثم قدم القاهرة فولى إمرة مكة فى سادس عِشْرِى المحرم سنة سبع وعشرين وثمانمائة ، عوضا عن الشريف حسن بن عجلان ، وجرّد معه عدة من المماليك ، وسار فى ثامن عشر ربيع الأول ، وقد تقدمه الأمير قَرْقَمَاس وأقام بينبع ، فمضوا جميعا إلى مكة ، ودخلوها فى سادس

(١) وفى إتحاف الورى ٦٠٨/٣ « أن المقتول هو ولد القائد ودى العمرى » .

(٢) كذا في الأصل ، والضوء اللامع ٢٧٣/٥ . وسيرد فى رواية المقريزي التالية ، وفى السلوك ٢/٤ : ٨٤٢ ، ٨٤٣ « أنه لم يكن مسجوناً عند موته بالطاعون » . وكذا قال ابن تغرى بردى فى الدليل الشافي ٤٦٧/١ برقم ١٦١٨ .

جمادى الأولى بغير حرب ، وقد نَزَح الشريفُ حسن إلى حَلْي ابن يعقوب من اليمن .

وقد وقع بمكة وباءٌ شديد من نِصْفِ ذى الحجة ؛ فمات زيادة عن ثلاثة آلاف إنسان(١) .

وأقام بمكة ، وأمورها كلها للأمير قَرْقَمَاس ، إلى أن قدم الشريف حسن مكة فى ثالث ذى الحجة سنة ثمان وعشرين ، وخُلِعَ عليه بإمارة مكة ؛ فاعتزَلَ علىٌّ . وكان قد سار إلى تونس من بلاد المغرب ، فأكرمه أبو فارس متملكها ، وأنعم عليه بألف دينار ، وقدم القاهرة وصار يلازم الخِدْمة السلطانية بالقلعة ويقف ، ولم نعهد قبله شريفا يَقِفُ بمجلس السلطان ، ومازال على ذلك حتى مات بالطاعون فى يوم الأحد ثالث جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ، غريباً شهيداً وحيداً ، وكان مشهورا بجميل المحاضرة ، ومعرفة الأدب ولين الجانب(٢) ـــ رحمه الله . انتهى .

* * *

٢٠٢ ـــ [على بن حسن بن عجلان](٣) بن رُمَيْثَة بن أبى نُمَيّ الحسني المكي . أخو بركات وأحمد الماضيين ، وأبى القاسم

---

(١) إتحاف الورى ٣/٦٠٧ .

(٢) وانظر النجوم الزاهرة ١٥/١٥٩ ، وشذرات الذهب ٧/٢٠٣ .

(٣) بياض فى الأصل ، والمثبت هو صدر اسم المترجم له .

الآتي .

أمير مكة المشرفة : نور الدين .

ولد فى سنه سبع وثمانمائة ــ تقريبا ــ بمكة ، وسمع بها ــ وهو متولٍ فى سنة ست وأربعين ــ على الشريف أبى الفتح المراغي بعضَ مجلسٍ من صحيح مسلم . وأجاز له باستدعاء الوالد فى سنة ست وثلاثين جماعةٌ من المشايخ ، منهم : قضاة القضاة ابن حجر ، والعيني ، والديري ، والبساطي ، وأبو جعفر بن الضياء الحلبي ، ومحب الدين بن نصر الله البغدادي ، وعلاء الدين ابن خطيب الناصرية ، وشهاب الدين بن العديم ، وشهاب الدين ابن ناظر الصاحبة ، وزين الدين عبدالرحمن الطحان ، وشهاب الدين الواسطى ، وشمس الدين التدمرى ، وزين الدين القبابي ، والحافظان برهان الدين الحلبي ، وشمس الدين بن ناصر الدين ، وعز الدين بن الفرات ، وسارة بنت ابن جماعة ، وناصر الدين الفاقوسى ، وتاج الدين الشرابيشي ، والشهاب بن رسلان ، وجمال الدين الكازروني ، ومحب الدين المطري ، وشهاب الدين المحلِّيّ .

خَرَّج له الجَدُّ الشيخُ تَقيّ الدين بن فهد الهاشمي المكي ــ رحمة الله عليهما آمين ــ عن كثير منهم أربعين حديثا يتلوها أربعون حكاية ، وأربعون شعرا ، من مروياته . سَمَّاها « الدرر العوالى والجواهر الغوالي » واشتغل بالصرف والنحو ونظم الشعر ، وقرئ عنده البخاري مِرَارا .

توجّه هو وأخوه أحمد إلى العراق فى حياة والدهما ، وجلسا به

مدة ، وجاءوا بعد موته فى سنة ثلاثين وثمانمائة مع قفل عظيم ، فنُهِبَا مع القفل ، وكان معهما مال له صورة(١) ، فوصلا مكة وأدركا الحج .

وفى سنة تسع وثلاثين أرسله أخوه السيد بركات مقدما على جيش أرسله لحرب حَرْب(٢) ، ومعه الأمير الباش أَرَنْبُغَا ، وتسمى / هذه الوقعة وقعة الثَّنِيَّة : ثَنِيَّة عُسْفَان . فأُنْذِر بهم العَرَب ؛ فتنحوا ١٩١ظ عنهم ، وتركوا إبلهم مع خمسة رجال وامرأة ، فقتلوا الرجال والمرأة — وكانت حاملا — وقتلوا ما فى بطنها أيضا ، واستاقوا الإبل . فلما كانوا فى نصف الثنيَّة اكتنفهم العرب من الجبلين ورموهم بالحراب والحجارة ، وهرَبَ الأميرُ ومن معه ، وقُتِل منهم جماعة كثيرة يزيدون على أربعين ، وجرح كثير أيضا . وغنم العربُ منهم خيلا ودروعا كثيرة وغيرها من السلاح وغيره(٣)

وفى سنة إحدى وأربعين قَتَل(٤) بجدة خمسةً من كبار

(١) مال له صورة : عبارة تعنى فى مصطلح ذلك العصر المال الكثير الذي يمكن تقدير مبلغه . (المحقق) .

(٢) حرب : يقول الأستاذ عمر رضا كحالة : أكثرها من العدنانية ، وهي غير منحدرة من سلالة واحدة ؛ يدخل فيها كثير من العناصر المختلفة فى النسب ، تقع أماكنها في نجد والحجاز . (معجم قبائل العرب) .

ويقول الأستاذ عاتق البلادي : هي حرب بن سعيد بن سعد بن خولان ، وخولان ينتهى نسبه إلى كهلان ثم إلى قحطان ، كانت تقيم باليمن ، ثم جلت عنه إلى الحجاز ونزلت وسطه وفرضت وجودها . (نسب حرب) .

(٣) إتحاف الورى ورقة ٤١٩ ، ٤٢٠ .

(٤) أي الأمير علي بن حسن بن عجلان .

حرب ، وتوجّه ــ خوفا من أخيه السيد بركات ــ إلى القواد العمرة بالعُدّ فحمّلوا معه بعضَ خيلٍ من أولادهم إلى أن توجّه إلى نحو بني شعبة ببلاد اليمن . فركب السيد بركات على إثره لما علم بالقضيّة ، ودخل السيد بركات فى بني شعبة . فقبل[١] وصوله أخرجوا عنهم السيد على بن حسن . فتوجه شاردا إلى جهة اليمن بعد تعب كثير ، وأقام بالواديين إلى بعد سفر الحجاج ثم اصطلح هو وأخوه السيد بركات .

ولما زار أخوه السيد بركات ــ فى أحد الربيعين سنة اثنتين وأربعين ــ [جَدَّه النبي صلى الله عليه وسلم][٢] جعله نائبا عنه بجدة ، وجعل معه الأشراف وبعض قواد ، إلى أن عاد .

ثم حصل بينهما منافرة ، فسافر السيد على إلى القاهرة ، ومعه الشريف ثَقَبَة بن أحمد . فتوجه ثقبة إلى الروم ، وأقام هو بالقاهرة . حتى ولى إمرة مكة فى يوم الاثنين سادس عشر جمادى الأولى سنة خمس وأربعين عوضا عن أخيه السيد بركات بحكم عزله ؛ لكونه لم يحضر إلى السلطان حين استدعاه لذلك ، بل امتنع وقال : لست بعاصٍ ولكني أنا أذهب إلى حال سبيلى ، والبلد بلدك[٣] .

وعين [السلطان][٤] مائة وخمسين نفسا من المماليك

(١) في الأصل « فبعد » والمثبت عن إتحاف الورى ورقة ٤٢٨ .

(٢) سقط فى الأصل ، والمثبت عن إتحاف الورى ورقة ٤٣٢ ، ٤٣٣ .

(٣) إتحاف الورى ورقة ٤٣٤ ، ٤٣٥ .

(٤) إضافة للتوضيح .

السلطانية ، ومقدمهم يَشْبك الصوفي أحد أمراء العشرات ، عوضا عن سودون المحمدي ؛ ليقيم هو وإياهم بمكة على العادة ، وليكونوا مساعدين له على أخيه المذكور ، وأنعم السلطان على السيد على بمبلغ يقيم به بركه[1] ، قيل إنه خمسة آلاف دينار ، واقترض هو من الناس ـــ زيادة على ما أنعم به عليه ـــ شيئا كثيرا ، وجاء الخبر إلى مكة فى رجب . ثم فى مستهل شعبان وصل إلى مكة ، وفى ثانيه دخل مكة وهو لابس الخلعة ، وقرئ توقيعه بحضرة القضاة والأمراء ، وتاريخه ثالث عشرى جمادى الآخرة .

وقال ـــ فى ولايته ودخوله مكة المشرفة محرما ـــ شيخنا الإمام الأديب قطب الدين أبو الخير محمد بن عبد القوى المكي ، وأنشد الوالد ذلك في سنة ست وأربعين :

ثُغُورُ الهَنَا لَمَّا قَدِمْتَ بَوَاسِمُ
سُرُورًا وَكُلُّ الكَائِنَاتِ مَبَاسِمُ
وَلَمَّا تَرَاءَتْكَ المشاعِرُ مُحْرِمًا
أَشَارَتْ بِتَسْلِيمٍ عَلَيْكَ ٱلْمَحَارِمُ
وَلَمَّا رَآكَ البيتُ أَقْبَلْتَ هَزَّهُ
إِلَيْكَ ٱشْتِيَاقٌ إِنَّهُ بِكَ عَالِمُ

(١) البرك : المتاع الخاص بالسلطان أو الأمير من ثياب وقماش أو ما أشبهه . (النجوم الزاهرة ١٤/٣٢٣ هامش) .

كَذَاكَ ٱلْـمُصَلّى وَٱلْحَطِيمُ وَزَمْـزَمٌ
وَقَدْ سَجَعَتْ مِنْ حَوْلِهِنَّ الحَمَائِمُ
وَرَحَّبَتِ ٱلْأَرْكَانُ لَـمَّـا أَتَيْتَهَـا
كَأَنَّ ٱلْمُثَنَّى قَدْ أَتَاهَا وَكَاظِـمُ ١٩٢و
وَسُرَّتْ جِبَالُ الأبْطَحَيْنِ كَأَنَّهَـا
عَلَيْهَا أَبُو النَّفْسِ الزَّكِيَّـةِ قَادِمُ
وَكَادَ الصَّفَا يَخْتَالُ لَمّا صَعِدْتَهُ
وَمَاسَتْ سُرُورًا مُذْ رَأَتْكَ المَعَالِـمُ
مَهَابِطُ وَحْيِ اللَّهِ وَٱلْحَرَمُ الّذِى
نَمَاكَ بِبَطْحَاهُ ٱلْوَصِيُّ وَهَاشِمُ
كَأنكَ زَيْنُ العَابِدِيـن وَقَدْ أَتَـى
إِلَى الرُّكْنِ فِي بُرْدَيْهِ حِينَ يُسَالِمُ
وأَذْكَرْتَنَا الكَرَّارَ حِينَ قُدُومِهِ
تَسِيرُ بِهِ ٱلْعَضْبَـاءُ لِلشِّرْكِ هَادِمُ
لَئِنْ كَانَ فِي دَسْتِ الخِلَافَةِ أَوَّلاً
فَأَنْتَ لَهَا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ خَاتَمُ
فَدُمْ فِي مَسَاعِيكَ الكِرَامِ خَلِيفَةً
لَكَ اللَّهُ جَارٌ وَالزمـانُ مُسَالِـمُ
قَضَاءٌ بِهِ أمْضَى ٱلْمُهَيْمِنُ حُكْمَهُ
وَمَاثَمَّ إِلَّا اللَّـهُ قَاضٍ وَحَاكِـمُ
فَضَلْتَ الوَرَى مَجْدًا وَفَخْرًا وَسُؤْدَداً
فَلاَرَيْبَ حَطَّتْ عَنْ عُلَاكَ النَّعَائِمُ

فَهَاأَنْتَ مَهْدِيٌّ وَهَادٍ وَوَاثِقٌ
أَمِينٌ وَمَأْمُونٌ مُطِيعٌ وَقَائِمُ
سَهَمْنَا الوَرَى لَمَّا رَأَتْكَ عُيُونُنَا
وَكَمْ فَازَ بِٱلْأَمْرِ السَّنِيِّ مُسَاهِمُ
وَغَرَّدَ فِينَا بِٱلْمَسَرَّةِ طَائِرٌ
خَوَافِيهِ مِنْ فَرْطِ السُّرُورِ قَوَادِمُ
وَنَادَى لِسَانُ السَّعْدِ فِي ٱلْكَوْنِ مُنْشِدًا
«عَلَى قَدْرِ أَهْلِ ٱلْعَزْمِ تَأْتِي ٱلْعَزَائِمُ»
وَأُقْسِمُ بِٱلْخَيْلِ الشَّوَازِبِ صُفَّنًا
وَكَمْ بَرَّ فِي صِدْقِ ٱلْأَلِيَّةِ قَاسِمُ
لَأَنْتَ الإِمَامُ ٱلْفَاطِمِيُّ حَقِيقَةً
زَيَارِجُنَا أَنْبَتْ بِذَا وَٱلْمَلَاحِمُ
أَبَا حَسَنٍ يَابْنَ ٱلنَّبِيِّ وَمَنَ غَدَتْ
مَنَاقِبُهُ لِلْمَكْرُمَاتِ دَعَائِمُ
إِذَا مَا عَلِيٌّ بَيْنَ جَنْبَيْكَ فِي ٱلْوَغَى
فَأَهْوَنُ مَايَلْقَاكَ فِيهِ الضَّرَاغِمُ
وَيَطْفُو عَلَى ٱلْوَطْفَاءِ وَهِيَ غَمَامَةٌ
أَيَامَلِكَ العَشْرِ البُحُورِ الخُضَارِمُ(١)
وَلَسْت مقيسًا يابَنْ طَهَ بعَنْتَرٍ
وَمَنْ كَانَ مِنْ خُزَّانِكُمْ فَهُوَ حَاتِمُ

---

(١) الخضارم : الماء الكثير . (المعجم الوسيط خ ض ر م) .

فَعَزْمُكَ مَنْصُورٌ وَجَـدُّكَ رَابِـحٌ
وَبَـابُكَ مَقْصُودٌ وَعِـزُّكَ دَائِـمُ
وإن شَامَ عدَّادٌ لِبَـرْقِ مَخِيلَـةٍ
بِجَـوْدٍ فإنِّى جُودَ كَفَّيْكَ شَائِـمُ
وَسُدْ وَٱبْقَ مَاسَارَتْ رُكُوبٌ لِمَكَّةٍ
لَهُمْ فِي مَبَانِى أَخْشَبَيْها مَوَاسِمُ

وفى يوم عرفة لما وصل الحاج إلى عرفات أرجف مرجفٌ بأن السيد بركات هجَمَ جدة ونهبها ، / ولم يظهر لذلك صحة . ١٩٢ظ

ووصل السيد أبو القاسم فأمَّنَهُ أخوه السيد عليّ ، ولم يحدث منه سوء مع أنه أشجعهم وأفرسهم ، وندب السيد علي بعض إخوانه ، أو غيرهم ليأخذ جماعة ويتوجّه إلى حراسة جُدَّة ، ثم اتفق معه على أن يحفظ الحاج بمنى وعرفة ، وتأخر هو عن الخروج مع الحاج ليلة التاسع ، فلما كان بعد عصر يوم عرفة ثارت غبرة عظيمة ، ثم ظهر خلقٌ كثير : فرسان وغيرهم ، فظنَّ الناسُ أنه بركات جاء فى جمعه لنهبهم ، فانكشف الغبارُ فإذا هو علي ومن معه ، فأدركوا الوقوف بعرفة وصحبته أخوه إبراهيم ، وكان قد تغيّب عنه بمكة ، فلما وجده اعتذر بأنه قيل له : إنه عَزَم على إمساكك . فتنصّل من ذلك واستصحبه معه ؛ فحصلت الطمأنينة للناس .

وفى المحرم سنة ست وأربعين مشى عليه أخوه السيد بركات وبلغ جدة ، وكان بها قبله أخوه السيد علي ، فأشار بعض أصحابه أن يتوجه إلى مكة ويرسل إلى الأميرين اللذين بها والترك والشرفاء ،

فتوجّه إلى حَدًّا ، وأرسل إليهم فجاءوه ، وتوجّه إلى جُدَّة ووقع بينهم القتال فى الحديد[١] ، وخامر بعض أصحاب السيد بركات عليه ، وهم الأشراف ذوو أبى نُمَيّ ، والقواد ذوو حميضة ، وكان النصر فيه للسيد علي وأصحابه . وقتل من أصحاب السيد بركات جمعٌ كثير ، وثبت هو وعبيده فغلبتهم الكثرة ، فتوجه هو وعسكره إلى العُدّ ، ثم إلى صوب اليمن . وجاود السيد إبراهيم بين الشريفين بقية صفر وربيع الأول[٢] .

وتوجّه السيد على إلى الركاني ، ثم إلى مكة ، ثم إلى نحو وادى الآبار ، ومعه ثلاثون مملوكا ، ونقل أعداؤه عنه أشياءَ أوْغَرُوا بها قلب السلطان .

ثم لما وصل مباشروا جدة ومقدمهم الأمير تِمْرَاز البَكْتَمُرِيّ[٣] المؤيدي ، أحد الدوادارية ، ويعرف بالمصارع ، فى يوم الأربعاء من شوال سنة ست وأربعين تَخَوَّف السيد على من الأمراء فلم يحضر ، فأرسلوا إليه وامتنعوا من الدخول حتى يحضر . فحضر فى ليلة الاثنين ، وخلع عليه ، وقرئ مرسومه . وفيه : بلغنا أنك متشوش الخاطر ، فلتَطِبْ نفسا . ولم يحضر أخوه إبراهيم ؛ فأمروه بإحضاره ليلبس خلعته ، فأرسل إليه وطيَّبَ خاطره ، وحضر فى يوم الثلاثاء

---

(١) الحديد : ناحية فى بنى مالك شرقي جدة . (معجم معالم الحجاز) .

(٢) إتحاف الورى ورقة ٤٥٤ ، ٤٥٥ .

(٣) له ترجمة فى الدليل الشافي ١/٢٢٦ برقم ٧٩٢ ، والنجوم الزاهرة ٨/١٦ ، والبتر المسبوك ٣٥٧ ، والضوء اللامع ٣/٣٥ برقم ١٤٩ . وفيها : قتل فى اليمن سنة ٨٥٥ هـ .

ولبس خلعته وقرئ المرسوم المتقدم فى المسجد بالصفا . ولم يحضر الأمير أقْبَرْدي الظاهرى[١] ، أمير الرجبية ، ومقدم الأجناد المقيمين بمكة ، وقال : إنه شرب دواء ، فتوجّه إليه الشريفان والأمراء للسلام عليه ، فلما دخلوا عليه أظهر مرسوما فقرئ باللسان التركي ، وهو يتضمن : القبض على الشريفين فقبض عليهما وبُوِّشَا فى أعناقهما بباشَتَيْنِ . فتفرق أصحابهما ولم يحصل فى مسكهما ضرر ولا خلل ، ونادى الأميران بالأمان والاطمئنان ، وأن البلاد للسيد أبى القاسم ـــ وكان بمصر ـــ وأُرْسِلَ لولده زَاهِر بعدَ الحلف له فحضر ؛ فقرئ مرسوم والده ، وأُلْبِسَ الخلعة التى لبسها عمه على ، وطاف ودُعِيَ له على زمزم ، وشقّ مكة على العادة .

١٩٣و وفى ثامن / الشهر توجّه الأميران والسيد زاهر بالشريفين إلى جُدَّة وأركبا فى الحال فى سنبوق[٢] أو خلية[٣] ، كانت معدة لذلك مع عشرة مماليك ، وتوجهوا بهما إلى القاهرة[٤] .

---

(١) أقبردي بن عبد الله المظفري الظاهري برقوق ، أحد أمراء العشرات ، ورأس نوبة ، مات بمكة سنة ٨٤٧ هـ . (الدليل الشافي ١/١٤٠ برقم ٤٩٢ ، والتبر المسبوك ٧٧ ، والضوء اللامع ٢/٣١٥ برقم ١٠٠٦) .

(٢) السنبوق : سفينة صغيرة ، أو قارب صغير . (البحرية فى مصر الإسلامية ٣٤٩ ، وأساس البلاغة للزمخشري) .

(٣) الخلية : سفينة شراعية كبيرة . يتبعها زورق صغير ، يقال له الشبكة ، شبهت بالخلية من الإبل : وهى الناقة التى ترأم على ولد واحد . وعبارة إتحاف الورى ورقة ٤٦٢ « فأركبوهما من الشقدف إلى سنبوك ثم إلى خلية » .

(٤) وانظر إتحاف الورى ورقة ٤٥٦ ـــ ٤٥٩ .

وأنشد الشعراء فى ذلك ، ومنهم شيخنا الإمام الأديب قطب الدين أبو الخير بن عبدالقوى المكي ، وأنشد الوالد ذلك مرارا . فقال :

ما جاء قَطٌّ وَلَمْ يَأْتِنَا   مِثْلُكَ يا اِتِمْرَازُ فِي الفَتْكِ
تسيرُ بالأخشب مِنْ مَكَّةٍ   والأَخْشَبِ الثانى على الفُلْكِ
ومثلُ هَذَا لَمْ يَكُنْ قَطّ فِي   مُلْكِ بنِي العَبَّاسِ والتُّرْكِ
أنّ شَرِيفَيْ مَكَّةَ يُمْسَكَا   مِنْ غَيْرِ مَا طَعْنٍ وَلاَسَفْكِ
هَذَا بتقديرِ الذى قَهْرُهُ   يَنْزَعُ مَنْ شَاءَ مِنَ المُلْكِ(١)

وكان دخولهما القاهرة فى خامس عشر ذى الحجة ، وهما مقيدان ، فسجنا ببرج القلعة ، ثم نقلا منه فى سنة تسع وأربعين إلى الإسكندرية ، ثم نقلا إلى دمياط ، واستمرا بها إلى أن ماتا . وتَعَلَّمَ هذا بدمياط النحوَ ، وعمل هناك قصيدةً على وَزْنِ بانت سعاد ورويها وقافيتها ، أجاد فيها . وكان حسن المحاضرة كريما شجاعا ، ذا ذوق وفهم ونظم ، حتى قيل إنه أحذق بنى حسن وأفضلهم . ومن نظمه قصيدة طويلة جزلة الألفاظ ، أنشدها لبعضِ مشايخنا العلماء ، فى القاهرة سنة سبع وأربعين ، وهي عند الوالد فى تذكرته بتمامها ، لكنها فاشية اللَّحْنِ ، ومنها :

(١) إتحاف الورى ورقة ٤٦٤ .

وإنْ نَالَ العُــلاَ قَرْمٌ بِقَــوْمٍ رقيتُ عُلُوَّهَا فردا وحيدا(١)
وقَدْ جَا فِي كِتَابِ اللهِ صِدْقًا بقول عَزّ قائِلــه الحميــدَا
تَرَى الحسناتِ يُجْزِيها بخيرٍ وبالسيات سيات سُنُــودَا
وواعد أن بعد العُسْرِ يُسْرًا فلاعِـزٌّ يدومُ ولا سُعُــودَا

مات صاحب الترجمة فى تاسع صفر سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة بدمياط ، مطعونا مسجونا غريبا وحيدا ، عن خمس وأربعين سنة . رحمه الله وإيانا(٢) .

* * *

٢٠٣ ــ أبو القاسم بن حسن بن عجلان بن رُمَيْثَة بن أبى نُمَيّ محمد بن أبى سعد حسن بن على بن قتادة الحسني المكي .

أمير مكة ، مؤيد الدين .

ولد بمكة ونشأ بها ، ولي إمرة مكة من سنة ست وأربعين إلى أثناء سنة خمسين . وأجاز له من أجاز أخاه عليا . وخرَّجَ له جَدِّى عن بعضهم جزءا من مروياته ، سماه « البدور الزواهر مما للمختار وعترته من المفاخر » نشأ فى كنف والده نجيبا حاذقا شهما

---

(١) فى الأصل « حميدا » ، والمثبت عن الضوء اللامع ٢١١/٥ ، وسمط النجوم العوالى ٢٦٨/٤ .

(٢) وانظر الدر الكمين ، والنجوم الزاهرة ٥٣٦/١٥ .

مقداما ، وتزوّج سنة اثنتين وعشرين بالوادى على بنت عمه أم الكامل بنت محمد بن عجلان . ولما جاء خبر موت والده بالقاهرة ، وطلب السلطانُ / أخويه بركات وإبراهيم خَلَّفَاه بمكة يحفظها ؛ ١٩٣ظ فحفظها حفظا حسنا ، ولما سمع بنهب بعض الأشراف وغيرهم لبعض الصيافة بوادى مَرَّ خرج إليهم فى العسكر ، والتحق بهم فى شِعْبٍ يقال له الميثاء قُرْبَ هَدَة بَنِى جابر ، وقتل منهم مقتلةً عظيمة . ولما عاد أخوه بركات من القاهرة متولياً كان معه إلى أن حصل بينهما تنافر ، فطلب السيد بركات من السلطان عسكرا نُصْرَة له عليه ، وعلى أخيه إبراهيم ، فأرسل له عسكراً مقدمهم الأمير أَرَنْبُغَا . فلما سمع هو وأخوه [بوصولهم][(١)] لم يدخلا مكة خوفاً منهم . وبعد سفر الحاج دخل هذا جُدَّة . وأخذ منها عشرة أحمال دقيق للأمير مُقْبِل القُدَيْدِيّ ، والتاجر على السملوطي ، ثم لحق الركبَ المصري بالينبع ، وبلغ أخاه إبراهيم ــ وهو عند أخيه بركات ــ أن قصده التوجّه إلى القاهرة بحاشيته وخيله وقود معه ، فلم يُعْجِبْه ذلك ، وذهب لقصد تبطيله من السفر ، فلحقه واجتمعا بينبع .

وزارا فى سنة اثنتين وثلاثين المصطفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعادا إلى ينبع واستعان بهما ذوو مُقْبِل بن مِخْبَار ، وبنو إبراهيم ببذل مالٍ على أن يوصلوهم لبلادهم السويق ، ففعلا .

وأرسلا يشكيان إلى السلطان أخاهما ويعرفانه ضرورتهما . والتف عليهما بعضُ الأشراف ذوى أبى نُمَيّ وحالفوهما ، فقصدوا

(١) إضافة عن إتحاف الورى ورقة ٣٩٥ .

مكة ، فلما وصلوا عُسْفَان بلغ أخاهما السيد بركات فخرج إليهما فى عسكر ، ومعه الأمير الباش[١] فتفرقا ودخل هذا مكة ، وخرج منها في الحال إلى منى ، ثم إلى اليمن . ثم تجاود هو والسيد بركات فى سنة ثلاث وثلاثين ، على أن يعطيه السيد بركات فى كل سنة ألفين وخمسمائة ، إلى آخر سنة ست وثلاثين ، وأقام باليمن . ثم واجه أخاه بحادثة فى سنة سبع وثلاثين . واصطلحا صُلْحاً شافيا .

ولما زار السيد بركات [جَدَّهُ المصطفى صلى الله عليه وسلم][٢] سنة اثنتين وأربعين جعله نائبا عنه بوادي الآبار ، وجعل معه القواد ذوي عمر .

ولما حجّ سنة خمس وأربعين وتوجّه إلى القاهرة بعد سفر الحاج بيومين صادف غيظ السلطان على أخيه السيد على فعزله ، وولى هذا مكانه وهو بمصر . ولما مسك الأمراء بمكة أخاه عليا أعلنوا بولاية هذا ، واستدعوا ولده زاهراً وخلعوا عليه ، وقرىء مرسوم والده ، وهو مؤرخ بتاسع عشر شعبان . ثم وصل السيد أبو القاسم إلى مكة فى سابع عشرى ذى القعدة ، ودخل المسجد الحرام وهو لابس خلعته ، وقرىء توقيعه ، وهو مؤرخ بسابع شوال ، فباشر الولاية بالجد

---

(١) أي الأمير أرنبغا أمير الترك الراكزين بمكة .

(٢) إضافة عن إتحاف الورى ورقة ٤٣٣ .

والاحترام والعزم والاهتمام ، وجاود أخاه السيد بركات على أن يعطيه كل سنة عشرة آلاف دينار . ثم منعه أن يمتار من جُدَّة سنة تسع وأربعين[١] .

وفعل من المعروف عمارة عين خُلَيْص ، فعمرت وجرت على عادتها ، وذلك فى سنة سبع وأربعين[٢] .

ووصله في سنة خمسين مرسوم فيه : إنك أحدثت مكوساً فبطلها[٣] .

ثم فيها عزل بأخيه السيد بركات ، وتاريخ مرسومه حادي عشر ربيع الأول ، وقرىء خامس جمادي الأولى ، وتجاودا شهرا ، / ثم طلب من أخيه السيد بركات أن يجعل له ما جعل له[٤] ، ١٩٤و فامتنع . ففى يوم عرفة من سنة اثنتين وخمسين وصلت الأخبار أنه سافر إلى القاهرة ، ومَرَّ فى طريقه على وادى الآبار ، فوصل إلى بدر ، وأقام بها إلى أن وصل الحاج وسافر صحبته إلى المدينة الشريفة ، ثم إلى القاهرة ، وكان بها الفصل[٥] فحذَّرَه العرب من

---

(١) إتحاف الورى ورقة ٤٥١ ــ ٤٦٢ .

(٢) إتحاف الورى ورقة ٤٧٢ .

(٣) إتحاف الورى ورقة ٤٧٩ .

(٤) وقد سبق أن السيد أبا القاسم جعل لأخيه السيد بركات عشرة آلاف .

(٥) الفصل : لفظ يعنى فى ذلك العصر الطاعون أو الوباء ، وكان أكثر ما ينزل بالناس فى فصل الربيع . (المحقق) .

ذلك ، فجعل عندهم وَلَدَه إدريس ؛ فإنه كان معه [فَسَلِمَ][1] وأما هو فدخلها ، وحصل له من السلطان إقبال ، وخَلَعَ عليه بالإمرة أو وَعَدَهُ بها ، فسابقته المنية ؛ فمات فى عِشْرِى صفر سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة بالقاهرة مطعوناً ، وصَلَّى عليه السلطان [بمُصَلَّى][1] سَبِيل المؤمني[2] ، ودفن على والده بحوش الأشرف ــ رحمهم الله وإيانا آمين .

ورثاه هو وأخاه السيد نور الدين علياً المذكور قبله الإمامُ الأديب القاضى شهابُ الدين أحمد بن محمد بن عبدالله المكي الشهير بابن خَبَطَة بقصيدة ضَمَّنَهَا مَدْحَ السيد بركات ويُعَزِّيه فيهما . فقال :

(١) إضافة عن الدر الكمين .

(٢) أقام الأمير سيف الدين بكتمر بن عبد الله المؤمني المتوفى سنة ٧٧١ هـ مجموعة من المبانى هي مصلى وسبيل ومغسلة للموتى فى سنة ٧٦٥ هـ بالرميلة تحت قلعة الجبل . ولم يبق من ذلك إلا المصلى ، وهي عبارة عن مسجد بمحراب مبني بالحجر النحيت ، ويشتمل على رواقين بثلاث بوائك فى أول شارع السيدة عائشة عند خروجه من ميدان صلاح الدين على يسار الذاهب إلى مسجد السيدة عائشة . وانظر النجوم الزاهرة ١١/ ٥٠ تعليق المرحوم محمد رمزي بك .

لسانُ الهَـوَى بِٱلْوَجْـدِ عَنِّـى يُعَبِّـرُ
ويُعْـرِبُ عَنْ ألْحَـانِ دَهْـــرٍ تُغَيِّـــرُ
وعَيْنُ الصِّبَا تَبْكِي عَلَى مَعْهَدِ الصِّبَا
وَتَنْـدُبُ رَبْعًـا كانَ بالأَمْسِ يُزْهِـرُ
فَأَجْرَيْتُ سَيْـلاً مِنْ عَقِيـقِ مَدَامِعٍ
لَهَـا فِى بِحَـارِ ٱلْخَـدِّ نَظْـمٌ مُنَثَّرُ
وَصَلْتُ وَنَـارُ ٱلْحُـزْنِ مِنِّـي وَٱلْأَسَى
مُجَمَّـــرُهُ فِى مُهْجَـــةٍ تَتَفطَّـــرُ
لِـمَوْتِ عَلِيٍّ مَعْ أَبِى ٱلْقَاسِمِ الّذِى
بِهِ كُلُّ حَيٍّ بِٱلْجَـــوَى يَتَـــحَسَّرُ
لَقَدْ أَسْفَرَتْ شَمْسُ المَنَايَا فَغَرَّبَتْ
سَنَا كُلِّ وَجْهٍ مِنْهُمَـا وَهْـوَ مُقْمِـرُ
وَغَنَّـى بِمَـوْصُولِ ٱلْفِـرَاقِ مُشَبِّبٌ
وَنَايُ ٱلْهَوَى الْمَقْـرون بِٱلْبَيْـنِ يَزْمُـرُ
نَعَمْ . وَسَعَى جَيْشُ ٱلْمَنُوْنِ إِلَيْهِمَا
بِسُلْطَانِـهِ فِى عَسْكَـرٍ لَيْسَ يُكْسَرُ
فَأَمْضَاهُمَا فِى الحَالِ مَاضِى أَمْـرِهِ
لِوَصْلٍ بفَصْلٍ كُنْتُ أَرْجُو وَأَحْذَرُ
وَقَدْ أَصْبَحَا فِي جَنَّةِ الخُلْدِ وَالوَرَى
لِفَقْدِهِمَــا فِى سُوقِ نَارٍ تُسَعَّـــرُ
لَعَمْـرِي مَاجَـارِى دُمُوعِـى بِوَاقِـفٍ
وَلَكِنَّـــهُ وَقْـــفٌ عَلَيْهِـــمْ مُقَـــرَّرُ

وَكُنْتُ أَظُنُّ الصَّبْرَ لِلصَّبِ نَافِعٌ
وَهَيْهَاتَ يُجْدِى فِى قَتِيلٍ تَصَبُّرُ
بَكَيْتُهُمَا حَتّى وَفَى نِيلُ أَدْمُعِى
أَلَمْ تَرَهُ عند الزيادة أَحْمَرُ
وَفَاضَتْ عُيُونُ الأرضِ وَجْدًا عليهما
وحُزْنًا فَنَهْرُ الدَّمْعِ مِنْهُنَّ أَبْحُرُ
وَأُمُّ ٱلْقُرَى لَوْلَا بَقَاءُ أَبِى ٱلْقِرَى
لِأَبْنَائِهَا كَادَتْ لَعَمْرِى تُتَبَّرُ
مَلِيكٌ لِرَفْعِ ٱلْبَأْسِ مُنْتَصِبٌ كَمَا
لِكَسْرِ جَمِيعِ النَّاسِ بِٱلْجَزْمِ يَجْبُرُ /
عَلَى نَشْرِ طِيبِ العَدْلِ في الأَرْضِ مُنْطَوٍ ١٩٤ظ
فَيَاحُسْنَ عَرْفِ الطِّيبِ سَاعَةَ يُنْشَرُ
لَهُ سِيرَةٌ قَدْ أَوْقَفَ الخَلْقَ عِنْدَهَا
فَلاَ مُقْدِمٌ عَنها وَلاَ مُتَأَخِّرُ
سَقَى الأَرْضَ لَمَّا أَنْ هَمَى غَيْثُ جُودِهِ
فَطَابَتْ بِوِرْدٍ مَالَهَا عَنْهُ مَصْدَرُ
تَقِيٌّ نَقِيٌّ طَاهِرٌ ظَاهِرٌ حَمَى
حِمَى الدين وَٱلدُّنْيا فلا زَالَ يُنْصَرُ
حَوَى مِن تَفَاصِيلِ الفَضَائِلِ جُمْلَةً
فأَضْحَتْ بِدِيوَانِ المَعَانِى تُحَرَّرُ
وَفِي رَأْسِ طِرْسِ المَجْدِ وَقَّعَ بِحَدِّهِ
وَأَثْبَتُ . فَٱنْظُرْ فِي العَلاَمَةِ يَظْهَرُ

وبَعْـدَ قَاضِى الـفَصْلِ حَقًّـا ثُبُوتَهـا
فَحُكْمُ دَعَاوَى ٱلْغَيْرِ حُكْمٌ مُزَوَّرُ
بجِـدٍّ وجَـدٍّ قَدْ عَلَا وَغَــلاَ مَعًــا
وَلَا غَرْوَ أَنْ يَعْلُـو شَرِيـفٌ وَيَفْخَـرُ
فَيَاأَيُّهـا الظَّمْـآنُ رِدْ عَذْبَ مَنْهَـلٍ
لَدَيْهِ وَزَاحِمْ فَهْوَ فِى الخَلْقِ كَوْثَرُ
وَيَاخَائِفَ الذَّنْبِ ٱسْتَجِرْ بِجَنَابِهِ
تَجِـدْ حَرَمًـا لِلأَمْنِ يَعْفُـو وَيَغْفِــرُ
وَيَاطَالِبَ الرِّزْقِ ٱنْحُ مَطْلَبَ رِفْدِهِ
فكَنْـزُ يَدَيْــهِ لِلْـمُقِلِّيــنَ يَكْثُــرُ
لَقَدْ أَمِنُـوا أَهْـلَ ٱلْقُـرَى وَٱتَّقَـوْا أَمَـا
تَرَى بَرَكَـاتٍ فِى الـخَلِيفَـةِ أَظْهَــرُ
فَيَا مَعْـدِنَ الآمَالِ يَاعَيْـنَ قَصْدِهَـا
وَمَـنْ هُوَ بَعْـدَ اللّـهِ يُغْنِـى وَيُفْقِـرُ[1]
وَيَاحَسَنًــا فِى ذَاتِــهِ وَذَوَاتِــــهِ
وَأَحْمَـدَ مَنْ يُثْنَـى عَلَيْـهِ وَيُشْكَــرُ
وَيَابْنَ النَّبِيِّ الـمُصْطَفَى سُدْ وَشِدْ مَعًا
بِنَـاءَ مَعَالِـيكَ الَّتِــى لَا تُكَــدَّرُ
لَئِنْ جَلَّ خَطْبٌ حَلّ فِينَا وَقَـدْ بَدَا
وجُودُ وُجُودٍ مِنْكَ فَٱلْخَـطْبُ أَيْسَرُ

(١) الله وحده هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقـدر وهـذا البيت من المديح الكاذب « المراجع » .

وَإِنْ مَاتَ إِخْوَانٌ كِرَامٌ وَمَــعْشَرٌ
فَقَدْ مَاتَ خَيْرُ الخَلْقِ جَدُّكَ أَطْهَرُ

عَزَاءً وَصَبْــرًا لَابَــرِحْتَ مُسَدَّدًا
شَكُورًا وَفِى كُلِّ المُلِمَّـاتِ تَصْبِـرُ

بَقَـاؤُكَ لِلدُّنْيــا دِفَــاعٌ وَرَحْمَــةٌ
وَلِلدِّيــنِ تَأْيِيــدٌ وَنَصْــرٌ مُؤَزَّرُ

كَفَى شَاهِدًا أَنْ لَسْتُ أَشْعَر فِي الوَرَى
بِقَـوْلٍ وَإِنِّـي بِٱمْتِدَاحِـكَ أَشْعَــرُ

فَدُمْ أَبَدًا وَٱطْعَنْ بِسُمْرِكَ فِى العِدَى
فَعَـزْمُكَ مُبْــيَضٌّ وَعِـزُّكَ أَخْضَرُ

مقَـامُكَ مَأْمُــونٌ أَمِيــنٌ مقَامُــهُ
وَمَسْعَــاكَ مَنْصُورٌ وَأَنْتَ مُظَفَّــرُ

* * *

٢٠٤ ـــ محمـد بن بركات بن حسن بن عَجـلان بن رُمَيْثَـة بن أبى نُمَـيّ محمـد بن أبى سعـد حسن بن على بن قَتَـادَة الحسني المكي .

أمير الحرمين الشريفين والحجاز قاطبة ، وحَلْـي ابن يعقوب ، بل وجَازَان ؛ فإنه أخذها / .

١٩٥و جمال الدين أبو الفرج ابن أمير مكة زين الدين أبى زُهَيْر ، أمّه الشريفةُ شَقْرَاء ابنة زهـير بن سلميان بن رَيَّان بن منصور بن جَمَّـاز ابـن شِيحَـة الحسيني . ولـد فى شهـر رمضان سنـة أربـعين وثمانمائـة

بمكة ، ونشأ بها فى كنف والده .

وذكره الوالد فى تاريخه « الدُرّ الكمين بذيل العقد الثمين » ببعض ما سيأتى . وَٱسْتَجاز له جماعةً من المشايخ ، بل ودخل فى أجايز جَمَاعَةٍ أجازوا لأهل مكة .

فمن الأوّلين — وهم خلق —: عبدُ الرحمن بن خليل القَابُونِيّ ، إمام الجامع الأموي ، وأسماء ابنة المِهْرَانِيّ ، وأم هانئ ابنة الهُورِينِيّ ، ونَشْوَان الحَنْبَلِيّة ، وهَاجَر القُدْسِيّة ، والعلم البُلْقِيني ، وسعد الدين بن الدِّيرِيّ ، والعِزّ الكِنَانِي ، والشهاب الشَّاوِي ، والجلال بن المُلَقِّن ، وأخته صالحة ، والجلال القمصي ، والبهاء بن المصري ، والفخر السُّيُوطِيّ ، وناصر الدين الزِّفْتَاوِيّ ، ومحمد بن أحمد بن عِمَاد الأَقْفَهْسِيّ ، ومحمد بن أحمد بن عمر القَرَافِي — سِبْط ابن حمزة — وأبو الفضل المَرْجَانِيّ ، وأخته كَمَالِيَّة ، وكمالية ابنة على النُّوَيْرِىّ .

ولما طلب السلطان الظاهر جَقْمَق — فى سنة خمسين — أن يَطَأَ والدهُ البساط هو ، أو وَلَدُه [أرسلَ ولَدَه][(١)] هذا إلى القاهرة فى صفر ، فوصلها وعاد بالولاية لوالده ، فوصل مكة فى جمادى الأولى[(٢)] .

ولما كبر والده وتَوَهَّن بَدَنُه سأل مشدَّ جدة جَانِبَك

---

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن الدر الكمين .

(٢) فى الأصل « الأول » ، والمثبت عن المرجع السابق .

الظاهري — فى النصف الأوّل من سنة تسع وخمسين — بأن يكاتب السلطان ويسأله فى ولاية إمرة مكة لولده عوضا عنه . فأرسل مشدُّ جدة إلى السلطان الأشرف إينال يسأله فى ذلك ؛ فأجيب إلى سؤاله ، ووصل العِلْمُ إلى مكة بذلك فى يوم الثلاثاء عِشْرِى شعبان من السنة ، ثانى يوم مَوْتِ السيّد بركات ، ودُعِىَ له على زمزم بعد صلاة المغرب ليلة الأربعاء حادى عِشْرِى شعبان . وكان السيد محمد بن بركات غائبا ببلاد اليمن ، فأُرْسِلَ إليه فَوَصَلَ إلى مَكَّة فى أثناء ليلة الجمعة سابع رمضان .

فلما كان صبح يوم الجمعة حضر بالحطيم هو والقضاة ، والأمير ، والمجاورون ، والأعيان ، وقُرِئَ مرسُومٌ إلى السيد بركات يتضمن : أنه ،وردت إليه مكاتبات الأمير جَانِبَك، مشدّ جدة بالثناء على المخدوم ، وأنه بلغنا تَوَهُّنُ المخدوم وضعفُهُ وقِلّةُ حركته ، وقد أقمنا ولدَه جمالَ الدين محمدا فى إمرة مكة وأعمالها . مؤرخ بسادس عِشْرِى رجب .

فلما كان يوم الأربعاء رابع شوال وصلَ قاصدٌ من مصر ومعه كتابٌ من السلطان إلى السيد محمد بن بركات بالعزاء فى والده ، وتَوْقِيعَان . فلما كان فى صبح يوم الجمعة سادس شوّال حضر السيد محمد بالحطيم هو والقضاة والأمير والناس ، وقرئ المرسومان : أحدهما بولاية السيد محمد بن بركات ، مؤرخ بسابع عِشْرِى رمضان . والثانى إلى القضاة والأمراء والمجاورين والأعيان بولاية السيد محمد بن بركات لإمرة مكة .

وتوجّه فى شوال[١] سنة ثلاث وستين إلى الشرق .

وفى سنة أربع وستين[٢] توجّه إلى الشرق ثم عاد إلى جُدَّة .

وفى شوال تَنَافَرَ هو ووزيرُه بُدَيْد ، فخرج بُدَيْدٌ إلى جهة الشام فى عسكر كثير ؛ فاحتاط الشريفُ على بعض حواصله ، وجميع إبله ، وجمع عسكرا لغزوه ؛ فأَذْعَنَ بالصلح ، وحُلِّف على الطاعة ، وسلَّمَ جميعَ ما عنده من الخيل والسلاح والزَّانة[٣] ، وأَمَرَ أنْ يكون فى جهة اليمن . ثم اصطلحا فى جُمَادى الآخرة سنة سبع وستين ، ودخل مكة .

وأَنْشَدَ فى هذا الصُّلْحْ الأديبُ الأوحد البليغ إبراهيم بن مُبَارَك ابن سالم بن على المُرِّيّ الذُّهْلِيّ الشيباني القطيفِيّ[٤] قصيدة ، سَمِعَها الوالد منه ، فى سنة ثمان وستين وثمانمائة بالمسجد الحرام ، ولم يثبت غير مطلعها وهو :

أَقْبَلَ السَّعْدُ والنُّحُوسُ بُزَّلَا
وأَمَّنَا النُّورُ والظَّلامُ انْجَلَى

---

(١) وفى إتحاف الورى ورقة ٥٤٤ « فى عصر يوم الاثنين سادس شوال توجه السيد محمد بن بركات غازياً عرب البقوم ، فصبحهم فى يوم الخميس تاسعه ، وأغار عليهم وغنم منهم أموالاً كثيرة ، وقتل منهم جماعة » .

(٢) زاد إتحاف الورى ورقة ٥٤٦ « فى يوم الاثنين عشرى رجب » .

(٣) الزانة : كناية عن الرماح لأن نصل الرمح يركب بطرف الزانة .

(٤) له ترجمة فى الضوء اللامع ١/١١٨ ولم يذكر فيها تاريخ وفاته ، وفيها « القبطي » خطأ طباعي .

وفى سلخ ذى الحجة من سنة خمس وستين توجّه السيد محمد بن بركات زائرا النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فَزَارَ وَعَادَ .

وفى رجب (١) منها أو من التى بعدها ــ توجّه إلى الشَّرْق أيضا وعاد .

وفى جمادى الآخرة سنة تسع وستين توجّه السيد محمد إلى حَلْي صَوْبَ اليمن لِتَوْلِيَة محمد بن دُرَيْب حَلْيَ بعد موت عمه [موسى] (٢) السُّهَيْمِيّ ، فولّاه وعاد .

وفى ربيع الأول من سنة سبعين توجّه السيد محمد ومعه أهلُه وعسكره إلى المدينة الشريفة فى قافلة عظيمة ، فيها قاضى القضاة بُرْهَان الدين بن ظهيرة ، وكثيرٌ من جماعته وَأَهْلِه ، والقاضي الحنبلي ، وجماعة من التجار . فكانت عدة الشَّقَادِف خمسمائة وأربعة وعشرين ، والشُّجُر اثنين وتسعين ، والمَحَايِر سِتِّينَ ، والزَّوَامِل ثمانمائة واثنتين وستين ، والركاب مائة وسبعة وعشرين ، والخيل ثمانية

---

(١) وفى إتحاف الورى ورقة ٥٥٤ في أخبار سنة ٨٦٥ هـ « أنه توجه فى يوم الأحد ثالث عشر شعبان إلى الشرق غازيا ، ثم عاد إلى مكة فى يوم الخميس ثانى رمضان » . وفى ورقة ٥٥٩ فى أخبار سنة ٨٦٦ هـ « وفيها فى ظهر يوم الخميس سابع رجب توجه السيد محمد بن بركات نحو الشرق ، وفى مسيره فى ظهر يوم الأحد عاشر رجب ظفر بجماعة من الأعراب ، وقتل منهم ستة عشر رجلا .. إلخ » وفى ورقة ٥٦٢ في أخبار سنة ٨٦٧ هـ « توجه السيد محمد بن بركات نحو الشرق فى ليلة الاثنين راسع عشر رجب .. إلخ » .

(٢) إضافة عن إتحاف الورى ورقة ٥٧٠ .

وثلاثين ، والبغال ثلاثمائة وثمانين ، والحمير خمسمائة وخمسة ، والنِّيَاق المَخَاضُ للشريف عشرين . ودخل المدينة في ربيع الثانى . فأقاموا بها جمعة وعادوا فى ربيع الثانى .

وفى شعبان من سنة سبعين توجّه السيد محمد نحو الشرق ، وعاد فى ذى القعدة(١) .

وفى رجب سنة إحدى وسبعين توجّه السيد محمد إلى يَنْبُع لقتال الأشراف ذَوِى هَجَّان(٢) ، وذَوِى إبْرَاهِيم في عسكر كثير ، وحاصروا المذكورين فى بلادهم السُّوَيْق ، وقطعوا بعض نخيلهم . فلما رأوا من أنفسهم الغلب نزلت خَاتُون ابنة هَجّان بن محمد بن مسعود ــ أخت سَبْع(٣) ، وزوجة خُنَافِر بن عُقَيْل بن وُبَيْر(٤) مُتَوَلِّي البلاد ، فى النهار وهي مُظَلَّلٌ عليها ــ إلى السيد محمد ، وٱسْتَشْفَعَتْ عنده فشَفَّعَهَا ، ثم عاد إلى مكة في شوال .

وفى هذه السنة أَخْرَجَ أهلُ حَلْي محمدَ بن دُرَيْب

---

(١) وفى إتحاف الورى ورقة ٥٧٢ في أخبار سنة ٨٧٠ هـ « فى يوم ثامن عشرى شعبان توجه السيد محمد بن بركات نحو الشرق ، وعاد إلى مكة فى صبح يوم الجمعة سادس القعدة » .

(٢) كذا في الأصل ، والدر الكمين ، وإتحاف الورى ورقة ٥٧٤ . وفى الضوء اللامع ٢٠٨/١٠ برقم ٨٩٢ ، وعلى طريق الهجرة ١٩٦ « هجار بن وبير بن نخبار » .

(٣) هو سبع بن هجان بن مسعود الحسني ، مات سنة ٨٨٧ هـ . (الضوء اللامع ٢٤٣/٣ برقم ٩١٧) .

(٤) له ترجمة فى الضوء اللامع ٢٠٧/٣ برقم ٧٧٧ وفيها « توفي فى سنة ٨٧٥ هـ » .

[عنهم](١)، فأرسل السيّد محمد مَنْ استولى على البلاد .

وفي لَيْلَةِ الجمعة ثانى عشرى شعبان سنة اثنتين وسبعين توجّه السيد عَلِي بن بركَات مِنْ جُدَّة إلى مِصْرَ بَرًّا ، ولم يُفْطَنْ لذلك إلا يوم السبت وَصَلَ مُخْبِرٌ إلى جدة ، وأخبر أنه رآه بالقُفَّيْنِ مُتَوَجِّهًا إلى صَوْبِ يَنْبُع . فأرسل قاصدا إلى مكة بذلك ، فصادف وصولَ خالِه الشَّرِيف شامان بن زهير مكة ، فتوجّه خلفه إلى يَنْبُع ففاته وتركَ بها بعضَ جماعته ، فَرَدَّهُم شَامَانُ . ووصل بهم معه مكة . ثم إن السيد محمداً لما وَصَل إلى مكة فى رمضان لَامَ خَالَه على ما فعل ، وأرسل قاصدا إلى مصر ، واتُّهِمَ الشريفُ المحتسبَ / بمكة ، ونائبَ البلد القائد عبد الله بن بيخا بمواطئتهما لأخيه ١٩٦و
علي ؛ فنفاهما إلى اليمن(٢) .

وفى ثامن ذى القعدة وصل مكة الشريف بساط قاصدُ السيد محمد ومعه الخبرُ بأن السيد عَلِيًّا واصل مكة ، و [قد](٣) أمر السلطان [أنه](٣) يصطلح هو وأخوه .

وفى حادى عشر الشهر وصل الشريفُ مكةَ ، وقرئ مرسوم له ثانى تاريخه بالحطيم ، يتضمن : أن السيد عَلِيًّا وصل إلينا إلى مصر وأكرمناه ، وأثنى عليكم خيرا ، وقال : إنكم له بمنزلة

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن الدر الكمين ، وإتحاف الورى ورقة ٥٧٦ .

(٢) إتحاف الورى ورقة ٥٧٨ .

(٣) إضافة عن إتحاف الورى ورقة ٥٨٠ .

الوالـد . ثم جاءنـا نَجَّابُكُـم زهيرٌ بكتبكـم ، ثم السيـد زيـن الديـن بساط ، وفى كتبكـم : أنـه خرج بغير علمكـم ، ولاتعلمـون لذلك سببـا ، وأن ذلك تعـليم ممن يرمـى الفتـن ، والمقصود إرسالـه . وقـد أمرناه بالتجهز إليكم فلا تشوشون(١) عليه بوجـه من الوجـوه ؛ فإنـه استجار بنا ، ولاتسمعون(١) فيه كلام المناجيس ، وتذكرون كلام الله تعالى ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾(٢) وغير ذلك(٣) .

وفى تاسع عشرى القعدة وصل السيد على بن بركات(٤) .

واتهم السيـد محمـد أيضا محمـد بن بُدَيْـد ، وخالَـه أحمد بن قُفَيْف بمواطئته السيـد عليًّا ؛ فأمـر بقتلهمـا بالـوادى فى سابـع المحرم سنة ثلاث وسبعين ، فُقِتَلَا بين واديي أبي عروة والجمـوم ، وحملا إلى المعلاة ، فجهـزا ودفنـا ، ولم يُنَـحْ عليهمـا ، ورسمَ السيـد محمـد على المختصين بابن بُدَيْد ، واستولى على كثير من أمواله ، ونفى جماعتـه ، وذوى عمر ، فباع ذوو عمر جميع أموالهم ، وخرجوا كلهم إلى ناحيـة اليمن(٥) .

وفى شعبان سنة ثلاث وسبعين كانت قتلة بين السيد محمد ، وزُبَيْد ذوى مالك بالقُرْب من رابغ ، فكان الظفـر فى ذلك له ـــ مع أنه كان فى قِلَّة من أصحابه ـــ وقتل من زُبَيْد نحو سبعين رجلا منهم

(١) كذا في الأصل .

(٢) سورة القصص آية ٣٥ .

(٣) إتحاف الورى ورقة ٥٨٠ .

(٤) إتحاف الورى ورقة ٥٨١ .

(٥) إتحاف الورى ورقة ٥٨٣ .

شيخهم رومي ، وفرّ باقيهم هاربا ، فغنم منهم أموالا كثيرة ، يقال إنها ثلاثة آلاف بعير وغير ذلك . ولم يقتل من أصحاب الشريف إلا أربعة : شريفان من ذوى أبى نُمَىّ ، وعدوى ، وعبد . ثم إن الشريف صالحهم بعد ذلك فى سنته ، وأعطاهم مالا ، وعاقدهم على مدة ، ثم نكث بعضهم قريبا (١).

وفى ذى القعدة عادت الحسبةُ للشريف ، فإنها كانت خرجت فى العام الماضي للباش مُغُلْبَاي (٢) .

وفى المحرم سنة أربع وسبعين غزا السيد محمد جماعة من العرب (٣) ، وقتل منهم قُرْبَ الثلاثين وغنم منهم إبلا وغنما كثيرا .

وفى آخر صفر منها توجّه بعسكره من وادى مَرّ إلى جهة الشرق لغزو بعض عرب عُتَيْبَة (٤) ؛ فإنهم قطعوا المجود الذى بينهم وبينه . وأرسل إلى مكة أن يرسلوا له آلة الحرب من دروع ، وتجفاف ، وغير ذلك ؛ فارسلوا له ذلك . فلما قرب من العرب أُنْذِرُوا قبل وصوله بيوم ، فحملوا كلهم ، ورحلَ بعضهم ، ولَحِقَ

(١) إتحاف الورى ورقة ٥٨٤ ، ٥٨٥ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) وهم عرب البقوم من بني لام ، كما فى إتحاف الورى ورقة ٥٨٥ . وانظر في نسبهم معجم قبائل الحجاز .

(٤) عتيبة : إحدى القبائل الكبيرة في شرق الحجاز ونجد . وكانت ديارهم حرة الحجاز ، شمال مكة ، وتمتد شرقاً وجنوباً إلى الطائف . (معجم قبائل العرب ، ومعجم قبائل الحجاز .

الباقين قبلَ سيرهم صُبْحَ يوم الثلاثاء سابع عشرى صفر ؛ فقتلَ منهم نحو الخمسين رَجُلا ، وفَرَّ الباقون ، فغنم منهم نعما وشاءً كثيرا وغير ذلك . وعاد نصره الله ــ سالما (١).

ووصله مرسوم وخلعة فى جمادى الأولى ، وكذا فى جمادى الثانية ، وكذا فى رجب مع نائب جدة ، ولبس الخلع وقرئت المراسيم (٢) .

وبعد الحج من هذه السنة توجّه مع حاج بَجِيلَةَ وحاج عَرَب شَهْرَان إلى / أن أوْصَلَهُم إلى مأمنهم ، ورجع إلى الوادى (٣) . ١٩٦ظ

وفى صفر من سنة خمس وسبعين جاءه مرسوم وخلعة ، فلبس الخلعة وقرئت المراسيم بالحطيم . وفى يومه سافر هو وعسكره إلى الشرق بنية أن يصالح بنى سعد (٤) ، وغاب ببلاد الشرق نحو ثلاثة أشهر ، وعاد بالسلامة (٥) .

وفيها فى يوم الثلاثاء رابع عشر شعبان أوقع بجماعةٍ من عَرَب

---

(٤) إتحاف الورى ورقة ٥٨٨ ، ٥٨٩ .

(٢) وانظر تفصيل هذه المراسيم فى إتحاف الورى ورقة ٥٨٩ ــ ٥٩١ .

(٣) إتحاف الورى ورقة ٥٩٤ .

(٤) بنو سعد : قبيلة شريفة الأرومة ، منها حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية ، ظئر رسول الله ﷺ ، وديارهم من الطائف إلى جهة الجنوب الشرقي ، وتعد هذه القبيلة أصل قسم كبير من عتيبة . (قلب جزيرة العرب ، ومعجم قبائل العرب ، ومعجم قبائل الحجاز) .

(٥) إتحاف الورى ورقة ٥٩٦ .

زُبَيْد تحت جبل صبح(١) ، وقتل منهم جماعة (٢) .

وفيها ـــ فى شوال ، أو ذى القعدة ـــ حصل بينه وبين زُبَيْد ذوى مالك كلام فحصل منهم عِصْيَان ؛ فأرسل الشريف خاله شامان بن زهير ، وأخوين له أحدهما [يقال] (٣)له على والآخر أصغر منه ، مع جماعة ، وقال لهم : شِيعُوا أنكم طالبون الشرْق (٤) ، وفى الليلة الفلانية يكون مَبِيتُكم بالموضع الفلاني ، وهو بالقرب منهم ، وفى صبيحتها صَبِّحُوهُم . ففعلوا ذلك ؛ فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، يقال إن المقتولين نحو الخمسين ، وساقوا لهم جملة من المال ، وبقوا فى تلك الناحية مُدَّةً وعادوا .

ووصل مُغُلْبَاي باش المماليك السلطانية فى الموسم ، ومعه الحسبة أيضا (٥) .

وفى ليلة الأحد ثانى عشرى ربيع الأول سنة ست وسبعين وصل نَجَّابُه بخلعة ومرسوم ، وفى صبيحتها لبس الخلعة ، وقرىء

---

(١) جبل صبح : جبل شامخ يضرب إلى الحمرة ، وهو جبل ثافل الأكبر ، ولكنه يسمى حالياً جبل صبح ، يستمد منه وادي غيقة مياهه ، وغيقة باحة بين الجبال كالروضة العظيمة ، يشرف عليها من الجنوب ثافل الأكبر ومن الشمال الشرقي مغرى ، ومن الغرب جبل كراس . وكلها يضمها وادى الصفراء العظيم (على طريق الهجرة ١٦٧ ، ١٦٨ ، ٢١٨) .

(٢) إتحاف الورى ورقة ٥٩٦ .

(٣) سقط في الأصل ، والمثبت عن إتحاف الورى ورقة ٦٠٠ .

(٤) « كذا في الأصل ، وفى المرجع السابق « الشرفاء » .

(٥) المرجع السابق .

المرسوم ، وفيه : أن نجابكم زين الدين الخراشي ، وأمير الحاج المصري يشبك الجمالي ، أنهيا إلينا محبتكم وقيامكم بالحاج ، ومَا الناسُ عليه من الأمن ، وعدم طمعكم فى مال أحد ، وأن الشريف له فى [المواريث الحشرية][(١)] ما دون الألف على العادة ، والسطان له ما فوق الألف .

وفيها — فى النصف الأول من شعبان — أمر الشريف بتخريج ذوى عجلان ؛ فخرجوا ليلة السبت رابع عشر [الشهر][(٢)] إلى جُدَّة ، ليتجهزوا مع من هناك ويركبوا جميعا فى جَلْبَةٍ إلى اليمن ، ولم يتحقق السبب لذلك ، لكن يقال إن سببه توجُّه الشريف رُمَيْثَة بن أبى القاسم بن حسن بن عجلان من جهة اليمن إلى جهة الشرق ، ثم إلى المدينة ، وأن ذلك بمواطئة منهم ، أو مخالفته ، وأن بعضهم أحرَق دكانا بجُدَّة لبعض المتسببين فى تلك الأيام .

وفيها — فى يوم الخميس سابع عشر رمضان — وصله خلعة ومرسوم مع نائب جدة الأمير شَاهِين ، فلبس الخلعة ، وقُرِئ المرسوم بالحطيم ، وفيه : الثناء عليه ، وإخباره بوصول المباشرين ، والوصية عليهم[(٣)] .

---

(١) فى الأصل « الترك » ، والصواب ما أثبتناه ، والخبر فى إتحاف الورى ورقة ٦٠٣ .

(٢) إضافة عن إتحاف الورى ورقة ٦٠٤ .

(٣) إتحاف الورى ورقة ٦٠٥ .

وفيها — فى يوم الجمعة ثامن عشر رمضان — توجّه السيد محمد إلى الشرق ، وأغار على عرب البُقُوم فى يوم الأربعاء ثالث عِشْرِى رمضان ؛ فكسرهم وأخذ جانبا من إبلهم ، وعاد إلى مكة فى ضُحَى يوم الأحد سابع عشر القعدة [(١)].

ووصل مع أمير الحاج مرسوم للسيد محمد ، ولقاضي القضاة الشافعي برهان الدين بن ظهيرة أن يتوجَّها إلى الأبواب السلطانية . فأرسل الشريف ولده السيد بركات عِوَضًا عنه ، وتوجّه مع الحاج ومعه القاضى برهان الدين ، وأخواه وولدهُ وجماعةٌ من جماعته [(٢)] ،
١٩٧و وحصل لهم كلهم من القبول والعظمة والاحترام ما لم / يسمع بمثله ، وسيأتى الكثير من ذلك فى ترجمة ولده السيد بركات ، واستمروا كذلك إلى آخر السنة ؛ إلى أن توجَّهُوا مع الحجاج إلى مكة المشرفة [(٢)].

وفى ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وِصَلَه مَرْسُوم يأتى ذكره . وتوجّه إلى الشرق للغزوِ ، وأعطى الشُّرَفاء ذَوِى أبى نُمَيّ أَلْف دِيَنار ، وأمرهم بالتوجُّه معه — وكان قبل ذلك أرسل خَالَه شَامَان وشقيقَه عليا إلى الشرق للغَزْوِ ، فغزوا وغنموا وعادوا — ثم عاد الشريف فى جمادى الثانية ، ودخل مكة ليلا ، وخرج صبيحتها إلى عرفات ، ثم إلى اليمن [(٣)] .

---

(١) المرجع السابق .

(٢) إتحاف الورى ورقة ٦١٤ — ٦١٧ .

(٣) إتحاف الورى ورقة ٦١٧ .

وفيها — فى ليلة الأحد ثالث شهر رمضان — وصل [الشريف][1] إلى مكة ، وكان نازلا بَيْنَ جُدَّة وحَدّا ، ووصل قاصدٌ من مِصرَ فى البحر ، وفى صَبِيحَتِها حَضَر إلى الحطيم هو والقضاة والباش ، وبعض الفقهاء ، وقُرِئ مَرْسُومَانِ له ، ولَبِسَ الخلعة ، والأول هو الذى وصل إليه فى ربيع الأول ، وهو يتضمَّنُ : وصولَ ابنه ، والقاضى برهان الدين وجماعته ، وملاقاتِهم وإكرامهم ، وإنزالَهم بتُرْبَةِ السلطان بالصحراء ، والرضى [عليهم][1] ، وشكرَ القاضى . وأمير الحاج له[2] ، وحُسْنَ سِيرَته ، وأَمْن البلاد ، وقِلَّة طمعه ، وإخبارَه بوصول مَحْمَلِ العِرَاق وأَمِيرِه وقاضِيهِ ، وشُكْرَه على فعله معهم ، من أجل قلة احترامهم للمدينة النبويّة ، وغير ذلك .

والمرسوم الثانى يتضمن : أن ابنه والقاضى وجماعته بخير ؛ وأننا أمرنا ناظر الخاص أن يجهز لهم خِلَعَ السَّفَر ، فاختاروا الإقامة إلى خروج الحاج والإتيان معهم . و[أن][3] الشريف رُمَيْثَة تكلَّم معنا في أمرِ الحجازِ المرة بعد المرة فامتنعنا ، وجمعنا بينه وبينهم عندنا ، ومَدَدْنا[4] لهم سماطا عظيما ، وأمرناه بالتجهُّزِ إلى الحجاز . فأصَرّ على الامْتِنَاعِ ، فأقمناه من[5] المجلس ، وأمرنا بتوجُّهِهِ إلى الإسكندرية ، ثم توجّه معه دَوَادَارُ نائب الإسكندرية إلى

---

(١) إضافة عن إتحاف الورى ورقة ٦١٨ .

(٢) أي للشريف كما في المرجع السابق .

(٣) سقط فى الأصل ، والمثبت عن الدر الكمين ، والمرجع السابق .

(٤) فى الأصل « مدينا » ، والمثبت عن المرجعين السابقين .

(٥) فى الأصل « فى » ، والمثبت عن المرجعين السابقين .

الإسكندرية . فَلْتَقَرَّ عَيْنًا ؛ فإننا لانُغَيِّرُ عَلَيْكَ ما دُمْنَا على تَخْتِ الملك . وفى ثانى سنة جاء نَعْيُ رُمَيْثَة .

وفى ليلة الثلاثاء رابع عِشْرِى ذى القعدة دخلَ مكة السيّد بركات والقاضى بُرْهَان الدين وجماعته ، ونائب جدة الأمير شاهين ، ولاقاهم فى الصباح السيد محمد ؛ فلبس خِلْعةً وكذا ولدُه ، والقاضى وولدُه وأخواه ، ودخلوا إلى الحطيم ، وقرئ به مراسيم للشريف والقضاة ، وهي تتضمن : وصول السيد بركات والقاضى وجماعته ، وأننا أكرمناهم ، وأنزلناهم عندنا ، وخلعنا عليهم خلعا . والسيد بركات يكون نائبَ أبيه ، وأُعَدْنا القاضى وأخويه إلى وظائفهم — وذُكِرت(١) .

وفى ربيع الأوّل من سنة تسع وسبعين وصل قاصدُه ، ومعه مرسوم وخلعتان له ولولده بركات ، فقُرِئ المرسوم بالحطيم بحضرة القضاة والباش ، ولبسا الخلعتين . وفِى المرسوم : أن الحجاج وصلوا شاكرين ، وأن قاضى بلاد حسن [بك](٢) وصل إلينا قاصدا ، ويطلب الرِّضَى ، واعتذر عما صدَرَ منهم ، فإذا وصلَ الحجاجُ مِن

(١) أي الوظائف ، وقد بينها النجم بن فهد فى إتحاف الورى ورقة ٦٢٠ كما يلي : وأعدنا القاضي برهان الدين إلى قضاء مكة والنظر بها ، ونظر الأوقاف . وأخاه القاضي كمال الدين إلى قضاء جدة ، وخطابتها ، وأن يحكم بمصر ، وحيث دخل ركابه . وأخاه الخطيبَ فخر الدين إلى نظر رباطي السدرة ، وكلالة وأوقافهما .

(٢) إضافة عن الدر الكمين ، وإتحاف الورى ورقة ٦٢٢ . وهو حسن بك بن علي بك بن قرايلك ملك ديار بكر . (النجوم الزاهرة ٣٨٤/١٦ ، والضوء اللامع ١١٢/٣ برقم ٤٤٢) .

بلاده ، ومشوا على طريقة الحجاج فقابلوهم بالإكرام ، وإلا فقابلوهم بما يفعلونه .

وفى ذى القعدة وصل للشريف مرسوم وخلعة مع نائب / جُدَّة وناظرها البدري أبى الفتح المنوفي(١) ، ولبس الخلعة لَـمَّا لَاقَاه ، ١٩٧ظ
وقُـرِئ المرسومُ بالحطيم . وفيه : التوصية عليه .

وفيه وصل لمكة الأمير الكبيرُ(٢) ، وأَلْبَسَه ووَلَدَه بركات خِلعَةً خِلْعة ، وكـذا وَصَلَت خَوَنْـد الخَصْبَكِيَّـة(٣) وأَلْبَسَتْهُمَـا خِلْعَـتين أَيْضاً .

وفى المحرم من سنة ثمانين تَوَجَّـه إلى الشرق ، ثم عاد إلى مكـة فى ربيـع الأوّل ، ووَجَـدَ قاصدَه جاء مِن مصر ، فاجتمـع هو والقضاةُ بالحطيم ، وقرئ مرسومـه ، ولـبس هو وولـدُه بركات خِلْعَتَيْـن . ومضمـون المرسوم : إخبـارُه بوصولِ الحاج سالمين شاكرين ، إلى غير ذلك ، وفيه إنّ فى ضَمَانِكَ مِن مَكة إلَـى رَابِـغ ، وإن « عميقـاً » شَوَّشَ عَلَـى الحاجِ ، والمقصودُ رَدْعُـهُ وردُّهُ هو وجماعته عن الحاج ، والإشهاد عليه(٤) .

(١) هو محمد بن محمد بن العز المنوفي . (الضوء اللامع ١٠/٣٥ برقم ٩٨ ، وبدائع الزهور ٣/١٠٠) .

(٢) الأمير الكبير : هو أزبك اليوسفي الخازندار ، كان أمير مائة ومقدم ألف . (إتحاف الورى ورقة ٦٢٤ ، والضوء اللامع ٢/٢٧٢ برقم ٨٤٧) .

(٣) سماها النجم بن فهد فى إتحاف الورى ورقة ٦٢٤ : زينب بنت علي ، وكذا سماها درر الفرائد ص ٣٣٧ ، وسماها بدائع الزهور ٣/١٠٤ فاطمة ابنة العلاء علي بن خاص بك .

(٤) إتحاف الورى ورقة ٦٢٧ ، ٦٢٨ .

وفى ذى القعدة وصل نَائبُ جدة البَدْرِيُّ أبو الفتح المنوفي ؛ فلاقاه الشريف ، فألْبَسَهُ ووَلَدَه السيد بركات خلعتين ، وقرئ مرسوم الشريف بالحطيم . وفيه : التوصية بالنائب ، وأمر الخطيب بالزيادة فى الدعاء للشريف . فامتثل(١) .

وفى أوائل سنة إحدى وثمانين تَوَجَّه هو وأهلُه إلى الشرق ، فلما سمع بقُرْبِ قدوم نائب جُدّة البدري أبى الفتح المنوفي جاء إلى مكة فى أوائل جمادى الأولى ، وخلّف أهله بالشرق ، واجتمعا ، والقضاة ، والباش بالحطيم ، ولبس هو وولدهُ خلعتين ، وقرئ مرسومه ، وفيه : وصول الحاج وهم شاكرون .

وفيها — فى ذى القعدة — وصل نائب جدة قَرَاجَا عَتِيقُ الدوادار الكبر جَانِبَك الجَدَّاوِيّ ، بعد زيارة المصطفى ﷺ ، وخرج الشريف للقائه وألبسه خلعته ، وقرئت المراسيم بالحطيم بحضرة القضاة ، والباش ، والتجار ، ومضمونهم(٢) أن الواصل إلى مكة من المَرْجَان وغيره ، مما هو من بضائع [الهند](٣) لايترك منه شيء يُذْهَبُ به إلى اليمن ، حتى لاتبقى المراكب الهندية تدخل اليمن ، والواصل من اليمن من بضائع الهند يكون بين السلطان وبين الشريف نصفين ، ولم تَجْرِ بذلك عادةٌ قبل ذلك ، بل كان ذلك مما يختص بالشريف ، ومن مات بمكة وجُدَّة ولم يكن له وارث ،

---

(١) إتحاف الورى ورقة ٦٢٨ ، ٦٢٩ .

(٢) كذا فى الأصل ، والدر الكمين ، وإتحاف الورى ورقة ٦٣٥ .

(٣) سقط فى الأصل ، والمثبت عن المرجعين السابقين .

[يكـون](١) من أشرفي إلى ألـف للشريـف ، ومـا فَوْقَ ذلك للسلطـان . ومـن مات ولـه وارث غائـب فلايَخْتِمُ على مالِ الميت القـاضى عَلَـى العـادة ، بل ذلك إلى نائب جُدَّة قَرَاجَـا ، والفُلْفُـل الواصلُ إلى جُدَّة من الهند يُؤْخَذُ منـه للسلطـان بسعـر العـام الماضى والـذى قبلـه . ولايُعَـارَضُ نائب جُدّة فى شيء مما يريـده . والتوصيـة عليه ، وأنه من المقربين .

وفيها اجتمع هو والأمـراء عنـد أمير الحاج ، واتفقـوا على ألا يدخـل العِرَاقِـيُّ بمحملـه على العـادة ، بل يتـرك ذلك بالزاهـر ، فأَمَرُوه . ففعل ، ثم إنه أعطى لأمير الحاج شيئا . وكذا الباش فأذنا ؛ فحَجُّـوا به . ولما انـقضى الحج رسم الشريـف على أمير العراقـيين ، وبعض جماعته لأجل خلعتيه فى العـام الماضى وهـذه السنـة ، وعادتـه فيمـا يأخـذه منـه من الـذهب فى العـام الماضى ، ولْأجـل أنـه جاء بصدقـةٍ ، ولم يعـط الشريـفَ الثلثَ عَلَـى عادتـه فى الصدقـات ؛ فاعتذر عن الخلعتين بأنه لَمْ يُلاَقِه(٢) وإنما هي بشرط الملاقاة . وعـن عادتـه فى الـذهـب بأنـه رَدَّه ، وعـن الصدقـة التـي جاء بها إنما هي لحمـل / الضعفـاء ، وأنـه اشترى ببعضهـا زَرَابِيـلَ(٣) للفقـراء ، ثم ١٩٨و
أرضوا الشريف وتخلَّصُوا .

---

(١) سقط فى الأصل ، والمثبت عن المرجعين السابقين .

(٢) فى الأصل « لم يوافقه » ، والمثبت عن الـدر الكمين ، وإتحاف الـورى ورقـة ٦٣٦ .

(٣) زرابيل = سرابيل : جمع زربـال وسربـال ، وهـو القمـيص أو كل ما يلـبس . (لسان العرب) .

وفى أوائل سنة اثنتين وثمانين جمع عسكرا كثيرا جدا ، واحتفل له احتفالا زائدا ، وتوجّه إلى جازان[1] من بلاد اليمن ؛ لغيظه على صاحبها ، لَعَلَّهُ لأمورٍ ، منها : إكرامه لأخيه عَلِيٍّ لَمَّا وَفَدَ عليه مُغَاضِبًا لأخيه ، ثم تَعَدِّيه من البحر إلى سَوَاكِن حتى توصَّلَ إلى صاحب مصر . ومنها : إيواؤه لِمَنْ يَنْفِيهِ من عسكره ، ومنهم ذوو عمر المقيمون عنده الآن .

فلما وصل إلى جَازَانَ حاصرها أيَّامًا يسيرةً . وجاءه المشايخُ ودخلوا عليه بالصلح ، فقال لهم السيد محمد : بعد أنْ جئتُ إلى هنا فَلاَ بُدَّ أَنْ أَدْخُلَ مِنْ بَابٍ وأَخْرُجَ مِنْ الثانى ، وَلاَ أُحْدِثُ شيئا . فامتنع صاحبُ جَازَان الشريفُ أبو الغواير[2] ، وقال : لايمكن ذلك أبدا ، وبَرَزَ للقتال ، وصَفَّ عَسْكَره للحرب . فَعَزَمَ السيد محمد عَلَى ملاقاتهم ، فبينما هو يريد الركوب وإذا بأوائل عسكره تَلاَقَى مَعَ عسكر صاحبِ جَازَان ، ورمى بعضُ العسكر نارا في بيوتهم ـــ وغالبها عشش للداخل من البلاد والخارج ـــ فأرسل الله ريحًا قوية حملت الشَّرَرَ إلى داخل البلاد فأحرقها . فلما رأى ذلك عَسْكَرُ صاحبِ جازان هربوا مِنَ الباب الثانى ، ثم هَرَبَ هو

(١) جازان : مدينة بجنوب المملكة العربية السعودية ، على ساحل البحر الأحمر ، أصبحت فى العهد السعودي إمارة كبيرة ، فيها كافة المرافق الحيوية للمدينة ، وتتبعها إمارات صغيرة . (بين مكة واليمن ٢٦٦ ، ٢٦٧) .

(٢) هو الشريف أحمد بن دريب بن خالد ، شهاب الدين أبو الغواير بن قطب الدين الحسني صاحب جازان ، وابن صاحبها . (الضوء اللامع ١/٢٩٩ ، وغاية الأماني ٢/٦٠٩) .

وباقى عسكره ، وخلت البلد منهم ؛ وحينئذ دخلها العسكرُ ، ونهبوها جميعا ، وأخربوا الحصن(١) ونهبوا جميع ما فيه ، وكان فيه جملة من المتاع والثياب والكتب ، وأحرق باقى البلد وخرب سورها . وجميع ما فيها من الدور خلا المساجد ، وقتلوا كثيرا من الرجال والنساء والولدان صَبْرًا(٢) ، واستأثر العسكرُ كثيرا من النساءِ الشرفاء وغيرهم وحملوهم معهم إلى بلدانهم . وكان هذا الفعل شنيعا ، عاد وباله على أهل مكة ؛ فإنها قَحَطَتْ سنين عَدِيدَة ، ولا حَوْل ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم ، وكانت الكسرة فى يوم الخميس سابع ربيع الأول ، ووصل الخبرُ إلى مكة بذلك فى ليلة الأحد سابع عشر ربيع الأول ، ونودى فى صبيحتها بزينة مكة سبعة أيام ، فزيّنت . وعاد الشريف وعسكره إلى مكة فى هذا الشهر أو الذى يليه . ثم رجع الشريف أبو الغواير إلى بلده بقطعة يؤدِّيها فى كل سنة لصاحب مكة . ولم أتحقق ذلك .

وقال القاضى العلامة الأديب خير الدين أبو الخير محمد بن أبى السعود بن أبى البركات بن أبى السعود بن ظهيرة القرشي(٣) المكي ، يهنىء السيد الشريف محمدا بالنصر والسلامة فى هذه الوقعة بقصيدة مطلعها :

---

(١) الحصن : هو حصن الدوسرية : قلعة على رأس جبل مستطيل بمحاذات البحر ، تقوم عليه مدينة جازان . (بين مكة واليمن ٢٦٦) .

(٢) وانظر بغية المستفيد لابن الديبع ١٥٥ — بتحقيق عبد الله الحبشي .

(٣) له ترجمة في الضوء اللامع ٢٧٩/٩ برقم ٣٢٢ ، ولم يرد فيها ذكر وفاته .

فِي صَادِقِ الخُبْرِ مَايُغْنِى عَنِ الخَبَرِ
وَفِي ٱقْتِنَاصِ الصَّيَاصِى غَايَةُ ٱلْوَطَرِ
وَفِى ٱمْتِلَاكِ الصَّيَاصِى أيُّ مَنْقَبةٍ
وَفِى بُلُوغِ ٱلأُمَانِى لَذَّةُ العُمُرِ
ومنها :
مَلْكٌ لَهُ فِي رَحِيبِ الفَضْلِ بَادِرَةٌ
وَفِى حُروبِ الأَعَادِى أَيُّ مُصْطَبَرِ
قَرْمٌ هِزَبْــرٌ إذَا ماشِمْتَ طَلْعَتَــهُ
رَأَيْتَ عَجّاجَ بَحْرٍ غَيْرَ مُحْتَكرِ
إِنْ جَالَ فِى صَهَوَاتِ ٱلْخَيْلِ يَوْمَ وَغًى
تَرَاهُمُ يُلْصِقُونَ الأَرْضَ بالطُّرَزِ /
١٩٨ظ أَو قَابَلَتْهُ صَنَادِيدُ الحُرُوبِ ضُحًى
تَرَى جِبَاهَهُمُ تَلْتَاثُ بالعَفَرِ
هُوَ الشُّجَاعُ المُطَاعُ ٱلْهَولُ سَيِّدُنَا
أَبُوقنـاع مَنِيـعُ الجَــارِ وَالجَــوَرِ
السَّيِّدُ الخَفْرُ ابنُ السَّيِّدِ الخَفْرِ ابْـ
ـنِ السَّيِّدِ الخَفرِ ابنِ السَّيِّدِ الخَفْرِ
مُحَمَّدٌ ذُو الأَيَادِى ٱلْبِيْضِ مَالِكُنَـا
مَلك ٱلْبَسِيطة مِنْ بَدْوٍ وَمِنْ حَضَرِ
فَاقَ الملوكَ فَلَوْ فِى كَفِّهِ وُزِنُوا
بِظُفْـرِهِ لَمْ يُسَاوُوا منفـذ الظُّفــرِ
يهْدِى بِهَدْيِ رَسُول اللَّــهِ مُتَّبِعًا
مَاجَاءَ عَنْ جَدِّهِ فِى الكُتُبِ وَالسِّيَرِ

وَسَارَ بِٱلْعَدْلِ حَتَّى قَالَ كُلُّ فَتًى
هَـٰذَا الخَلِيفَةُ بَعْدَ السِّتَّةِ الغُرَرِ
يَاثَانِىَ ٱلْغَيْثِ عَمَّ [الأرضَ][1] نَائِلُهُ
يَاثَالِثَ المُشْرِقَيْنِ الشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ
يامُصْدِرَ البِيضِ حُمْرًا بَعْدَ مَاوَرَدَتْ
نُحُورَ ثَغْرِ الأَعَادِى السُّودِ وَٱلصُّفُرِ
إن الخِلَافَـــةَ قَدْ نَادَتْكَ مُعْلِنَـــةً
أَسْرِعِ إِلَىَّ رَعَاكَ اللّٰهُ مِنْ مُضَرِ
أَسْرِعْ إِلىَّ فَمَا فِى الدَّارِ مِنْ أَحَدٍ
وَقَدْ وَجَدْتَ مَطَارًا صَالِحًا فَطِرِ

ومنها :

يَارَاحِلِيــنَ بِلاَدَ الشَّامِ مَنْ عَجَـــمٍ
وَٱلْعُرْبِ وَٱلرُّومِ مَعْ بَغْدَادَ ذِى الخبرِ
إِذَا وَصَلْتَ لِأَهْلِيها فَقُـــلْ لَهُـــمُ
نَصَحْتُكُمْ فَأَطِيعُوا ذَا الثَّنَا ٱلْعَطِرِ
أَبَـا قِنَـــاعٍ مُبِيـدَ الظُّلْـمِ مُبْعِـــدَهُ
مُرْدِى الـمُنَاوِى بِبِيضِ الهِنْدِ وَٱلسُّمُرِ
وَقُـلْ لِقَـوْمٍ ثَوَوْا جَازَانَ وَٱمْتَنَعُـــوا
مِنْ بَذْلِ طَاعَةِ قُطْبِ ٱلْحَرْبِ بِالحُجَرِ
وَأَمَّلُـوا أَنْ يَنَـالُـوا مِنْـهُ فُرْصَتَهُـــمْ
جَهْلاً وَمَا حَسِبُوا التَّحْرِيـقَ بِالشَّرَرِ

---

(١) زيادة يقتضيها الوزن . « المراجع » .

وَكانَ ظَنُّهُمُ أَنَّ الوَغَى لَعِبٌ
وَأَنّ مُلْكَ الصياصى لَيْسَ بِٱلْبُتُرِ
دَعُـوا السُّيـوفَ لِأَهْلِيهَـا وَدُونَكُـــمُ
حَرْثَ النهوب(١) وَجَعْلَ ٱلْحَبِّ فِي الحُفَرِ
وسَلِّمُوا الخَيْلَ وَٱعْتَاضُوا بِهَا حُمُرًا
فَكَمْ نَرَى حُمُرًا مِنْكُمْ عَلَى حُمُرِ
أَمَا عَلِمْتُمْ وَلَا أَخْلَاقَ عِنْدَكُمُ
أَنَّ الزُّجَاجَةَ لَا تَقْوَى عَلَى ٱلْحَجَرِ
واللهِ مَا عَجَبِى مِنْكُمْ وَمَا عَجَبِى
إِلَّا لِرَوْزَن مَعْ بَاقِـى ذَوِى عُمَـــرِ
كَيْفَ ٱسْتَطَاعُوا لَكُمْ فِى حِزْبِ سَيِّدِهِمْ
وَكَانَ فِعْلُهُمُ مِنْ أَعْظَمِ الخَطَرِ
خَلَّوْا طَرِيقَ الهُدَى وَٱسْتَبْدَلُوا بِرَدًى
وَفَارَقُوا رَشَدًا فِى سَائِرِ العُمُرِ
لَوْ رَامَ قَتْلَهُمُ إِذْ ذَاكَ سَيِّدُهُمْ
لَكَانَ أَقْرَبَ مِنَ وِرْدٍ إِلَى صَدَرِ
لَكِنْ أَغَاثَهُمُ مِنْ صَوْبِ رَحْمَتِهِ
غَيْثٌ تَقَرُّ بِهِ العَيْنَانِ كَٱلْـمَطَرِ /

---

(١) النهوب : يقال نهبت الدواب الأرض أي أخذت بقوائمها منها أخذاً كثيراً ، والنهب يجمع على نهاب ونهوب . (المعجم الوسيط) .

١٩٩و فَكَمْ بِرَحْمَتِهِ مِنْ مُهْجَةٍ حُمِيَتْ
وَكَمْ بِهِمَّتِهِ كُفَّتْ يَدُ ٱلضَّرَرِ

وفى ربيع الثانى وصل قاصده الشريف عنقاء بن وُبَيْر[١] من مصر بحرًا ، واجتمع هو والقضاة والباش ، وقرىء مرسومُه . وفيه : أن الحاج وصلوا شاكرين[٢] داعين على العادة ، ولبس خلعته .

وفى أوائل جمادى الآخرة وصل ابن شرف قاصد نائب جدة ، ومعه مرسوم لم يقرأ ، ويقال إن فيه : أن يؤخذ للسلطان نصف العدني ، وأن يُحمل الجمالُ البوني إلى القاهرة ؛ بسبب أنه فكَّ خَتْمًا كان عمله نائب جُدَّة على مال شخص مات ، ومالُهُ للدولة . وكان الخبر جاء بذلك قبل هذا ، فراجع الشريف السلطانَ فى نصف العدني ، فلم يُفِدْ ، بل أمر بضبطه ، ثم راجع نائبُ جُدَّة السلطانَ فى ذلك مع هذا القاصد ، فجاء الخبر معه بالأخذ ، فأخذه . وأما الجمال البوني فإنه صالَحَ عن نفسه بألِف دينار للسلطان ، ولنائب جُدَّة بمائة دينار ، ولابن شرف ببعض شيء[٣] .

وفى أوائل[٤] شوال وصل إلى مكة ، وتوجه هو وعسكره من

---

(١) هو الشريف عنقاء بن وبير الثموي ، قريب صاحب مكة ، وصهره على ابنتيه ــ واحدة بعد الأخرى ــ وعلى أخته قبلهما . إلا أنه سخط عليه في آخر أيامه ، وأمره بطلاق ابنته . (الضوء اللامع ٦/١٤٩ برقم ٤٦٨) .

(٢) فى الأصل ، والدر الكمين « ناشرين » . والمثبت عن إتحاف الورى ورقة ٦٤١ .

(٣) إتحاف الورى ورقة ٦٤١ ، ٦٤٢ .

(٤) كذا فى الأصل ، وفى إتحاف الورى ورقة ٦٤٤ « وفيها في آخر شوال » .

يومه إلى الشرق ؛ لغزو الحنيشى ، فصبَّحَ بعض جماعته فأخذ حلتهم ، وقتل رجلين ، وأسر رجلا أو أكثر ، وغنم شياها وإبلا كثيرة ، وعاد عن قرب .

وفى ذى القعدة وصل قاصد نائب جدة بأوراق منه ومن أمير الحاج إلى السيد محمد ، وإلى القاضى الشافعي ، وفيها : أن السلطان أمرهم أن يغسلوا الكعبة من داخلها قدر قامة ؛ لمنام رآه ، فدخل هو والقاضى الشافعي والباش وبعض الشيبيين ، وغسلوا أرضها وقدر قامة من جدرانها . ولما جاء الحاج اجتمع أيضاً مع القاضى والأمراء وغسلوا الكعبة الشريفة من خارجها قدر قامة ، وكذا أرض المطاف(١) .

وفيه وصل نائب جدة قراجَا وألبسه خلعته ، وقرئ مرسومه بالحطيم . وفيه : أنك أرسلت تشكر نائب جدة وتثنى عليه ، وتخبر بموت القاضى كمال الدين بن ظهيرة ، وتسأل فى وظيفة قضاء جُدَّة وما معها لأخيه الخطيب فخر الدين أبى بكر بن ظهيرة ، فأجبنا سؤلك ، وأنعمنا عليه بولاية ذلك . ولم يحضر الخطيب المجلس بل كان ممتنعا من الدخول فى ذلك ، ثم دخل بعد ذلك(٢) .

وفى العشر الأخير من رمضان سنة ثلاث وثمانين زار جَدَّهُ المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وجلس بالمدينة أحد عشر يوما ،

---

(١) وعلل ذلك النجم بن فهد فى إتحاف الورى ورقة ٦٤٤ بقوله « وذلك لمنام رآه السلطان » .

(٢) إتحاف الورى ورقة ٦٤٥ .

وكان بها ولدُ صاحبها الشريف ضغيم بن خشرم(١) وبعض جماعته ، فلما سمعوا بقدومه خرجوا فارين ، فأرسل إلى ضغيم رسولا بأن معه خلعة له ، وأنه يصل ويلبس خلعته ويحتفظ بالمدينة . فامتنع من الوصول ؛ فتَرَكَ بالمدينة الشريفة الشريفَ قُسَيْطِل(٢) ابن أمير المدينة زهير بن سليمان الحسيني مع ثلاثين فارسا وبعض رَجَّالة مقدمهم — في الظاهر — الشريف مجول الينبعي(٣) . ثم سافر الشريف وأمر الخطيبَ بالدعاء له مع السلطان يوم الجمعة ، ففعلَ ، ودعا أيضا للشريف قُسَيْطِل على المنبر جمعة واحدة ثم تركه .

وفى أواخر شوال وصل صاحب ينبع الشريف سَبْع بن عَجّان إلى مكة ، ثم سافر إلى السيد محمد بناحية اليمن ، وسمعنا أنهما اصطلحا ، وأن صاحب ينبع التزم / لصاحب مكة بثمانية ١٩٩ظ
آلاف دينار دية مَنْ قُتِلَ من أصحاب صاحب مكة سنة

(١) له ترجمة فى الضوء اللامع ٢/٤ برقم ١ ، وفي التحفة اللطيفة ٢٥٢/٢ برقم ١٨٤٤ .

(٢) له ترجمة فى الضوء اللامع ٢٢١/٦ برقم ٧٣٤ ، وفى التحفة اللطيفة ٤١٦/٣ برقم ٣٤٨٤ .

(٣) هو مجول بن صخر بن مقبل الحسني الينبعي . (التحفة اللطيفة ٤٤٦/٣ برقم ٣٥٧٠) .

شتات[١] . ثم يقال إن صاحب مكة ترك عنه أربعة آلاف والله أعلم بصحة ذلك .

وفى سادس عشرى ذى القعدة وصل نائب جدة البدرى أبو الفتح المنوفي ، ولاقاه الشريف محمد وولده هَيْزع فخلع عليهما ، وقرئ مرسومه بالحطيم . وفيه التوصية على النائب[٢] .

وفى غُرَّة ذى الحجة حضر عند أمير الحاج على العادة ، وألبسه خلعة ، وقرئ مرسومه . وفيه التوصية على أمير الحاج . وفى هذا اليوم حضر مع الأمراء كسوة الكعبة من داخلها ، أرسلها السلطان مع الحاج ، فكُسِيَتْ [٣] .

وفى سنة أربع وثمانين أمر [السيد الشريف] [٤] ــ بلغه الله مناه وأهلك أعداه ــ بعمارة سبيل وصهريج عند بئر شميس ، يكون للصادر والوارد ، ففعل ذلك ــ أثابه الله تعالى .

---

(١) سنة شتات : كذا فى الأصل ، والدر الكمين ، وإتحاف الورى ورقة ٦٥٢ . ويقول الدكتور عبد الكريم الباز فى تعليقه على إتحاف الورى« لم يسبق أن ورد تسمية سنة من السنوات بسنة شتات ، وربما كان المؤلف يعني بذلك سنة الوباء لأنه يشتت الأسر ، وقد وقع فى عهد الشريف محمد بن بركات وباء فى سنة ٨٧٣ هـ ، وآخر فى سنة ٨٨٢ هـ ، ولكن لم يحدث فيهما قتال بين الشريف وصاحب ينبع »وإن كانت وقعت حرب بينه وبين زبيد ذوى مالك فى سنتي ٨٧٣ ، ٨٧٥ هـ وانتصر فيهما وأجلاهم عن ديارهم وقتل شيخهم رومي .

(٢) إتحاف الورى ورقة ٦٥٢ .

(٣) إتحاف الورى ورقة ٦٥٣ .

(٤) إضافة عن الدر الكمين .

ولما سمع بوصول السلطان(١) ــ نصره الله ــ للحج توجّه هو وولده الشريف هيزع ، وقاضى القضاة برهان الدين وولده الجمالي أبو السعود ، وأخوه الفخري أبو بكر لملاقاته ، فسمعوا بتوجهه للزيارة من ينبع ، فاستمروا إلى بدر ، فلما أقبل السلطان لاقوه إلى الصفراء أو قربها(٢) وسلموا عليه وعادوا معه إلى بدر ، فمدّ لهم سماط حلوى وسماط طعام ، ثم فارقوه من بدر ، وانتظروه بوادى مَرّإلى أن وصل ، فمدَّ له الشريفُ سماطا هائلا ، ولاقاه صبيحة دخوله إلى الزاهر هو وأولاده ، فخلع عليهم كلهم ، ودخلوا معه ركبانا إلى مدرسته ، ومَدَّ له الشريفُ سماطين صباحا ومساء ، وقدم له الشريف شيئا كثيرا من النقد والخيل والإبل ، وخرج لرؤيتهما إلى درب اليمن . فلما سافر توجّه هو وأولاده معه إلى الزاهر ، فردَّهم منه .

وفى سنة خمس وثمانين توجه هو وأهله إلى الشرق ، وتوجّه من هناك إلى المدينة ، وزار جَدَّه المصطفى ﷺ ، وتوجّه من هناك إلى وادى الصفراء وقطع نخيلا لصُبْح(٣) ولم يلق منهم أحدا ، وسبب فعله ذلك أن السلطان أغراه بهم ؛ لكونهم قتلوا له مماليك فى عوده

---

(١) أي السلطان الأشرف قايتباي ، وانظر فى حجه دُرَر الفرائد ص ٣٣٩ ، ٦٨٢ ــ ٦٨٧ .

(٢) فى الأصل « وقربها » ، والمثبت عن إتحاف الورى ورقة ٦٥٦ .

(٣) صبح : هو بنو صبح ، والنسبة إليهم صبحي ، بطن من ميمون من بني سالم من حرب . ديارهم وادي العرج وغيفة وبدر إلى الساحل . ومن فروعهم بنو عليان والقحوم والعبادلة ولبيد . (معجم قبائل الحجاز) .

من الحج إلى مصر . وعاد إلى الشرق ، ثم إلى مكة [١]

ووجد قاصده الشريف عَنْقَاء قد وصل لمكة فاجتمع هو والقضاة والباش بالحطيم ، ولبس خلعته وقرئ مرسومه . وفيه : الإنعام عليه بجميع عشور اليماني من استقبال سنة ست وثمانين ؛ فإنه كان أخذ منه النصف من سنتين . ثم عاد إلى أهله بالشرق فى ربيع الآخر [٢] .

وفى جمادى الأولى استخدم له قَوَّاسة [٣] وأُرسل بهم إليه إلى الشرق ، وجاء الخبر فى جمادى الآخرة [٤] أنه غزا عرب بيشة [٥] ، وقتل منهم جماعة ، وغنم دروعا وإبلا كثيرة وغير ذلك .

وفيه جاء لمكة بأهله ، وهو مودع لنائب جُدَّة . فوادعه وسافر بأهله إلى اليمن في ليلة رابع رجب [٦] .

وفى أواخر شهر رمضان جاء لمكة محرما بالعمرة ، فطاف وسعى بعضَ المسعى ماشيا ، ثم ركب حتى أكمل سعيه [٧] ،

(١) إتحاف الورى ورقة ٦٦٠ ، ٦٦١ ، والدر الكمين .

(٢) الدر الكمين ، وإتحاف الورى ورقة ٦٦١ .

(٣) القواسة : هم الرماة بالقسى ولهم دور هام فى الحروب .

(٤) فى الأصل « فى ربيع الآخر » ، والمثبت عن الدر الكمين ، وإتحاف الورى ورقة ٦٦١ .

(٥) بيشة : واد كبير من أودية تهامة ، منابعه جبال السراة ، وهو كثير القرى والزروع ، ويتقاسم الماء مع سراة أبها . (بين مكة واليمن ٢٤٧ ــ ٢٥٠) .

(٦) وإلى هنا انقطع الكلام فى ترجمة محمد بن بركات بنسخة الدر الكمين الموجودة بالمركز ، وكتب فى الهامش « بلغ مقابلة على أصله » . وانظر إتحاف الورى ورقة ٦٦١ .

(٧) كذا فى الأصل ، وفى بلوغ القرى ، لوحة ٢ ظ « سبعة » .

وجلس بمكة إلى ليلة التاسع والعشرين ، وتوجّه إلى أهله باليمن ، وكان مجيئه من نواحى جُدَّة ، وكان هناك له مدة .

وفى يوم الجمعة حادى عشر القعدة / جاء السيد محمد إلى ٢٠٠و مكة من عند أهله من ناحية اليمن ، ويقال إن سبب مجيئه أنه نَذَرَ لله تعالى أن اليمن إذا أمطر يأتى المسجد الحرام ، ويصلى فيه ركعتين لله تعالى . ثم عاد إلى أهله بعد يومين أو ثلاثة ، ثم عاد بعد أيام إلى مكة (١) .

وفى أول سنة ست وثمانين توجه إلى مَخْشُوش ، وهو بين بدر والينبوع ؛ لكون المحل ربيعا ، وأظنه وصل إلى ينبع ، وحصل بينه وبين بنى إبراهيم صلح ، وعاد لمكة هو وأولاده وعياله وعسكره ، فى يوم الاثنين رابع جمادى الأولى (٢) .

وفيه ــ ضحى ــ اجتمع الشريف وولده السيد بركات وقضاة القضاة الأربعة خلا الحنبلي ، والقاضي فخر الدين الشافعي ، والأميران بَرْسْبَاي باش المماليك ، وسُنْقُر الجمالي محتسب مكة . وغيرهم بالحطيم تحت زمزم ، وقرئ ثلاثة مراسيم ، واحد للشريف ، تاريخه ثامن عشرى صفر ، وثان للقاضى الشافعي ، وثالث للمحتسب . ومرسوم الشريف يتضمن : زيادة الشكر له ، وأنه

(١) بلوغ القرى لوحة ٣ و .

(٢) درج المؤلف ابتداء من هنا إلى آخر الكتاب ، وكذا فى بلوغ القرى ابتداء من لوحة ٥ ظ على استعمال التسمية العامية لهذا الشهر بجماد الأول . وسيصير تصحيحها إلى جمادى الأولى فى كل المواطن دون الإشارة إلى ذلك .

أُرْسِلَ له ولوده خلعتان . فلبساهما وسافرا[١] .

وفى يوم الثلاثاء ثالث جمادى الثانية ، وصل مكة لعزاء القاضى برهان الدين فى أخته سُتَيْت ، وحَلَف أنه لم يبلغه الخبر إلا فى اليوم الذى قبله . وكانت ماتت فى سلخ الشهر الذى قبله . ثم توجّه إلى الوادى ــ ظنا ــ فى يوم الجمعة سادس الشهر[٢] .

وفى صبح يوم الثلاثاء سابع عشرى رمضان وصل السيد محمد من جُدَّة إلى مكة محرما ، وطاف وسعى ، وجلس بمكة بقية يومه وبعض الليلة المستقبلة ، ثم سافر وعاد إلى أهله ، وهم بناحية الشام بخُلَيْص ــ فيما يقال[٣] .

وفى يوم الجمعة خامس ذى الحجة وصل الخبر إلى مكة بأن حاج العراق وصل إلى المدينة الشريفة ، ومعه محمل ؛ فاجتمع السيد الشريف والقضاة والأعيان عند أمير حاج المحمل المصري يَشْبك من حَيْدَر الوالي[٤] ، واتّفقوا على أن يمنع المحمل من الدخول به ملبسا ثوبه ، ويكون أمير حاجهم مع أمير الحاج حتى يذهب به معه إلى مصر : فلما وصلوا إلى الوادى أرسلوا لهم ألا يدخلوا بمحملهم ففعلوا . وفى ثانى يوم وصل بعض العراقيين إلى السيد

(١) بلوغ القرى ، لوحة ٥ ظ . وفيه « وفى ليلة الأربعاء توجهها إلى وادى مر » .

(٢) المرجع السابق .

(٣) بلوغ القرى ، لوحة ٧ و .

(٤) أي والي القاهرة ، وقرر فى إمرة الحاج بركب المحمل فى هذه السنة . (بدائع الزهور ٣/١٨١ ، ١٩٠) .

الشريف ، وأمرهم ألاَّ يدخلوا بالمحمل ، فتركوه بسبيل الجوخي[١] ، ثم حمل بعد ذلك بلا ثياب ووضع بالمسجد عند بيت أمير الحاج المصري إلى أن نزل الناسُ من الحج ، وأخذه أصحابه[٢] .

وفى يوم الثلاثاء خامس عشرى ربيع الأول سنة سبع وثمانين وصل السيد الشريف من الفُرَيق[٣] وهم بناحية اليمن ، وأخبر بمراكب عدة واصلة من الهند وأنها دخلت من باب المندب[٤]، ثم توجه فى هذا اليوم لناحية الشرق لغزو عرب مطير فأنذروا ففروا . فعاد ووصل مكة يوم السبت تاسع عشرى الشهر ، وعاد لأهله .

ثم وصل مكة يوم الخميس خامس عشرى ربيع الثانى بعد وصول قاصده إليه من مصر الشريف عَنْقَاء بن وُبَيْر ومعه المتولى للمدينة الشريفة زُبَيْري بن قيس بن ثابت بن نُعَيْر بن منصور الحسيني المدني[٥] ، والشريف يحيى ابن صاحب ينبع سَبْع بن هَجَّان بن محارب بن مسعود الينبعي ، أرسلهما الخواجا شمس الدين

---

(١) سبيل الجوخي : ذكره الفاسي في شفاء الغرام ٣٣٨/١ ، ٣٣٩ ضمن السبل التي بأسفل مكة مما يلي التنعيم فقال : ومنها السبيل المعروف بسبيل الجوخي ، وهو الآن معطل لخرابه ، ورأيت فيه حجراً ملقى مكتوباً فيه : إن المقتدر العباسي ووالدته أمرا بعمارة هذه السقاية ، والآبار التي وراءها ،وتصدقا بها . وفيه : إن ذلك سنة اثنتين وثمانمائة . وإلى جانب ذلك حوض للبهائم .

(٢) بلوغ القرى لوحة ٨ و .

(٣) الفريق : تصغير فرق قيل موضع بتهامة . (معجم البلدان لياقوت) .

(٤) في الأصل « بلاد » ، والمثبت عن بلوغ القرى لوحة ١٠ و . وباب المندب هو مدخل البحر الأحمر من جهة الجنوب .

(٥) له ترجمة في التحفة اللطيفة ٨٠/٢ برقم ١٣١٦ .

محمد بن الزَّمَن(١) من الينبع إلى السيد الشريف ، وكانوا وصلوا ٢٠٠ظ جميعا . وتوجّه هو إلى / المدينة لعمارة المسجد النبوي(٢) . وأراد بإرسالهما أن(٣) يكونا مشمولين بنظر السيد الشريف ؛ خوفا من أن يساعد أعداءهما عليهما ؛ فإن فى مرسومه أن ولايات الحجاز كلها تتعلق بالسيد محمد بن بركات .

وفى يوم الجمعة ثانيه حضر الشريف إلى الحطيم ، ومعه القضاة والباش ، وإبراهيم ابن أخي الشمس بن الزمن ، وقرئت المراسيم . مرسوم الشريف يتضمن : أن الحاج وصل سالما ، وهم شاكرون منكم ، وأننا شكرنا امتثالكم لمرسومنا بمنع العراقيين ، وما تركتموهم يدخلون إلا بشرط أن يتوجه أميرهم إلينا ، وأن جميع ولايات الحجاز تتعلَّقُ بك ؛ فتولى فيها مَن تشاء . وأنه بلغنا أنه يؤخذ المكس على الحجاج الواصلين إلى جُدّة من الشام ، وزاد المكس فى هذه الأيام ، وإنا أرسلنا إليكم فى ذلك ، فذكرت أنه ليس على

(١) له ترجمة في الضوء اللامع ٨/٢٦٠ برقم ٧٠٣ .

(٢) وكان المسجد النبوي سقطت عليه صاعقة فى رمضان سنة ٨٨٦ هـ ، فاحترق منها المنارة التى تجاه القبر الشريف ، وسقوف المسجد جميعها ، والمنبر والحيطان ، والأعمدة والأبواب ، وما سلم من ذلك سوى القبة الشريفة ، وبعض حيطان المقصورة ، وقتل المؤذن الذى كان على المئذنة ، وقت نزول الصاعقة ، وقتل أيضاً جماعة ممن كان بالحرم الشريف . فعين السلطان الخواجا شمس الدين محمد بن الزمن للقيام بعمار المسجد ، ومعه عدة من البنائين والنجارين والمرخمين ، وشرع فى البناء وانتهوا منه فى أواخر سنة ٨٨٧ هـ . (بدائع الزهور ٣/١٨٧ ، ١٨٨ ، وغاية الأماني ٢/٦١٢ ، ٦١٣) .

(٣) فى الأصل « أن لا يكونا » ، والمثبت عن بلوغ القرى لوحة ١٠ و .

ذِهْنِكُم شيء من ذلك ، وحَلَفْتُم بالله أنكم ما تأخذون منه شيئا ، وأن الآخذ له هُم العسكر ، وإن طلبتم تركه تركناه . وقد طلبنا ذلك . وأنه بلغنا من بعض طلبة العلم أن بمكة يصرف المحلق(١) بالمساعيد (٢)، وينادى على ذلك جهارا ويقال : محلقة بمساعيد . وهذا حرام ، وذكروا أحاديث فى ذلك . والمقصود ترك ذلك . وأنك مقرب عندنا ، وما عندنا أعز منك . ولبس هو وولده السيد بركات خلعتين (٣).

وفى جمادى الأولى سافر السيد الشريف لزيارة جَدِّه المصطفى ﷺ ، وكانت قافلة سافرت قبله ، فلحقها وجاوزها ، وتركَ معها خيلا حتى دخلت المدينة ، وكان شيخ القافلة قاضى القضاة محيى الدين عبدالقادر الفاسي الحنبلي(٤) . وفيها شيخنا خاتمة الحفاظ شمس الدين السخاوي(٥) ، وكتب لى من المدينة : أن السيد الشريف

---

(١) المحلق : ويجمع على محلقات ، وهي تسمية العامة للدراهم والدنانير . (محيط المحيط ، وتكملة المعاجم العربية لدوزي) .

(٢) المساعيد : هي الدراهم المسعودية ، وتنسب إلى الملك المسعود يوسف بن محمد بن أبي بكر بن أيوب صاحب اليمن ومكة . (العقد الثمين ٤٩٢/٧ برقم ٢٧٨٢ ، وغاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ٥٨٩/١ برقم ١٥٥) .

(٣) بلوغ القرى لوحة ١٠ ظ .

(٤) هو عبد القادر بن عبد اللطيف بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن ، محيى الدين أبو صالح بن السراج الحسني الفاسي . مات سنة ٨٩٨ هـ . (الضوء اللامع ٢٧٢/٤ برقم ٧٢٧) .

(٦) هو صاحب الضوء اللامع ، والتحفة اللطيفة ، والتبر المسبوك وغيرها من الكتب .

تصدَق بالمدينة بصدقة كبيرة أكثر من ألف دينار ، وأن السيد الشريف أستناب زُبَيْرِيّ فى إمرة المدينة ، بعد عقود مجالس ، ومشاورة أهل المدينة فى ولايته أو ولاية قُسَيْطِل ، ثم وقع الاختيار على زُبَيْرِيّ ، فلبس الخلعة . وصرح له الشريف بالنيابة وأنه يقبل فَقَبِلَ . فلما [لبس][٤] قبَّل بساطَ السيد محمد . واشترط عليه المعزولون أمورا مشقة ــ لكونهم من جهة السيد محمد ــ فما وسعه إلا الموافقة ، منها : أن ثمار المعزولين تكون لهم فى هذا العام ، وأنهم فى وجهه إلى الموسم ، وأن وزير المعزول له مال عند المعزول أو أناس ، فيرهنون عنده حدائق تكون عنده إلى أن يعطونه[٢] أصحابُ الأموال ماله ، أو يبيع ويأخذ ماله ، وأن لُبَيْدًا قاصدَ المعزول أخذ له وجها فما وفوا بذلك ؛ فإنه خرج مع القافلة قاصدا السيد محمدا فقتل قبل المدرج ، ويقال : إن زبيرى تَدَرَّكَ (٣) بإحضار الذين قتلوه . والله يصلح الأحوال .

وفى ليلة الاثنين خامس عشر رمضان وصل السيد محمد من جُدَّة ومعه بعض بنيه وإخوانه وعسكره . وفارقه ابنه السيد بركات وذهب فى بقية العسكر إلى سَايَة ، واتفق أن[بعض][١] أهل الفرع أرضاه بمالٍ ، وأبى بعضهم ؛ فقطع لهم نخيلا كثيرا ، يقال إنه أكثر من أربعة آلاف نخلة .

---

(١) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ١١ و .

(٢) كذا في الأصل .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى بلوغ القرى لوحة ١١ و « مر » .

وكان وصل قبل الشريف قاصد من مصر ومعه مراسيم ، فاجتمع بالسيد محمد القاصدُ وهو مملوك اسمه خُشْقَدم ، وما تحققنا مقصده ويقال /: إنه جاء بسبب أولاد حسن بك صاحب العراق ؛ ٢٠١و

فإنه شاع ببلادهم أنه أرسل إلى السلطان أنه واصل ، أو مُرْسِلٌ عسكرا إلى مكة مع محمله ، ومعهم كسوة للكعبة يكسوها . فيتحَفَّظُ الشريفُ ويجمع العساكر ، ويرسل إلى ابن جَبْر : ألا يحج فى هذه السنة ، ولايُعِينُ أولاد ابن حسن بك[1] .

وسافر الشريف فى ليلة الثلاثاء سادس عشر الشهر [إلى اليمن][2] وأرسل فى سنة ثمان وثمانين إلى مكة ــ وهو باليمن ــ ولَدَيه بركات وهَيْزَعًا وجمعا كثيرا من عسكرهما ومن جماعتهما ، والأعراب ؛ لأجل غزو الحُنَيْش ؛ فإنه جاءهم الخبر أنه بالوطاة ، فوصلوا مكة يوم السبت خامس صفر الخير ، وتوجهوا منها إليه .

وفى يوم الخميس عاشر الشهر وصل الخبرُ إلى مكة بأن الشريف بركات ظفر بعرب الحُنَيْش وأخذ منهم فريقين ، وقتل جماعة ، ومسك جماعة ، ونجا فريقٌ ثالث فيهم الحُنَيْش ، ونهبوا حلة الفريقين ، وغنموا إبلا وشاءً كثيرا ، وتقاسموا ذلك ، ووصلوا لمكة يوم الأحد ثالث عشر الشهر ، وسافروا فى يومهم إلى الفُرَيْق بناحية

---

(١) المرجع السابق .

(٢) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ١٢ ظ

اليمن[١] .

ووصل الشريف محمد لمكة فى يوم السبت تاسع ربيع الأول ، وقرئ ثانى يوم مرسومه بالحطيم بحضور القضاة والباش . وفيه : الثناء عليه من السلطان ، وأنك مقرب عندنا ، وأمير جميع الحجاز ، ووصل الحجاج وهم سالمون شاكرون منك ، وأمير الحاج وصله عادته بمكة والينبوع . ولبس الشريف خلعته ، وكان لولده خلعة ولكنه لم يصل لتوعكه[٢] .

وفى يوم الأحد سابع ربيع الثاني سافرت قافلة بَجِيلة من على منى وعرفات وكَرَا ، فلما وصلوا قرب كَرَا خرج عليهم عربٌ من هُذَيْل ، وهم فرقة من عرب الفصوص[٣] أهل البادية ، ونهبوا القافلة جميعها حتى الجمال ، وقتلوا جملة من الرجال ، وجرحوا بعضهم ، ويقال إن الذى أخذوه غير الجمال [يجىء][٤] بأربعة آلاف دينار . ثم إن العرب أرسلوا يسألون فى الصلح وهم يَرُدُّونَ جميع ذلك لأربابه ، فإنْ أبى الشريفُ فمن أراد أن يشترى متاعه فليأتهم . وكان مع القافلة رفيق مُقدَّم ، ويقال إنه قال : ما أرفقُ إلا على هذه

(١) بلوغ القرى لوحة ١٤ ظ . وسيرد فى ترجمة الشريف بركات بن محمد أن عرب حنيش فخذ من ناصرة عرب بجيلة ، واسم شيخهم بريمان (أو ريحان) وانظر لوحة ٢٢٣ و .

(٢) بلوغ القرى لوحة ١٥ ظ .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى بلوغ القرى لوحة ١٦ ظ « القصقوص » .

(٤) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ١٦ و .

الفرقة[١] . ووصل الخبرُ إلى مكة ، ثم إلى الشريف ، فأرسل رتبة خيل تجلس تحت جبل هؤلاء حتى يَسْتَصْرِخَ عليهم العُرْبَان . والله يأخذهم أخذ عزيز مقتدر .

ثم وصل لمكة الشريف محمد ونائب جُدّة الشمسي محمد بن عبدالرحمن[٢] في ليلة الثلاثاء سادس عشري الشهر ، واجتمعا بالحطيم مع القضاة والباش والترك ، وقرئ مرسومان للشريف يتضمنان : التوصية على نائب جُدَّة ومساعدته ، وإقامة حرمته حتى يرجع ، ويساعد على المتحصل لذخيرتنا الشريفة ، ويشترى به فلفل الذخيرة ، وفى أحد المرسومين : إنا نحن قد أبطلنا المكوس التى بالمدينة ، وعوضنا عنها صاحبَ المدينة مكاناً بقَرْيَة ذُكِرَت ، وإنا نحن قد أرسلنا نعلمه بذلك ، وإنكم ترسلون له وتؤكدون عليه فى ذلك ؛ ليبقى ذلك فى صحائفنا ، وصحائف من يساعد على ذلك إلى يوم القيامة . وتاريخ المرسوم ثالث ربيع الأول . ولبس خلعته .

وسار فى يوم الثلاثاء المذكور إلى أهله ، بطريق جُدَّة ، واستصرخَ العُرْبَانَ على هُذَيْل بأن يأخذوا عليهم الطرقات حتى يأمرهم / بالزحف عليهم ، والطلوع عليهم بجبالهم ، وواعدهم على ٢٠١ظ
اليوم الخامس من الشهر الداخل

---

(١) وعبارة بلوغ القرى لوحة ١٦ و"« ما أرفق إلا على غير هؤلاء منهم أو من غيرهم » .

(٢) بدائع الزهور ٣/٢٠٣ ، وفيه توفي سنة ٨٨٨ هـ .

وأرسل ولده السيد بركات ومعه عسكره بقصد الغزو بالشرق ، فوصل مكة فى يوم الثلاثاء ثالث عشر شعبان ، وسافر من يومه ، ثم جاء الخبر لمكة فى يوم الأحد ثاني شهر رمضان بأنه غَزَا الذين توجّه إليهم ، وغنم منهم خمسة وعشرين قطيعا . وهربوا ، وادعى بعض أهل الشرق المؤاخين : أن لهم مالا عند هؤلاء وديعة ، فجاءوا بالبيِّنة فأعطوهم المُدَّعَى به ، وبقي الباقي ، فجاء آخرون وادّعوا بذلك أيضا ، واتفق معهم على أن يأتوا بالتشابت[١] على هذا ، ثم وصل السيد بركات لمكة فى ليلة الجمعة سابع الشهر ، وسافر فى يومها إلى الفُرَيْق بناحية اليمن .

ووصل السيد محمد فى ليلة الأحد ثامن عشر شعبان ، وكان وصل قبله بيوم النُّوَّابُ بجدّة . وشيخ الدلالين ، وفتيا الشمسى [محمد][٢] بن عبدالرحمن نائب جدة المتوفى ، واجتمعوا فى هذا اليوم عند السيد محمد . وكذا قاضى القضاة الشافعي وجماعته ، والخواجا جمال الدين الطاهر ، وقرئ عليهم بعض المراسيم ، وأظنه مرسوم الشريف وفيه : الأمرُ بضبط مُخَلَّف نائب جدة المذكور ، وكذا مال التجار الذين ماتوا ؛ فإنّ الخزانة محتاجة ، ويُشْتَرَى الفلفلُ الواصلُ فى المركبين المتخلفين الواصلين ، ويقبض مِمَّن عليه عادة للذخيرة الشريفة بالكامل[٣] ، مع ظن أصحابها أن يُتْرَكَ لهم شيء

(١) كذا في الأصل ، وفي بلوغ القرى لوحة ١٨ و « بالبينات » .

(٢) إضافة عما ورد في صدر الخبر .

(٣) بلوغ القرى لوحة ١٨ و ، وأضاف بعد ذلك « وغير ذلك مما لم يبلغني تفصيله كما ينبغي ؛ فإنني لم أحضره » .

فى مقابل كَوْنِ الموسم ليس مثل العادة ، فخاب أملهم . وأكَّدَ أيضا فى ضَبْطِ مال التجار الذين ماتوا فى هذه السنة بجُدّة ومكة ، ومطالعة السلطان بذلك .

وفى شوال طلب السيد محمد من بعض القواد العمرة ما معهم من الخيول والدروع . فامتنعوا ، ثم أجابوا إلى ذلك بشرط أن يكونوا فى وجهه ، أو يمنعهم من الأشراف ذوى أبى نُمَيّ . فأبى من ذلك ، وأمرهم بالرحيل من بلاده ؛ فاستَمْهَلُوه مدة — لعلها ثلاثة أيام — فأرسل إلى الأشراف ذوى أبى نُمَيّ يأمرهم بالمسير عليهم[1] ، فلم يفعلوا .

وفى يوم الأحد رابع عِشْرِى المحرم سنة تسع وثمانين وصل لمكة السيد محمد ، وغالب أولاده الذكور الكبار ، وبعض جماعته ؛ لزيارة قاضى القضاة برهان الدين بن ظهيرة ، فإنه حصل له فى قدمه اليسرى وجعٌ منعه من البروز إلى المسجد ، وكان يعتريه [قديما][2] ثم تحرَّكَ عليه فى هذا الشهر — عافاه الله وشفاه — ثم عاد إلى أهله في يوم الثلاثاء سادس عِشْرِى الشهر .

وفى يوم الخميس عاشر الشهر[3] وصل إلى مكة هو وأولاده وجماعته ، واجتمع بالحطيم ثانى عشر الشهر هو وولَدُه السيد

---

(١) بلوغ القرى لوحة ٢٤ ظ .

(٢) بلوغ القرى لوحة ٢٥ و .

(٣) بلوغ القرى لوحة ٢٧ ظ .

بركات ، والقضاة[١] ، والباش[٢] ، والمحتسب[٣] ، وقُرِئَت المراسيمُ ، منها له مَرْسُومَان : الأوّل يتضمن : الشكر منه ، وسلامة الحجاج وأمرائه ، وهم شاكرون منه ، وأنعمنا عليك وعلى ولدك بخلعتين . والثانى يتضمن : أن نائب جدة كان له عادة على بعض التجار ، يحملها إلى خزانتنا الشريفة ، ولما مات المرحوم الشمسى [محمد][٤] ابن عبدالرحمن لم يؤخذ منهم ذلك ؛ فليؤخذ منهم ذلك على العادة ويرسل إلينا .

وفى يومه توجّه إلى الوادى وعاد ، وسافر هو وجماعته إلى ٢٠٢و الشرق[٥] ، ثم عاد[٦] لأجل ملاقاة نائب / جُدَّة ، فعرض له . وخلع عليه مثل العادة ، واجتمعوا بالحطيم ؛ فقرئ مرسوم الشريف ، وفيه : التوصية بنائب جدة ، وأنه مقرّب إلى المقام الشريف ، وأنك تفعل بالتذكرة التى مع نائب جُدَّة ــ ولم يعلم مضمونها ــ وتوجّه إلى الوادى ، ثم عاد لمكة ، وسافر إلى الشرق ،

(١) وهم : قاضى القضاة برهان الدين بن ظهيرة الشافعي ، وابنه القاضى جمال الدين أبو السعود ، وأخوه قاضى جدة فخر الدين أبو بكر ، وقاضى الحنفية شرف الدين أبو القاسم بن الضياء ، وقاضى المالكية نجم الدين بن يعقوب . (بلوغ القرى لوحة ٢٢ ظ) .

(٢) هو شاد بك . (المرجع السابق) .

(٣) هو الأمير سنقر الجمالي . (المرجع السابق) .

(٤) إضافة عما سبق .

(٥) بلوغ القرى لوحة ٢٣ و .

(٦) وكان وصوله إلى مكة فى يوم الأحد ١٩ جمادى الأولى . (بلوغ القرى لوحة ٢٣ ظ) .

وتوجّه إلى المدينة وزار جَدَّه المصطفى ﷺ ، وعاد لمكة فى شعبان(١) . وسافر فيه إلى اليمن ، ثم إلى مكان بقرب بِئْرِ شُمَيْس ، فلما مات أخو القاضى برهان الدين ، قاضى جُدَّة الفخري أبو بكر في ليلة الأربعاء ثانى عِشْرِى رمضان أُرْسِل للشَّرِيف فحضر جنازته ، ثم صار يحضر الربعة صباحا ومساء بالمسجد والمعلاة إلى يوم الختم ، ثم اعتمر وسافر (٢).

وفى سنة تسعين ــ فى يوم الأحد ثانى عشرى ربيع الآخر ــ وصل إلى مكة مِنْ مصر قاصدُ الشريف الشريفُ عَنْقَاء بن وُبَيْر بن عَطَّاف النموي ، ومعه الشريف يحيى بن الشريف سَبْع صاحب يَنْبُع ، وفى ثانى يوم وصل الشريف دَرَّاج صاحب ينبع ، وكان حصل بينه وبين يحيى قتال ونَهْبٌ فى هذا العام ، تعدَّى فيه دَرَّاج أولا على المذكور ، وعلى جماعة نفسه . ثم حشدوا له وحصروه ببلده ، ثم جاودهم إلى مدة وأعطاهم مبلغا له صورة على ذلك ، ورأى العجز من نفسه(٣) .

وفى يوم الجمعة سابع عشرى الشهر وصل الشريف وولده إلى مكة من الشرق ــ وكان فى أثناء هذا الشهر جاء لمكة ، وسافر إلى الشرق ــ واجتمعا بالحطيم مع القضاة والباش والمحتسب ، والقاضى

---

(١) بلوغ القرى لوحة ٢٤ ظ .

(٢) بلوغ القرى لوحة ٢٥ و .

(٣) بلوغ القرى لوحة ٢٧ ظ .

ناظر الجيوش المنصورة بالمملكة الأشرفية ، كمال الدين ابن ناظر الخاص جمال الدين ابن كاتب جكم[١] ، وكان حجّ ثم جاور . وقرئت المراسيم ، ولبست الخلع . وفى مرسومه الأول : أن الحاج والأجناد الواصلين من مكة كثيروا الثناء عليكم ، وكذلك القاضى بدر الدين أبو البقاء بن الجيعان[٢] . وفى الثانى أن البَيَارِم لاتُعْمَل فيها نصائع الذهب ، وأن جميع السَّمْن والعَسَل والقمح وغير ذلك من المأكولات لاتباع إلا فى وكالة السلطان ، وأن السوق لايجلس فيه أحد للبيع والشراء ، وتشال القمامات من الطرقات[٣] .

وفى أول الشهر بعده وصل نائب جُدَّة أبو الفتح المنصوري ، ولاقاه الشريف ، وقرئت المراسيم بالحطيم . ومضمونها : التوصية عليه . والمساعدة على ما يتحصل للخزانة الشريفة[٤] .

وفى سنة إحدى وتسعين كان الشريف متشوشا من الخطيب محب الدين النويري ؛ فإنه يُرْخِى صوته عند الدعاء له ، ويختصر جدا ، ويقول : هذا هو العادة . وضم إلى ذلك التعريض بالقاضى الشافعي برهان الدين بن ظهيرة ، وولده القاضى جمال الدين أبى

---

(١) هو محمد بن يوسف بن عبد الكريم ، الكمال بن الجمال القاهري ، توفي في شعبان سنة ٨٩٠ هـ . (الضوء اللامع ٩٤/١٠ برقم ٣٠٦ ، وبدائع الزهور ٢٢٠/٣) .

(٢) هو محمد بن يحيى بن شاكر بن عبد الغني بن الجيعان . (الضوء اللامع ٨/١١ برقم ٢١) .

(٣) بلوغ القرى لوحة ٢٨ و .

(٤) المرجع السابق .

السعود . فَاتَّفَق موت مستولدة للسيد بركات [وهي](١) كوكب الحبشية والدة ولده أبي سعد فى يوم الجمعة ، فأراد الخطيب الصلاة عليها ، فمنعه القائد مسعود بن قُنَيْد من ذلك ، وترك بعض المصريين(٢) صلَّى عليها ، فتشوَّشَ الخطيبُ لذلك وتكلّم ؛ فحصل بينه وبين القائد مسعود كلام ، فسمع بذلك الشريفُ محمد وهو فى أهله بناحية اليمن ؛ فأرسل إلى مسعود وقال له : أرسل إلَى الخطيب وقُلْ له يدعو لي جهرا ، وإلا منعته . فأرسل إليه ، وكان ذلك فى آخر جمعة من / ربيع الأول . ٢٠٢ظ

فلما كان ليلة الجمعة ثاني ربيع الآخر وصل السيد بركات مكة لينظر ما يدعو به الخطيبُ لوالده ؛ فأَرْجَفَ الناسُ بأنه يريد منعه أو البَطْش به ، فامتلأ المسجد وسطحه بالرجال والنساء ، فدعا له جهرا وزاد فى دعائه ، إلا أنه لم يسكت على ذلك بل عرض بالقاضى وابنه ، وذكر أنهما يريدان الرَّمْي بينى وبين الشريف ، وإن كان يَكْرَهُ الشريف وأولادَه فالله يُهْلِكُهُ ويهلك أولاده . وصلّى ، وبعد الصلاة انتبز له أَوْبَاشٌ وباكتوه بأن هذا الذى يفعله فى الخطبة يُبْطِلُها . وحصل بينه وبينهم مُسَابَبَةٌ ، وأعاد بعضُهم الصلاة ، فلما وصل الزيادَةَ — وهو قاصد بيته بالسويقة — كثر الناس عليه وعلى

(١) إضافة على الأصل . وفى بلوغ القرى لوحة ٣١ و ، ماتت في عشاء ليلة الجمعة رابع عشرى ربيع الأول بناحية اليمن ، وحملت إلى مكة ، فوصلتها ضحى الجمعة .

(٢) وهو زين الدين عبد الرحمن بن الأدمي المصري . (بلوغ القرى لوحة ٣١ و) .

من معه بالصياح والرجم والضرب ؛ فعاد إلى وسط المسجد ، فصادف مجيء رُسُل السيد بركات القائدين بدر هجين ، ومسعود بن قُنَيد ، فقالا له : ارجع ما عليك — ومشيا معه إلى أن خرج من باب المسجد ، وقالا له : السيّدُ الشريفُ قال لك ٱلْزَمْ بيتَك ، ولاتخطب حتى يراجع السلطان ، وتجيء مراسيمه . قال : وأنا الآخر كذلك . وأرسل الشريف إلى الإمام محب الدين الطبري يأمره بأن يخطب ، فصار يخطب هو وولداه بقيَّة السنة والتى بعدها — واتفق موت القاضى برهان الدين[1] — وتوجّه الخطيبُ فى الموسم إلى المدينة ، ثم إلى مصر ، وعاد إلى مكة . وقد تكلّم المباشرون فى الصلح بينه وبين الشريف والقاضى الجمالي أبى السعود ، فسلَّم عليه القاضى لما وصل ، ووَالاَه خيرًا كثيرا ، وكذلك السيد الشريف ، وحصَّل له مدرسة ابن الحَدَّاد : بيتا خَرِبًا بالقُرْبِ من الشبيكة . كان لبعض الشرفاء ، فعَمَّره بَيْتًا ، ورَتَّب له هو وولده بركات كلَّ سنة شيئا . ووقع الصلحُ . ولله الحمد والشكر والمنة .

وفى سابع الشهر اجتمعوا بالحطيم ، وقرئت المراسيم . ومضمون مرسوم السيد : بأنه وصلنا مكاتبتكم ، وفهمنا مضمونها ، ووصل الحاج وهم شاكرون ، وتَزَايَدَ شُكْرُنَا ، وأنت مُقَرَّبٌ منا ، وجميعُ ولايات الحجاز مَنُوطَةٌ بك ، ولتقمع أهلَ البغي

---

(١) هو برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن ظهيرة القرشي المكي الشافعي ، قاضي القضاة ، توفي ليلة الجمعة سادس ذى القعدة سنة ٨٩١ هـ . (الضوء اللامع ٨٨/١ ، وبلوغ القرى لوحة ٣٣ ظ) .

والفساد ، وجَهَّزْنا لك ولابنك خلعتين فلتلبساهما . فلبساهما .

وفى يوم الجمعة تاسع الشهر سافر السيد محمد إلى أهله بناحية اليمن بعد صلاة الجمعة والطواف بعدها ، ودعا له الريّسُ على ظُلَّةِ زَمْزَم الدعاء المعروف .

ثم توجّه إلى ينبع لأجل محاربة بني إبراهيم ، ثم تلاه ولدُه السيد بركات فى خامس جمادى الأولى(١) ، ومعه العسكر . ثم وصل منه قاصد ــ وهو بالسويق ــ وأخبر أنه تلاقى هو وبنو إبراهيم ، وكان النصرُ فيه له ، وولَّى بنو إبراهيم هَرَبًا بعد أن ثبتوا ، وقتل منهم نحو الأربعين ، وقطعت يد ابن بَذَّال اليُمْنَى ، وقُتِلَ من جماعة الشريف نَزْرٌ يسير .

ثم فى تاسع عِشْرِى الشهر وصل قاصدٌ من السيد من ينبع ، ومعه منه كتاب لقاضى القضاة برهان الدين بخط الشريف ، وقرأه في يومه على الحاضرين عنده بمجلس حكمه ، وفيه : أن المقتولين بالقتل والجراح من بنى إبراهيم ومن معهم أكثر من مائة نفس ، وبالعطش أكثر من مائتين ؛ وجملة ذلك نحو أربعمائة نفس ، وأنهم هربوا وتوَزَّعُوا فى جبلين ، وبعضهم قصد خَيْبَر ، وقد أُرْسِلَتْ / ورقةٌ لأهل خيبر ألا يؤووهم ، وأن ينهبوهم ويقتلوهم(٢) ــ والله ينصره ٢٠٣و
ويزيده تأييدا ، ويهلك على يديه أهل البَغْي والعناد .

(١) أي من سنة ٨٩١ هـ . (بلوغ القرى لوحة ٣٢ و) .

(٢) المرجع السابق .

وفى جمادى الثانية[١] وصل قاصد من الشريف ، وأخبر بوصول القاصد من مصر الذى كان أُرْسِلَ بسببِ الخطيب ، ومعه مرسوم يتضمن : إمضاء ما فعله الشريف بالخطيب ، وهو أنه يستمرُّ بطَّالا إلى الموسم ، ويصل إلى الأبواب الشريفة ، ويكون الإمام محب الدين مستمرا على الخطبة يوم الجمعة ، إلى أن يصل أبو بكر النويري الخطيب من الهند . ثم وصل الشريف وأولاده وعسكره إلى مكة فى رابع عشر شعبان .

وفى سادس عشره توجَّه إلى صوب أهله بقُدَيْد ، بقصد التوجّه إلى ينبع ؛ فإنه جاء قاصدٌ منها ، وأخبره بأن بنى إبراهيم مُصَبِّحُوهم[٢] ، وكذا جاء كتاب من الشريف عنقاء . فإن الشريف سمع وهو بقُدَيْد الخلاف فى ينبع ، فأرسله ليكشف له الخبر ويطالعه بذلك . ثم وصل إلى مكة فى سابع عشرى الشهر ، وأقام بها إلى تاسع عشرى الشهر ، وعاد إلى أهله وكان تركهم بشوطان[٣] بطريق الوادى ، لأجل المرعى والصيد . ثم جاء مكة ليلا فى أواخر شوّال ، واجتمع بالقاضى برهان الدين ، وعاد من ليلته . ثم جاء ليلة موته ــ ليلة الجمعة سادس ذى القعدة ــ هو وأولاده

---

(١) أي فى يوم الخميس الخامس منه من سنة ٨٩١ هـ . كما فى بلوغ القرى لوحة ٣٢ و .

(٢) فى الأصل ، والمرجع السابق « مصبحينهم » .

(٣) شوطان : مكان غربي الجموم بالقرب من جبل سدر ، ولا تزال هناك ساقية شوطان . (إملاء الدكتور عبد الله الحسيني) .

الذكور ، وفى الصبح بناته ونسوانه . وخرج مع الجنازة من البيت ، وطلع ماشيا ، وكان يحمل الجنازة فى الطريق ويبكى ، وجلس مع الناس على القبر . ورجع هو وأولاده وجماعته مشاة ، مع ولد القاضى إلى البيت ، واستمروا يحضرون الربعة صباحا ومساء بالمسجد والمعلاة . ثم سافر يوم الختم بعد أن جاء إلى بيت القاضى أيضا ، وسلَّم على ولده وأخته وبناته ، وجَبَرَهُم بكلمات نافعة ، وأمر بكتابة محضر يُرْسَلُ للسُّلْطَان ، فيه : الإخبار بالوفاة ، وسؤاله أن تكون وظائفه لابنه ، وأنه أهل لذلك . وتَوَّجَه هو بخطه ، وكَتَبَ فيه الباشُ(١)، وأرسل مع القاصد زُهَيْر البَلَسوِيّ إلى مصر ، فى ليلة الثلاثاء عاشر القعدة . ثم جاء السيد لمكة ليلة سادس عشرى الشهر ، وطلع فى صبحتها إلى المعلاة وزار القاضى ، وزاره ثانى يوم أيضا .

وفى يوم الجمعة ثالث عشر من ربيع الأول من سنة اثنتين وتسعين وصل قاصد السيد محمد الشريف عَنْقَاء بن وُبَيْر إلى مكة ، ومعه صاحب ينبع الشريف دَرَّاج ، والشريف يَحْيَى بن سَبْع بن هَجَّان ، وطافوا وسعوا ؛ فإنهم كانوا محرمين ، وتوجهوا إلى الشريف بعد صلاة الجمعة ، وهو بناحية اليمن . وسبب مجيء دَرَّاج وابن سَبْع أن ابن سَبع ، وابن بَذّال الإبراهيمي وقفوا للسلطان وأَعْطوا فى ولاية ينبع ثلاثين ألف دينار للسلطان ، وأن يسكن المعزول ينبعا ، وإلا يُعْطِي المتولى دَرّاجُ ذلك ويسكنون البلاد . فقال السلطان :

(١) زاد بلوغ القرى لوحة ١٤ و « وكتب أيضاً القضاة والأمراء وكبار العلماء والفقهاء » .

مليح ، يروحوا للشريف محمد ، أنا ما أعرف إلا هو ، إما أن يعطي وإلا يعطون . ووصى السلطانُ الشريفَ عنقاء على ولد سَبْع وعلى ابن بَذَّال ، فتأخر ابن بَذَّال بينبع[1] .

وفى خامس عِشْرِى الشهر وصل الشريفُ وأولاده وعسكره مكة ؛ لأجل اختلاع خلعة الاستمرار ، فاجتمعوا والقضاة / والباش ٢٠٣ظ بالحطيم ، وقرئ مرسوم الشريف ، وفيه : الثناء ، وأن الحاج وصلوا سالمين شاكرين ، وأنك عندنا من المقربين . ولبس هو وولده خلعتيهما[2] .

وفى أول ربيع الآخر سافر السيد محمد إلى بلاد الحجاز ؛ لرؤية البلاد التى صارت له فيها ، ورؤية العمارة التى تعمرت فيها ، وسافر ولده السيد بركات ومعه العسكر إلى ناحية الشرق للغزو ، ومعه صاحب ينبع دَرَّاج ويحيى بن سَبْع بن هَجّان . وفى سابع الشهر وصل بعض العسكر وأخبر أنه انتصر وغنم وصولح ، وكان مما غنم نحو سبعين من الإبل ، وأنه أعطاها ليَحْيَى بن سَبْع ، وأنه توجّه لوالده بالحجاز . ثم وصلوا جميعا لمكة فى حادى عشر الشهر ، وفى ثالث عشر الشهر سافروا إلى أهليهم باليمن[3] .

وفى ليلة سابع عشرى رمضان وصل السيد محمد ، وولده

(١) بلوغ القرى لوحة ٣٦ ظ .
(٢) بلوغ القرى لوحة ٣٧ و .
(٣) بلوغ القرى لوحة ٣٧ ظ .

السيد الزيني بركات وبعضُ جماعته ، ونائب جُدَّة القاضى أبو الفتح المنصوري ، وكان محرما بعمرة ، وطاف وسعى ، وخرج إلى الزاهر ، وبات به ، إلى الصباح ، فخرج للقائه بُكْرَة النهار السيد محمد وولدُه وعسكرهُ ، فخلع على الشريف وولده ، ودخلوا المسجد الحرام ، فلاقاهم القضاة وجلسوا بالحطيم ، وقرئ مرسوم الشريف ومضمونه : التوصية على نائب جُدَّة . وسافر الشريف وجماعته إلى أهله بناحية اليمن ليلة التاسع والعشرين[1] .

وفى يوم الخميس رابع جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وصل السيد وأولاده وبعضُ عسكره إلى قُوز المَكَّاسَة ، وعرج هو ومضى من تحت جبل ثَوْر إلى أن وصل إلى مزدلفة ، ثم إلى قرب مُحَسَّر ، وجلس هناك بشعب . ودخل أولاده وبعضُ العسكر إلى مكة ، وتوجّه القضاة — إلا الشافعي — وجماعة من جماعته لتعزية الشريف بابنه مُهَيْزِع ، وعادوا فى يومهم .

وفى ظهر الجمعة وصل إلى مكة — والخطيب على المنبر — فصلى ، ثم دخل الطواف هو وأولاده فطافوا ، ودعا له الريس فوق ظلة زمزم . فقالوا : لم ينشرح بالدعاء ، وكأنه لكونه حزينا . ثم سافر هو وأولاده وعسكره إلى جهة الشرق للغزو ؛ فإنه يقال : إن بعض بنى لام خرب بعضَ حصون خاله شَامَان ، ثم عادوا إلى مكة فى خامس

---

(١) بلوغ القرى لوحة ٣٨ ظ .

(٢) المرجع السابق .

رجب ، وتوجهوا إلى الصيف(١) .

وفى ليلة الاثنين تاسع رجب وصل الشريف ، ونائب جُدّة شاهين الجمالي لمكة . وفى ثانى تاريخه اجتمعا والقاضيان الشافعي والمالكي ، والمحتسب بالحطيم ، وقرئت المراسيم ، ولبس الشريف وولدُه خلعتيهما ، وسافر إلى صوب اليمن ، ثم عاد الشريف وحده إلى مكة عن قرب ، واستمر بها إلى أواخر الشهر ، ثم سافر وعيَّد عند أهله ، ثم عاد فى أوائل شوال ، وتوجّه هو والقاضى الشافعي(٢) إلى الزِّيَمة وغيرها من بلاد نخلة ، ثم عادا عن يوم أو يومين إلى وادى مَرّ .

وفى ثانى المحرم — أو ثالثه — من سنة أربع وتسعين توجّه القائد مفتاح البوقيرى — من كبار عبيد السيد محمد — فى عسكر سيِّدِه ، وأخذ جماعة من مكة ممن مرجعهم إلى العرب وسكنوا بمكة ، وجعلوا عليهم أسلحتهم وزُوَّادَتهم ، فمن كان معه ذلك قام به ، ومن عجز عن ذلك قام به جماعته الذين ينتمى إليهم من أهل فوق ، أو المسفلة ، أو الجرارة(٣) ، أو أهل سوق الليل — سلاحا ومأكلا — وخرج يريد عرب آل جميل ، وهم / بجبلهم المقيمين به ٢٠٤و

(١) بلوغ القرى لوحة ٤١ ظ ، ٤٢ و .

(٢) وفي بلوغ القرى لوحة ٤٣ ظ « هو والقاضي الشافعي جمال الدين أبو السعود بن ظهيرة ، والزيني عبد الباسط بن ظهيرة » .

(٣) كذا فى الأصل ، وبلوغ القرى لوحة ٤٤ و . ولعلها القرارة المعروفة ، وهي مصاقبة لفلق ابن الزبير ، وكانت تسمى قرارة المدحى . (أخبار مكة للأزرقي ٢٦٨/٢ وهامشه) .

بالقـرب من عرفـة ومـن الحجـــاز ، وأرسل إلى العُرْبَـــان بأن يسيروا معهـم ، ومـن لايسير فهـو من الشريـف فى النقـــا ، فأبى كثير من العربان المسير ، وانتمـى إلى آل جميـل عرب هُذَيْـل وغيرهـم . فلمـا وصل البوقيري إلى تحت جبلهم ترك الذين أخذهـم من مكـة وبـعض العربان ومعهم خيالان هما : عِنَان بن قُنَيْـد أخـو مسعـود ، وعلى بن رشيد ، وتوجّـه هو والخيالـة وكـثير من العسكـر إلى الحجـاز ليأخـذ أهل الحجاز ليسيروا معـه عليهم من أعلى الجبـل ، وليقطـع كَرْمًـا لهم بالحجاز ، وكذا دوراً لهم . فلما سمع آل جميل بأنه فاعـل ذلك نزلـوا على الذيـن تحت الجبـل ، وقتلـوا منهم مقتلـة كبيرة ، ونهبوهم وتبعوهم للسَّبْي إلى أن أوصلوهم ـــ لعله ـــ إلى قرب عرفة ، ومسكـوا جماعـة ومنهم الخيالان ، وأطلقوهما كرامة للشريف . وتُسَمَّى هذه الغـزوة ـــ أو التي بعدها ـــ مراوة[1] . وجاء الخبر إلى مكة ليلـة الجمعـة ثامـن المحرم ، فحصل الضجيـج والبكـاء من نواحـي مكـة على المقتـولين ، وكانـوا ثلاثـة وأربـعين ، فبلـغ الشريـف ذلك ، فأمـر بخمسين فارسا ملبسين هم وخيلهم ، وثلاثمائة راجل ، وجميع عرب الدار كقُرَيْش ، وخُزَاعة ، وبني أسلم ـــ ويقال وهذيل ـــ وأمرهم أن يرحلـوا بأهلهـم وهَوْشهم[2] إلى تحت جبلهـم ، ويقيمـوا هنـاك إلى أن ينزلـــوا على

---

(١) مراوة : جبال حمر عالية على ظهر السراة جنوب الحبلة ، تلي جبال غفـار من الجنـوب فى ديـار هذيـل ، ماؤهـا الغـربي فى وادى الضيقـة في نعمـان ، والشرقي فى وادى الضحياء في و ج ، والسرب فى الغديرين ، ثم المحرم فنخلة . (معجم معالم الحجاز) .

(٢) قال في القامـوس : « الهوش العديـــد الكـــثير . وجـــاء بالهوش الهائش : بالكثرة . والهواشات بالضم : الجماعات من الناس والإبل » . « المراجع » .

حكمهم أو يقاتلوا ، أو تفنى أزودتهم وينزلوا للقتال أو غيره ، ويكون مفتاح البوقيري ومن معه فى طريقهم من جهة الحجاز . وفى أوائل النصف الثاني من المحرم توجّه العسكر من مكة إلى عرب آل جميل ، فأقاموا بعرفات ، وأرسلوا لجمع من العرب يصلون إليهم[١] .

وفى العشرين من هذا الشهر شرع فى هدم المدرسة البَنْجَالِيَّة ؛ لأن السيد الشريف استأجرها من القاضى الشافعي ـــ أو صرفت له بمرسوم شريف[٢] ـــ وكان بها قديما مدرسون وطلبة من المذاهب الأربعة ، ثم إن القاضى الشافعي فرق ذهبا من الشريف على القُضَاة والأعيان ، فكان ما خص القضاة كل واحد خمسين دينارا ، على ماأخبرنى به القاضى الشافعي ، بعد أن كان أشيع أن كل واحد أعطى عشرون دينارا ، وخصَّ جماعة من الطلبة بالمدرسة المذكورة من المذاهب الأربعة بشيء ، وخصني بعشرة ـــ [٣]وكان لجماعتنا أطلاب كثيرة [٣]ـــ وجعلت قاعة بإيوان ، وتحتها حاصل بباب يدخل له من المسجد ، وعلوها طبقة بخرجة على باب المسجد المعروف بأم هانئ ، وجعل للقاعة بابان : باب من الحرم بدرجة ، وباب لطيف من عند باب المسجد .

وفى ليلة الخميس ثالث عشرى ربيع الثانى وصل إلى مكة

(١) بلوغ القرى لوحة ٤٤ ، و ظ .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى المرجع السابق « شرعي » .

(٣) كذا فى الأصل ، ولم ترد هذه العبارة فى بلوغ القرى لوحة ٤٤ ظ ، ضمن هذا الخبر .

السيد محمد ، وولده السيد بركات ، وحضروا والقضاة ، والأمير المحتسب سُنْقُر الجمالي فى النهار بالحطيم ، وقرئت المراسيم ، ومضمون مرسوم السيد : أنه وصلنا قاصدكم الشريف زين الدين عُطَيْفة ، وبَلَّغَنَا غيبة الشريف عَنْقَاء ، وأنه وبعض العسكر باليمن ، وأنه إذا عاد يصل إلى أبوابنا الشريفة ، ووصل الحاج وهم شاكرون ، وقد جهزنا لك ولابنك تشريفين فلتلبساهما على العادة . فلبساهما[1] .

وفى الليلة المذكورة احترق بُكَّاران[2] أو ثلاثة بجبل سوق الليل ، يقال إن الذى أحرقهم من العرب الذين يقال لهم آل جميل ؛ لكونهم مُنَاقين ، ولكون / أهل الحجاز انتقدوا[3] منهم غنما ٢٠٤ظ كانوا أخذوها لهم إلا بعضها ، وقتلوا منهم رجلا ، ولتوجه جماعة الشريف الذين بعرفة إلى عرب الضهران المُناقين معهم لما سمعوا بنزولهم إلى الأرض للمرعى ، فقتلوا منهم جماعة ، ومسكوا منهم جماعة ، وأخذوا لهم بقرا كثيرا ــ أظن ــ وبعض نياق ، وهرب الباقون بجميع أموالهم .

وفى الليلة الثانية ؛ ليلة الجمعة ، يقال : إن الوالي سمع أن جماعة من آل جميل بِشِعْب عامر ، فأخذ مشاعِلَ وجماعةً وراحوا إليهم فلم يجدوا أحدا ، فأخذ يعس مكة ، وتوجّه إلى الشريف فى

(١) بلوغ القرى لوحة ٤٦ و .

(٢) البُكَّار : يعني ــ فى لغة أهل ذلك العصر ــ : نوعاً من العشش المبنية بجذوع النخل وجريده ، على هيئة مخصوصة من الاستطالة والتسقيف . (إملاء الدكتور عبد الله الحسيني) .

(٤) كذا فى الأصل ، وبلوغ القرى لوحة ٤٦ ظ .

الليل ، وذكر له أن البلد دُخِلَت ؛ فتغيَّظ الشريف من ذلك كثيرا ، وتَشَوَّش من الوالي ، فأمر له[١] فى النهار وتهدده ، ويقال : إنه قال له : إن لم تأتنى ببينة لأُشنقنك[٢] ، وكأن مراده بذلك عدم الاكتراث بهم ، وأنهم أقلّ من ذلك ، وأن هذا الفعل إشْلَاءٌ عليه ، وأمر به إلى الحبس ؛ فحبس عند ابن قُنَيْد ، ثم أخرج ، وسافر الشريف .

وفى ليلة الجمعة الأولى من جمادى الأولى وصل الشريف وأولاده ، وجماعته إلى مكة ، وسافر آخر يومه إلى الشرق[٣] .

وفى يوم السبت تاسع الشهر اجتمع جماعة من العرب العلويين عند الجمال البوني للصلح مع الشريف ؛ فإنهم كانوا ناقوا مع عرب آل جميل ، فوقع الاتفاق معهم على ألا يعينوهم ولايشيروا عليهم ، وحلفوا على[٤] ذلك عند الحجر الأسود .

وفى أواخر الشهر وصلت أوراقٌ إلى مكة من الشريف ، وفيها : أن يُمْسَكَ الوالي ويُوضَع عند ابن قُنَيْد فى الحديد والخشب . فَمُسِكَ وذُهِبَ به إلى بيت ابن قُنَيْد وفعل به ذلك ، وضيَّق [عليه][٥] وسبب ذلك أن شخصا من الدلالين نَمَّ على الوالى عند

---

(١) كذا فى الأصل ، والمرجع السابق ، ولعلها « فأمر به » .

(٢) فى الأصل « وإلا شنقتك » ، والمثبت عن بلوغ القرى لوحة ٤٦ ظ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) فى الأصل « عند ذلك » ، والمثبت عن بلوغ القرى لوحة ٤٦ ظ .

(٥) سقط فى الأصل ، والمثبت عن بلوغ القرى لوحة ٤٧ و .

السيد الشريف ــ لما ذكر الوالى للشريف أن مكة دُخِلَت ــ أنه كان يسكر فى تلك الليلة ، وأنه لما سمع خرج من غير شعور ، وأشاع ذلك . ثم إنه خافَ على نفسه واستنزل[1] بالسيد بركات فأجاره . فلما سافروا إلى الشرق جاء الدلاَّل إلى الوالى فى خصومة ، فضربَه وحبَسَه ، فبلغ الخبر القاضى الشافعي فأمر بإخراجه ، فلما خرج أرسله ابن قُنَيْد بأوراق إلى السيد الشريف بالشرق ، فجاء الخبرُ بِمَسْك الوالى . ثم لما وصل الشريف فى أول الشهر الذى يليه أطلق ثانى يوم ، بعد أن ضرب عصيات تحت رجليه ، عند بيته بالمعلاة ، بعد أن شُقَّ به المَسْعَى وَيَدَاه مُخَشَّبَتَان .

وفى أوائل جمادى الثانية أرسل الشريفُ محمدَ بن أحمد بن سعدالهندي ، وشيخَ الفراشين عمر بن بَيْسَق إلى شيخ الكعبة جمال الدين محمد بن عمر الشيبي ، وأخيه الطيب بكلام عنيف ، فبَلَّغَهُمَا ذلك ابنُ سعد الهندي ، وتخلّف عمر بن بَيْسَق عن الوصول إليهما ، لكن كان بالقرب منهما . ثم فى الليلة المستقبلة ــ أو التى تليها ــ أخذ الشيخُ حاتم المغربي محمدًا الشيبيّ وذهب به إلى الشريف ، وهو جالس فى المسجد بالليل ، هو وولده السيد بركات ، وقاضى القضاة الشافعي الجمالي أبو السعود ، فتكلّم عليه أيضا ، فاعتذر عما يقال عنه . وفى هذه القضية شهد على الشيبي جماعةٌ عند الشريف بأنه يتكلم فيه ، وكان منهم : الخطيب محب

(١) كذا في الأصل ، والمرجع السابق . والمراد أنه استجار به .

الدين النويري ، والقاضى المالكي ، وبالغ في ذلك الخطيب[١] .

٢٠٥و وفى سادس الشهر توجه الشريف وجماعته / إلى وادى مَرّ .

وفى النصف الأول من رجب سمعنا بأن التجريدة التى بالحجاز هجمت على عرب آل جميل ، ووقع بينهما قتال كبير ، قتل فيه جماعة من التجريدة ، ثم هربوا ، وقتل بعض الخيالة هو وفرسه[٢] .

وفى ليلة الجمعة سادس عشرى الشهر وصل الشريف إلى مكة من وادى مَرّ مُحْرِما بعُمْرة ، فطاف وسعى ، وعاد ثانى ليلة إلى مكانه[٣] .

وفى رابع شعبان نودي بأن يخرج جميعُ العربان إلى عرفة لغزو آل جميل ، وسَمِعْتُ بأن الشريف اتَّهَمَ جماعةً من العربان بممالأة آل جميل ، منهم الندويون فنقَّى عليهم ، وفى توجههم لبلادهم أخذوا إبلا ــ أظنها لخزاعة[٤] .

وفى ليلة الجمعة عاشر الشهر وصل الشريف بركات ابن صاحب مكة إليها ، بنية التوجه لقتال آل جميل ، ثم فى عصر يومه طافَ وسافرَ إليهم ، واحتاطوا بالجبل فى[٥] ثلاث فرق : إحداها

---

(١) بلوغ القرى لوحة ٤٧ و ، ظ .

(٢) بلوغ القرى لوحة ٤٧ ظ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) بلوغ القرى لوحة ٤٨ و .

(٥) فى الأصل « من » ، والمثبت عن المرجع السابق .

مع الشريف بركات من جهة اليمن ، والثانية مع مفتاح البُوقِيرِيّ من جهة الحجاز ، والثالثة مع بَدْر هَجِين من جهة مَرَاوَة . وفى يوم الثلاثاء الحادى والعشرين سمعنا بمكة أن على بن سالم أخا زيد بن سالم شيخ آل جميل وصل إلى السيد بركات ، فأمر به فطُوِّق فى رقبته بالحديد ، ويقال إنه أخو الشريف من الرضاعة ، وسمعنا قبل ذلك أنه حصل عند الماء الذي بمراوة محل الفتنة[1] الأولى قتال أيضا بين جماعة الشريف وبعض آل جميل ، وأن جماعة كثيرين من جماعة الشريف توجّهوا للماء ، فنزل عليهم نفرٌ يسير من آل جميل فأزالوهم عن الماء ، ثم صاحَ الصائح فكثروا عليهم ، وكثر الرّمْي بالنشاب ، فهربوا بعد أن أمسكوا واحدا من القَوَّاسَةِ وقتلوه . وسمعنا قبل ذلك أن جماعة من العربان صالحوا ، ومنهم الندويون المتقدم ذكرهم بالنَّقا قريبا ، والطلحات ، وبنو طلحة ، ونودى للندويين فى شوارع مكة بذلك . وصالح جماعة من بنى جميل — وهم الطلحات — على مال ، فبعضهم سلم مائة دينار ، وبعضهم أكثر من ذلك ، وبعضهم أقل . ولما نزل على بن سالم للسيد بركات للصلح لم يقبله ، فنزل جماعةٌ أيضا ، منهم ابن على بن سالم ، وابن أخيه زيد بن سالم ، واعتذر زيد عن النزول بأن رجله انكسرت ؛ فوضع الجميع فى الحديد ، ووقع الاتفاق على أن يذهب بهم السيد بركات إلى والده السيد محمد ، ومهما أراد : قَتْلاً ، أو مالاً ، أو نقدا ، وحشر الباقين إلى أن ارتفعوا إلى رأس الجبل وأحرقوا لهم ثلاث

(١) كذا فى الأصل ، وفى بلوغ القرى لوحة ٤٨ و « القتلة » .

مقارى[١] وهو محل النحل ، ويقال إن النحل الذى أحرق وهرب يكون بنحو ألف دينار ، ومنع السيد بركات العسكر من القتال ــ وأظنه أبقى على الجميع ــ وكان مع السيد بركات من العسكر نحو ألفين ، وهم من عرب اليمن وغيره ، ومع بدر هجين نحو ألفين أيضا ، وهم من عرب مكة وهذيل الشام ، ومع مفتاح البوقيرى نحو ألف ومائتين ، وهم من عرب الحجاز وبَجِيلَة ، وكانا يكيلون لكل رجل من العرب ربعية ربعية . إلا أهل الحجاز فإنهم بالقرب من أهلهم ، وعرب مكة وما حواليها لم يعلم[٢] لهم طعام .

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشرى الشهر دخل السيد بركات
٢٠٥ظ وعسكره إلى مكة ومعه نحو عشرة من العُرْبان ، ومنهم : / على بن سالم وابن أخيه زيد بن سالم ، واثنان من الطلحات ، واثنان من الندويين ؛ بسبب الإبل التى أخذوها ــ أظن لخزاعة ــ وأمر السيد بركات جميع العربان بالرحيل ، ونادى لآل جميل فى العربان : أنهم فى وجه السيد بركات . وفى ثانى يوم توجّه هو وعسكره إلى والده بالوادى ، وحُبِسَ الممسَّكون عند ابن قُنَيْد حتى (صالحوا عن[٣]) ثلاثة آلاف وثلاثمائة دينار ، وأُطْلِقَ ولدُ على بن سالم لتحصيل المال ،

---

(١) المقاري : شرحها المؤلف بمحل النحل ، ولعل المراد خلايا النحل ؛ لأن هذه المنطقة مشهورة بإنتاج عسل النحل ، وهذيل تشتهر من قديم باشتيار عسل النحل . (إملاء الدكتور عبد الله الحسيني) .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى بلوغ القرى لوحة ٤٨ و « لم يصل » .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى بلوغ القرى لوحة ٤٨ و « صالحوهم على » .

ونودي لهم فى شوارع مكة : أنهم وعربهم فى وجه الشريف بركات من جميع العربان . فأوردوا ألفاً ومائة ، وماطلوا فى الباقى . ثم دخلوا على الشريف بأن يأخذ منهم غنما ، فتأثر منهم وقال لهم : ما عندى إلا الشنق . فخافوا ــ وفى نيتهم ألا يعطوا شيئا ــ فسألوا بعض مَن يدخل إليهم من أصحابهم أن يأتوا لهم بمبارد ، فأتوهم بها ؛ فبردوا القيود ، وعزلوا الباب ، وهربوا من الحبس ليلا فى ليلة ثالث عشرى ربيع الأول من سنة خمس وتسعين ــ وهم ثمانية إلا على بن سالم ــ فأحس بهم السجانون ، ولم يكن هناك إلا اثنان ، فأقام الصائح وتفازع وراءهم ، فمسكَ منهم ثلاثةً وهربَ أربعة ، وفى الممسوكين ولد زيد بن سالم ، ولما أُمْسِكَ كاد يفلت ؛ فحصل له حينئذ كوائن أثخنته ، يقال إنه على تلف منها . وفى ثانى تاريخه يوم الاثنين وجدوا واحدا من الأربعة وسط النهار بالمعلاة ، وحُبِسَ مع أصحابه حتى أرضوا الشريف ، وأطلقوا ، ومات بعضهم بالحبس .

وفى ليلة الجمعة ثالث عشرى رمضان من سنة أربع وتسعين وصل لمكة السيد محمد وولده السيد بركات من وادى مَرّ ، وناظر جُدَّة القاضى شمس الدين بن البزادرة من جُدَّة ، وكان وصل قبله من جُدّة لمكة نائب جُدّة الأمير شاهين الجمالي ، واجتمعوا فى صبحتها بالحطيم ، ومعهم قاضى القضاة الشافعي وغيره ، وقرئت المراسيم ، ومضمون مرسومه : أن مكاتبتك وصلت إلينا ، وبلَّغنا الشريف زينُ الدين عَنْقَاء الرسالةَ التى معه ، وفهمنا ذلك ، وأنك عندنا معظم ، وإنْ بَعُدَت المسافة ، وصاحب الأقطار الحجازية ؛ فلتقر عينا ولتبسط يدك . وأرسلنا لك خلعتين أطلسين ، وكذلك للسيد زين

الدين بركات . فلبسا خلعهما ، ثم سافرا فى ليلة ثامن عشرى الشهر إلى وادى مَرّ وعَيَّدَا به(١) .

وفى ليلة سابع ذى القعدة وصل السيد بركات مكة ، وسَرَى من ليله بعسكره إلى جهة الشرق ؛ لغزو عرب بنى لام ــ ويقال لهم الروقة ــ فإنهم مناقون ، فلم يصادفوهم ، وإنما وجدوا عربا من ناصرة ، أو عرب سُبَيع ، فغنموا منهم إبلا كثيرة ــ ويقال إنها ألف ــ وشياها كثيرة جدا ، وعادوا فى وسط الشهر(٢) .

ووصل السيد محمد فى سادس عِشْرِى الشهر ، ولاقى الحجاج المصريين والشاميين على العادة ، والعراقيين أيضا(٣) .

وفى جمادى الأولى من سنة خمس وتسعين وصل السيد محمد وولده بركات وحِلَّتُهُمَا وعسكرهما إلى مكة ، وتوجّهوا إلى الشرق ، ثم عاد هو وولده وبعض عسكره فى جمادى الثانية(٤) ؛ لأجل ملاقاة نائب جدة تَنَم الفَقِيهُ الصوفي(٥)، ولقراءة المراسيم ،

---

(١) بلوغ القرى لوحة ٤٨ ظ ، ٤٩ و .

(٢) بلوغ القرى لوحة ٤٩ ظ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) « أي فى يوم الجمعة الثالث والعشرين منه » كما فى بلوغ القرى لوحة ٥٣ و .

(٥) كذا فى الأصل . وفى المرجع السابق « تنم الفقيه الصوفي الخازندار الأشرفي قايتباي » . وفى الضوء اللامع ٤٥/٣ برقم ١٨٥ « تنم الأشرفي قايتباي » ، ولم يذكر وفاته . وفى بدائع الزهور ٢٧٠/٣ « تنم الرجبي الخاصكي » .

وجاء النائب من جُدّة ثانى يوم ، ولاقاه الشريف إلى بين الحجونين ، ودخلا جميعا ومعهما الأميران / الشجاعي شاهين ، وسُنْقُر ٢٠٦و الجماليان ، والناظر شمس الدين بن البزادرة ، وكريم الدين الصيرفي ، وجلسوا بالحطيم ، ومعهم القاضيان الشافعي والمالكى والجمال الطاهر ، ومصطفى ولد تاجر السلطان ، وعلى الشبرواري ، وخلع على الشريف وابنه ، والقاضى الشافعي ، والخواجَكِيَّة الثلاثة ، وقرئت المراسيم ، منها مرسومان للشريف . ومضمونهما : أن الواصل إليكم نائب جدة تَنَم السَّيْفِى (١) ، وأنكم تساعدونه على مقاصده ، وأنه لا يظلم أحدا ، ويسير كسيرة الأمير شاهين الجمالي ، وسمعنا أن الدَّبَش(٢) يدسون فيه شيئا كثيرا من القماش ، ولم يُعَشَّر ، والمقصود يحترصوا على ذلك ، وأن الفلفل الذى يصلنا فيه كثير من التراب ، فتكشفوا لنا عن ذلك . هل هو من التجار أم من غيرهم ؟ وأن بعض الأشياء لِأُنَاسٍ لاتُعَشَّر . فتضبطوا لنا هذا وتعرفونا به ، وأن بعض الهندى لايمكنه الوصولُ فى الموسم ، فيدخل بعضَ بلاد اليمن ثم يصل بعد الموسم ، فما وصل بعد ذلك تكون عشوره لنا وللشريف ، وأن مدرستنا لايسكنها أحدٌ من الترك ، وأن رباطنا لايسكنه إلا الفقراء الأغراب ، وأن عمائرنا لايؤذى ساكنوها ، ولايُطْرَحُ عليهم ولايؤخذ منهم شيء . ثم توجه السيد إلى الشرق .

(١) وانظر التعليق السابق .

(٢) « الدبش » ، كذا في الأصل ، وبلوغ القرى لوحة ٥٣ و . والدبش : هو أثاث البيت وسقط المتاع . (المعجم الوسيط) .

وفى أواخر رجب وصل قاضى القضاة الشافعي الجمالي أبو السعود بن ظهيرة مكة مِنْ جُدَّة ، ومعه أولاده وعياله بنيَّة السفر لزيارة المصطفى ﷺ ، صحبة السيد الشريف من جهة الشرق ، ثم توجّه هو وأولاده وعياله وعيالُ والده وعَمَّيْهِ أبى البركات وأبى بكر ، سَلْخَ الشهرِ إلى الشريف بالشرق . وأُخْبِرتُ أن الشقادِفَ أكثر من مائة ، والزَّوَامِل أكثر من مائتين[١] ، وزاروا مع الشريف ، وعادوا ، وفى أول رمضان وصلت القافلة إلى الوادى ، والسيد الشريف وأولاده وعياله وجماعته ، وكذلك القاضى الشافعي توجَّهُوا من خَبْتِ كُلَيَّة[٢] إلى جُدَّة من أجل طهار وَلَدِ رَاشِد فَتَى الشريف ، وشُرِعَ فى عمل فَازَة[٣] لذلك ، وعُمِلَ له سِمَاط عظيم ، ومِنْدِيلٌ لم يَتَخَلَّف عن اللصُّوقِيَّة[٤] فيه إلا نائب جدة ، يقال إن المتحصل قريب الألفين دينارا .

ثم سافر الشريف وعسكره إلى جهة اليمن ، والقاضى وجماعته

---

(١) وفي بلوغ القرى لوحة ٥٤ و « ولم يبلغني إلى الآن عدة شقادفها وشجرها وزواملها ورواحلها وخيلها وحمرها ، إلا أنها كثيرة » .

(٢) خبت كلية : الخبت هو ما انخفض من الأرض ، وانظر التعريف بكلية فى ص ٢٢٧ من هذا الجزء .

(٣)الفازة : تعني في مصطلح أهل مكة في ذلك العصر : الحفل الذي يقام فى الأفراح من مقاعد وثريات وفرش ولوازم الأفراح .

(٤) اللصوقية : كذا في الأصل ، وفي بلوغ القرى لوحة ٥٤ و « الإلصاق » . وهما مصطلحان لذلك العصر . يعبران عما يقدم من النقوط للمغنين والعوالم وما أشبه ، ويستعملان كذلك في وقتنا هذا .

إلى جهة مكة .

وفى الخامس والعشرين منه وصل إلى مكة السيد الشريف وولدُه ، وجلسا بالحطيم ومعهما القاضى الشافعي ، والأمير المحتسب سُنْقُر الجمالي ، وقرئت المراسيم ، ولبس الشريف وولدُه خلعتين ، وسافرا ثانى يوم إلى أهلهما صوب اليمن . ثم عادا فى ذى القعدة .

فاتفق فى ليلة الأربعاء سابع عشرى الشهر خِصَامٌ بين فِرْقَتَي الحُبُوشِ ، وهما سَحَرْت وجَزْل ؛ وسبَبُها أن عادة جَزْل يلعبون على جَبَاجِبِهم[1] ويرقصون بالشُّبَيْكة ، فمنعم نائب جدة تَنَم الخازندار ؛ لقربهم من بيته ، ثم صاروا يلعبون بجبل جَزْل الذى مُتَعَبَّدُ الجُنَيْدِ بلحفه ، فشوشوا عليه أيضا ؛ لقربهم منه . فمنعهم منه . فلما جاء الشريف بركات شَكَوْا عليه ذلك ، فأمرهم أن يلعبوا فى ليلةِ تاريخهِ عند بيته بأجياد ــ وأجياد محل لعب سَحَرْت ــ فلما / أخذوا فى ٢٠٦ظ

(١) الجباجب : في معاجم اللغة جمع جبجبة وهي وعاء يتخذ من أدم ، والزبيل من الجلود ينقل فيه التراب ، أو الزبيل اللطيف يوضع فيه نوى من ذهب ، وفى حديث عروة رضي الله عنه : إن مات شيء من الإبل فخذ جلده فاجعله جباجب ينقل فيها ، والجباجب : الكثير الشر والجلبة . ولعل المراد الأشياء التي تحدث الجلبة ، ومنها ما هو على صورة زبيل من الأدم المجفف يملأ بقطع العظم والودع يحدث أصواتاً عند تحريكه ، أو المنطقة من الأدم تعلق بها بعض الأظلاف والعظام والودع تحدث أصواتاً مزعجة عند اهتزاز الراقص بها ، ولعل تسميتها بجباجب أخذت من الصوت الذي يحدث عنها . وربما كان المراد المكان الذي يلعبون فيه ، وهو جباجب مكة ، وهي الجبال الحجرية الهشة وهي جبال صغيرة بمكة ، أو يراد أسواق مكة . وانظر معالم مكة التاريخية والأثرية .

الدخول إلى أجياد خرجوا عليهم بالسلاح ، وجرحوا بعضهم ، فسمع السيد بركات بذلك ، فأرسل أخاه هَيْزَعًا ليكُفَّ بعضهم عن بعض ، فما قدر على ذلك ؛ لالتحامهم فى بعضهم بعضا وكثرتهم ، فصاحَ إلى أخيه : إنى عَجَزْتُ عنهم ، وإن كانت البلاد لهم فاتركهم يقتتلون فى بعضهم بعضا ، وإن كانت البلادُ لَكَ فَٱنْزِلْ إليهم وَٱشْنُقْهُم . فنزل وركب فرسه وخرج إليهم ، وصاح عليهم فتفرقوا ، فأمر بِمَسْكِ نقيبين لسَخَرْت من كِبَارِهم واستدعى بحَبْلَيْنِ ، وتوجّه هو وأخوه وهما معه إلى دَرْبِ المعلاة فشنقهما وعاد[(١)] .

ثم لاَقَيَا الحَاجّ المصريّ ، والشاميّ ، والعراقيّ على العادة [(٢)] .

وفى يوم السبت حادى عِشْرِى ربيع الأول سنة ست وتسعين وصل مكة السيد محمد وولده السيد بركات ، وحضرا ــ ليلة المولد بالمسجد ــ عقد المَحْيَوي عبدالقادر ابن الشيخ نجم الدين بن نجم الدين بن ظهيرة ، على السيدة سعادة ابنة قاضى القضاة الشافعي جمال الدين أبى السعود بن ظهيرة ، وبعد العقد سافروا آخر ليلتهم إلى أهلهم[(٣)] .

وفى خامس شهر ربيع الثانى وصل إلى مكة السيد الشريف وأولاده ؛ لأجل زَوَاج بنت القاضى الثانية . وفى ليلة الأربعاء سادس

---

(١) بلوغ القرى لوحة ٥٥ و .

(٢) المرجع السابق .

(٣) بلوغ القرى لوحة ٥٦ ظ .

الشهر كان عقد الزيني عبدالمعطي ابن القاضي فخر الدين أبي بكر ابن ظهيرة على السيدة كمالية ابنة القاضى الجمالي أبي السعود بن ظهيرة ، وحضره السيد الشريف وأولاده ، ثم سافروا ، وعادوا فى جمادى الأولى ؛ لأجل المراسيم والخِلَع الواصلة مع قاصدهم وحضروا بالحطيم ، وقُرِئَت المراسيم ، ولُبِسَت الخلع . وفى مرسومه : أنك عندنا من المقربين ، وَوَصَلَنَا كُتُبُكَ ، وأعلمنا الشريفَ عَنْقَاء بالجواب مشافهة ، وأكرمناه وألْبَسْنَاه خلعة . ثم سافرا إلى وادى مَرّ . وعادا لمكة ، ثم لأهلهما بناحية اليمن(١) .

وفى ليلة الجمعة حادى عِشْرِى(٢) رجب وصل السيد وأولاده وعسكره لمكة ؛ لأجل ملاقاة نائب جُدَّة الأمير تَنَم الأَشْرَفِي ، وناظرها القاضى شمس الدين بن أبى الفتح ، وصَيْرَفِيِّهَا عبدِ الكريم(٣) . وفى ثانى يوم خرج للقائه إلى الزاهر ؛ فخلع عليه وعلى ولده الشريف بركات ، ودخلوا مكة ، وجلسوا بالحطيم ، وقرئت المراسيم . وفى مرسومه : الإعلام بوصول نائب جدة والناظر والتوصية على النائب ، وتشييد أمره بما يؤول إلى الخزائن الشريفة ، وغير ذلك .

(١) بلوغ القرى لوحة ٥٨ ظ ، ٥٩ و .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى بلوغ القرى لوحة ٦٠ ظ « عشر » .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى الضوء اللامع ١١/١٦٥ « كريم الدين عبد الكريم بن إبراهيم صيرفي جدة » . وفى بلوغ القرى لوحة ٦٠ ظ « كريم الدين عبد القادر الصيرفي » .

وفى رابع عشرى(١) الشهر سافروا إلى الوادى ، وفى ليلة سابع عشرى(١) الشهر عاد السيد لمكة مُحْرِماً بالعُمْرة ، وطاف وسعى ، وعاد إلى أهله آخر النهار بأرض حَسَّان .

ثم عاد لمكة ليلة الجمعة ثالث عِشْرِى شعبان ، وحضر فى الصبح بالمعلاة ختم(٢) ابن أخيه الشريف أحمد بن على بن بركات . ثم فى آخر يومه توجّه إلى الوادى بقصد التوجُّهِ إلى الشرق . وفى أواخر الشهر توجّه هو وأولاده وعياله وغالب عسكره إلى الشرق .

٢٠٧و وفى أواخر ذى القعدة وصل السيد الشريف / إلى مكة ، ولاقى الحاج على عادته(٣) .

وفى يوم السبت تاسع المحرم من سنة سبع وتسعين وصل السيد الشريف وأولاده وكثيرٌ من جماعته لأجل عقد القاضى صلاح الدين ابن قاضى القضاة الجمالي أبى السعود على بنت خاله صَفِيّة ابنة الزينى عبدالباسط بن نجم الدين بن ظهيرة . وفى ليلة العشر كان العقد بالمسجد الحرام ، وحضره السيد وجماعته ، وسافروا بقية ليلتهم(٤) .

(١) كذا فى الأصل ، وفى بلوغ القرى لوحة ٦٠ ظ « عشر » .
(٢) الختم : يراد به ختم قراءة القرآن ، حيث توفي ابن أخيه هذا فى أرض حسان فى صبح يوم الأربعاء حادي عشر شعبان ، ونقل إلى مكة ، ودفن بمقابر أهله بالمعلاة . (بلوغ القرى لوحة ٦٠ ظ) .
(٣) بلوغ القرى لوحة ٦١ ظ .
(٤) بلوغ القرى لوحة ٦٢ ظ .

وفى ليلة الأحد سابع عشرى ربيع الثانى وصل الشريف وأولاده مكة من عند أهله بجهة اليمن بعد أن أشرف على الوادى ، وفى صُبْحَتِها اجتمعوا والقضاة والباش والمحتسب وغيرهم بالحطيم ، وقرءوا المراسيم . وفى مرسومه : وصلنا كتبُكُم ، وأعدنا لكم الجواب مع الزين عُطَيْفَة شِفاها ، وأنكم من المقربين عندنا ؛ فَتَبْسُطُوا كلمتكم ، وإن الحجاج والأمراء وصلوا سالمين شاكرين من الحراسة ، ووصلكم خلعتان . فلبسهما هو وولده الشريف بركات ، وفي آخر اليوم سافر الشريف إلى الوادى ، وولده إلى أهله باليمن(١) .

وفى جمادى الثانية وصل مكة السيد بركات ، ثم السيد محمد وعسكرهما ، وتوجهوا إلى الشرق(٢) .

وفى رجب وصل الشريف وولدُه بركات من الشرق [إلى](٣) مكة ، ونائب جُدّة بُرْدْ بَك الخازندار ، ولاقاهُ الشريفُ ولدُه صباحا إلى الزاهر ، وخلع عليهما ، ودخلوا مكة ، وجلسوا بالحطيم ، وقرئ مرسوم الشريف . وفيه : التوصية على الأمير ، وأن معه قائمة(٤) . وسافر الشريف إلى وادى مَرّ .

ثم فى رمضان توجهوا إلى الشرق ، وتوجَّهُوا من هناك لزيارة

---

(١) بلوغ القرى لوحة ٦٤ ظ .

(٢) بلوغ القرى لوحة ٦٥ ظ .

(٣) إضافة على الأصل .

(٤) كذا فى الأصل ، وبلوغ القرى لوحة ٦٦ ظ ، والمراد بيان مكتوب بما يفعله .

المصطفى ﷺ ، وعادوا مع القافلة ، وفارقها السيد محمد من أثناء الطريق (١) .

ثم السيد بركات جاء لمكة فى القعدة ، ولاقيا (٢) الحُجَّاج على العادة .

وفى هذا الشهر والذى قبله سافر الشريفُ رُمَيْثَة بن بركات ابن حسن بن عجلان من اليمن إلى القُصَيْر (٣) فى جَلْبَةٍ اشتراها ، بعد أن كان تغيَّبَ عن أخيه فى أواخر السنة قبلها ، وتَهَجَّجَ فى اليمن ، ثم واجه صاحب صنعاء ، وأحسن إليه ، ولم يرض أخوالُه بنو عُمَر [أن] (٤) يؤووه ، بل خشوا عليه وعلى أنفسهم من صاحب الحجاز (٥) .

وفى ذى القعدة أيضا سمعنا أن عرب آل جميل نَقُّوا أيضا على الشريف ؛ بسبب أن عبدَ الشريفِ الموكَل بالحجاز ـــ وهو مفتاح البوقيرى ـــ سأله العربُ فى أن يخلِّىَ بينهم وبين آل جميل ، فقال : بَيْنَكُم بَيْنٌ . فطلعوا إليهم ونهبوا منهم ؛ فحينئذ نَقُّوا ، ونزلوا إلى جهة عرفة ، فنهبوا لخزاعة إبلا جملتها خمسة وثلاثون ، ونحو ثلاثمائة شاة ،

---

(١) لم ترد أخبار هذه الزيارة فى بلوغ القرى .

(٢) أي محمد بن بركات صاحب مكة وولده بركات ، فقد لاقيا الحجاج على العادة فى ثامن عشرى ذى القعدة . (بلوغ القرى لوحة ٦٨ ظ) .

(٣) القصير : مدينة بشرق صعيد مصر بين ميناء عيذاب التى على ساحل البحر الأحمر الغربي ، ومدينة قوص قصبة الصعيد . (معجم البلدان لياقوت) .

(٤) إضافة على الأصل .

(٥) بلوغ القرى لوحة ٦٨ ظ .

وقتلوا رجلا ، ونهبوا حِلَّتَهُم . ثم إن شخصا من خُزَاعة له خمس وعشرون ناقة آستَفْدَاها منهم بمائة وخمسين دينارا . وحصلَ للعرب خَوْفٌ ورُعْبٌ منهم[١] .

وفى المحرم سنة ثمان وتسعين جاء قمامة ــ أحد بني جميل ــ إلى قاضى القضاة الشافعي الجمالي أبى السعود بن ظهيرة ، ودخل عليه فى أن يدخل له على الشريف ، ويدخل هو وجماعتُه فى الطاعة على حسب ما يطلبه الشريف . فكتبَ إلى / الشريف ؛ فجاءَ الخبرُ ٢٠٧ظ
بأن يُنَادَى له وجماعته بالأمان ، وأن يسكنوا الوطاه[٢].

وفى ليلة الاثنين حادى عشر ربيع الأول وصل مكة الشريفُ وأولاده وعيالهم وعسكرهم ، وزاروا ليلة ثانى ليلة المولِدِ المولَدَ النبويّ[٣] ، وعادوا فى ليلتهم إلى وادى مَرّ .

ثم زار جدَّه صلى الله عليه وسلم فى خلق كثير جدا ، يقال إن معهم نحو الألف[٤] جمل ، وعاد صحبة القافلة فى رَجَب ، لكن تقدمهم من بَدْر ، ووصل قبلهم الوادى بيوم .

---

(١) بلوغ القرى لوحة ٦٨ و ، وقد ورد هذا الخبر قبل ورود سابقه .

(٢) بلوغ القرى لوحة ٦٩ ظ .

(٣) كذا في الأصل ، وفى المرجع السابق « وفى ثامن عشر الشهر كانت الزفة الشريفة إلى المولد الشريف ، والقضاة والفقهاء والأمراء والترك وغيرهم فى خدمة ناظر المسجد قاضى القضاة الجمال أبى السعود بن ظهيرة ــ عظم الله شأنه ــ مشاة . وزاره في هذه الليلة صاحب مكة وابنه » .

(٤) فى الأصل « نحو آلاف » ، والمثبت عن بلوغ القرى لوحة ٧١ و .

وفى أواخر رجب وصل مكة الشريفُ وولـدُه السيـد بركات ، وفى أول ليلة من شعبان وصل قاصِدُه الشريفُ عَنْقَاء ، ونـائبُ جُدَّة بُرْدْ بَك الخازنـدار ، وكـريم الديـن الصيرفي . وفى الصبـاح خرج للقائهمـا الشريفـان إلى الزاهـر ، فخُلِعَ عليهمـا . وفى ثانى تاريخه اجتمعوا بالحطيم ، وقرئ مرسومان للشريف . وخلع عليهمـا أيضا . وفى يومهم سافـرا إلى وادى مَرّ ، ثم عادا فى أواخـر القعـدة ، ولاقيـا الحُجَّاج على العـادة . ثم سافـرا وعيالهمـا وعسكـرهما فى تاسع عشر الحجة إلى وادى الآبار (١) .

وفى يوم السبت غُرَّة جمادى الأولى سنـة تسع وتسعين ــ واليـوم الـذى قبلـه ــ نادى منـادى الشريـف : بأن جميـع العَـرَب المقيمين بمكة(٢) يتوجهون لبلدانهم ، ومن أقام بمكـة يُشْنَـق ؛ وسبب ذلك أنه لما حصل الشِّدَّة فى الغلاء سأل العرب الشريفَ فى الـفسح فى بعضهـم بعضا ، ففسح لهم . ثم توسَّعُـوا إلى أن صار غالبهم بمكة ، وصاروا إذا رأوا أحدا اشترى شيئا أو حَصَّله ، وخرج به إلى بلاده ، أو لأصحابـه تبعـه الآخرون ونهبـوه ، سواء كان بقـرب مكـة أو بعيـدا منها ، وأعطـوا ابـن قُنَيْـد الثُلثَ . فحصل الـتشويشُ على النـاس ؛ فسمـع الشريـف بذلك ؛ فأرسل يأمرهـم أن يخرجوهـم (٣) لبلدانهم ، فأُخْرِجُـوا ، واستـراح النـاس من فقرائهـم ؛ لإلحاحهـم فى

(١) بلوغ القرى لوحة ٧١ و ، ٧٢ ظ ، ٧٣ و .

(٢) وفى بلوغ القرى لوحة ٧٥ و « بأن جميع العرب المقيمين بمكة ــ كأنـه غير عرب الدار ــ يتوجهون » .

(٣) فى الأصل « يخرجهم » ، والمثبت عن المرجع السابق .

السؤال ، وعدم قناعتهم ، وصياحهم الجوع ، وظهر كذب كثير منهم بأن يُرَى معهم الخبزُ بالأرغفة . بل يُعْطَى ذلك فى الحال من جماعة متعاقبين ، فيأكل ويصيح على حاله . والله يلطف بِنَا وَبِهِم وبجميع المسلمين .

وفى رابع جمادى الآخرة وصل مكة الشريف ، وتخلَّف عنه ولده الشريف بركات ؛ لغَزْوِهِ بعض العرب بناحية اليمن(١) .

وفى سابعه حضر هو وأولاده ، والقضاةُ ، والباش ، والمحتسب بالحطيم ، وقرئ مرسوم الشريف ، وليس فيه مايُسْتَفاد إلا أنه وصل القاصدُ وأكرمناه ، وأرسلنا لكما تشريفين ، وكذا للزيني بركات ، فلبس هو ، ثم سُئِل الشريف فى منع الحجاج الذين يَشْتَرُون الحبّ من جُدَّة ، ويبيعونه بمكة ، بل وقالوا : إنه ذُكِرَ له عن مسعود الصُّبْحِيّ الجَدِّيّ أنه يُحَكِّرُ الحبَّ بجُدَّة ، ويشتريه جميعه لنفسه ، ثم يبيعه بزيادة . فأنكر الشريفُ ذلك ، وأمر بمنعه . ومنعهم . فلما كان ثامن الشهر — أو الذى يليه — منع الأَمِيرُ المحتسبُ سنقرٌ الجماليّ المصريين من البَيْع فى الحبْ والشراء ؛ وذلك بأمر السيد الشريف . وسمع بِجِلَابٍ كثيرةٍ وَصَلَتْ لجُدَّة ، وفيها جملة من الحبّ ، ومع ذلك لم ينزل الحبُّ إلا يسيراً ، بل احْتَجُّوا على أن العاقة من قِلَّةِ الجمال ، وإلا فقد نزل سعرُ الطنم(٢) إلى خمسة

(١) بلوغ القرى لوحة ٧٥ ظ .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى بلوغ القرى لوحة ٧٥ ظ « الطم » . ولم نقف على تعريف بأي منهما . لكن يفهم من السياق أنه مصطلح لوحدة كيل أو وزن .

وعشرين ، بعد أن كان بخمسة وثلاثين فأكثر .

واستمر السيد بمكة إلى يوم الثلاثاء عاشر الشهر ، وسافر إلى
٢٠٨و وادى مَرّ ؛ لإصلاح بعض / أمواله ؛ فإن السّيلَ دخل بعضها ودفن
فيه كثيرا . ثم عاد فى ثانيه — أو ثالثه — إلى مكة . ثم سافر منها
ليلة السبت رابع عشر الشهر[١] .

وفى ليلة الأحد سابع عِشْرِى رجب وصل الشريف وأولاده وعسكره ، وقَصْدُه تَزْوِيجُ بعضِ أولاده بمكة ، والتوجّه إلى الشرق ؛ فإنه شرب شربا عظيما[٢] .

وفى ليلة تاسع عِشْرِى الشهر وصل مكة نائبُ جُدّة الأمير بُرْدْ بَك الخازنداريّ الفقيه ، ومعه الشمسى ابن البزادرة . وأخوه ، وأبو النجا[٣] ، وناصر الدين . وفى صبيحتها خرج الشريف وولدُه السيد بركات فى عسكرهما إلى الزاهر للقائهم ، فخلع عليهما ، ودخلوا جميعا إلى الحطيم ، وقرئت المراسيم ، ومنها مرسوم ومنشور للشريف ، ومضمونهما : الإعلام بوصول نائب جُدَّة ، والتوصية به ، وأن النظر والصيرفية لأبى النجا وناصر الدين البصري[٤] ، وأن القاضى شمس

(١) المرجع السابق .

(٢) بلوغ القرى لوحة ٧٦ ظ .

(٣) في الأصل « المنجا » ، والمثبت عما يلى فى بقية الخبر ، وعن بلوغ القرى لوحة ٧٦ ظ .

(٤) اللفظ فى الأصل غير منقوط ، وخال من علامات الإهمال . والمثبت عن المرجع السابق .

الدين بن البزادرة مستوفى(١) ، وأن المراكب القاصدة لجُدَّة إذا دخلت غيرها ، ووصل حملها يكون للسلطان خاصة ، والإخبار بوصول الخِلَع . وَلَبِسَ الشريفان خلعتيهما .

وفى ثالث شعبان عُمِلَ سماطٌ عظيم كبير بحوش دار الشريف ؛ وليمة لعُرْس ولده الشريف أحمد الجازاني ولد زينة بنت رُومِي على بنت خاله كسلاء بنت مالك بن رومي الزبيدي ، وحصل فى الليل لعبٌ كثير في الحوش المذكور ، وبعد المغرب من الليلة التي تليه سافر الشريفُ لجُدَّة بسبب مروس(٢)له ، شحن من مركب هندي بكَمَرَان(٣) كان قصده سواكن ، فقتل ناخوذته فقصد كَمَران ونجل بها ، فلما وصل المروس إلى جُدَّة قال جماعةُ النائب : هذا يتعلّق بالسلطان ، فنجلوه بالفرضة ، وقال جماعةُ الشريف : هذا يتعلّق بنا ما ننجله إلا بفرضتنا ، وقووا على أولئك ودفعوهم ـــ فيما يقال ـــ فتغَيَّظَ نائبُ جدة بسبب ذلك ، ثم نجل بفرضة السلطان بعد كلام من الشريف وولده (٤).

وفى رابع عشر شوال أمر الشريف بِشَنْقِ أربعة من

(١) كذا في الأصل ، وبلوغ القرى لوحة ٧٦ ظ .

(٢) المروس : اسم لنوع من السفن ، لكني لم أقف عليه في المراجع المختصة .

(٣) كمران : جزيرة بالبحر الأحمر قبالة زبيد من بلاد اليمن . (معجم البلدان لياقوت) .

(٤) بلوغ القرى لوحة ٧٦ ظ .

الكَبَاكِبة(٣) بدرب المعلاة ، واحدٌ منهم رَجُل ، والباقى شَبَاب ، وكان قد وصل بعد العيد من الشرق فى جماعة ، وسبب ذلك أنه كان أرسل حَبًّا ـــ وهو بالشرق ـــ فنهبوه بالطريق ، وسلَّطَ عليهم هذيلا ، ووصل السيد إلى مكة ثانى يوم : يوم الجمعة ، وصلّى بها الجمعة ، وعادَ إلى الشرق ، وفى صبيحة يوم السبت ثانيه وصل جماعة من هُذَيل إلى مكة وهم يَتَقَادَوْنَ ويُبِيْشِنُون (٢) ومعهم أولاد صغار من الكَبَاكِبَة على جَمَل ، فإنهم غَزَوْهُم وقتلوا منهم سبعة ، وهرب باقيهم ، وظفروا بهؤلاء ؛ فأتَوْا بهم إلى مكة على هذه الحال ـــ والله يلطف بالمسلمين ـــ فإن العرب جاءوا وصاروا يعيثون فى الطرقات .

وفى ثانى عِشْرِى القعدة وصل إلى مكة ـــ السيد الشريف ، وولَدُه السيد بركات من الشرق ، ولاقيا الحاج كالعادة وخُلِعَ عليهما (٣) .

(١) الكباكبة : ينسبون إلى جبل كبكب ، وهو الجبل الأحمر خلف عرفات ، تجعله فى ظهرك إذا وقفت بعرفة ، وهو لهذيل ، وهو مشرف على موقف عرفة . (معجم البلدان لياقوت) . وفى معالم مكة : من أشهر جبال هذيل قديماً وحديثاً ، وهو جبل أسمر ضخم ، يقع شرق مكة ، على قرابة ٢٧ كيلاً ، يرتفع عن سطح البحر ١٧٥٠ متراً ، يقع بين وادى نعمان جنوباً وجنوباً شرقياً ، ووادى عرنة غرباً ، وحنين شمالاً ، ويشرف على المغمس من مطلع الشمس ، وامتداده فى الأرض قرابة ٣٠ كيلاً ، وفى رأسه بعض الزراعة ، وتنحدر منه أودية كثيرة ، فيها ذو المجاز فى عرنة ، والوصيق وبرم فى نعمان .

(٢) هكذا الأصل : يتقادون : وهو عامية معناها يقود بعضم بعضاً . أما كلمة يبيشنون فليست موجودة في المعاجم ولعل معناها يضجون ويصيحون . « المراجع » .

(٣) بلوغ القرى لوحة ٧٧ ظ .

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشرى ذي الحجة سافر السيد الشريف محمد إلى وادى مَرّ ؛ بقصد الزيارة النبوية ، فإنه يقال : إنه نذر ذلك لما وَجِعَ فى هذه السنة ، ومعه بعض أولاده . وتسامع الناسُ بزيارته ، فلحقه ـــ بالوادى وبعده ـــ ناسٌ كثير من جُدّة والوادى ومكة[١]/.

وتوجّه السيد بركات إلى اليمن بالعيال والعساكر ، وفى نيته ـــ ٢٠٨ظ
يقال ـــ غزو [هذيل][٢] الذين نهبوا الطرقات قبل الموسم .

وفى يوم الجمعة خامس عشرى ربيع الثانى سنة تسعمائة وصل لسيد الشريف مكة هو وأولاده وغيرهم ؛ لأجل عقد الجمالي أبى السرور [عبدالوهاب][٣] أخى قاضى القضاة الجمالي أبى السعود ابن ظهيرة . وفى ليلة ثانية كان العقد بالمسجد [الحرام][٣] والعاقد أخوه ، والزوجة فاطمة ابنة الخطيب القاضى فخر الدين بن ظهيرة ، وحضره الشرفاء والقضاة وغيرهم ، وبعد الفراغ منه توجّه الشريف وأولاده وجماعته إلى بيت القاضى ، وحضر عندهم المطربون[٤] ولعبوا ساعة ، وحصل لصق نحو المائة دينار . وفى منتصف الليل تفرقوا ،

---

(١) بلوغ القرى لوحة ٧٨ و .

(٢) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ٧٨ ظ . وكان المؤلف قد ذكر ضمن حوادث شهر ذي القعدة سنة ٨٩٩ هـ فى الورقة ٧٧ ظ صوراً لما قام به العرب من النهب والقتل والتخريب فى الطرقات ، وبخاصة طريق جدة ووادى مر .

(٣) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ٨٠ ظ .

(٤) كذا بالأصل . وفى بلوغ القرى لوحة ٨٠ ظ « المطربون من المغانى والمغنين وغير ذلك، ولعبوا ساعة ... » .

وعاد الشريف من ليلته هو وجماعته إلى أهله بناحية اليمن .

وفى جمادى الأولى جاء لمكـة هو وأولاده ، وجـلسوا بالحطيم ، ومعهـم القـاضى ، والبـاش والمحتسب ، وقـرئت المراسيم . وفى مرسوم الشريف : إعلامه بوصول قاصدِه والحجاج ، وهـم شاكرون ، والثنـاء عليه ، ولبس هو وولده السيد بركات خلعتين[(١)] .

وعدا جماعة من الكَبَاكِبَة على جماعة من هُذَيْـل أهـل نخلـة ، وقتلـوا منهم ونهبـوا ، فلمـا كان جمادى الأولى المذكـورة أمـر الشريـف القائد مسعود بن قُنَيْد أن يحصرهـم ، ويرمى تحت جبلهـم ، وأن يأخذ معه عرب الدار والقوّاسة . فنزل هو والمذكورون تحت الجبل ، ثم أمـر بقية الكَبَاكِبَة أن يطلعوا للجبل ، وينزلـوا بالجماعـة المذكوريـن ؛ وإلا يكونون معهم فى النقا . فقالوا . هذا شيء لايمكن ، ولكن نكون مع المحاربين ونـدلهم على الطـرق . فلـم يقنـع منهم بذلك . وترافقـوا مع أصحابهم كرها . ثم جاء القاتل إلى مكة ، وهو شيخ نَقِر[(٢)] منهم ، ودخل على قاضى القضاة الشافعي ، فأمضى له الشريف دخالته ــ فى نفسه لاغير ــ واستمـر بمكـة ، ثم حصل بينهم كَوْنٌ عنـد الماء ، فقُتِلَ من الكَبَاكِبَة رجـلان وامـرأة ، وحمل رأس أحـدهما إلى مكـة ، وعُلِّق بالدرب أياما ، وحمَلَ الآخرَ أصحابُه ، وحصلت جراحـات فى القاتلين ، وقُتِلَ واحدٌ منهم . وكان ذلك ــ ظنا ــ يوم الأحـد تاسع

---

(١) بلوغ القرى لوحة ٨١ و .

(٢) شيـخ نقـر : أي داهيـة ، أو غضبـان ، والنـقير من النـاس كريم الأصل . (لسان العرب) .

عشر الشهر . ثم ظفروا ببعضهم ، وأرسلوا رأسين عُلِّقَا بالدرب ، ثم هَرَب الباقون ، بعد أن نزل لهم شيخ ــ نفر منهم أيضا ــ يقال له فزع ، ودخل على ابن قُنَيْد ، فلم يمض ذلك ، وأرسل به إلى مكة مع القَوَّاسة وبعضِ الفزع ، ودخلوا مكة فى [صبح يوم الثلاثاء ثامن عشرى الشهر](١) فى بَيْشَنَة(٢) ، وهو مُرْدَف مع بعض القَوَّاسة ، فلما وصلوا إلى الدرب شنقوه . وقالوا : إن معه ولدا لطيفا أخذه بعض القواسة ليربيه .

وفى ثانى جمادى الآخرة جيء باثنين من الكباكبة ، شنق أحدهما بدرب المعلاة ، والثانى هرب سعيا على قدميه وهو مكتف لما حاذى قبة السيد بركات فدخلها ؛ فحُبِسَ ولم يُشْنَق(٣) .

وفى يوم الأربعاء سادس الشهر جيء بزوجة الشريف هَزَّاع بن السيد محمد ، ابنة شهوان بن رومي الزبيدي إلى مكة ميتة ، ودفنت بعد الظهر ، وجاء السيد بركات عصر يومه ، واستمر بمكة إلى يوم الجمعة لأجل الربعة صباحا ومساء حتى كان الختم(٤) .

وفى إقامته بمكة جاء جماعة من الكَبَاكِبَة ، ودخلوا على القاضى الشافعي ، فكلَّم لهم السيد بركات / فرضِيَ عليهم ، وشرطوا ٢٠٩و عليهم أشياء ، وحَلَّفوهم على ذلك عند الحجر الأسود ، ونودى لهم

---

(١) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ٨١ ظ .

(٢) بيشنة : تعني ــ في لغة العامة ــ : الضجيج والعويل والصياح .

(٣) بلوغ القرى لوحة ٨١ ظ .

(٤) المرجع السابق .

فى مكـة بالصلـح . ثم بعـد يومين عاد إلى مكـة القائـد مسعـود بن قُنَيْد ، وسمعنـا أن عرب آل جميـل وقعـوا فيهم ؛ فإنهم طلعـوا لهم إلى جبلهم وقَصَّوْهُم(١) منه .

وفى ليلـة الثلاثـاء حادى عشر رجب وصل الشريـف لمكـة ، ومعه أولاده وعسكره ؛ بقصد التوجه إلى الشرق لأجـل غزو عرب من بني لام ، بلادهم مُمْحِلَة ، وقصدوا أن يربعوا ببلاد الشريـف ، اسم شيخهم عجلان ، وبينه وبين جماعة له آخريـن فتنـة ، فألجئـوه أيضا إلى هنا ، وهو فى نحو أربعمائـة فارس وأكثر ، وأرسل ولـده وأخـاه إلى الشريف ليستأذنـاه فى ذلك ، فبلـغ الشريـف أنهمـا واصلان إليـه ، فأرسل ملحم بن مفتـاح المغـربي فى جماعـة إليهمـا ليقتلـوهما قبـل أن يصلا إليه ، فلقوهما قبل أن يدخـلا مكـة ، فقتلـوهما فى يوم الاثـنين عاشر الشهر ، وخرَجَ الشريفُ وجماعتهُ من مكـة فى ليلتـه ، فتـوافى هو ومـن واعـده من بنى حسين ــ غير عدوان الذيـن دخلـوا فى وجوههـم ــ فصبَّحُوهـم صبيحـة الأربعـاء بالقـرب من السيـل ، فوجدوهـم قد أنـذروا فى تلك الليلـة ، أو فى ذلك الـوقت ، فانهزم الرجالُ على خيلهم ، وتركوا عيالهم وغالب مالهم ؛ فاشتغـل العسكـرُ بالغنيمة ، ففاتهم الرجال ، وتأسف الشريف لفواتـه شيخهـم ، وكان حريصا عليـه ؛ فإنـه كان من مُدَّةٍ أحـد الذيـن حصروا الشريـف وعسكـره بالشرق ، وأرادوا أخذهـم . فأرضى الشريفُ مشايخهـم ــ

(١) كذا فى الأصل ، وبلوغ القرى لوحة ٨٢ و ، والمعنى أبعدوهم ، ويلاحظ أن المؤلف عدى الفعل « قصى » بالتضعيف ، والذي فى كتب اللغة تعديته بالهمز فيقال أقصاه وأقصوهم .

وكانوا ثلاثة هذا أحدهم ــ بمال جزيل جدا . وأراد الشريف قتله ففاته ؛ ولكنه غنم شيئا كثيرا من الإبل والغنم ، والبغال والحمير ، والسمن ، وبعض خيل ، ولم يقتلوا النساء ولا الصبيان . ويقال : إن الشريف كتب إلى قاضى القضاة الشافعية بأنه غنم منهم شيئاً كثيرا ، لم يغنمه قَطُّ لا هو ولا أباؤه ، ويقال : إن السَّمن عندهم لو أهريق لسال . [ويقال :](١) قُتِل منهم مائة وخمسون ، ويقال ثلاثمائة ، والإبل المغنومة نحو العشرين ألفا ، ويقال إن المستصفى للشريف ــ بعدما أخذ كل أحد على قدر حاله ــ اثنا عشر ألفا ، والخيل نحو ثلاثمائة ، وترك نساءهم وعيالهم وأعطاهم إبلا وزُوَّادَة ، واحتفل بهم ؛ لصنيع فعل(١) معه مثل هذا(٢) . وجاء الخبر بذلك لمكة عصر يوم الخميس ثالث عشر الشهر .

وفى الأحد سلخ الشهر وصل الشريف وأولاده وعسكره مكة ، ومعهم بعض الغنيمة . وفى الليلة التى تليها توجَّهُوا إلى الوادى ، وعادوا لمكة فى ليلة الجمعة خامس شعبان ، لأجل ملاقاة نائب جدة الأمير بُرْدْ بَك الأشرفى ، فإنه هو الآخر وصل إلى مكة ، ومعه زين الدين المحتسب ، وناصر الدين الكرانى ، وهما

---

(١) إضافة يقتضيها السياق ، لأن ما بعدها قول آخر يقابل القول الذي قبلها .

(١) في الأصل « فعله » .

(٢) من أول اللفظ الذي سبقت إضافته إلى هنا لم يرد في بلوغ القرى لوحة ٨٢ ظ ، ٨٣ و .

ناظـران صيرفيـــان ، وأولهمــــا محتسب أيضا وكاتب السنابيــق[١] ، وثانيهمـا كراني[٢] ولاقـاهما الشريـف وولـده السيـد بركات صباحـا ، فَخُلِـع عليهمـا ، ودخلـوا مكـة ، وجـــلسوا بالحطيم مع القـــاضيين الشافعي والمالكي ، والأميريـن البـاش ، والمحتسب ، وقـرئت المراسيم . وفيها : الإخبـار بإرسال نائب جُدّة ، ومعاضدتـه ومناصرته ، وبسط حرمتهم / ، وإقامة ناموسهم . وأرسل الشريـف لنـائب جدة فرسين ٢٠٩ظ وعشرين ناقة ومائة شاة ، فأمر بتخيلة النوق عندهم . . وجـلسوا بمكـة إلى ليلة الأحد سابع الشهر ، وسافر هو والناظران إلى جدة ، والسيد وأولاده وجماعته إلى وادى مَرّ .

وفى أواخر الشهر توجهوا إلى الشرق تخوفا ــ فيمـا يقـال ــ على ماله الذى هناك ، من بنى لام الذين أخذهم .

وفى سادس عشر القعـدة ــ أو اليـوم الـذى يليـــه ــ وصل الشريف وأولاده من الشرق الى وادى مَرّ ، وتوجهوا إلى جدة ، وأقاموا بها جمعةً ، وعادوا إلى الوادى[٣] .

---

(١) كاتب السنابيق : لأول مرة يرد هذا المصطلح الوظيفى ، وكأنه يعنى الكـاتب الذي يقوم بإحصاء السنابيق وحـركتها فى نقـل البضائـع من الجلاب والسفـن الكـبيرة إلى البر ومن البر إليها .

(٢) الكراني : كذا بالأصل ، وبلوغ القرى لوحة ٨٣ و . ويقول الدكتـور سعيـد عاشور في هامش غاية الأمانى بأخبار القطر اليمانى : الكرانى : الكـاتب بالسفينـة أو المسجـل أو الأمين بها وعليه أن يكتب كل ما فى السفينة من متاع وقماش وبضائـع وغير ذلك (غايـة الأماني ٦٤٨/٢) .

(٣) بلوغ القرى لوحة ٨٤ ظ .

وفى ليلة الأربعاء سابع عشرى الشهر دخل الشريف وأولاده مكة من الوادى ، ولاقى الحجاج على العادة ، وسافر إلى الوادى بعد الحج(١) .

وفى يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة إحدى وتسعمائة وصل الشريف إلى مكة ومعه أولاده ، وقاصد وصله من مصر أيضاً ، ومعه جواب خبر المدينة : بأن تحرص على تحصيل حسن ابن زُبَيْرِىّ صاحب المدينة : الذى أخذ ما فى القبة التى بالمسجد النبوى(٢) . واجتمع هو وأولاده والقاضى الشافعى والباش والمحتسب والشريف إسحاق صهر قاوان ، وقرئت المراسيم : منها مرسومان للشريف وولده بركات ، ولبسا خلعتين ، وليس فى المراسيم غير الثناء وذِكْر الخِلَع .

وفى العشر الثانى من جمادى الثانية أشيع بمكة أن الشريف يتوجّه إلى المدينة الشريفة لتولية ابن خاله فارس بن شامان ، فتحرَّكَ الناسُ معه للزيارة ، ثم ترك وسافر الناس(٣) . وسمعنا أن فى يوم الاثنين سادس عِشْرِى رجب وصل فارسُ بن شامان الحسينى إلى

---

(١) المرجع السابق .

(٢) جاء فى بلوغ القرى لوحة ٨٧ و « أنه فى شهر ربيع الأول سنة ٩٠١ هـ قام بنهب القبة التى فى المسجد النبوى ، ويقال إنه كان فيها قناديل كثيرة من الذهب والفضة ، وخمسة عشر ألف دينار ، أو عشرون ألف دينار » . وفى التحفة اللطيفة ٤٧٩/١ « أنه جمع جمعاً ودخل المسجد ، وجاء إلى حاصل القبة فهشم بابه ، ونهب ما فيه من قناديل الذهب والفضة ، وجمع الصواغ فسبكوها » . وسماه : حسن بن زبيرى بن قيس بن فارس بن نعير ابن منصور الحسيني ، وقال : تولى إمرة المدينة بعد موت أبيه عن صاحب الحجاز .

(٣) بلوغ القرى لوحة ٨٩ و .

المدينة متوليا لها من قبل صاحب مكة ، ولبس خلعته من المصلى ودخل وهو كذلك[١] .

وفى يوم الاثنين سادس عِشْرِى رجب تحقق خبرٌ كانَ أُشيع من أيام ، وهو أن عجل بن عذقاء اللامى تَعَدَّى ــ أو زحف ــ إلى حَدِّ صاحب مكة بالشرق ، فارتفع عربُ شامان فى الحَـرَّةِ ، وانخذل جماعةٌ من عرب عِجْل . فظفر بهم التا [illegible]يون ــ فيما يقال ــ وقتلوا ابنا له وغيره ، وأخذوا له ثمانية وعشرين فرسا ، وهو جالس هناك في كثرة[٢].

وفى يوم الثلاثاء سابع عِشْرِى الشهر وصلَ إلى مكة الشريف بركات بن محمد ومعه العسكر ، وفى ثانى يوم وصل أبوه السيد محمد ، وفرق على العسكر مالاً لأجل غزو اللامى المذكور[٣] .

وفى ليلة الخميس تاسع عِشْرِى الشهر سافروا إلى الشرق ــ مصحوبين بالسلامة ــ ثم فى خامس عِشْرِى شعبان وصلَ قاصدٌ من الشريف ومعه أوراق ، وفيها : أن بعض بنى لام أراد صُلْحَهَم عَلَى خَيْلٍ ودُرُوع ، ثم غَدَرَ بهم وهَرَب ليلا هو وجماعته . فلما أصبحوا أرسل الشريف عسكره فى طلبِهِ فلحقوهم وأخذوا منهم خيلاً

---

(١) بلوغ القرى لوحة ٨٩ ظ . وانظر ترجمة فارس بن شامان فى التحفة اللطيفة ٣٩٢/٣ برقم ٣٤٢٩ .

(٢) بلوغ القرى لوحة ٨٩ ظ .

(٣) المرجع السابق .

وغيرها ــ زاده الله نصرا ــ ثم إنه عاد إلى الخلصية[١] ، وأقام بها[٢].

وفى هذا الشهر وصل قاصدان من صاحب المدينة فارس بن شامان ، ومع الأول : أنه قبض على جماعة من الشرفاء والسودان ، ولقى عندهم جملةً من الذهب والسبائك لصاحب المدينة حسن بن زُبَيْرِيّ وغيره ، يأتى نحو أربعة آلاف دينار . ومع الثانى : أنه وجد تنزيل[٣] مانع أخى حسن بالودائع التى لهم من المال بالمدينة ، فقبض عليهم وأخذ غالبها ، ووجد / أيضا ودائع لـمُشَارِى بن ٢١٠و
ذَربان[٤] من الذهب والقناديل الفضة ، وتحصّل من ذلك جملة مستكثرة ، وتزايد الدعاء له وللشريف .

وفى ليلة رابع شوال وصل السيد الشريف ، وولدهُ السيد بركات ، ونائب جُدَّة القاضى كريم الدين عبدالكريم بن السعدى إبراهيم ، وطاف وسعى وعاد إلى الزاهر . وفى صبحتها خرج الشريف وولدُه وعسكرهما للقائه ، وخلع عليهما ، ودخلوا مكة

(١) الخلصية = الخليصية : حرة تنسب لخليص ، مستطيلة من الشرق إلى الغرب ، وتشرف على خليص من الشمال ، حدها الغربى ثنية الفيت ، والشرقى جبل حمت . (معجم معالم الحجاز) .

(٢) بلوغ القرى لوحة ٩٠ و .

(٣) كذا فى بلوغ القرى لوحة ٩٠ و ، وفى الأصل دون نقط . والسياق يقتضى أن يكون المراد الكشف أو البيان المكتوب .

(٤) هو مشارى بن ذربان الحسينى الطفيلي ، وكان عاون حسن بن زبيرى فى نهب القبة النبوية ، مع أن زبيرى أبا حسن هو الذى قتل ذربان أبا مشارى ، (التحفة اللطيفة ١/٧٦ ، ٢/٤٥) .

جميعاً ، وجلسوا بالحطيم ، وقرئ مرسوم الشريف ، وفيه : التوصية على نائب جُدَّة ، وأن أمر الوظائف بجدة من نيابة ونَظَر وحِسْبَة وصَيْرَفية معذوقة [(١)] به ، وأنّ من خالف عليه يراجعنا فى ذلك ، وعاد الشريفان للوادى .

وفى ليلة الثلاثاء تاسع عِشْرِى ذى القعدة وصل الشريفان لمكة ، ولاقيا الحاج كالعادة ، وسافرا بعد الحج إلى الوادى [(٢)] .

وفى يوم الثلاثاء خامس المحرم سنة اثنتين وتسعمائة وصلت من الشريف إلى القاضى الشافعى ورقةٌ ، و [فيها] [(٣)] أن القصاد وصلوا إليه ، ومعهم مرسوم له وفيه : الإخبار بوفاة السلطان قَايِتْبَاىْ ، وذلك فى يوم الأحد ثامن عِشْرِى ذى القعدة ، سنة إحدى وتسعمائة ، وبولاية ابنه محمد ، ولُقِّب بالناصر ، وكُنِّيَ بأبى السعادات ، ([٤] وأنه لايُمَكَّن أمير كبير كان أُزْبَك [٤]) من المجىء لمصر من مكة إلا بمرسوم .

وفى صفر توجه الشريف وأولاده وعياله وعسكره في قافلة كبيرة لزيارة جَدِّه المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومعه القاضى

(١) كذا فى الأصل ، وفى بلوغ القرى لوحة ٩٠ و « معقودة »ومعناهما واحد : أي موكولة إليه .

(٢) بلوغ القرى لوحة ٩١ و .

(٣) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ٩١ ظ .

(٤) كذا فى الأصل ، وبلوغ القرى لوحة ٩١ ظ . والمراد من العبارة أنه لا يُمَكِّن الأمير أزبك الذى كان أميراً كبيراً من الحضور إلى مصر من مكة إلا بمرسوم .

الشافعي الجمالى أبو السعود بن ظهيرة ، وعَزَمَ على خَلْقٍ منهم : القاضى المالكي ، والخطيبُ محب الدين النويرى ، والقاضى شرف الدين الرافعي وابنه وابن ابنه ، والجمال بن أبى اليمن النويرى ، والشرف أبو القاسم بن عز الدين وغيرهم ، وعادت القافلة إلى مكة فى أوائل ربيع الأول ، والقاضى الشافعى فى ثالث يوم ، وتخلف الشريف عنهم ببدر . وكانت القافلة يضرب بها المثل ، ولم نَسْمَع بضبط مافيها من الشقادف وغيرها . ووصل للشريف وهو ببدر قصادٌ من القاهرة(١) .

وفى يوم الثلاثاء تاسع ربيع الأول نُودى بمكة لذوى حسن ، وذوى عَجْلان وجميعِ العساكر بالبُرُوزِ إلى جُدَّة ، والتوجّه منها إلى ينبع ؛ لأجل بنى إبراهيم ؛ فإنهم استولوا على بلدهم السويق بمرسوم سلطاني ، وسألوا الشريفَ فى الإقامة على تَعجيل خمسة آلاف دينار ، وإعطاء ألفين فى كل سنة . فامتنع إلا إن كانوا(٢) يعطون الفَرَس والدُّرُوعَ(٣) ، فامتنعوا وقالوا : بيننا وبين العرب عداوة .

وفى ثانى عِشْرِى الشهر توجّه الشريف بركات من جُدّة إلى يَنْبُع ومعه العساكر ، ولم يَصْرِفْ عليهم إلاّ ما ينفقونه إلى ينبع . ثم وقع الاتفاق على أن يعطوه ستة آلاف دينار فى هذه السنة ، وأخذ

(١) وانظر صفة هذه القافلة ، ومن كان فيها من القضاة والعلماء والأعيان ، فى بلوغ القرى لوحة ٩٢ و .

(٢) فى الأصل « كان » ، والمثبت عن بلوغ القرى لوحة ٩٤ و .

(٤) فى الأصل « والدرع » ، والمثبت عن المرجع السابق .

كثيرا من خيلهم [ودروعهم][1] بألفين ، وترك لهم ألفا ، وعلى أن يعطوه فى كل سنة ثلاثة آلاف دينار . وحمد الناسُ له ذلك ــ جزاه الله خيرا ، وأدام نصره على أعدائه ــ وعاد غالبُ العسكر قَبْلَه ، وزار هو وولدُه جَدَّهُ المصطفى صلى الله عليه وسلم بعد الصلح ، وكان كلما زار تصدّق على أهل المدينة بصدقة لها صورة ، تعم أهْلَ السُّنَّة ــ تقبل الله منه آمين ــ وعاد لمكة فوصلها فى ليلة الخميس ثانى عشرى جمادى الأولى .

وفى صبح ثانيه حضر هو ، وولَدُه ، والقاضى الشافعي ،
٢١٠ظ وابنه والباش / ، والمحتسب ، والخواجا عبدالرحمن بن الطاهر ، والقاصدُ الشهابى أحمد بن عبدالرحيم أخو جلال [الدين][1] بالحطيم ، وقرئت المراسيم ، وبدئ فى مرسوم الشريف بخُطْبَة فيها : ذكرُ الموت ، وفيه : أن الحُجّاج وصلوا بخير ، ووصلنا قاصدُكم ومعه كتبكم ، وأن صدقاتنا شملتكم بخلعتين ، والسيد بركات بخلعتين ، على يد القاصد القاضي الشهابى أحمد ، وفيه : الثناء على العادة . ولبس الشريفان خلعهما . وفى بقية اليوم سافر الشريفُ وأولاده وجماعته إلى الخبت(٢) باليمن .

وفي أول ليلة الخميس رابع رجب وصل الشريف وأولاده وبعض جماعته مكة ، وحضر فيها بالمسجد عَقْدَ القاضى بهاء الدين

(١) إضافة عن بلوغ القرى لوحة ٩٤ و .

(٢) الخبت : هو خبت ريعان باليمن بين لومة وقنونا ، وكان يسكنه بعض الأشراف العبادلة ، واشراف العجاليين (بني عجلان) . (بين مكة واليمن ص ١١٣) .

ابن قاضى القضاة أبى السعود بن ظهيرة ، على سِتّ الكُلِّ ابنة الشيخ عمر الشيبي ، وكان عقدا عظيما ، حضره الأمير الكبير . وفى بقية الليلة سافر السيد وأولاده[(١)] .

وفى خامس عشرى الشهر وصل الشريف وأولاده وعياله وعسكره إلى مكة قاصداً الشرق ، وفى ثانى تاريخه سافروا .

وفى صبح يوم الأربعاء سادس شوال وصل الشريف وولده السيد بركات مكة ، وبقية أولاده وعسكره من الشرق ، وفى ليلة الخميس بعده وصل نائبُ جُدَّة وناظرها ومحتسبها الشمسى محمد ابن كاتب البزادرة ، وصيرفها محمد ابن نائب الحِسْبَة بالقاهرة وفاء ، وأبو النجا المباشر . وطاف النائب وسعى ماشيا ، وخرج إلى الزاهر . وفى صبيحتها خرج إلى لقائه السيدُ الشريفُ وأولاده وعسكره ، فخلع عليه وعلى ولده السيد بركات ، ودخلوا جميعا مكة ، ثم المسجد الحرام ، وجلسوا بالحطيم ، وقرئت [المراسيم][(٢)] ومضمون مرسوم الشريف : التعريف بأن القاضى شمس الدين محمد ابن كاتب البزادرة تقرر فى نيابة[(٣)] جُدّة ، ونظرها ، وجميع وظائفها ما عدا الصيرفية ، وألبسناه خلعة ، وقد تجهَّز إلى محل ولايته ، والمقصود مساعدته فى جميع مآربه ، وفى مشترى الفلفل للخزانة

(١) بلوغ القرى لوحة ٩٥ ظ .

(٢) إضافة على الأصل يقتضيها السياق .

(٣) في الأصل « بناحية » ، والمثبت عن بلوغ القرى لوحة ٩٨ و ، وما سبق هنا فى صدر الخبر .

الشريفة على العادة فى الماضى ، وأن جميع المراكب المتوجِّهَة إذا جاء ما فيها من الجلاب يكون هندى[١] ، وكذا ما وصل من بضائع الهند فى الجلاب يكون هندي[١] وإن لم تكن مراكبه قاصدة جُدَّة . وألا يُسَافَر ببضائع الشام من جُدَّة ؛ ومَن فعل ذلك ما يحصل له خير . وقد جهزنا لك ولولدك خلعتين فلتلبساهما . فلبساهما ، وعادا إلى الوادى .

ثم عادا إلى مكة فى ليلة الاثنين ثامن عشر الشهر ، ووصل فى هذه الليلة الخادم مُخْتَصّ الساقى ، وباش المماليك السلطانية أبويزيد[٢] ، وطافا وسعيا وعادا إلى الزاهر . وفى صبيحتها خرج للقائهما السيد الشريف وولَدُه وعسكرهما ، وألبسهما خلعتين ، ودخلوا مكة ، ثم الحطيم . وقرئت المراسيم ، وفى مراسيم الشريف ـــ وهى ثلاثة ـــ: الثناء عليه ، وأن الواصل إليكم الأمير الخادم مُخْتَصّ ، وأنه من المقربين ، وأنه بلغنا وفاةُ جماعة من التجار ليس لهم وارث ، والمقصود ضَبْطُ ذلك وإيصاله إلى المذكور ، وكذا رسائل الضبط ، ومن له وارث يضبط موجوده ويرسل لنا بالقوائم ، والمعوّل فى ذلك على الشريف ، وليس للأمير مُخْتَصّ إلا إيصال المراسيم

(١) كذا فى الأصل ، وبلوغ القرى لوحة ٩٨ و ، والمراد أنه يعامل من حيث المكس معاملة تجارة الهند .

(٢) هو أبو يزيد الصغير ، وكان السلطان ولّاه باشيَّة الترك بمكة ، باختياره ؛ خوفاً على نفسه من الفتن . (بدائع الزهور ٣/٣٥٥) وقد قتل فى ربيع الآخر سنة ٩٠٣ (بدائع الزهور ٣/٤٨٤) .

والمبلغ . وممن ذكر من التجار الشيزوارى ، ووزير[١] هرموز / ، أبو ٢١١و بكر بن الحوراني ، وابن الخبازة ، وبنت الخواجا قاوَان زوج الشريف إسحاق ، ومحمد العجمى البرلسى ، والسيرجانى ، وأحمد بن شعبان الغزاوى ، وابن الترجمان الشامى ؛ وتتمَّة عشرة أنفس . وفى أحد المراسيم : الإخبار بوصول الأمير أبى يزيد وتوليته باش الترك عمن كان متوليا بها وهو تَنِبَك الأخرص ، والتوصية به . وفى أحدها أيضا : أن بعض النواخيذ ــ وسمى جماعة ــ تجوِّر بما يصل من الهند إلى عدن ، ولايدخل جُدّة ؛ فيؤدِّى ذلك إلى خراب بندر جُدَّة . والمقصود رَدُّهُم ورَدْعُهم عن ذلك ، ومن يفعله مايحصل له خير .

وفى أواخر النهار أرسل الشريفُ مرسوما جاء إلى القاضيين الحنفي والمالكي ، وفيه : توبيخٌ لهما ، بأن الشكوى منهما كثيرة ، وأنهما يتعصَّبان ويحكمان بكذا . وقد عَزَلْنَاهُمَا ، وسألَتْ مراحِمَنَا الشريفة فى عودهما فأعدناهما ، وإن عادا لذلك ما نَقْبَلُ فيهما شفاعةً ؛ فتأخذون عليهما فى ذلك . وقد جهزنا لهما خلعتين . ثم سافر الشريفان ــ ظَناً ــ لجُدَّة[٢] .

ثم عادا لمكة فى آخر ذى القعدة ، ولاقيا الحاج على عادتهما ، وبعد الحج توجَّها إلى الوادى .

---

(١) كذا فى الأصل ، وفي بلوغ القرى لوحة ٩٨ ظ « الشيزواري وزير هرموز » .

(٢) بلوغ القرى لوحة ٩٨ ظ .

ثم حصل للسيد محمد توعُّكٌ من حَبَّة طلعت فى رقبته تحت أذنه ، وكانت قد وقعت لكثير من أسلافه ؛ فإن القاضى تقىّ الدين الفاسي ذكر فى ترجمة السيد أحمد بن عجلان المتقدم ذكره من كتابه العقد الثمين(١) : أنه تعلَّلَ قبل موته أياماً كثيرة من حَبَّةٍ طلعت عند أذنه ، بلغنى أن جَّدَه رُمَيْثَة ، وجَدَّ أبيه أبا نُمَىّ ماتا بها . انتهى .

وصار السيد محمد صاحب الترجمة يتألم بها إلى أن زاد به الألم ، فانتقل من وادى مَرّ إلى وادى الآبار ، وتوجَّه القاضى الشافعى لزيارته بالوادى ، ثم بوادى الآبار . واستمرّ الشريفُ يتألم لذلك ، وزاد به الحالُ إلى أن قضى نحبه — رحمة الله عليه — فى يوم الثلاثاء حادى عِشْرِى المحرم الحرام ، سنة ثلاث وتسعمائة بوادى الآبار . ووصل الخبرُ إلى مكة بعد العصر ؛ فضجَّت البلادُ لذلك ، وحُمِلَ فى سرير على أعناق الرجال إلى مكة ، ووُصِلَ به إليها فى أثناء ليلة الأربعاء ، ومعه أولادُه وعسكره ، ولحقهم النساءُ فى الفجر ، إلَّا اليسير جدا فوصلوا فى ليلة الخميس ، وجُهِّزَ فى بيته ، وحُمِلَ إلى الكعبة الشريفة ، وطيف به أسبوعا كعادة أسلافه ، ومعه بعض أولاده وعسكره . ثم بعد الفراغ وُضِعَ عند باب البيت إلى أن صلى الصبح يوم الأربعاء ، فصَلَّى عليه الناسُ ، وإمامهم قاضى القضاة الشافعي الجمالى أبو السعود بن ظهيرة ، بعد أن نادى الرَّيِّس فوق ظُلَّة زمزم بالصلاة عليه ، ووصفه بألقاب حسنة مُسْجَعَةٍ ، فزاد الناس

(١) العقد الثمين ٣/٩٦ .

في البكاء والنحيب ، وشيَّعه جميعُ الناس حتى المخدرات من البيوت ، والأمير الكبير أزبك ، بل خرج معه من البيت . ودفن أمام قبة أبيه — قالوا — بوصية منه . ثم بُنِيَ عليه بعد ذلك قبة عظيمة شاهقة ليس فى المعلاة مثلها ، وحضر جميع النساءُ الذين يبكون[١] إلى المعلاة ، وجَزَّ كثيرٌ منهن شعورهن . ولما فُرِغَ من دفنه — رحمه الله رحمة واسعة — نزل أولادُه / يمشون ومعهم القاضى الشافعى ٢١١ظ
وجماعته ، والقاضى المالكى ، وكثير من الفقهاء ، وجميع العسكر ، ونزل النساء وهم يبكون[٢] ويدقون[٢] ، وجلسوا بالمسعى إلى آخر النهار ، وطلعوا فى العصر وفى صباح كل يوم ، ويعودون ويجلسون فى المسعى والطرقات ، وتعطَّل البيع والشراء فى تلك الأيام إلى يوم الاثنين شابع عِشْرِى الشهر ، وقرئت الربعات على العادة فى المسجد والمعلاة صباحا ومساء ، ويحضرها السادة أولاده ، والقضاة والفقهاء وغيرهم ، وطلعوا فى عصر أول يوم مشاة ، ثم بعد ذلك اليوم طلع الأعيان ركبانا ، واستمروا إلى يوم الختم : يوم الأحد سادس عِشْرِى الشهر . وأنشد الشعراء كثيرا من المراثى . وسيأتي ذكر شيء منها . وجاء الناس من جُدَّة وغيرها يوم دَفْنِهِ وبعده للعزاء ، وتأسَّف عليه جميع الناس وبَكَوْه ، فرحمه الله رحمة الأبرار ، وأسكنه فسيح الجنان . بجاه جده محمد سيد ولد عدنان .

ورام الأمير الكبير أزبك — بعد الدفنِ وهو بالمعلاة — كتابة

---

(١) كذا فى الأصل .

(٢) كذا فى الأصل ، وبلوغ القرى لوحة ١٠٠ و . ولعل المراد بيدقون هو ما جرت به العادة من دق الدفوف على صوت الندابة ، أو لعل المراد هو لطم الوجوه .

محضر حينئذ للسيد بركات ولده ، واستدعى إليه القاضيين الحنفي والمالكي ، وكان الشافعي عنده ، ثم ترك ؛ فكأنه أشير عليه بعدمه(١) .

ثم أُرْسِل قاصد بسبب ذلك فجاء لمكة القاضي كاتب السرّ بدر الدين بن مُزْهِر ؛ لتولية ولده السيد بركات في ربيع الآخر ، فقرئ مرسومه بالحطيم رابع الشهر ولبس خلعته(٢) .

وحصل لصاحب الترجمة ما لم يحصل لأحد من أمراء مكة : من الرياسة والحشمة ، والهيبة والعظمة . والعز والوقار ، وكثرة العبيد والعقار ؛ بحيث عَمَّرَ بمكة والأودية عمائر لم يُسْبَق إليها . ولا قَدَرَ عاقلٌ ولا قَوِىَ عليها ، وصار كل مكان تباع ثمرته بقيمة قرية فأكثر في الحال ، حتى ضُرِبَ بذلك الأمثال ، وكانت أيامه كثيرة الأَمْنِ والرخاء ، وبلده مقصودة من كل الآفاق ؛ لحسن الرجاء ، ولازال أمره في نموٍّ ووجاهة ، وسعده في تَرَقٍّ ونباهة ، وعسكره مشهورين بالشجاعة ، منصورين على الأعداء في كل ساعة ، مع أنهم لايخرجون عن أمْرِه ؛ ومن وَهَم منه فسادا زاد في إبعاده وحَصْرِه ؛ فاستقام بذلك الحالُ ، وخيف منه الذل والوبال ، وَفَاق كثيرا من أسلافه بالصِّلات ، وبما يجمع له من الجهات ، وأذعن له الموافق والمخالف ، من كل قاصد لبلده وعاكف .

ورُزِقَ عدة من الأولاد ، والخيول المسومة الجياد .

(١) بلوغ القرى لوحة ١٠٠ و .

(٢) بلوغ القرى لوحة ١٠٢ ظ .

ومما عمله من الآثار والسُّبُل والآبار : رباط كبير بمكة ، أنشأه بأول أجياد قُبَالَة رباط والده ، سَكَّن فيه الفقراء . ومدرسة على المسجد كان مكانها المدرسة البنجالية ، استأجرها وعَمَّرَها . وسبيل بالمعلاة . وسبيل ثانٍ وصهريج ببئر شميس . وسبيل ثالث بطريق الوادى عند النَّوَارِية . وسبيل رابع بِحَدًّا — بالحاء — وسبيل خامس بالرَّغَامة[1] بالقرب من جُدَّة ؛ وجعل لكل سبيل معلوما . وعدة آبار بوادى الآبار ، والعد ، والسعدية ومستورة[2] بالقرب من رابغ ، وبغير ذلك من الطرقات التى يتعدى نفعها لجميع الجهات .

وخلّف من الأولاد جملةً / من الذكور والإناث ، يزيدون على ٢١٢و الثلاثين ، غير من مات فى حياته . والذكور ستة عشر ، وهم : السيد بركات ، أمه شريفة اسمها عَمْرَة بنت محمد بن على [بن أحمد][3] بن ثقبة بن رميثة بن أبى نميّ . وهَزّاع أمه منابة الحبشية . وراجح ، وشُمَيْلَة — مات — وقَايِتْبَاى — مات — ورُمَيْثَة ، أمهم حَصَلَ المرادُ الحبشية . وجَازَان ، أمه زينة بنت رُومِى الزبيدى . وحميضة . أمه سعاد الحبشية . وأبوالغيث ، وقاسم ، وناهض — مات — أمهم دَامَ السُّرورُ الحبشية ، وراجح ، وشُمَيْلة — مات —

---

(١) الرغامة : هي الأرض الرملية التي على يمينك وأنت تخرج من جدة إلى مكة ، يسيل فيها من الشرق وادى غليل ، (معجم معالم الحجاز) .

(٢) مستورة : بلدة ساحلية على أربعين كيلاً شمالي رابغ ، على الطريق المعبدة بين مكة والمدينة ، بها مرافق عامة ومركز إمارة يتبع رابغ . (على طريق الهجرة ٧١) .

(٣) بياض فى الأصل بمقدار كلمة كتب فوقه لفظ « كذا » والمثبت عن سمط النجوم العوالى ٤/٢٧٩ .

وشَوْلَق ، أمهم شقراء بنت كاسب الزبيدي اليمنى . وأبو دعيج ــ مات ــ ، أمه قُمَارِى الحبشية . وسَيْسَد ، أمه هاجر الحبشية . وزيد ــ مات ــ أمه دَامَ العِزُّ الحبشية . وإناث[١] ....

وأوقف ماله من الدور والأصائل فى حياته على أولاده ، وأشرك بعضهم مع بعض ، وإن لم [يكن][٢] شقيقه . وجعل من مات منهم وليس له ولد تكون حصته لشريكه دون شقيقه وإخوانه الباقين . وكَمَّلَ اللهُ له زينة الحياة الدنيا بالسبعة المذكورة فى قوله تعالى ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَاتِ مِنَ ٱلنِّسَاءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَاطِيرِ ٱلْمُقَنْطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَامِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[٣] ويُذْكَرُ عنه : أنه كان يسجد شكرا عند قراءة هذه الآية ، وزادهُ اللهُ تعالى عليها شرف النفس والنسب ، وعَرَاقة الأصل من الملك والحسب ، والصفات الذاتية الحسنة ، والنعوت الجميلة التي تواترت بها الألسنة ، والطلعة البهية ، والشيبة السنية ، ونُوِّهَ باسمه فى الخطب على المنبرين الشريفين ، وتُفُوِّهَ بجليل ذكره فى المحلين المنيفين ، وأَمَّنَ اللهُ تعالى بوجوده الطرقاتِ ، وحَسَمَ بحسن سيرته وسريرته جميع المكروهات .

---

(١) لم يذكر مؤلفنا العز ابن فهد أسماء الإناث ، وترك الناسخ بياضاً مقداره نصف سطر .

(٢) إضافة يقتضيها السياق .

(٣) سورة آل عمران آية ١٣ .

مَوْلًى بلادُ اللـــهِ قَدْ غَنِـــيَتْ بِهِ
عَنْ وَضْعِ أسْوَارٍ وَرَفْـــعِ حُصُونِ

وقد أثنى عليه جماعة من العلماء الفقهاء ، والأدباء الشعراء النبهاء ، وممن ذكره شيخنا الحافظ شمس الدين السخاوى ، في تاريخه « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع »(١) ، فقال : السيد جمال الدين ملك الحجاز وابن ملوكه ، وسِلْكُ النظام المرتبط بسلوكه ، الطاهر الأصل والأحساب ، والظاهر العدل والانتساب ، رَبِيب مهد السعد والسعادة ، ونسيب الأصل والحشمة والسيادة . السلالة النبوية رداؤه ، والأصالة العلوية انتهاؤه وابتداؤه . اجتمع فيه من المحاسن الكثير ، وارتفع ذكره بين الصغير والكبير ، واندفع به المكروه عن أهل الحرمين ومن إليهما يسير . أمَّن اللهُ بفضله وعدله فى أيّامه الطرقات ، ومَنَّ على المسلمين بحفظهم وما حووه [فكان](٢) من أعظم الصدقات . حُبُّه للتنزيل غير منكور ، وحِبُّه ــ فضلا عنه ــ بالصفاء مأثور مذكور . شِيَمُه طاهرة ، وعلمه غير مطوىٍّ عن الفئة الفاجرة . لايصرفه عن إتلاف المفسد صارف ، ولايحرفه عن ائتلاف المرشد تليد ولاطارف . يجول على الأعداء ويصول ، ويقول لهم فى / مخاطباته ما تدهش به العقول . ويَتَطَوَّل ويَتَفَضَّل حتى انطاعت ٢١٢ظ
له عَصِيَّاتُ الرءوس ، وأبِيَّات النفوس . وارتاعت من فروسيته [وشدة](٢) بأسه الحماة الكماة ؛ فتَخَلْخَلَتْ منهم الضروس .

---

(١) وانظر الضوء اللامع ٧/١٥٠ برقم ٣٧٧ .

(٢) سقط فى الأصل ، والمثبت عن المرجع السابق .

أسعدته درج الصعود ، فأصعدته لمراقى السعود ، فكان له الظهور بالبرهان أبى السعود . بحيث دانت له ممالك الحجاز وما حولها ، وزانت بحرمته تلك الجهات صعبها وسهلها ، فلا يجارى ولايبارى ، ولايجسر أحد لمقاومته فى المدن والصحارى . اقتنص المخالفين بخيله ورَجْلِه ، وخَصَّصَ مَن يألفه لرجولته منهم بتوالى إحسانه عليه وفضله . فالرعايا ما بين راغب فيه ومنه راهب ، والمزايا الحسنة مقترنة معه وله تصاحب . فهو شديد بغير عنف ، سديد فى اللين[1] بغير ضعف . إليه يسعى الأمراء والكبراء ، وعليه مُعَوَّل الأغنياء والفقراء . كثيرالمداراة والاحتمال ، غير خبيربالمماراة المجانبة لكرام الرجال . بل هو صابر غير مكابر . متدبر للعواقب ، المصاحبة لمن يخاف الله وله يراقب . ولهذه الأوصاف والمآثر تشرفت بذكره المنابر . وخطب بالتنويه باسمه على المنبرين ، ونصب رسمه بذينك العلمين ؛ ليفوز فى الدارين إن شاء الله بالخيرين . وكيف لا وقد اجتمع فيه ــ بدون لبس ، وتخمين وحدس ــ شرف النسب ، وعراقة الأصل فى المملكة وعَلِيّ الرتب . وصَبَاحَةُ الوجه ونوره . وفصاحة اللسان وتأمله وتصويره . وفضيلة البلد ، التى هي الوسيلة لمن أمَّ وقصد . فهو شريف نسبا وأوصافا ، ولطيف الأدوات المشتمل عليها تَوَدُّدًا وإنصافا . فالوصف الرضى لايستغرب من البيت الطيب ، والعرف الذكي غير مستبعد من البلد الصَيِّب . كم أنشأ من دور وقصور وقرب ، ترتفع بها الرتب ؛ كرباط بمكة معدن الرحمة والبركة ، وسبل

(١) فى الأصل « الدين » ، والتصويب عن الضوء اللامع ١٥٠/٧ .

عديدة ، كجملة بطريق جُدَّة المفيدة ، وبالمعلاه ، الذى شرفه الله وأعلاه . وفى جهة اليمن ، وآخر بطريق الوادى الحسن . وآبار بأماكن شتى ، يردها مَن صيَّف أو شَتَّى ، أعمها المستورة بين رابغ وبدر[1] المذكورة . لنفع الحجيج والقوافل ، من الأعالى والأسافل . إلى غيرها مما لاينحصر لمُطَوِّل ولا مُخْتَصِر . واقتنى من حدائق وستور ، وإبل وخيول وفروع وأصول . وأجرى من مياهٍ لأراض منقطعة ، وأسرى فكان المشار إليه بالاتساع والسعة . وكثرت كُلَفُه لعساكره وجنده ، وانتشرت أتباعه فزاد على المرحومين والده وجَدِّه . له فى زيارة جَدِّه المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وشرف وكرم — كل قليل — حركات ، وإلى عمارة جيرانه ٱلْتِفَات بالإنعام والبركات ، ويزداد حينئذ من التواضع وخفض الرأس ما يحق لكلٍ الاقتداء به فيه ، ويكاد الانفراد به بدون تمويه . وكذا له فى الطواف والوصف الشريف الواف ، ويحق لنا أن ننشد ، مما نرويه ولقائله نسند .

يا أهلَ بيتِ رسولِ الله حُبُّكُمُ
فرضٌ مِن الله في التنزيل أنْزَلَهُ
كَفَاكُمُ مِن عَظِيمِ القَدْرِ أنَّكُمُ
مَنْ لَمْ يُصَلِّ عليكُمْ لاصَلاَةَ لَهُ /

وأسأَل الله أنا وسامع كريم نَعتُه : طولَ بقائه ومدته ، فى ٢١٣و
نعمة سابغة عليه ، وإحسان من ربنا إليه ، وأن يَمُنّ عليه بكلِّ

---

(١) فى الأصل « وبين » ، والتصويب عن الضوء اللامع ١٥١/٧ .

محبوب ، في نفسه وجماعته وبنيه ، خصوصا قسيمه المنطوية على محبته القلوب ، ويصرف عنهم كل مكروه . ويلطف بهم فى سائر ما يحذروه ويرجوه . ويرحم سلفهم رحمة واسعة ، وينفعنا بمحبتهم التى للخيرات جامعة .

وذكرَ مولده وبعضَ مَن أجاز له كما قدمنا ذكره ، ثم ذكر مضمون ما قدمناه باختصار . فقال : ونشأ فى كنف أبيه ، وكان قاصِدَه إلى الظاهر جَقْمَق فى سنة خمسين ؛ فأكرمه ثم أعاد الإمرة لأبيه ، وصرف أبا القاسم . فلما كبر أبوه وهَشَّ [التمس][1] مِن شَادّ جُدَّة جَانِبَك الجُدَّاوِيّ الظاهري ، فى منتصف سنة تسع وخمسين أن يكاتب السلطان فى إشراكه معه فى الإمرة . فأجيب ، وأن يكون مستقلا بها بعده ، ووصل العِلْمُ لمكة بذلك فى يوم الثلاثاء عِشْرِى شعبان منها ، وهو اليوم الثانى من وفاة أبيه . فدُعِيَ له على زمزم بعد صلاة المغرب ، فى ليلة الأربعاء ، مع كونه كان غائبا ببلاد اليمن .

ولما وصل إليه العِلْمُ بذلك مع القاصد المجهَّز إليه وغيره ، وصل إلى مكة فى أثناء ليلة الجمعة سابع رمضان ، فاجتمع القضاة والأمراء ، وأعيان المجاورين وغيرهم ، فى صبحة يومها ، وقرئ مرسومه بذلك ، وحُمِدَت سيرته جدا ، وتوجّه لبلاد الشرق غير مَرَّة ، وكذا أكثر مِنْ زيارة النبي صلى الله عليه وسلم ، مصاحبا ذلك بالإحسان إلى أهل المدينة والقاطنين بها ، والوافدين عليها على

(١) سقط في الأصل ، والمثبت عن الضوء اللامع ١٥٢/٧ .

قدر مراتبهم . وربما تَفَقَّدَ أهلَ مكة سيما الغرباء ، وكنت[1] ممن وصله بِرُّهُ فى الموضعين . ودخل المدينة فى أواخر جمادى الثانية ، سنة ثمان وتسعين للزيارة ــ وأنابها ــ ومعه أولاده وعياله . فالذكور من أولاده : السيد بركات ، وهَزَّاع ، وشرف الدين ، وجازان ، وحميضة ، وناهض ، وقَايِتْبَاي . وهم فى الترتيب هكذا . وأولاد أولهم ــ وهو قسيمه وشريكه فى السلطنة ــ وهم : عَجْلان ، ثم أبوالقاسم ، ثم على . في آخرين من الإناث ، وابن ثانيهم وهو صغير ، وثالثهم جازَ البلوغَ . وهو مملك على ابنة عَمِّه . وآطْمَأن الناس فى أيامه كثيرا ، وتموَّلَ جدا ، وكثرت أتباعه وأراضيه وأمواله ، وفاق خلقا من أسلافه ، واستمر أمره فى نَمُوٍّ ووجاهته فى ازدياد ، وسعده فى تَرَقٍّ وإسعاد ؛ بحيث أضيفت إليه سائر بلاد الحجاز ، يستنيب فيها من يختار ، ودُعِيَ له على المنبرين كما سمعته فى المسجدين ، بل كنت ــ أوّل وقوعه على منبر المدينة ــ بجانبه فى الروضة ، وفرحتُ له بذلك لما أعجبنى من شِدَّة تواضعه ، ومزيد أدبه بتلك الحضرة ــ وكذا وقع لجده السيد حسن أنه فُوِّضَ إليه سلطنة الحجاز ، ودُعِيَ له على المنبرين ــ وأذعن له الموافق والمشاقق ، وأمعن فى تمهيد جهاته التى هو بها سابق ، بحيث إنه سار بنفسه فى عساكر لأهل يَنْبُوع ، لما باينوه وخرجوا عن طاعته بالمقاطعة وعدم الخضوع . وأجلى بنى إبراهيم عن بلادهم ، وأعلى مقامه بإفساد مقاصدهم ؛ فماوسعهم إلا الانقياد لسلطانه ، واعتماد

(١) أي مؤلف الضوء اللامع الحافظ شمس الدين السخاوي .

أوامره ، والترجى لفضله وإحسانه . وكذا الجازان حين أمدوا أخاه / وعاونوه على العصيان ، ومَكَّنُوه من التوجه إلى الديار المصرية ، وأمنوه ٢١٣ظ
فى تلك المشاققة حَمِيَّةً وعَصَبِيَّة ، فسَبَى واجتبى ، وصار صاحِبُها من أتباعه ، حين علم ما صدر منه فى تَعَنُّتِهِ وابتداعه . وأتى على زبيد فأجلاهم أيضا ، وصاروا طوعا لسلطانه وله أرضا ، ثم تزوّج منهم مقتديا بخيار الملوك فى تأمينهم والرضا عنهم ؛ كل هذا حتى لايُطْمَعَ فى جهاته ، ولايُتَرَفَّعَ عليه فى جميع توجهاته ؛ مما إليه تتوجّه الهِمَمُ العليات ، والأعمال بالنيات .

وبالجملة فهو حسنة من حسنات الرحمن أدبا وتواضعا وعقلا وفهما ، مع وضاءة وحسن شِكَالَة ، ومداومة على الجماعات والطواف حين كونه بمكة ، ومزيد سكون ، وكَفًّا لأتباعه وجماعته عن الرعية ، وعدم تَلَفُّتٍ لما بأيدي التجار سيما حين تكليفه بما لم يُسْمَع بمثله فى دولة ، وهو صابر مبادر ، بل إذا أخذ منهم شيئا يكون قَرْضًا ، كل هذا بتهذيب عالم الحجاز البرهاني . ولذا راعى ولده بعد موته . واستمر على سلطنته وحمد صنيعه ، زادهما الله فضلا ، وأيدهما بدفع ما لا طاقة لهما به ، تحننا [منه][1] وعدلا . انتهى كلام شيخنا السخاوي .

ولم أر لصاحب الترجمة نظما أثبته .

وممن امتدحه القاضى الرئيس ، الإمام الأديب ، شهاب الدين

(١) سقط في الأصل ، والمثبت عن الضوء اللامع ١٥٣/٧ .

أحمد ابن محمد بن عبدالله القليوبي الأصل ، المكي ، الشهير بابن خَبَطَة ، لما أن قدم الشريف إلى جدة فى العشر الأخير من شهر رمضان سنة ثلاث وستين وثمانمائة ، وكان هو ضعيفا ؛ فاعتذر إليه وهنأه بالصوم والعيد . وسمعها منه الوالد فى شعبان سنة أربع وستين بجدة ، فقال :

صُبِّحْتَ بالخير والإقبال والظفرِ
عَلى عِدَاك ونَيْلِ القَصْدِ والوَطَرِ
يَا سَيِّداً مُذْ وفى وافى الهناءُ إلى
جَمْعِ الخلائق مِنْ بَدْوٍ ومن حَضَرِ
وَمَن رَقَى فى ذُرَى العلياءِ منزلةً
ما نالها أحدٌ مِن سائر البَشَرِ
قَدِمْتَ كالغَيْثِ رَوَّى الأرضَ فابتهجت
وجِئْتَ كالليثِ فى خُبْرٍ وفى خَبَرِ
وأصبح الكونُ مسروراً ومُغْتَبِطاً
يَميسُ بالتِّيهِ فى أثوابه الخُضُرِ
يا بنَ الكِرامِ ويا ذُخْرَ الأنامِ وَيَا
مُعْطِى الأنام ومُولِى الجود بالبِدَرِ
يَا مَنْ إذا أنْشَأَتْ جُوداً أَنَامِلُهُ
عَلَى البريَّة أزرت وابِلَ المطَرِ
لَا غَرْوَ مِن بَرَكَاتِ الله أن رُفِعَتْ
لك المراتبُ فَوْقَ الأنجُمِ الزُّهُرِ

قَدْ حُزْتَ خَلقاً وَخُلْقاً كلّه حَسَنٌ
حارت لَعَمْرِيَ فِى أمْدَاحِهِ فِكَرِى
وَخَصَّكَ اللهُ دونَ الخلقِ قاطبـــةً
بكلِّ وَصْفٍ جميـلٍ غيـرِ مُنْحَصِرِ
ليـنٌ وَبَـأْسٌ وأَفْضَالٌ وَفـرْطُ نُهَـــى
فَضَائِـــلٌ زانها الـــرحمنُ بالخَفَـــرِ
حَبْـرُ لمعتـرف بَحْـــرٌ لمُغْتَـــرِفٍ
جَبْـرٌ لمُنْـكَسِرٍ كُثْـرٌ لمُفْتَقِـــرِ /
٢١٤و قُلْ للـــذى رَامَ تشبيهاً به سَفَهـــاً
أَقْصِرِ عَنَاكَ فَمَا الحَصْبَاءُ كالـدُّرَرِ
فى النـاسِ جودٌ ولكـن جودُ رَاحَتِـهِ
أَرْبَـى عليهم ولـيس البحـرُ كالنَّهَـرِ
يا أيها الملكُ الغـــراءُ دَوْلَتُـــــه
بسيرةٍ سارهـا مِنْ أَعْظَـمِ السِّيَـــرِ
لَا تَخْشَ مِنْ حَادِثٍ فاللــه خَالِقُنَا
أَعْطَـاكَ أَمْنـاً مِنَ الآفَاتِ والغِيَـــرِ
وَعِشْ مُعَـافًى مُوَقًّى كُلّ نَائِبَــــةٍ
بِرَغْـمِ كُلِّ الأعـادى دَائِـمَ العُمُـرِ
وعُمَّ بالعدلِ فى كل المهيم[1] وَفِـى
أَكْنَاف مَكَّة حَوْلَ البيتِ والحَجَـرِ

---

(١) كذا في الأصل ، ولعله تصغير « مهم » .

وَٱهْنَأْ بصَوْمِكَ فى أَمْنٍ وفى دعَةٍ
والعيدُ تتلُوه أعيادٌ على الأثَرِ
وَٱسْلَمْ ودُمْ وتحكَّم واستَطِلْ أَبداً
فأنتَ فى الخلق رَبُّ النَّفْعِ والضَّرَرِ(٢)
وَٱقْبَلْ مَعَاذِيرَ عبدٍ عَاقَهُ سَقَمٌ
عَن التَّمَلِّى برؤيَا وَجهك القَمَرِ
لو يستطيعُ إليكَ السَّعْيَ كانَ سَعَى
سَعْياً على الرأسِ بَلْ سَعْياً على البَصَرِ
وَٱسْتَجْلِ بِكْراً عَرُوساً بنتَ لَيْلَتِهَا
تَحارَتْ بمَدْحِك فَضْلاً غيرَ مُسْتَتِرِ
رقيقةً حُرَّةً لَانَتْ مَعَاطِفُهَا
تختالُ بالعُجْبِ بَيْنَ الطولِ والقِصَرِ
غَرَّاءَ فِي حُسْنِهَا عَذْرَاءَ قَدْ سَكَنَتْ
بَيْتاً مِنَ الشِّعْرِ لَا بَيْتاً مِنَ الشَّعَرِ
جَاءَتْكَ تَسْعَى إلى الأَبْوَابِ رَاجِيَةً
مِنْكَ الجَدَى والنَّدَى فِي زَيٍّ مُقْتَدِرِ
وَٱصْفَحْ بفضلك فِي تقْصِير مُنْشِئِهَا
وَٱسْمَحْ وَلَا تُخْلِهِ مِنْ وَافِرِ النَّظَرِ

(٢) لقد بلغ الإغراق فى المدح بهذا الشاعر المداح بحيث وصف شريف مكة بأنه رب النفع والضرر فى الخلق ، ولا شك أن هذا المدح يقدح فى إخلاص العقيدة ونقائها ، وقد قال عنه السخاوي فى الضوء اللامع ١٣٣/٢ « نسبت له هنات ، لكنه أظهر بآخرة التوبة وانعزل ، وأكثر الطواف والعبادة والتلاوة ، ورأيته على خير وطريقة جميلة » .

فإنَّ والِـــدَكَ المرحـــومَ لَا بَرِحَتْ
سَحَـائِبُ العَفْـوِ تَغْشَاهُ بِمُنْهَمِـــرِ
وَيُـــحْسِنُ اللهُ مَثْـــوَاهُ وَيَجْعَلُـــهُ
مِنَ الـمُشَارِ إليهم آخِـــرَ الزُّمَـــرِ
قد كَانَ عَوْنِى عَلَى دَهْرِى وَمُعْتَمَدِى
بَعْـدَ الإلَـهِ عَلَـى إحْسَانِـهِ عُمُـرِى
لَا زَالَ بَابُكَ محروسَ الجنـــابِ وَلَا
بَرِحْتَ تَسْمُو بعَـدْلٍ منك مُنْتَشِرِ
ثمَّ الصلاةُ عَلَـى الهَـادِى وَشِيعَتِـهِ
المُصْطَفَى المُجْتَبَى المُخْتَارِ مِنْ مُضرِ

وقال الشيـخ العلامـة القـاضى الأديب الفهامـة ، خير الديـن أبـو الخير محمـد بن أبى السعـود بن ظهيرة القـرشي المكـي الشافعـي ـــ رحمه الله تعـالى ـــ يمدح مكـانَ السيـد محمـد العـــظيم الشأن ، المُسَمَّى بأمّ شُمَيْلَة فى أرضِ حَسَّان،من سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة :

بأمّ شُمَيْلَـــةٍ حَسُنَ المقيـــلُ وطَابَ لَنَا بِهَا الظِّـلُّ الظَّلِيـلُ
وَهَبَّ نسيمُها الأَسْنَى صَحِيحاً وَعِهْدِى بالنَّسِيمِ هُوَ العَلِيلُ /
٢١٤ظ لقد كَمُلَتْ مَحَاسِنُهَا فأثنى لسانُ الحالِ في المَعْنَى يَقُولُ
أَهَـلْ لِرِيَاقَتِـى وَصَفَـاءِ مَائِـى وَنُضْرَةِ خُضْرَتِى يُبْغَـى بَدِيـلُ
وَهَـلْ لِمُعَمِّـرِي بَيْـنَ البرايـــا شبيـهٌ أو بديـــلٌ أو مَثِيـــلُ
مَلِيكٌ قد سَمَـا قُنَـنَ المعـالى وذَلَّ لِعِـزِّهِ الصعْبُ المَهُـولُ
هُوَ البطلُ الهِزَبْـرُ أَبُـو قِنَـاعٍ محمـــدٌّ الأَبِيُّ المُسْتَطِيـــلُ

فلا زالت سَعَادَتُــه تَرَقَّــى ... وَدَوْلَتُــه لها العِــزُّ الأَثِيــلُ

وقال الشريف الأديب الأجل ، رفيع القدر والمحل ، مجد الدين جَرَّاح بن شَاجِر بن حسن بن أحمد بن أبي القاسم المقنى السليماني الحسني نَسَباً ، الزَّيْدِيّ مذهباً ، الغَسَّانِي بلداً ، ثم الجازاني[1] ، يمدحه بقصيدة مطلعها :

قَلْبٌ بِسُكَّانِ ذِرْوِدٍ[2] عَمِيدْ ... وَلَوْعَـةٌ مَا بَرِحَتْ فِي مَزِيـدْ
وَمَدْمَـعٌ لولاهُ يَجْـرِي دَمــاً ... لَأَنْبَتَ النخلَ وحَبَّ الحَصِيدْ
وحَرٌّ وَجْدٍ كَامِنٍ فِي الـحَشَا ... يَبْـرُد عَنْـه حَرُّ نَارِ الوَعِيــدْ
عَلَـى لُلَيْلَاتٍ تَقَضَّتْ لَنَــا ... كُنَّابِهَا فِي خَفْضِ عَيْشٍ رَغِيدْ
نَسْحَبُ فى النِّعْمَـةِ أَذْيَالَنَــا ... وَالدَّهْرُ مِطْوَاعٌ عَلَى مَا نُرِيـدْ
وَحَوْلَنَـا غِيـدٌ كَمِثْـلِ الدُّمَـى ... يَبْسُمْنَ عَنْ دُرٍّ وَطَلْعٍ نَضِيـدْ
مِنْ كُلِّ خَوْدٍ غَضَّةٍ بَضَّةٍ ... بَهْجَتُهَـا تَفْضَحُ حُوراً وَغِيـدْ
أَعَارَتْ الشَّمْسَ سَنَاهَا كَمَـا ... أَعَـارتْ الظَّبْيَـةَ عَيْنـاً وَجِيدْ
كَمْ مِن شَقِيٍّ فِي هَوَاهَا سَعِيدْ ... كَمَـا بِهَـا كُلُّ قَتِيـلٍ شَهِيـدْ

ومنها :

سَرِهْا عَلَى اسْمِ اللهِ وَٱقْصِدْ بِهَا ... مَنَازِلَ المُبْدِى العَطَايَا المُعِيدْ
محمَّـدٍ مَوْلَـى البَرَايَــا مَعــاً ... وَمَنْ لَهُ الخَلْقُ جَمِيعـاً عَبِيـدْ

---

(١) معجم المؤلفين ١١٦/٣ وفيه « الجراح بن شاجر الذروي الصبياني ، من مواليد القرن التاسع الهجري ، ومن آثاره ديوان شعر » .

(٢) ذرود : كذا في الأصل ـــ يقول ياقوت في معجم البلدان : اسم جبل ولم يحدده . وأقول لعلها ذِرْوَة ـــ بفتح أوله وبكسر ـــ : مكان حجازي في ديار غطفان ، وماء لمرة بن عوف ، وأرض بالبادية ، واسم الجبل ، وبلدة باليمن من أرض الصيد (معجم البلدان لياقوت) .

وَسَيِّــــدٍ سَادَ بَنِـــى هَاشِمٍ ... إمَامِهَا البرِّ الحميدِ المَجيدْ

إخْتَـارَهُ اللهُ عَلَـــى خَلْقِـــهِ ... خليفةً فِى الأَرْضِ أُضْحَى وَحِيدْ

فَسَارَ فِيهِمْ سِيرَةَ المُصْطَفَى ... ذَلِكَ تَقْدِيـرُ العَزِيـزِ الحَمِيـدْ

ما آلُ مَرْوَانَ سُلَيْمَـــانُ أَوْ ... هِشَامُ بَلْ مَا عَمَّـرَهُ الوَلِيـــدْ

وَمَـا بَنُـو العَبَّـاسِ سَفَّاحُهُـمْ ... إلَيْـهِ أَوْ مَهْدِيُّهُـمْ والرَّشِيـدْ /

أَقْسَمْتُ بالمختـــارِ مِنْ هَاشِمٍ[1] ... مَا لِأَبِى هَزَّاعٍ مِنْهُـمْ نَدِيـــدْ ٢١٥و

حَمَى حِمَى الدِّينِ بِسُمْرِ القَنَا ... مِنْ كُلِّ جَبَّـارٍ غَشُومٍ عَنِيـدْ

وَسَابِقَــــاتٍ قُرَّحٍ شُذَّبٍ ... وَمَاضِيَـاتٍ للأَعَادِى تُبِيـــدْ

تُرَوِّعُ الآفَاقَ مِنْ بَأْسِهِ ... خَوْفاً إِذَا جَهَّزَ جَيْشاً حَفِيـد

يقـوده خير ملـــوك الـــورى ... أبو زُهَيْـرٍ ذو الفخـار المجيـد

حَتَفَ المعـادِى بركاتُ الـذى ... له غَدَاةَ الـرَّوْعِ بأسٌ شَدِيـدْ

يقـول منـــه قِرْنُـه فى الوَغَـى ... هَذا الذى قد كُنْتُ منه أَحِيدْ

وسَيْفُـهُ بَعْـدُ يُبِيـدُ العِـــدَى ... يقولُ يا مولايَ هَلْ مِنْ مَزِيدْ

لو رَامَ صَنْعَاء لَحَـــفَّتْ بها ... جيوشهُ أَوْ صَعْـدَةً والصَّعِيـدْ

ولـو بغـى وَادِى زَبِيـدٍ لَمَـــا ... عَزَّ عليـه مُلْكُ وادِى زَبِيـــدْ

خُذْهَا كَعِقْدِ الدُّرِّ مِنْ مَاهِرٍ ... فِى الشِّعْرِ مِنْهُ الفُصْحَى تَسْتَفِيدْ

لا زلتما فى نعمــةٍ جَمَّـــةٍ ... مَا دُمْتُمَا فَالكُـلُّ مِنَّـا سَعِيـدْ

وقال يمدحه أيضاً :

بَدَا من خلالِ السِّتْرِ كفٌّ ومِعْصَمُ ... فحنَّ إليـه العاشقـــون وأَرْزَمُـــوا

---

(١) لابد من التنبيه هنا إلى ما في القسم بغير الله من مخالفة لعقيدة التوحيـــد .

« المراجع »

ولـو نظـروا ما تَحْتَ بُرْقُـعِ زَيْـنَبٍ
لَمَاتُوا وسُلَّتْ أَنْـفُسُ القـومِ مِنْهُـمُ
ولو شَاهَـدَ الكفـارُ بعضَ جَمَالِهَـا
وبَهْجَتِهَـا خَرُّوا سُجُـوداً وَأَسْلَمُـوا
فتـاة بفيها لؤلـؤ ومُدَامَـةٌ
وفى الخدِّ منها جَنَّـةٌ وجَهَنَّـمُ
مِنَ البيضِ أمَّا رِدْفُهَـا فَمُثَقَّـلٌ
عَلَيْهَـا وأمـا خَصْرُهَـا فَمُـهَضَّمُ
شَكَوْتُ إليها أنَّنِـى بِكِ مُغْـرَمٌ
وَلِـى أَرَبٌ فِيمـا به أنْتِ أعلَـمُ
وأَنَّ عيـونى بالدمـوع هَوَاطِـلٌ
وأنّ فؤادى مُسْتَهَـامٌ مُتَيَّـمُ
فهل فِيكِ يا رَيَّا المُخَلْخَلِ مَطْمَـعٌ
لِمَـنْ طرفُـه باكٍ ومَدْمَعُـهُ دَمُ
فقـالت وأَيْـمُ اللهِ إنَّكَ أشْعَبٌ
أَتَرْجُـو وصالي سَاءَ مَا تَتَوَهَّـمُ
أنا الشمسُ يَدْنُو للعيونِ شُعَاعُهَـا
وتَبْعُـدُ عن لَمْسِ الأُكُـفِّ وتَعْظُـمُ
لئن كنتَ تَحكِى فى جماليَ يُوسُفاً
لَعَمْرُكَ إنِّـى فى عَفَافِـيَ مَرْيَـمُ
ولم تَرْثِ لى مما لَقِـيتُ وإنما
تَوَلَّتْ وعـقلى ذاهِـلٌ وهـى تَبْسُمُ /

٢١٥ظ إلى اللهِ أشكوها ومَـلْكٌ مُهَـــذَّبٌ
به يبـدأ الذكـرُ الجميـلُ ويُخْتَـــمُ
إلى خادم البيـتِ العتيـقِ ومَـــنْ بِهِ
زَهَا الحِجْـرُ والبيتُ العتيـق وَزَمْـزَمُ
إلى مَنْ سَمَا مَجْداً وفَخْـراً وسُؤْدُداً
ولي عنـده ....(١) وغفـر ومــرزمُ
إلى سَيِّـدٍ لم يخْـلُ من جُودٍ كَفِّـهِ
مكـانٌ ولَمَّـا يَخْـلُ مِنْ مَدْحِـهِ فَمُ
إلى الفَـرْدِ فى أهـلِ الزَّمَـانِ وإنــه
تَرَاهُ وَحِيـداً وهْـو جيشٌ عَرَمْـــرَمُ
يُجَلِّـى الأمـورَ المشكـلاتِ بيُمْنِـهِ
كما يُسْتَفَـادُ العِلـم منــه ويُعْلَـــمُ
ولـولاه للدنيـــا وللديـــن والـــوَرَى
لعَمَّهُـمُ لَيْـلٌ من الشِّرْكِ مُظْلِـــمُ
فَيَـــوْمٌ له غَزْوٌ(٢) ويـــومٌ له نَدًى
ويـومٌ بِشَرْعِ اللهِ يَقْضِى وَيَحْكُـــمُ
وإن جنّ جُنْحُ الليلِ أَحْيَـا ظلامَهُ
قِيَامـــاً وأعيـــانُ(٣) البَرِيَّـــةِ نُوَّمُ

---

(١) بياض في الأصل بمقدار كلمة . ولعلها « حظ » أو « رفد » أو لفظ في معناهما ووزنهما .

(٢) في المتن « عز » ، والمثبت عن تصويب ورد في هامش اللوحة .

(٣) في المتن « أغياب » ، والمثبت عن تصويب ورد في هامش اللوحة .

وراحَتُهُ سُحْبٌ وغَيْثُ مَكَارِمٍ
وَسَاحَتُهُ للخلقِ حَجٌّ ومَوْسِمُ
وطَلْعَتُهُ بَدْرٌ تَجَلَّى لأَرْبَعٍ
[وعشر] وأمَّا آل عجلان أنجم(١)
وَلَا عَيْبَ فيهم غَيْر تَفْرِيقِ مَالِهِمْ
وَقَتْلِ أَعَادِيهِمْ وأَنَّ هُمُ هُمُ
معارفهم بيضٌ بها يَقْتَدِى الوَرَى
إذا عَدَلُوا عَنْ مَنْهَجِ الحقِّ أَوْ عَمُوا
وأَجْسَامُهُمْ مِمَّا يَصُومُون نُحَّلٌ
وأَقْدَامُهُم مما يقومون وُرَّمُ
وهم للحَلَالِ المحض للناس حَلَّلُوا
كما لِلحَرَامِ المَحْضِ للناسِ حَرَّمُوا
وهم لبيوتِ المالِ أَخْلَوْا وَأَتْلَفُوا
نَدًى ولأَوْلادِ المُعَادِينَ أَيْتَمُوا
محمدُ بَلْ يَا بَا قِنَاعٍ دُعَاءُ مَن
له فِيكَ ظَنٌّ صادِقٌ وتَوَسُّمُ
فتىً يَسْبِكُ الألفاظَ مِنْ كَنْزِ فِكْرِهِ
فيرجع حُسْناً وهو دُرٌّ مُنَظَّمُ
ولم يكُ يُهْدِيها ويُجْلِيهَا إلى
سِوَى بَرَكَاتِ ابن النبيِّ وأَنْتُمُ

(١) الإضافة يستقيم بها الوزن والمعنى .

فذَاكَ الـذى أَعْطَـاهُ تِبْـــراً وفِضَّةً
ومُقْرَبَـــة مِنْهُـــنَّ وَرْدٌ وأَدْهَـــمُ
ولَمَّـا رَأيتُ النـــاسَ يَنْتَجِعُونَكُـــمْ
قَصَدْتُكُمُ مِن جُمْلَةِ النَّاسِ فَاَعْلَمُوا
ولَمْ أَعْنِ إلا أنْتَ فَاَصْدَعْ بِمَا تَرَى
ودَعْ سُحْبَكَ الهَطْلَى عَلَيَّ تَسَجَّمُ
بَقِيتَ بقاءَ الشَّامِخَاتِ التى رَسَتْ
عَلَى الأَرْضِ تُعْطِى مَنْ تَشَاءُ وَتَحْرِمُ

وامتدحه كبير الأدباء البارع ، المجيد الفارع ، برهان الدين إبراهيم بن مبارك بن سالم بن علي بن إبراهيم المري الذهلي الشيباني القَطِيفيّ بقصائد ، منها خمسٌ سمعها منه الوالد نجم الدين عمر بن فهد الهاشمي / المكي — رحمه الله تعالى — وأثبت أوائل القصائد فى ٢١٦و
كتابه المسمى « الإشعار بما أنشدت من الأشعار » والأوائل المذكورة هي :

الأولى :

نسمة الحب أفضل مرسلاتِ كأن لها الذباب السرحات

والثانية :

أبْرُزْ بَمُنَّةَ قِبَلَ[1] الرَّبْعِ يا حادى
مِنْ أيْسَرِ السَّفْحِ بل من أيْمَنِ الوادى

(١) في الأصل « مثل » ، ولعل الصواب ما ذكرناه .

والثالثة :

ألـوت إلي عنـانها بدعـــائى لأقيم معهـــا كي تتم ثوائى

والرابعة :

بُعْـــدُ الأحبـــةِ عَنِّـــى باح كتمانى
وهجرهـم والنـوى أفنـى لسلـوانى

والخامسة :

هاتـــا حديـــثيها عن الحيين
وعن اللـوى والبـان والظلـتين

وقـال فيـــه يمدحـــه الشاعـــرُ الأديب ، الأوحـــد الأريب ، أبو عبد الله محمد بن عمـر بن عبـد العزيـز المصري الأصل ، المكـي المولد والدار ، الشهير بالفيومي(١) :

رُبُـوعٌ عَلَـى سَفْـحِ النَّقَـا وَخِيَـامُ
عليهم مِنَ المُضْنَى الكَئِيبِ سَلَامُ(٢)
أُعِدْ لِى أُعَذْلِي شَادِيَ القَوْمِ ذَكْرَهُم
فَلِـى شَجَـنٌ فِى حُبِّهِــمْ وَغَـــرَامُ
بِرُوحِـى ظِبَـا بَيْـنَ الثَّنِيَّـةِ والصَّفَـا
يُصَدْنَ وَلكِـــنْ صَيْدَهُـــنَّ حَرَامُ

(١) له ترجمة فى الضوء اللامع ٢٤٦/٨ برقم ٦٦٤ . وفيها أنه غير مُتَصَوِّن ، ممن تولَّعَ بالنظم وكثر محفوظه فيه .

(٢) يلاحـظ أن الشاعـر ضرب بالإعـراب عرض الحائــط فى كثير من أبيـــات القصيدة ، ويمكن إدراك ذلك بسهولة .

تَوَلَّتْ لَيَالٍ قد تَوَلَّتْ بِأُنْسِهِمْ
كأنهُمُ طَيْفٌ وَهُنَّ مَنَامُ
وكنتُ زَمَانَ الوَصْلِ أَشْكُو مُرَاقِبِى
فَلَيْتَ رَقِيبِى وَالتَّوَاصُلَ دَامُوا
أَلَا يا لقومى غارةً لا أَرَى بِهَا
سِوَى القَدِّ رُمْحاً واللحاظ حُسَامُ
خُذُوا بِدَمِى هَذِى الحجازِيَّةَ التى
رَمَتْ مِنْ قِسِيِّ الحاجبين سِهَامُ
أَلا لَا عَدَا أَلحاظَهُ السُّقْمُ والضَّنَى
غَزَالٌ عَدَتْنِى مُقْلَتَيْهِ سِقَامُ
لَهَا وَاوُ أَصْدَاغٍ وَنُونُ حَوَاجِبٍ
عَصِيتُ لها مَنْ فِى المحبةِ لَامُوا
تَلُوحُ لِعَيْنِى مِنْ خِلال خِبَائِهَا
كَمَا لَاحَ بَيْنَ الغَيْمِ بَدْرُ تَمَامُ
تَمَنَّيْتُ مِنْهَا طَيْفَهَا فَتَحَجَّبَتْ
عَلَيَّ وَقَالَتْ : لِى هَوًى . وَتَنَامُ
وَلَمَّا أَبَتْ أَلْحَاظُها سِلْمَ مُهْجَتِى
وَعَزَّ عَلَى نَارِ الخُدُودِ سَلَامُ
جَعَلْتُ رَفِيقِى الليلَ والنِّضْوَ صَاحِبِى
وَصَابَرْتُ فيه وِحْدَةً وَظَلَامُ
عَسَى ابنُ رسولِ الله يَنْظُرُ حَالَتِى
فَيُعْقَد لِى مِنْ حَرْبِهِنَّ ذِمَامُ

محمدُ أَوْلَى الناسِ بالحَمْدِ والثَّنَا
وَأَشْجَعُ ليثٍ فى الوَغَى وهُمَامُ
ثَنَاءٌ جميلٌ فِى البَرِيَّةَ شَائِعٌ
وَفَضْلٌ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ مُقَامُ
لهُ رَاحةٌ فيها مِنَ الفَقْرِ رَاحَةٌ
إِذَا مَسَّ جَدْبَ الفَقْرِ فَهِيَ غَمَامُ /
ومهَّدَ أَرْضَ اللهِ بالعَدْلِ وَالثَّنَا
فَصَيَّرَهُ لِلمُتَّقِينَ إِمَامُ ٢١٦ظ
لئن طَابَ للعَافى ثِمَارُ خِصَالِهِ
فَلَا عَجَبٌ إِنَّ الأُصُولَ كِرَامُ
لقد خَتَمَ اللهُ الكِرَامَ بِذَاتِهِ
وَلَا عَجَبٌ فَٱلْمِسْكُ خَيْرُ خِتَامُ

وقال أيضاً يمدحه ، وهو في الحديقة التى له المتقدم ذكرها ، المُسماة بأم شُمَيْلَة بأرض حسان من وادى مَرّ :

حمامٌ شَدَا فى الزَّهْرِ أَمْ صَاتَ مِزْهَرُ
وريحُ صَبَا تَسْرِى أَمِ الرَّاحُ تُسْكِرُ
وروضٌ شَجِيٌّ أَمْ جِنَانٌ تَزَخْرَفَتْ
وَمَاءٌ زَكِيٌّ فِيهِ أَمْ هُوَ كَوْثَرُ
نَعَمْ قد تذكرنا بأُمِّ شُمَيْلَةٍ
جنان البقا والشيءُ بالشيءِ يُذْكَرُ

وقَدْ نَسَجَتْ أَيْدِى الربيع بِرَسْمِهَا
قَمِيصاً مِنَ الزَّهْرِ الشَّذِيِّ مُدَثَّرُ
وَوَجْهُ ثَرَاهَا تحتَ خُضْرَةِ رَوْضةٍ
مَلِيكٌ غَدَا فِى ثَوْبِ خَزٍّ مُدَثَّرُ
وألبسَ أجْيَاد النخيلِ قَلَائِداً
عَقِيقٌ وَيَاقُوتٌ وَتِبْرٌ وَجَوْهَرُ
وَلَيْل غُيُوم الجَوِّ أَرْخَى سُدُولَهُ
وَلَكِنَّهُ مِنْ أَوْجُهِ الصَّحْبِ مُقْمِرُ
وقد جَمَعَ الأحبابَ جَمْعَ سَلَامَةٍ
ولكن بماءِ العَيْنِ جَمْعٌ مُكَسَّرُ
وَقَد ضَحِكَ النَّوَّارُ فِى طَيِّ كُمِّهِ
وَرِيحُ الصَّبَا فِى ذَيْلِهِ تَتَعَثَّرُ
وقد جَرَّدَ البرقُ اليمانيُّ سَيْفَهُ
وظَلَّ خطيبُ الرَّعْدِ يَنْهَى وَيَأْمُرُ
وقد نَظَمَتْ أَيدِ النَّدَى الدُّرَّ فِى الرُّبَى
وقد سُلَّ سَيْفُ المَاءِ وَهُوَ مُجَوْهَرُ
وأَضْحَتْ ثُغُورُ الأَرْضِ تَفْتَرُّ مُذْ غَدَا
لَهَا ابنُ رَسولِ اللهِ حِصْنٌ مُعَمَّرُ
فَلَا زَالَتِ الأنْوَا تَقَرُّ لِجُودِهِ
وَلَا بَرِحَتْ هَيْجَاهُ بالرُّعْبِ تُنْصَرُ

ورثاه ـــ رحمه الله تعالى ـــ جماعةٌ من الشعراء الأدباء بِعِدَّةِ قصائد . ومما اطَّلَعْتُ عليه منها مرثيةُ الشيخ العلامة الهمام ، أوحد

المذكرين بالمسجد الحرام ، نور الدين علي بن ناصر الحجازي المكي الشافعي[١] ، ومطلعها :

رُزْءٌ أنَالَ المسلمينَ خَبَالَا
وَوَهَى بِهِ الإسلامُ حتَّى مَالَا
ومُصِيبَةٌ رُمِيَتْ بها أمُّ القُرَى
أَهْدَت إلَى أرضِ الحِجَازِ نَكَالَا
وَعَزاً تَدَكْدَكَتِ القُلوبُ لِوَقْعِهِ
والعقلُ زُلْزِلَ بالجَوَى زِلْزَالَا

ومنها :

بوفاةِ سُلْطَانِ الحجازِ مُحَمَّدٍ
نجلِ الأكَارِمِ عِزَّةً وجَلَالَا
كانُوا الأسودَ مَهَابَةً وحَمِيَّةً
والسُّحْبَ جُوداً والبُدُورَ كَمَالَا /
دَهْراً نُوَدِّعُ كُلَّ وَقْتٍ مِنْهُمُ
قَمَراً فَأَوْدِعْ فِي الصَّعِيدِ هِلَالَا ٢١٧و

ومنها :

لَم تَقْنَعِ الأيامُ لَا عَادَتْ بأن
نَسَفَتْ بُحُوراً منهم وجِبَالَا

---

(١) هو علي بن ناصر بن محمد بن أحمد البلبيسي ، ثم المكي الشافعي ، ويعرف بالحجازي . ترجم له فى الضوء اللامع ٤٥/٦ برقم ١٢٧ ، وشذرات الذهب ٧١/٨ ، والكواكب السائرة ٢٧٨/١ ، ومعجم المؤلفين ٢٥٢/٧ ، وكانت وفاته فى سنة ٩١٥ هـ .

حتى رَمَتْنَا فِي الجمالِ بحَادِثٍ
عَزَّ العَزَاءُ عَلَيَّ فِيهِ مَنَالَا
حَامِي حِمَى البيتِ الشريفِ بعَدْلِهِ
بالخيرِ أَمَّاراً بِهِ فَعَّالَا
وَأَغَرُّ صِينَ عَنِ النَّوَاظِرِ عِزَّةً
أَمْسَى بِرَغْمِي فِي التُّرَابِ مُدَالَا
تُمْسِي المَدَامِعُ حَوْلَهُ مُنْهَلَّةً
وَعَلَى مَحَاسِنِهِ الثَّرَى مُنْهَالَا

ومنها :

مَنْ كَانَ للإِسْلَامِ مَجْداً بَاذِخاً
ولِمَنْصِبِ الدِّين الحَنِيفِ جَمَالَا
قَرْمٌ شريفٌ مِنْ سُلَالَةِ أَحْمَدٍ
وذُؤَابَة الحسن الزَّكِي أعْمَالَا
مَوْلىً إذا اغتَصَّتْ مجالِسُهُ شَفَى
بِعَطَائِهِ وَبَيَانِهِ السُّؤَّالَا

ومنها :

إنْ غالَهُ رَيْبُ المنونِ فَقَبْلَهُ
هَجَمَ الحِمامُ عَلى الكِرَامِ وصَالَا
للهِ أيُّ مَحَاسِنٍ وَمَنَاقِبٍ
غَابَتْ وَأَيُّ عِمَادِ فَخْرٍ مَالَا

للهِ كَمْ عَدْلٍ وَكَـــمْ أَمْـــنٍ مَلَا
أَرضَ الحجازِ وَكَمْ حِفَاظٍ وَالَى
كَثُرَ الرَّخَا والخيـرُ مِنْ بَرَكَاتِـهِ
وَهِبَاتِـــهِ مُتَكَرِّمــــاً مِفْضَالَا
للهِ دَرُّ جَنَابِــهِ مِنْ سَيِّـــدٍ
أَحْيَـا الليالِـيَ بالقِيَـامُ فَوَالَـى
قَطَعَ البَوَادِي فِي الهَواجِرِ صَائِماً
يَرْجُــو رِضاً من رَبِّــهِ وَنَــوَالَا
وأدامَ ذِكْــرَ اللهِ تَسْبِيحــاً وكَــمْ
وِرْدٍ مِن القــرآن مِنْــهُ تَوَالَــى
حتّــى ثَوَى فِي قَبْــرِهِ مُتَــوَسِّداً
رحماتِ مَوْلَاهُ وَنَــالَ مَنَــالَا
يا سيِّـدَ الأشرافِ نَجْلَ مُبَــارَكٍ
بَرَكَـات زيـن الديـــن جَلّ جَلَالَا(١)
مَنْ يَكْشِفُ الغُمَّاءَ إنْ نَزَلَتْ وَمَـنْ
يُمْسِي لِكُلِّ هَضِيمَــةٍ حَمَّــالَا
مَنْ يَلْبَس السَّرْدَ المُضَاعَفَ فِي الوَغَى
والحمـدَ فِي يَوْمِ النَّـدَى سِرْبَــالَا
مَنْ لِلقُـرُومِ البُـزْلِ يَصْدُقُهَــا إذا
صَالَتْ قِرَاعــاً بالقَنَــا وَنِــزَالَا

(١) هكذا يصنع الرثاء الكاذب المبالغ فيه بصاحبه ، وكان عليه أن يتورع من وصف إنسان بأنه «جل جلاله» فهذا مما اصطلح المسلمون على استعماله في تعظيم الخالق سبحانه ! «المراجع»

مَنْ يُخْمِدُ الحربَ العَوَانَ مَثَــارُهُ
يُرْدِى الكُمَـاةَ وَيَحْطِـمُ الأَبْطَــالَا
من للمُغِيـرَاتِ الجيـادِ يَرُدُّهَـــا
طَرْداً عَلَــى أَعْقَابِهَـــا جُفَّــالَا
مَنْ يَنْتَضِي الأقلامَ صَامتة فَيُغْـــ
ـدِيهَا لِسَانــاً نَاطِقــاً ومَقَــالَا
مَنْ للممــالك والرعايـــا سَائِساً
هَيْهَـاتَ ضَاعُوا بَعْـدَهُ إهْمَــالَا /
٢١٧ظ مَنْ لليتامَـــى والأرامِـــلِ بَعْـــدَه
مَنْ للفـــــقير وللعَدِيــــــمِ مَآلَا
إنْ لَمْ يَكُنْ بَرَكَاتُ نَجْلِ مَقَامِكُمْ
سَلْطَــانَ مَكَّـــةَ قَاطِعــاً وَصَّالَا
مَاضِي العَزِيمَـةِ بالنُّهَـى مُتَحَكِّمـاً
بالعَــــــدْلِ فَعَــالاً به قَوَّالَا
جَمَـعَ الصيانَـةَ والمَعَـارِفَ والعُـلَا
والديـنَ والتَّقْــوَى وعَــزَّ مَنَــالَا
كُلُّ القُلُوبِ عَلَى مَحَبَّتِـهِ انْطَـوَتْ
وإلى سِيَاسَتِـهِ النفــوسُ تَدَالَـــى

ومرثية الخواجا الأديب ، شهـاب الديـن أحمد بن العـلاء علي ابن إبراهيم الحلبي ، المعروف بالصواف[١] . أوّلها :

(١) فى الأصل « بالصوا » ، والمثبت عن ترجمته فى شذرات الـذهب ١٢٨/٨ ، والكواكب السائرة ١٣٩/١ ، وفيهما توفي سنة ٩٢٤ هـ .

وترابِ سَيِّدِ زَمْزَمٍ وَمَقامِ
مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارِ مُقَامِ
كَيْفَ المقامُ وكُلُّ مَوْجُودٍ سِوَى
وَجْه الإلَهِ يَفِى إلى الإعْدَامِ
واللهِ لَوْ عَاشَ الفَتَى مَا عَاشَهُ
لَا بُدَّ أَنْ يُفْجَا بكأسِ حِمَامِ

ومنها :

أينَ الذى قَدْ كَانَ أَمْسَى وحُكْمُهُ
عَدْلُ القَضَاءِ المُحْكَمِ الإِبْرَامِ
اِغْتَالَهُ مَنْ لَو يُرَدُّ بِعَسْكَرٍ
لَحَماهُ كُلُّ مُثَقَّفٍ وحُسَامِ
فَجِعَتْ به الدُّنْيَا فَلَوْ يُفْدَى بِهَا
لَفَدَتْهُ والأرواحُ بالأَجْسَامِ
وَسَهَتْ لِمَصْرَعِهِ الأنَامُ تَحَيُّراً
فكأنها سَكْرَى بغيرِ مُدَامِ
وَغَدَا الصَّفَا مُتَكَدِّراً وَجُفُونُه
مُذْ غَابَ لَمْ تُكْحَلْ بِمِيلِ مَنَامِ
وَعيونُ زَمْزَمَ أُتْرِحَتْ وَدُمُوعُهَا
أَسَفاً عَلَيْكَ عَلَى الدَّوَامِ دَوَامِي
وَمَقَامُ إبراهيمَ أَمْسَى لَابِساً
ثَوْبَ الحدادِ أسىً وَثَوْبَ سِقَامِ

وَلِرُكْـنِ بيتِ الله وَحْشَةُ ذَاكِـــرِ
أَدَبــاً لِقُبْلَــةِ ثَغْـــرِكَ الـــبَسَّامِ
ولِطَـوْفِكَ البـيتَ الحرامَ مُكَفَّنــاً
ذِكْـرَى بِطَـوْفِكَ حَالَـةَ الإِحْـــرَامِ
لو خِلْتَـهُ فى نَعْشِهِ لَعَجِــبْتَ مِنْ
أَسَدٍ عَلَـــى فَرَسٍ بِغَيْـــرِ لِجَـــامِ
قَدْ سَارَ مِنْ بَابِ السلامِ ضُحىً إلَى
دَارِ السَّلَامِ إلى العُـــــلَا بِسَلَامِ
فَتَزَخْرَفَتْ غُرَفُ الجِنَانِ وَحُورُهَا
لِلِقَـاهُ قَدْ وَقَـفَتْ عَلَى الأَقْــدَامِ
لِتَرَحُّبِ المَوْلَى الشَّرِيفِ محمدِ السـ
ـلْطَــانِ حَامِـــى بَيْضَةِ الإِسْلَامِ
أَنْعِـمْ بِمَـنْ تَرَكَ الذِّئَـابَ بِنَصْلِــهِ
وَبِعَدْلِــهِ تَرْعَــى مَعَ الأَنْعَـــامِ
مَلِكٌ غَدَتْ أَحْكَامُــهُ وِنظَامُـــهُ
وَكَلامُـهُ فِى غَايَــةِ الإِحْكَــامِ /
٢١٨و مَلَكَ البــلادَ بِقَلْبِــهِ وَبِعَضْبِـــهِ
وبِرُعْبِـــــهِ الآسَادَ فِى الآجَامِ
وَحَـوَى البـلادَ بِعَقْلِــهِ وَبِعَدْلِـــهِ
وَبِفَضْلِـــهِ والبَـــذْلِ والإِنْعَـــامِ
وَسَمَـا النجـومَ بفهمـــه وبِعِلْمِـــهِ
وبِحَزْمِـــهِ وبِعَزْمِـــهِ الهَمَّـــامِ

وَوَحَقِّ مَنْ ملأ الزمَانَ صَحَائِفاً
تتلوا الثنـاء بألسن الأقـلامِ[١]
مَا مَاتَ مَنْ وَلَّى وَحُسْنُ صَنِيعِهِ
يُثْنِي عَلَيْهِ عَلَى مَدَى الأَيَّامِ
وَمَضَى وَخَلَّفَ حِينَ سَلَّمَ مَكَّةً
بَرَكَات أَنْجَبَ نَسْلِ حَامٍ وَسَامِ
الحامِي ابنُ الحامِي ابـن الحامِي
ابن الحامِي ابن الحامِي ابن الحامِي
والناظمُ الفُرْسَانَ طَعْنُ قَنَاتِهِ
والثائرُ الشجْعَان قَدُّ حُسَامِ
مَنْ دِرْعُهُ يومَ الزِّحَامِ فُؤَادُهُ
وَفُؤَادُه دِرْعٌ لِيَوْمِ زِحَامِ
يَهَبُ الألوفَ بكَفِّهِ وَيَرُدُّهَا
يَوْمَ الصُّفُوفِ بِسَيْفِهِ الصَّمْصَامِ

ومرثيه الشريف الجليل الأديب النبيل ، مجد الدين جَرَّاح بن شَاجِر بن حسن الغساني ، مطلعها :

مُصِيبَةٌ نزلَتْ بالخلقِ عَنْ كَثَبِ
طُرًّا ولا سِيَّمَا بالعُجْمِ والعَرَبِ
وحادِثٌ جَلَّ أَنْ تبكِي العيونُ لَهُ

---

(١) في الأصل « تتلوه ثناء بألسن الأقلام » ، وما أثبتناه يستقيم وزناً .

بِمَدْمَــعٍ وَدَمٍ فى الخَــدِّ مُنْسَكِبِ
وأَنْ تَذُوبُ لَهُ الأَكْبَادُ مِنْ كَمَـدٍ
وأَيُّ قَلْبٍ لهذا الخَـطْبِ لَمْ يَذُبِ
عَلَى أَبِي بَرَكَـاتِ المُسْتَغَـاثِ بِهِ
محمدِ المَـلَكِ الـكَشَّافِ لِلْكُـرَبِ
مَوْلَى المُلُوكِ الذِى كانَتْ عَزَائِمُـهُ
أَمْضَى مِنَ الهَوْلِ مِنْ مَصْقُولَةِ الشُّطُبِ
وكان أشْهَـرَ مِنْ نَارٍ عَلَى عَلَــمٍ
وَسَمْكُ عَلْيَائِـهِ فِى أَرْفَـعِ الــرُّتَبِ

ومنها :

ما بعـدَهُ اليـومَ مِنْ جُودٍ وَلَا كَـرَمٍ
فأَجْمِلُوا أَيُّها الطـلابُ فِى الطَّـلَبِ
أَسْرَفْتَ يَا مَوْتُ كَمْ أَفْنَيْتَ مِنْ عَدَدٍ
بِمَنْ أَصَبْتَ وَكَمْ أَسْكَتَّ مِن لَجِبِ
وأنتَ يَا دَهْرُ مَا هَذَا الذِي صَنَعَتْ
يَداكَ بالدِّيـنِ والدُّنْيَـا مِنَ العَـطَبِ
قَطَعْتَ يُمْنَاكَ بالـيُسْرَى فَعَضَّ يَداً
عليه وآئذَن بسُخْـطِ اللهِ والـغَضَبِ
ما كنتُ أَحْسِبُ يومـاً قَبْـلَ مِيتَتِـهِ
أَنْ يُدْفَـنُ القَمَـرُ النَّـوَّارُ في التُّـرُبِ

ومنها :

ما كان أَطْيَبَ أيَّامٍ لَهُ سَلَفَتْ
كأنها لَمْ تَرُقْ حُسْناً وَلَمْ تَطِبِ
ولم تُلِمَّ بِهِ الوُفَّادُ طَالِبَةً
منهُ العَطَايَا ولَمْ يَخْلَعْ وَلَمْ يَهَبِ

ومنها :

لم يُلْهِهِ الصَّيْدُ يَوْماً عَنْ قِرَاءَتِهِ
كَلَّا وَلَمْ يَشْتَغِلْ باللَّهْوِ واللَّعِبِ /
مِنْ بَعْدِ أَنْ مَلَكَ الدنيا بأَجْمَعِهَا
بالسَّمْهَرِيَّةِ والهِنْدِيَّةِ القُضُبِ ٢١٨ظ
وَدَبَّرَ الملكَ فِى شَامٍ وَفِى يَمَنٍ
تَدْبِيرَ أَبْلَجَ مَعْصُومٍ مِنَ الرِّيَبِ
وَسَارَتْ العِيسُ بالأمْوَالِ آمِنَةً
فِى الطُّرْقِ مِنْ عَدَنٍ الغَرَّا إِلَى حَلَبِ
تَبْكِيهُ مَكَّتُهُ الغَرَّا وَسَاكِنُهَا
وكُلُّ مُسْتَوْطِنٍ فِيها ومُغْتَرِبِ
وَزَمْزَمٌ والمُصَلَّى والحطيمُ مَعاً
والحِجْرُ والبَيْتُ يَبْكِى غيرَ مُنْتَحِبِ
وَلَمْ يَزَلْ عَرَفَاتٌ بَعْدَهُ ومِنًى
تَنُوحُ حُزْناً وَلَا نَوْحٌ بِلَا سَبَبِ
وَإِنْ بَكَتْ يَثْرِبُ الغَرَّا فَلَا عَجَبٌ
الأَمْرُ أَعْظَمُ أَنْ يُعْزَى إِلَى العَجَبِ

ومنها :

اللهُ أكبـــرُ ما أَقْسَى مُصِيبَتَـــهُ
حَشَتْ قُلُوبَ الوَرَى بالجَمْرِ واللَّهَبِ
لَوْ كَانَ يُفْـدَى فَدَيْنَـاهُ بأَنْفُسِنَـــا
وَمَـا مَلَكْنَـاهُ مِنْ مَالٍ وَمِـنْ نَشَبِ
اليومَ أَصْبَحَ رُكْنُ المَجْـدِ مُنْهَدِمـاً
وَجُـرِّدَ العِـزُّ مِنْ أَثْوَابِـهِ القُشُـــبِ
يَا أَبَا قَنَـاعٍ لَئِنْ أَصْبَـحْتَ مُنْفَـرِداً
عَنْ مُلْكِكَ الضَّخْمِ أَوْ عَنْ جَيْشِكَ اللَّجِبِ
وَقِيلَ فِيكَ المَرَاثِـى بَعْـدَ مَا رُوِيَتْ
فِيكَ المَدَائِحُ مِنْ شِعْرٍ وَمِنْ خُطَبِ
فَكَمْ بَلَغْتَ مِنَ الدُّنْيَا مُنَـاكَ وَكَـمْ
رَدَدْتَ رَأْسَ المُعَادِى مَوْضِعَ الذَّنَبِ
يَا أَيُّهَا المُلْكُ لَا تَجْزَعْ لِمَصْرَعِـهِ
إِنْ غَابَ فَالمَلِكُ المَنْصُورُ لَمْ يَغِبِ
وَقَبْلَـــهُ جَدُّهُ المُخْتَـــارُ مِنْ مُضَرٍ
وَكَـمْ مَضَى مِنْ وَصِيٍّ قَبْلَـهُ وَنَبِـى
والأُسْدُ تَخْلُفَهَا الأَشْبَالُ إِنْ ذَهَبَتْ
وَهَكَذَا النَّاسُ فِى المَاضِى وفِى العَقِبِ
وَيا بَنِى حَسَنَ الغُـلْبِ الكِـرَامِ مَعـاً
وكـلّ مُصْطَفَـوِيّ الأَصلِ مُطَّــلِبِ

وأنتُــمُ أيها القُــــوَّادُ قَاطِبــــةً
وسَائِـر النَّمَـوِيِّ المَـحْضِ والثَّـقَبِ
أَبَــا زُهَيْــرٍ أَطِيعُــوهُ فَطَاعَتُــهُ
فَرْضٌ عَلى كُلِّ كَهْلٍ مِنْكُمُ وَصَبِي
فَمَـنْ يُوَالِيــهِ فَلْيُــبْشِرْ بِنِعْمَتِــهِ
فإِنَّــه رحمةٌ مَمْـــدُودَةُ الطُّـــنُبِ
إِنْ كان داودُ وَلَّــى عَنْ خِلَافَتِــهِ
فَذَا سُلَيْمَـــانُ أُعْطِيهَــا بَلَا تَعَبِ
وَقَـامَ بالأَمْرِ مُذْ نِيــطَتْ عُرَاهُ بِهِ
فَنَـامَ مُنْتَصِراً باللهِ مُحْـــتَسِبِ[1]
هَذَا هُوَ الشمسُ والأَقْمَـارُ إِخْوَتُـه
أَكْـرِمْ بِهِـمْ خَيْـرَ أَوْلَادٍ لخَيْـرِ أَبِ
لَا أَسْأَلُ اللهَ إِلَّا جَمْـعَ شَمْلِهِـــمُ
فإنهم غَايَـــةُ المَــقْصُودِ والأَرَبِ

ومرثيـة له أيضاً قالها على لسان الأمير الكـبير الشهير صاحب جازان شهاب الديـن أبـو الغوايـر / أحمد بن قطب الديـن دُرَيب بن ٢١٩و
خالد الحسني[2] ، قال في أبياتها :

---

(١) كذا في الأصل ، وكأنـه عدل عن الإعراب الصحيـح إلى ضرورة مجاراة كسر الروي .

(٢) وانظر ترجمته وأخباره مع الشريف محمد بن بركات في حوادث سنـة ٨٨٢ هـ ص ٥٢٠ وما بعدها .

وَلَمَّا أَنْ نَعَى النَّاعِي إِلَيْنَا   محمَّـــــدَ ثُمّ قالَ ثَوَى فُلَانُ
أَصَمَّ مَسَامِعاً مِنَّا وَأَبْكَـى   عُيوناً دَمْعُهُـنَّ الأُرْجُـوَانُ
وَلَوْ لَمْ تَجْرِ أَدْمُعُنا دِمَاءً   نَمَا مِن رِيِّهَا أَثْـلٌ وَبَـانُ
وَزُلْـزِلَتِ البِـلَادُ غَدَاةَ وَافَـى   وَخَرَّتْ مِنْ شَوَاهِقِهَا الرِّعَانُ(١)
وَأَمَّا الأَرْضُ مِنْ جَزَعٍ فكادَتْ   تَمُورُ بِنَا وَلَـمْ يَثْبُتْ مَكَـانُ
وَتَنْفَطِرُ السمَـا وَتَعُودُ مِمَّا   أَلَـمَّ كأنَّها كَمَداً دُخَـانُ
لِفَقْدِ محمدٍ عَلَمِ الهُـدَى مَن   أُصِيبَ بِرُزْئِـهِ إِنْسٌ وَجَـانُ
ولَمـاً يَخْـلُ مِنْ حُزْنٍ عَلَيْـهِ   أَبِى بَرَكَات نَفْسٌ أَوْ جَنَـانُ
فَتـىً هَدَمَ الزمـانُ بِهِ المَعَالِـي   أَلَا يَا بِئْسَ مَا صَنَـعَ الزَّمَـانُ
وَهَـدَّ دُعَامَـةَ الإِسْلَامِ خَطْبٌ   هَبَطْنَ لِعُظْـمِ مَوْقِعِهِ القِنَـانُ
لَقَدْ أَضْحَـتْ قَنَاةُ بَنِى مَعَـدٍّ   بِهَـا أَوَدٌ وَلَـيْسَ بِهَـا سِنَـانُ
وأُغْمِدَ سَيْفُهَا الصِّمْصَامُ عَنْهَا   وأُبْـدِلَ خِيفَـةً ذَاكَ الأَمَانُ
فَهَلْ نَلْقَى العَـدُوَّ بِلَا سِلَاحٍ   إِذَا حَانَ الضِّرَابُ أَوِ الطِّعَـانُ
وَمَن كمحمدٍ قَمِـر المَعَالِـى   إِذَا مَا آشْتَدَّتِ الحَرْبُ العَوَانُ
وَكَمْ أَخْلَتْ خَزَائِنَـهُ العَطَايَـا   لآمِلِـهِ وأُتْـرِعَتِ الجِفَـانُ

ومنها :

لئن يَتِـمَتْ وفُـودُ أَبِـي قِنـاعٍ   وَعُطِّلَ بَعْدَ مَصرَعِـهِ الخِـوَانُ
وفارَقَ مُكْرَهاً مُلْكاً جَسِيمـاً   بِهِ مَلَكَ الأَنَـامَ مَعـاً فَدَانُـوا

---

(١) الرعان : يقال جبل أرعن أي ذو رعان طوال ، بمعنى أنوف عظام شاخصة . (المعجم الوسيط) .

فإِنَّ مَصِيرَهُ جَنَّـــاتُ عَدْنٍ   تُغَازِلُهُ بِهَا الحُورُ الحِسَانُ
أَلَا يا آل حَيْـــدَرَةٍ وَطَـــهَ   وَأَنْتُمْ أَيُّهَا السَّبْعُ البِـدَانُ
تَأَسُّوا بِالنَّبِيِّ محمـــدٍ مَنْ   عَلَيْهِ كَرَامَـــةً نَزَلَ القُـــرَانُ
وَشُدُّوا أَزْرَكُمْ بِأَبِي زُهَيْـــرٍ   فَنِعْمَ المُسْتَغَاثُ المُسْتَعَانُ
فَلَا واللهِ مَا حَمَـــلَتْ شَبِيهاً   لَهُ أَبَداً وَلَا وَضَعَتْ حَصَانُ
وَلَا وَخَدَتْ عَلَى البَيْـدَا قَلُوصٌ   وَجَالَ بِمَنْ يُحَاكِيهِ حِصَانُ
وَيَا مَوْلَى الملوكِ الشُّمِّ طُرًّا   وَمَنْ إِذْ قَامَ طَابَ بِهِ الزَّمَانُ /
تَجَلَّدْ وَٱعْتَصِمْ بالصَّبْرِ وَٱعْلَمْ   بِأَنَّ مَصِيرَ وَالِدِكَ الجِنَانُ ٢١٩ظ
وَقَوْمَكَ قُمْ بِهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحاً   لَهُمْ وَأَعِنْ جُنُودَكَ مَا اسْتَعَانُوا
فَهُمْ عَيْنٌ وَأَنْتَ لَهَا سَوَادٌ   وَهُمْ كَفٌّ وَأَنْتَ لَهَا بَنَانُ
فَأَنْتَ رَئِيسُهُم عَدْلٌ وَجَارٌ   وَمَوْلَاهُمْ وَإِنْ خَشِنُوا وَلَانُوا

* * *

« تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث »

الفهرســـت

الموضـــــوع	الصفحة